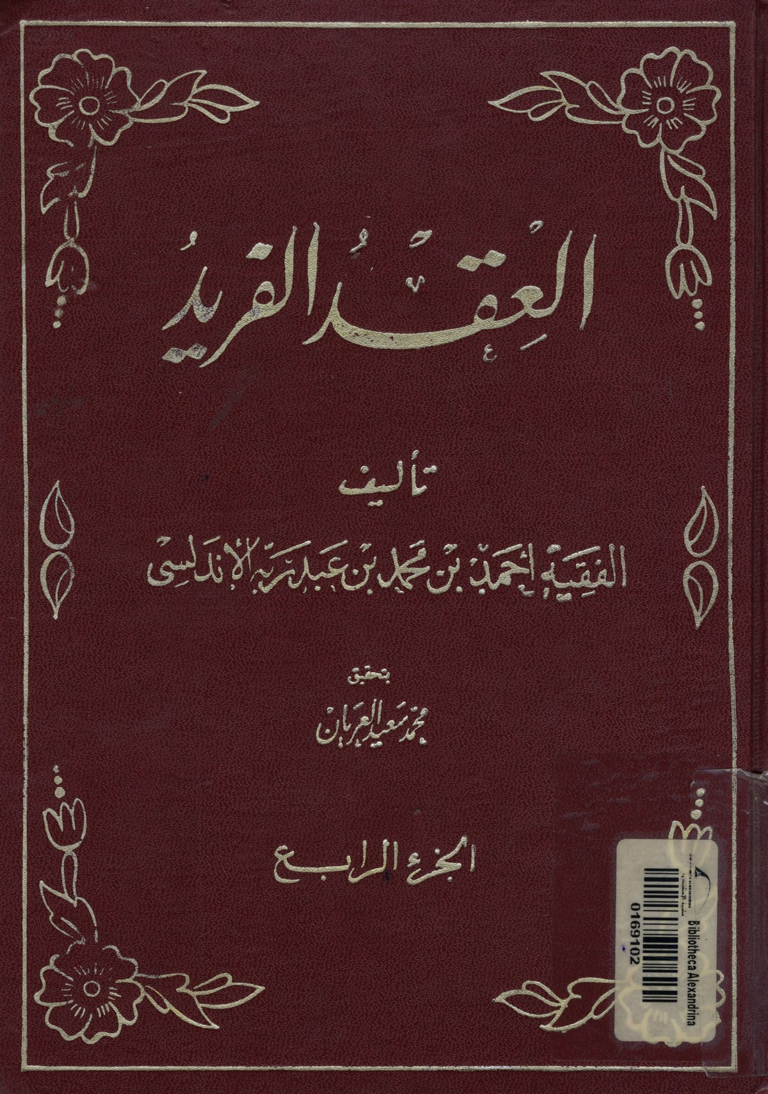

العِقْدُ الفَرِيدُ
تأليف
الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي
بتحقيق
محمد سعيد العريان
الجزء الرابع
Bibliotheca Alexandrina
0169102

العقد الفريد

تأليف

الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي
المتوفى سنة ٣٢٨ﻫ

بتحقيق

محمد سعيد العريان

الجزء السابع

يطلب من
المكتبة التجارية الكبرى

جميع حقوق الطبع محفوظة

[الطبعة الثانية]
مطبعة الاستقامة بالقاهرة
١٣٧٢ — ١٩٥٣

كتاب الياقوتة الثانية
فى علم الألحان واختلاف الناس فيه

لابن عبد ربه

قال أبو عمر أحمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى أعاريض الشعر وعلل القوافى ، وفسرنا جميع ذلك بالمنظوم والمنثور .

ونحن قائلون بعون الله وإذنه فى علم الألحان واختلاف الناس فيه ، ومن كرهه ، ولأى وجه كره ؛ ومن استحسنه ، ولأى وجه استحسَن ؛ وكرهنا أن يكون كتابنا هذا بعد اشتماله على فنون الآداب والحكم والنوادر والأمثال ، عطلا من هذه الصناعة ، التى هى مراد السمع ، ومرتع النفس وربيع القلب ، ومجال الهوى ، ومسلاة الكئيب ، وأنس الوحيد ، وزاد الراكب ؛ لعظم موقع الصوت الحسن من القلب ، وأخذه بمجامع النفس .

ابن مسلم وابن دأب

قال أبو سعيد بن مسلم : قلت لابن دأب : قد أخذت من كل شىء بطرف غير شىء واحد ، فلا أدرى ما صنعت فيه . فقال : لعلك تريد الغِناء ؟ قلت : أجل . قال : أما إنك لو شهدتنى وأنا أترنم بشعر كثيِّر عزة حيث يقول :

وما مَرَّ من يوْمٍ علىَّ كيوْمِها ۞ وإنْ عظمَت أيامُ أُخرى وجَلَّتِ

لاسترخت تِكَّتُك ! قال : قلت : أتقول لى هذا ؟ قال : إى والله ، وللمهدىِّ أمير المؤمنين كنت أقوله .

فصل فى الصوت الحسن

للمفسرين

قال بعض أهل التفسير فى قول الله تعالى: ﴿ يزيد فى الخَلْقِ ما يشاء ﴾ : هو الصوت الحسن .

النبي صلى الله عليه وسلم

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي موسى الأشعرى لما أعجبه حُسْنُ صوته : لقد أوتيتَ مِزْماراً من مزامير آلِ داود .

لأهل الطب

وزعم أهل الطب أن الصوت الحسن يسْرى فى الجسم ، ويجرى فى العروق ، فيصفو له الدم، ويرتاح له القلب ، وتنمو له النفس ، وتهتز الجوارح ، ٥ وتخف الحركات ؛ ومن ذلك كرهوا للطفل أن ينوَّم على أثر البكاء حتى يرقُص ويطرَب .

ليلى الأخيلية والحجاج

وقالت ليلى الأخيلية[1] للحجاج حين سألها عن ولدها وأعجبه ما رأى من شبابه : إنى والله ما حملتُه سهواً ، ولا وضعتُه يَتْناً ، ولا أرضعته غَيلا ، ولا أنمتُه تَئِقا . تعنى : لم أنوِّمْه مستوحشاً باكيا ؛ وقولها : ما حملته سهوا ، تعنى فى بقايا ١٠ الحيض ؛ ويقال : حملت المرأة وُضْعاً وتُضْعاً ، إذا حملت فى استقبال الحيض ؛ وقولها : ولا وضعته يتنا ، تعنى منكسا ؛ وقولها : ولا أرضعته غيلا ، تعنى لبناً فاسدا .

للفلاسفة

وزعمت الفلاسفة أن النغم فضلٌ بقى من المنطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالألحان على الترجيع لا على التقطيع ، فلما ظهر عشقته النفس ١٥ وحنّ إليه الروح ؛ ولذلك قال أفلاطون : لا ينبغى أن تمنع النفس من معاشقة بعضها بعضا ؛ ألا ترى أن أهل الصناعات كلّها إذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ، ترنّموا بالألحان ، فاستراحت لها أنفسهم .

وليس من أحد كائناً من كان إلا وهو يطرب من صوت نفسه ، ويعجبه طنين رأسه ؛ ولو لم يكن من فضل الصوت إلا أنه ليس فى الأرض لذة تكتسب ٢٠ من مأكل أو ملبس أو مشرب أو نكاح أو صيد ، إلا وفيه معاناةٌ على البدن ، وتعبٌ على الجوارح . غيره ، لكفى .

وقد يُتوصل بالألحان الحِسان إلى خير الدنيا والآخرة ؛ ذلك أنها تبعث على مكارم الأخلاق ، من اصطناع المعروف ، وصلة الرحم ، والذبّ عن

(١) فى بعض الأصول واللسان « أم تأبط شرا » .

الإعراض ، والتجاوز عن الذنوب ؛ وقد يبكى الرجل بها على خطيئته ، ويرق القلب من قسوته ، ويتذكر نعيم الملكوت ويمثّله فى ضميره .

وكان أبو يوسف القاضى ربما حضر مجلس الرشيد وفيه الغناء ، فيجعل مكان السرور به بكاء ، كأنه يتذكر به نعيم الآخرة !

لابن أبى دواد

وقال أحمد بن أبى دُواد إن كنت لأسمع الغناء من مخارق عند المعتصم ، فيقع على البكاء !

حتى إن البهائم لتحنّ إلى الصوت الحسن وتعرف فضله ؛ وقال العتابى وذكر رجلا ، فقال : والله إن جليسه لطيبِ عشرته لَأَطْرَبُ من الإبل على الحداء ، والنحل على الغناء .

لصاحب الفلاحات

وكان صاحب الفلاحات يقول بأنّ النحل أطربُ الحيوان كله إلى الغناء ، وإن أفراخها لَتُسْتَنْزَلُ بمثل الزَّجل والصوت الحسن .

قال الراجز :

والطَّيْرُ قد يسوقه للموْتِ * إصغاؤُهُ إلى حَنِين الصَّوْتِ

وبعد ، فهل خلق الله شيئا أوقع بالقلوب وأشدّ اختلاساً للعقول ، من الصوت الحسن ، لاسيما إذا كان من وجهٍ حسن ، كما قال الشاعر : ١٥

رُبَّ سَماعٍ حَسَنٍ * سمعتُه من حَسَنِ
مُقَرِّبٌ من فرَحٍ * مُبَعِّدٌ من حَزَنِ
لا فارَقانى أبداً * فى صحةٍ من بدنى

وهل على الأرض رِعديد مستطار الفؤاد ، يغنَّى بقول جرير بن الخطفى :

قل للجبانِ إذا تأخّر سَرْجُه * هل أنت من شَرَكِ المَنِيَّةِ ناجى ٢٠

إلا ثاب إليه روحُه ، وقوِىَ قلبه ؟ أم على الأرض بخيل قد تقفّعت أطرافه لؤما ، ثم غنى بقول حاتم الطائى :

يَرى البخيلُ سبيلَ المالِ واحدةً * إنّ الجوادَ يرى فى مالِه سُبُلا

إلا انبسطتْ أناملُه ورشحتْ أطرافه ؟ أم هل على الأرض غريب نازح الدار بعيد المحل ، يغنى بشعر على بن الجهم :

يا وَحشتا للغريبِ فى البلدِ النّـ * ـازِح ماذا بنفسه صَنَعا

فارقَ أحبابه فما انتفَعوا * بالعيْشِ من بعدِه ولا انتفَعا

٥ يقولُ فى نأيِه وغُربتِه * عدلٌ منَ اللّه كلُّ ما صنعا

إلا انقطعت كبده حنينا إلى وطنه ، وتشوّقاً إلى سكنِه ؟

اختلاف الناس فى الغناء

اختلف الناس فى الغناء ، فأجازه عامةُ أهلِ الحجاز ، وكرِهه عامة أهل العراق .

رأى من أجازه

١٠ فمن حُجّة من أجازه أن أصله الشعرُ الذى أمر النبي صلى الله عليه وسلم به ، وحضّ عليه ، وندب أصحابه إليه ، وتجند به على المشركين ؛ فقال لحسان : شُنّ الغارة على بنى عبد مناف ، فوالله لَشِعْرُكَ أشدُّ عليهم من وقع السهام فى غَلَس الظلام . و[الشعر] هو ديوان العرب ومقيّدُ أحكامها الشاهدُ على مكارمها ؛ وأكثر شعر حسان بن ثابت يغنى به .

حسان وابنه

١٥ قال فرج بن سلام : حدثنى الرياشى عن الأصمعى قال : شهد حسان بن ثابت مأدُبةً لرجل من الأنصار وقد كَفّ بصرُه ، ومعه ابنه عبد الرحمن ، فكلما قدّم شىء من الطعام قال حسان لابنه عبد الرحمن : أطعامُ يدٍ أم طعام يدَين ؟ فيقول له طعام يد . حتى قُدّم الشّواء ، فقال له : هذا طعام يدين . فقبض الشيخ يده ؛ فلما رُفع الطعام اندفعت قَينة تغنى لهم بشعر حسان :

٢٠ انظر خليلى بباب جِلّقَ هل * تُبصر دونَ البَلْقاءِ منْ أحدِ

جِمالُ شعْثاءَ إذا هبَطْنَ مِنَ الْـ * ـمنْحَشّ دون الكثبان فالسّند

قال : فجعل حسان يبكى ، وجعل عبد الرحمن يومئ إلى القينة أن تُردّده ! قال الأصمعى : فلا أدرى ما الذى أعجب عبد الرحمن من بكاء أبيه !

لعائشة

وقالت عائشة رضى الله عنها : علّموا أولادكم الشعر تعذُبْ ألسنتهم .

النبي صلى الله عليه وسلم والشريد

وأردف النبي صلى الله عليه وسلم الشريد ، فاستنشده من شعر أمية ، فأنشده مائة قافية ، وهو يقول : هيه ! استحساناً لها .

فلما أعياهم القدح فى الشعر والقول فيه ، قالوا : الشعر حسن ولا نرى أن يؤخذ بلحنٍ حسن ؛ وأجازوا ذلك فى القرآن وفى الأذان ؛ فإن كانت الألحان مكروهة فالقرآن والأذان أحق بالتنزيه عنها ، وإن كانت غير مكروهة ، فالشعر أحوج إليها لإقامة الوزن وإخراجه عن حدّ الخبر ؛ وما الفرق بين أن ينشد الرجل :

* أتعرِفُ رسماً كاطّرادِ المذانِب *

مرسَلا ، أو يرفع بها صوته مرتجلا .

وإنما جعلت العرب الشعر موزوناً لمدّ الصوت فيه والدندنة ؛ ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور .

النبي صلى الله عليه وسلم

واحتجوا فى إباحة الغناء واستحسانه بقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة : أهديتم الفتاة إلى بعلها ؟ قالت : نعم . قال : فبعثتم معها من يغنى ؟ قالت : لا . قال : أو ما علمتِ أن الأنصار قوم يُعجبُهُم الغزل ، ألا بعثتم معها من يقول ؟

أتيناكم أتيناكم * فحيُّونا نُحَيِّيكم
ولولا الحبّةالسمرا * ءلم نَحللْ بواديكم

واحتجوا بحديث عبد الله بن أنس ابن عم مالك ، وكان من أفضل رجال الزهرى ، قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم بجارية فى ظل فارع وهى تغنى :

هل علىّ ويْحكم * إنْ لهوْتُ من حرَجِ!

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا حرج إن شاء الله .

والذى لا ينكره أكثر الناس ، غناء النصب ، وهو غناء الركبان .

عمر بن الخطاب

حدّث عبد الله بن المبارك عن أسامة بن زيد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عبد الله بن عمر عن أبيه ، قال : مر بنا عمرُ بن الخطاب وأنا وعاصم بن عمر نغنى غناء النصب ، فقال : أعيدا علىّ . فأعدنا عليه ، فقال : أنتما كحمارى العبادىّ ، قيل له : أي حماريك شرّ ؟ قال : ذا ، ثم ذا !

أنس بن مالك

٥ وسمع أنس بن مالك أخاه البراء بن مالك يغنى ، فقال : ما هذا ؟ قال : أبيات عربية أنصبُها نصبا .

ابن أبى وقاص

ومن حديث الجمانى عن حماد بن زيد عن سليمان بن يسار ، قال : رأيت سعد بن أبى وقاص فى منزلٍ بين مكة والمدينة قد أُلقى له مُصلًّى فاستلقى عليه ووضع إحدى رجليه على الأخرى وهو يتغنى ، فقلت : سبحان ١٠ الله أبا إسحاق ! أتفعل مثل هذا وأنت مُحرِم ؟ فقال : يابن أخى ، وهل تسمعنى أقول هُجْرا .

عمر والنابغة الجعدى

ومن حديث المفضل عن قرة بن خالد بن عبد الله بن يحيى ، قال : قال عمر بن الخطاب للنابغة الجعدى : أسمِعْنى بعضَ ما عفا الله لك عنه من غنائك . فأسمَعه كلمةً له . قال : وإنك لقائلها ؟ قال : نعم . قال : لطالما غنيتُ بها خلفَ ١٥ جمالِ الخطاب .

ابن جريج وعطاء

عاصم عن بن جريج ، قال : سألت عطاء عن قراءة القرآن على ألحان الغناء والحداء ، قال : وما بأس ذلك يابنَ أخى !

داود عليه السلام

قال : وحدث عبيد بن عمير الليثى ، أنّ داود النبي عليه السلام ، كانت له مِعزفة يضرب بها إذا قرأ الزبور لتجتمع عليه الجنّ والإنس والطير ، فيَبكى ٢٠ ويُبكى مَن حوله ؛ وأهل الكتاب يجدون هذا فى كتبهم .

رأى من كرهه

ومن حجة من كره الغناء أن قال : إنه يسعر القلوب ، ويستفز العقول ، ويستخف الحليم ، ويبعث على اللهو ، ويحض على الطرب ، وهو باطل فى أصله . وتأولوا فى ذلك قولَ الله عز وجل ﴿ ومن الناسِ مَن يَشتَرى لَهْوَ الحديثِ لِيُضِلّ عن سبيل اللهِ بغيرِ علمٍ . ويتّخذَها هُزُوًا ﴾ ، وأخطئوا

فى التأويل ؛ إنما نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السِّيَر والأحاديث القديمة ويضاهون بها القرآن ويقولون إنها أفضل منه ؛ وليس من سمع الغِناء يتخذ آيات الله هزوا ؛ وأعدل الوجوه فى هذا أن يكون سبيلُه سبيلَ الشعر ، فحَسَنُه حَسن وقبيحُه قبيح .

ابن جامع وسفيان

وقد حدّث إبراهيم بن المنذر الخزاعى أنّ ابن جامع السهمى قدِمَ مكة بمال كثير ، ففرّقه فى ضعفاء أهلها ؛ فقال سفيان بن عيينة : بلغنى أنّ هذا السهمى قدمَ بمال كثير . قالوا : نعم . قال : فعلام يُعطَى ؟ قالوا : يغنى الملوك فيعطونه . قال : وبأى شىء يغنيهم ؟ قالوا : بالشعر . قال : فكيف يقول ؟ فقال له فتى من تلاميذه : يقول :

أطوّفُ بالبيت معْ مَن يَطوفُ * وأرفعُ من مِئْزرِى المُسْبَلِ

قال : بارك الله عليه ، ما أحسن ما قال ! قال : ثم ماذا ؟ قال :

وأسجدُ بالليـــل حتى الصباحِ * وأتلو من المحكَمِ المُنزَلِ

قال : وأحسن أيضا ، أحسن الله إليه ، ثم ماذا ؟ قال :

عسى فارجُ الهمِّ عن يوسُفٍ * يُســخِّرُ لى ربّةَ المَحمَلِ

قال : أمسك ! أمسكْ ! أفسدَ آخِراً ما أصلح أوّلا ! ألا ترى سفيانَ بن عيينة رحمه الله حسّن الحَسن من قوله وقبّح القبيح ؟

وكره الغناء قومٌ على طريق الزهد فى الدنيا ولذاتها ، كما كره بعضهم الملاذّ ولَبِسَ العَباءة ، وكره الحوّارىّ وأَكْلَ الكشكار ، وترك البُرّ وأَكَلَ الشعير ، لا على طريق التحريم ؛ فإنّ ذلك وجهٌ حسن ومذهَب جميل ؛ فإنما الحلال ما أحل اللهُ والحرام ما حرّم الله . يقول الله تعالى ﴿ ولا تقولوا لِما تصِفُ ألسنتُكم الكَذِبَ هذا حلال وهذا حرام لتَفتَروا على الله الكَذِبَ ، إنّ الذين يفترون على اللهِ الكَذِبَ لا يُفلِحونَ ﴾ .

وقد يكون الرجل أيضا جاهلا بالغناء أو متجاهلا به ، فلا يأمر به ولا ينكره .

للحسن البصري

قال رجل للحسن البصري : ما تقول فى الغناء يا أبا سعيد ؟ قال : نِعْمَ العون الغناء على طاعة الله ، يصلُ الرجلُ به رَحِمَه ، ويواسى به صديقَه . قال الرجل : ليس عن هذا أسألُك . قال : وعمَّ سألتنى ؟ قال : أن يُغَنِّىَ الرجل . قال : وكيف يغنِّى ؟ فجعل الرجل يلوى شدقيه وينفخ منخريه ؛ قال الحسن : والله يابنَ أخى ما ظننت أنّ عاقلا يفعل هذا بنفسه أبدا ! وإنما أنكر عليه الحسنُ تشويهَ وجهه وتعويج فمه ؛ وإن كان أنكر الغناء فإنما هو من طريق أهل العراق ، وقد ذكرنا أنهم يكرهونه .

لابن جريج وابن عبيد

قال إسحاق بن عمارة : حدّثنى أبو المغلس عن أبى الحارث ، قال : اختُلف فى الغناء عند محمد بن إبراهيم والى مكة ، فأرسل إلى ابن جريج وإلى عمرو بن عبيد ، فأتياه ، فسألهما ، فقال ابن جريج : لا بأس به ، شهدت عطاء بن أبى رباح فى خِتان ولده وعنده ابن سريج المغنى ، فكان إذا غنى لم يقل له اسكت ، وإذا سكت لم يقل له غنّ ، وإذا لحن ردّ عليه . وقال عمرو بن عبيد : أليس الله يقول ﴿ ما يَلفِظُ من قوْلٍ إلا لديْه رقيب عتيد ﴾ ، فأيهما يكتب الغناء ، الذى عن اليمين أو الذى عن الشمال ؟ فقال ابن جريج : لا يكتبه واحد منهما ؛ لأنه لغو كحديث الناس فيما بينهم من أخبار جاهليتهم وتناشُدِ أشعارهم .

لأبى يوسف

قال إسحاق : وحدّثنى إبراهيم بن سعد الزهرى قال : قال لى أبو يوسف القاضى : ما أعجب أمركم يأهل المدينة فى هذه الأغانى ! ما منكم شريف ولا دنىء يتحاشى عنها ! قال : فغضبتُ وقلتُ : قاتلكم الله يأهل العراق ! ما أوضح جهلكم وأبعدَ من السداد رأيكم ! متى رأيتَ أحداً سمع الغناء فظهر منه ما يظهر من سفهائكم هؤلاء الذين يشربون المسكر فيترك أحدُهم صلاته ، ويطلق امرأته ، ويقذف المحصنة من جاراته ، ويكفُر بربه ؛ وأين هذا من هذا ؟ مَن اختار شعراً جيداً ثم اختار جرما حسناً فردّده عليه فأطربه وأبهجه فعفا عن الجرائم ، وأعطى الرغائب . . . ؟ فقال أبو يوسف : قطعتَنى ! ولم يُحِرْ جوابا .

قال إسحاق : وحدّثنى إبراهيم بن سعد الزهرى قال : قال لى الرشيد : من

شيد مرى

بالمدينة من يحرّم الغناء ؟ قال : قلت : من قنّعه اللهُ بخزيه ، قال : بلغنى أنّ مالك بن أنس يحرّمه . قلت : يا أمير المؤمنين ، أو لمالك أن يحرّم ويحلل ؟ والله ما كان ذلك لابنِ عمّك محمد صلى الله عليه وسلم إلا بوحى من ربه ؛ فمَن جَعل هذا لمالك ؟ فشهادتى على أبى أنه سمع مالكا فى عرس ابن حنظلة الغسيل يتغنى :

٥

سُلَيْمَى أزمعتْ بيْنا ٭ فأين بوصلِها أيْنا

ولو سمعت مالكا يحرّمه ويدى تناله لأحسنتُ أدبه ! قال : فتبسم الرشيد .

عمر وابن جعفر

وعن أبى شعيب الحرانى عن جعفر بن صالح بن كيسان عن أبيه ، قال : كان عبد الله بن عمر يحب عبد الله بن جعفر ، فغَدا عليه يوما وعنده جارية فى حجرها عود ، فقال ابن عمر : ماذاك يا أبا محمد ؟

١٠

قال : وما تظن به يا أبا عبد الرحمن ؟ فإن أصاب ظنُّك فلك الجارية .

قال : ما أرانى إلا قد أخذتُها ، هذا ميزان رومى !

فضحك ابن جعفر وقال : صدقت ، هـذا ميزان يُوزَن به الكلام ، والجاريةُ لك ؛ ثم قال : هاتِ فغنّتْ :

أيا شوقا إلى البلدِ الأمينِ ٭ وحىّ بين زمزمَ والحجونِ

١٥

ثم قال : هل ترى بأسا ؟ قال : هل غيرَ هذا ؟ قال : لا . قال : فما أرى بهذا بأسا .

عمر وابن محرز

وسمع عبد الله بن عمر ابنَ محرز يغنى :

لو بُدّلتْ أعلى منازلِها ٭ سُفْلا وأصبح سُفْلها يعلو

لعرفتُ مَغناها بما احتَملتْ ٭ منى الضلوعُ لأهلها قبلُ

٢٠

فقال له عبد الله بن عمر : قل : إن شاء الله ! قال : يفسد المعنى . قال : لا خير فى كل معنى يفسده « إن شاء الله » .

عمر بن عبد العزيز ومغن

حدث محمد بن زكريا الغلابى بالبصرة قال : حدثنى ابن الشرقى عن الأصمعى قال سمع عمر بن عبد العزيز راكبا يغنى فى سفره :

فلولا ثلاثٌ هُنّ من عيشةِ الفتى * وجَدِّكَ لم أحفِلْ متى قام عُوَّدِى

فمنهنّ سَبقُ العاذِلاتِ بشرْبَة * كُميتٍ متى ما تُعْل بالماء تُزْبِدِ

٥ وكرّى إذا نادَى المضاف مُجنَّباً * كسِيدِ الغضا فى الطخيةِ المتورِّدِ

وتقصيرُ يومِ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعجِبٌ * ببَهكنةٍ تحت الطِّرافِ المُمَدَّدِ

فقال عمر بن عبد العزيز : وأنا لولا ثلاث لم أحفل متى قام عُوَّدى : لولا أن أنفر فى السرية ، وأقسم بالسوية ، وأعدل فى القضية !

جرير والأسلمى العابد

قال جرير المدنى : مررت بالأسلمى العابد وهو فى مسجد رسول الله صلى ١٠ الله عليه وسلم يصلى فسلمتُ عليه ، فأومأ إلىّ وأشار بالجلوس ، فجلست ، فلما سلم أخذ بيدى وأشار إلى حلقى ، وقال : كيف هو ؟ قلت : أحسن ما كان قط . قال : أما والله لوددت أنه خلا لى وجهك وأنك أسمعتنى :

يالقومى بحبـلِكَ المصرُومِ * يوم شطُّوا وأنت غيرُ ملومِ

أصبح الرَّبْعُ من أُمامةَ قفْرا * غير مغنى معازِف ورسوم

١٥ قلت : إذا شئت ، قال : فى غير هذا الوقت إن شاء الله .

ابن المبارك

وحدث أبو عبد الله المروزى بمكة فى المسجد الحرام ، قال : حدثنا حسان وسويد صاحبا ابن المبارك ، قالا : لما خرج ابن المبارك إلى الشام مرابطا خرجنا معه ، فلما نظر إلى مافيه القوم من التعبد والغزو والسرايا فى كل يوم ، التفت إلينا فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون على أعمار أفنيناها ، وأيام وليال قد قطعناها ٢٠ فى علم الشعر ، وتركنا ههنا أبوابَ الجنة مفتوحة ! قال : فبينما هو يمشى ونحن معه فى أزقة المصيصة ، إذا نحن بسكران قد رفع صوته يغنى :

أذَلنى الهوى فأنا الذَّليلُ * وليس إلى الذى أهوى سبيلُ

فأخرج برنامجا من كمه ، فكتب البيت ؛ فقلنا له : أتكتب بيت شعر سمعته

من سكران ؟ قال : أما سمعتم المثل : رُبَّ جوهرة فى مزبلة !

الأوقص المخزومى

قال : وولِيَ الأوقصُ المخزومى قضاء مكة ، فما رؤى مثله فى العفاف والنبل ، فبينما هو نائم ذات ليلة فى علِّية له ، إذ مر به سكران يتغنى ويلحن فى غنائه ، فأشرف المخزومى عليه ، فقال : ياهذا ، شربت حراما ، وأيقظتَ نياما ، وغنيت خطأ : خُذْه عنى ! فأصلحه عليه ! ٥

وقال الأوقص المخزومى : قالت لى أمى : أى بُنىّ ، إنك خلقتَ فى صورة لا تصلح معها لمجامعة الفتيان فى بيوت القِيان ، فعليك بالدين ، فإن الله يرفع به الخسيسة ويُتمّ به النقيصة ، فنفعنى الله بقولها .

الشعبى وبشر

وحدث عباس بن المفضل قاضى المدينة ، قال : حدثنى الزبير بن بكار قاضى مكة عن مصعب بن عبد الله قال : دخل الشعبى على بشر بن مروان وهو والى ١٠ العراق لأخيه عبد الملك بن مروان ، وعنده جارية فى حجرها عود ؛ فلما دخل الشعبى أمرها فوضعت العود ، فقال له الشعبى : لا ينبغى للأمير أن يستحيى من عبده . قال : صدقتم ؛ ثم قال للجارية : هاتى ما عندك . فأخذت العود وغنت :

ومما شجانى أنها يومَ ودّعت * تولت وماءُ العين فى الجفنِ حائرُ

فلما أعادت من بعيدٍ بنظرةٍ * إلىّ آلتفاتاً أسلَمَتْهُ المحاجِر ١٥

فقال الشعبى : الصغير أكيسهما . يريد الزير ، ثم قال : ياهذه ، أرخى من بمّك ، وشدّى من زيرك . فقال له بشر : وما علمك ؟ قال : أظن العمل فيهما . قال : صدقت ، ومن لم ينفعه ظنُّه لم ينفعه يقينُه .

قرشى وزجل يغنى فى المسجد

وحُدث عن أبى عبد الله البصرى قال : غَنّى رجل فى المسجد الحرام وهو مستلق على قفاه صوتا ، ورجلٌ من قريش يصلى فى جواره ؛ فسمعه خُدّامُ المسجد ٢٠ فقالوا : ياعدو الله ، تغنى فى المسجد الحرام ! ورفعوه إلى صاحب الشرطة ، فتجوز القرشى فى صلاته ؛ ثم سلم واتبعه ، فقال لصاحب الشرطة : كذبوا عليه أصلحك الله ، إنما كان يقرأ ! فقال . يا فساق ، أتأتونى برجل قرأ القرآن

تزعمون أنه غَنى ؟ خلوا سبيلَه ! فلما خلّوه قال له القرشى : والله لولا أنك أحسنتَ وأجدت ما شهدتُ لك ، اذهب راشدا .

أبوحنيفة وجاره

وكان لأبى حنيفة جارٌ من الكيالين مغرمٌ بالشراب ، وكان أبو حنيفة يُحيى الليلَ بالقيام ، ويحييه جاره الكيال بالشراب ، ويغنى على شرابه :

٥ أضاعونى وأىَّ فتًى أضاعوا * ليومِ كريهةٍ وسدادِ ثغرِ

فأخذه العسس ليلةً فوقع فى الحبس ، وفقد أبو حنيفة صوته واستوحش له ؛ فقال لأهله : ما فعل جارنا الكيال ؟ قالوا : أخذه العسس فهو فى الحبس . فلما أصبح أبو حنيفة وضع الطويلة على رأسه ، وخرج حتى أتى باب عيسى ابن موسى ، فاستأذن عليه ، فأسرع فى إذنه ـ وكان أبو حنيفة قليلا ما يأتى الملوك ـ ١٠ فأقبل عليه عيسى بوجهه ، وقال : أمرٌ مّا جاء بك أباحنيفة ! قال : نعم ، أصلح الله الأمير ، جارٌ لى من الكيالين ، أخذه عسس الأمير ليلةَ كذا ، فوقع فى حبسك . فأمر عيسى بإطلاق كل من أُخذ فى تلك الليلة ، إكراما لأبى حنيفة ؛ فأقبل الكيال على أبى حنيفة متشكراً له ، فلما رآه أبو حنيفة قال : أضعناك يا فتى ؟ يعرّض له بقصيدته ؛ قال : لا والله ، ولكنك بررْتَ وحفِظْتَ .

الدارمى وتاجر عراق

١٥ الأصمعى قال : قدم عراقىٌّ بعدل من خُمُر العراق إلى المدينة ، فباعها كلها إلا السود ، فشكا ذلك إلى الدارمى ، وكان قد تنسك وترك الشعر ولزم المسجد فقال : ما تجعل لى على أن أحتال لك بحيلة حتى تبيعَها كلَّها على حكمك ؟ قال : ما شئت ! ! قال : فعمد الدارمى إلى ثياب نسكه ! فألقاها عنه وعاد إلى مثل شأنه الأول ، وقال شعراً ورفعه إلى صديق له من المغنين ، فغنى به وكان الشعر :

٢٠ قل للمليحةِ فى الخمارِ الأسودِ * ماذا فعلتِ بزاهدٍ مُتعبِّدِ
قد كان شمَّرَ للصلاةِ ثيابَه * حتى خطَرْتِ له ببابِ المسجدِ
ردِّى عليه صلاتَه وصيامَه * لا تقتُليه بحقِّ دينِ محمدِ

فشاع هذا الغناء فى المدينة ، وقالوا : قد رجع الدارمى وتعشق صاحبةَ الخمار

الأسود . فلم تبق مليحة بالمدينة إلا اشترت خماراً أسود ، وباع التاجر جميع ما كان معه ؛ فجعل إخوان الدارمى من النساك يلقون الدارمى فيقولون : ماذا صنعتَ ؟ فيقول : ستعلمون نبأه بعد حين . فلما أنفد العراقى ما كان معه ، رجع الدارمى إلى نسكه ولبس ثيابه .

عروة بن أذينة

٥ وحدث عبد الله بن مسلم بن قتيبة ببغداد ، قال : حدثنى سهلٌ عن الأصمعى قال : كان عروةُ بن أُذينة يعدُّ ثقة ثبتاً فى الحديث ، روى عنه مالك بن أنس ؛ وكان شاعراً لبقاً فى شعره غزِلا ، وكان يصوغ الألحان والغناء على شعره فى حداثته وينحلها المغنين ؛ فمن ذلك قوله ، وغنى به الحجازيون :

يا ديارَ الحىِّ بالأَجَمَه * لم يُبيِّنْ رسمُها كِلِمه

١٠ وهو موضع صوته ، ومنه قوله :

قالت وأَبْثثتُها وجْدى وبُحتُ به * قد كنتَ عندى تحت السِّتر فاستترِ

ألستَ تُبصرُ مَن حولى فقلت لها * غطَّى هَواك وما ألقى على بَصرى

قال : فوقفت عليه امرأة وحوله التلامذة ، فقالت : أنت الذى يقال فيك الرجل الصالح ، وأنت القائل :

١٥ إذا وجدتُ أُوار الحبِّ فى كبِدِى * عمدْتُ نحو سقاء القومِ أبْتَرِدُ

هبنى بردتُ ببردِ الماء ظاهرَهُ * فمن لنارٍ على الأحشاء تتقِد

لا والله ما قال هذا رجل صالح قط !

القس

قال : وكان عبد الرحمن الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبى رباح فى العبادة ، وإنه مر يوما بسلامة وهى تغنى ، فقام يستمع غناءها ، فرآه مولاها

٢٠ فقال له : هل لك أن تدخل فتسمع ؟ فأبى ، فلم يزل به حتى دخل ، فقال له : أوقِفُك فى موضع بحيث تراها ولا تراك . فغنّته فأعجبته ، فقال له مولاها : هل لك فى أن أحوِّلها إليك ؟ فأبى ذلك عليه ، فلم يزل به حتى أجابه ، فلم يزل

يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغف بها ؛ ولما شعرت لَحْظَهُ إياها غنته :

رُبَّ رسُولين لنا بَلَّغا * رسالة مِن قبل أن يَبرَحا
لم يُعمِلا خُفًّا ولا حافراً * ولا لساناً بالهوى مُفصِحا
حتى استَقلَّا بجوابَيهما * بالطائرِ الميمونِ قد أنجحا
٥ الطرفُ والطَّرفُ بَعثْناهما * فقضَيا حاجا وما صَرَّحا

قال : فأغمى عليه وكاد أن يهلك ؛ فقالت له يوماً : والله إنى أُحبُّكَ ! قال لها : وأنا والله أُحبُّكِ ! قالت : وأحب أن أضعَ فمى ... قال : وأنا والله ... قالت : فما يمنعك من ذلك؟ قال : أخشى أن تكون صداقةُ ما بينى وبينك [اليوم] عداوةً يوم القيامة ؛ أما سمعتِ الله تعالى يقول : ﴿ الأخِلَّاء يَومئذٍ بَعضُهم ١٠ لبَعْض عدُوٌّ إلا المتَّقينَ ﴾ ؟ ثم نهض وعاد إلى طريقه التى كان عليها ، وأنشأ يقول :

قد كنتُ أعذلُ فى السفاهةِ أهلَها * فاعجبْ لما تأتِى به الأيامُ
فاليوم أعذِرُهم وأعلَمُ أنما * سُبلُ الضلالةِ والهدَى أقْسام

وله فيها :

١٥ إنّ سلَامةَ التى * أفقدتْنِي تجلّدى
لو تراها وعُودَها * حين يَبدو وتبْتدى
للجريرَينِ والغَريـ * ـضِ وللقرمِ مَعبَد
خلْتَهمْ بين عُودِها * والدّساتينِ واليدِ

أخبار عبد الله بن جعفر

٢٠ حدث سعيد بن محمد العجلى بعمان ، قال : حدثنى نصر بن على عن الأصمعى ، قال : كان معاوية يعيب على عبد الله بن جعفر سماع الغناء ؛ فأقبل معاوية عاما من ذلك حاجا ، فنزل المدينة ، فمر ليلة بدار عبد الله بن جعفر فسمع عنده غناء على أوتار ، فوقف ساعة يستمع ، ثم مضى وهو يقول : أستغفر الله !

هو ومه

أستغفر الله ! فلما انصرف من آخر الليل، مر بداره أيضا ، فإذا عبد الله قائم يصلى ، فوقف ليستمع قراءته ، فقال الحمد لله ! ثم نهض وهو يقول : ﴿خَلَطوا عملا صالحاً وآخرَ سيئاً عسَى اللهُ أن يتوبَ عليهم﴾ .

فلما بلغ ابن جعفر ذلك أعدّ له طعاما ودعاه إلى منزله ، وأحضر ابن صيّاد المغنى ، ثم تقدم إليه يقول : إذا رأيت معاوية واضعاً يده فى الطعام فحرّك أوتارك ٥ وغنّ . فلما وضع معاوية يده فى الطعام حرّك ابن صياد أوتارَه وغنّى بشعرِ عدى ابن زيد وكان معاوية يُعجَب به .

يا لُبيْنَى أوقِدى النارا * إنّ من تَهوَيْنَ قد حارَا

رُبّ نار بِتُّ أرمُقُها * تَقْضمُ الهِندىّ والغارا

ولهـا ظبْى يُؤَجّجُها * عاقدٌ فى الخَصرِ زُنارا ١٠

قال فأعجَب معاويةَ غِناؤه ، حتى قبض يده عن الطعام ، وجعل يضرب برجله الأرض طربا ؛ فقال له عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ، إنما هو مختار الشعر يُركّب عليه مختار الألحان ، فهل ترى به بأسا ؟ قال : لا بأس بحكمة الشعر مع حكمة الألحان .

قال : وقدم عبد الله بن جعفر على معاوية بالشام ، فأنزله فى دار عياله ، ١٥ وأظهر من إكرامه وبرّه ما كان يستحقه ؛ فغاظ ذلك فاختة بنت قرظة زوجة معاوية ؛ فسمعت ذات ليلة غِناء عند عبد الله بن جعفر ، فجاءت إلى معاوية فقالت : هلم فاسمع ما فى منزل هـذا الذى جعلته بين لحمك ودمك ، وأنزلتَه فى حُرَمِك ! فجاء معاوية فسمع شيئاً حرّكه وأطربه ، فقال : والله إنى لأسمع شيئاً تكاد الجبال تخرّ له ، وما أظنه إلا من تلقيّة الجن ! ثم انصرف ، فلما كان من آخر الليل سمع ٢٠ معاوية قراءة عبد الله وهو قائم يصلى ، فأنْبَهَ فاختة ، وقال لهـا : اسمعى مكان ما أسمعْتِنى ، هؤلاء قومى : ملوك بالنهار ، رهبانٌ بالليل !

ثم إن معاوية أرِقَ ذات ليلة ، فقال لخادمه حُديج : اّذهب فانظر مَن عند عبد الله ، وأخبِرْه بخروجى إليه . فذهب فأخبره ، فأقام كلّ من كان عنده ؛

ثم جاء معاوية ، فلم ير في المجلس غير عبد الله ، فقال : مجلس من هذا ؟ قال : مجلس فلان . قال معاوية : مُرْه يرجع إلى مجلسه . ثم قال : مجلس من هذا ؟ قال : مجلس فلان . قال : مُرْه يرجع إلى مجلسه ... حتى لم يبق إلا مجلس رجل ، فقال : مجلس من هذا ؟ قال : مجلس رجل يداوى الآذان ، يا أمير المؤمنين ! قال له
٥ معاوية : فإنّ أُذُنى عليلةٌ ، فمُرْه فليرجع إلى موضعه . وكان موضعَ بُدَيح المغنى ، فأمره ابن جعفر ، فرجع إلى موضعه ، فقال له معاوية : داوِ أذنى من عِلّتها ! فتناول العودَ ثم غنى :

أَمِنْ أُمّ أَوفَى دِمْنةٌ لم تَكَلَّمِ * بحَوْمانةِ الدَّرّاجِ فالمُتثَلَّمِ

فحرّك عبد الله بن جعفر رأسه ، فقال معاوية : لِمَ حَرّكتَ رأسك يابن
١٠ جعفر ؟ قال أَرْيَحيّةٌ أجدها يا أمير المؤمنين ، لو لاقيت عندها لأَبْليْت ، ولئن سُئلتُ عندها لأعطيتُ ! وكان معاوية قد خضب ، فقال ابن جعفر لبُدَيح : هات غير هذا . وكانت عند معاوية جاريةٌ أعزّ جواريه عنده ، كانت متولّيةً خضابه ، فغناه بديح :

أليس عندكَ شُكرٌ للتى جَعَلت * ما ابيضّ مِن قادماتِ الشعْرِ كالحمَمِ
١٥ وجدّدتْ منك ما قد كان أخلَقَه * صَرْفُ الزمانِ وطولُ الدهرِ والقِدَمِ

فطرب معاوية طربا شديداً وجعل يحرك رجله ، فقال ابن جعفر : يا أمير المؤمنين سألتنى عن تحريك رأسى فأخبرتك ، وأنا أسألك عن تحريك رجلك ! فقال معاوية : كلُّ كريمٍ طروب . ثم قام وقال : لا يبرحْ أحدٌ منكم حتى يأتيَه إذنى . فبعث إلى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ، ومائة ثوب من خاص ثيابه ، وإلى
٢٠ كل رجل منهم بألف دينار وعشرة أثواب .

هو ومغنية سمعها

وعن ابن الكلبي والهيثم بن عدى ، قالا : بينا عبد الله بن جعفر فى بعض أزقة المدينة ، إذ سمع غناء ، فأصغى إليه ، فإذا بصوت شجيّ رقيق لِقَيْنة تغنى :

قل للكرامِ ببابِنا يَلِجُوا * ما فى التّصابى على الفتَى حَرَجُ

فنزل عبد الله عن دابته ، ودخل على القوم بلا إذن ؛ فلما رأوه قاموا إليه

إجلالا ورفعوا مجلسه ؛ ثم أقبل عليه صاحب المنزل ، فقال : يابن عم رسول الله دخلت منزلنا بلا إذن ، وما كنت لهذا بخليق ! فقال عبد الله : لم أدخل إلا بإذن ! قال : ومن أَذِن لك ؟ قال : قينتُك هذه ؛ سمعتها تقول :

* قل للكرام ببابنا يلجوا *

٥ فولجنا ، فإن كنا كراما فقد أُذِن لنا ، وإن كنا لئاما خرجنا مذمومين ! فضحك صاحب المنزل ، وقال صدقت جُعِلْتُ فداك ! ما أنت إلا من أكرم الأكرمين . ثم بعث عبد الله إلى جارية من جواريه ، فقال لها : غنى فغنت ، فطرب القوم ، وطَرِب عبد الله ؛ فدعا بثياب وطيب فكسا القوم وصاحب المنزل وطيّبهم ووهب له الجارية ، وقال له : هذه أحذق بالغناء من جاريتك .

١٠ أخبار ابن أبى عتيق

هو وعائشة — ذكر رجل من أهل المدينة أنّ ابن أبى عتيق — وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق — دخل على عائشة أم المؤمنين — وهى عمّته — فوضع رأسه فى حجرها — أو على ركبتها — ثم رفع عقيرته يتغنى :

ومُقيّر حَجل جَرَرْت برِجْـلِه * بَعد الهـدوّ له قوائمُ أربعُ

١٥ فاطْرَب زمانَ اللهْوِ من زمنِ الصِّبا * وانزعْ إذا قالوا أَبى لا يَنزِع

فلَيأتيَنّ عليـك يوماً مَرّة * يبكى عليـك مُقنّعاً لا تَسْمع

قالت عائشة : يابُنَىّ ، فاتق ذلك اليوم :

هو وكثير — حدّث أبو عبد الله محمد بن عرفة بواسط . قال : حدثنى أحمد بن [محمد بن] يحيى عن الزبير بن بكار عن سليمان بن عباس السعدى عن السائب راوية كثير

٢٠ قال : قال لى كثير يوما : قم بنا إلى ابن أبى عتيق نتحدث عنده . قال : فجئناه ، فوجدنا عنده ابن معاذ المغنى ، فلما رأى كثيرا ، قال لابن أبى عتيق : ألا أُغنّيك بشعر كُثيّر ؟ [قال : بلى] ، فاندفع يغنى بشعره حيث يقول :

أبائنةٌ سُعْدى ؟ نعمْ ستَبِين ! * كما انبتّ من حبْلِ القرينِ قرينُ

أإنْ زُمّ أجمال وفارقَ جيرة * وصاح غرابُ البيْنِ أنت حزينُ

كأنك لم تسمعْ ولم تَرَ قبلَها * تفرُّقَ أحباب لهُنّ حنين

فأخلَفْن ميعادى وخُنّ أماتى * وليس لمن خان الأمانة دِين

فالتفت ابن أبى عتيق إلى كثيّر فقال : وللدِّين صحبتهن يابن أبى جمعة ؟ ذاك والله أشبه بهن وأدعى للقلوب إليهن ، وإنمـا يوصَفْن بالبخل والامتناع ، وليس بالأمانة والوفاء ؛ وابن قيس الرقيات أشعر منك حيث يقول :

حبّذا الإدْلالُ والغَنَجُ * والتى فى طَرْفِها دَعَجُ

والتى إن حَدّثتْ كذَبتْ * والتى فى ثغرِها فَلَج

وخبِّرونى هلْ على رجل * عاشقٍ فى قُبْلة حَرج

فقال كثيّر : قم بنا من عند هذا ! ثم نهض .

هو وابن جعفر

وقال عبد الله بن جعفر لابن أبى عتيق : لو غنتك فلانة جاريتى صوتاً ما أدركت ذكاتك ! قال ابن أبى عتيق : قل لهـا تفعل وليس عليك إن متُّ ضمانٌ ! فأخذ بيده عبد الله بن جعفر وأدخله منزله ، ثم أمر الجارية فخرجت ، وقال لها : هاتِ . فغنت :

بهواكَ صيّرَنِى العذولُ نَكالا * وَجَد السبيل إلى المقالِ فقالا

ونهيْتَ نومى عن جُفونى فانتهى * وأمرتَ ليْلِى أن يَطول فطالا

قال : فرمى بنفسه ابن أبى عتيق إلى الأرض وقال : ﴿ فإذا وجَبَت جُنوبُها فكلوا منها وأطعِموا القانعَ والمُعْترّ ﴾ .

هو وعبد الملك وابن جعفر

أبو القاسم جعفر بن محمد قال : لمـا وَصَف عبد الله بن جعفر لعبد الملك بن مروان ابن أبى عتيق ، وحدثه عن إقلاله وكثرة عيـاله . أمره عبد الملك بن مروان أن يبعث به إليه . فأتاه ابن جعفر ، فأعلمه بمـا دار بينه وبين عبد الملك ، وبعثه إليه . فدخل ابن أبى عتيق على عبد الملك فوجده جالسا بين جاريتين فائقتين عليه ، بمسان كغصنى بان بيد كل جارية مروحة

تروح بها عليه ، مكتوبٌ بالذهب فى المروحة الواحدة :

إنى أجلبُ الرِّيا * ح وبى يلعبُ الخجِلْ
وحِجابٌ إذا الحبيبُ * ثَنى الرأسَ لِلقُبل
وغياثٌ إذا النَّـــدِ * يمُ تَغنى أو آرتَجل

وفى المروحة الأخرى : ٥

أنا فى الكفِّ لطيفهْ * مَسْكنِى قصرُ الخليفهْ
أنا لا أصلُحُ إلا * لظريفٍ أو ظريفه
أووَصيفٍ حسَنِ القَدِّ * شـــبيهٍ بالوصيفه

قال ابن أبى عتيق : فلما نظرت إلى الجاريتين هوّنتا الدنيا علىّ ، وأنستانى سوء حالى ؛ قلت : إن كانتا من الإنس فما نساؤنا إلا من البهائم ! فكلما كررتُ ١٠ بصرى فيهما تذكرت الجنة ، فإذا تذكرت امرأتى — وكنتُ لها محبا — تذكرتُ النار ! قال : فبدأ عبدُ الملك يتوجع إلى بما حكى له ابن جعفر عنى ، ويخبرنى بمالى عنده، من جميل الرأى ؛ فأكذبتُ له كلّ ما حكاه له ابن جعفر عنى ، ووصفتُ له نفسى بغاية الملاء والجِدَة ؛ فامتلأ عبد الملك سروراً بما ذكرت له ، وغما بتكذيبِ ابن جعفر ؛ فلما عاد إليه ابن جعفر ، عاتبه عبد الملك على ما حكاه عنى ١٥ وأخبره بما حلَّيتُ به نفسى ؛ فقال : كذبَ والله يا أمير المؤمنين ، وإنه أحوج أهلِ الحجاز إلى قليل فضلك ، فضلا عن كثيره ! ثم خرج عبد الله فلقينى ، فقال : ما حملك أن كذّبتَنى عند أمير المؤمنين ؟ قلت : أفكنتَ ترانى تجلسنى بين شمس وقمر ، ثم أتفاقرُ عنده ! لا والله ما رأيت ذلك لنفسى وإن رأيته لى ! فلما أعلم بذلك عبد الله بن جعفر عبد الملك بن مروان ، قال : فالجاريتان له ! قال : فلما ٢٠ صارتا إلىّ زرت عبد الله بن جعفر ، فوجدته قد امتلأ فرحا ، وهو يشرب ، وبين يديه عس فيه عسل ممزوج بمسك وكافور ، فقال : مهيم ! قلت : قد والله قبضت الجاريتين . قال : فاشربْ . فتناولت العس فجرّعتُ منه جرعة ، فقال لى : زِدْ . فأبيتُ عليه ، فقال لجارية له عنده تغنيه : إن هذا قد حاز اليوم غزالتين

من عند أمير المؤمنين ؛ فخذى فى نعتهما ؛ فإنهما كما فلّكت صدورُهما . فحركت الجارية العود ثم غنت :

عهدى بها فى الحىّ قد جردتْ * صفراءَ مثلَ المُهرةِ الضامرِ

قد حجَمَ الثَّدْىُ على نحرِها * فى مشرق ذى بهجة ناضرِ

٥ لو أسندَتْ مَيْتاً إلى صدرِها * قامَ ولم يُنقَل إلى قابرِ

حتى يقول الناسُ مما رأَوْا * يا عَجبا للميّتِ الناشرِ

قال : فلما سمعت الأبيات طربت ، ثم تناولت العس فشربت علّلا بعد نهَل ، ورفعت عقيرتى أغنى :

سقوْنى وقالوا لا تُغنِّ ولو سقوْا * جبال حُنَيْنٍ ما سقوْنى لغنَّتِ

١٠ قال : وخرج أبو السائب وابن أبى عتيق يوما يتنزهان فى بعض نواحى مكة هو وأبو السائب فقال أبو السائب ليبول وعليه طويلته ؛ فانصرف دونها ؛ فقال له ابن أبى عتيق : ما فعلت طويلتك ؟ قال : ذكرتُ قول كثيِّر :

أرى الإزارَ على لُبْنى فأحسدُهُ * إن الإزارَ على ما ضمَّ محسودُ

فتصدقت بها على الشيطان الذى أجرى هذا البيت على لسانه ! فأخذ ابن أبى

١٥ عتيق طويلته فرمى بها ، وقال : أتسبقنى أنت إلى برّ الشيطان !

* * *

سليمان ومغن سمع سليمان بن عبد الملك مغنيا فى عسكره ، فقال : اطلبوه . فجاءوا به ، فقال : أعِد علىّ ما تغنيتَ به . فغنى واحتفل — وكان سليمان أغير الناس — فقال لأصحابه : كأنها والله جرجرةُ الفحل فى الشول ، وما أحسب أنثى تسمع هذا إلا صَبَتْ ! وأمر به فخُصى .

٢٠ الفرزدق والأحوص وقالوا : إن الفرزدق قدم المدينة ، فنزل على الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح صاحب النبى صلى الله عليه وسلم وهو الذى حمت لحمَه الدبر ، فقال [له] الأحوص : ألا أُسْمِعُك غناء ؟ قال :

تغنّ . فغناه :

أتنسى إذ تُودّعُنا سُليْمَى * بعودِ بَشامَةٍ سُقِيَ البَشامُ
بنفسى مَن تجنُّبُهُ عزيزٌ * علىّ ومن زيارتُهُ لمامُ
ومَن أمسِى وأُصبحُ لا أراه * ويطرُقنى إذا هجَعَ النّيام

قال الفرزدق : لمن هذا الشعر ؟ قال : لجرير . ثم غناه : ٥

إنّ الذين غدوْا بلبِّكَ غادَروا * وشَلا بعينِك مايزالُ مَعينا
غيَّضْنَ من عبراتِهنّ وقُلْن لى * ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا

فقال : لمن ذا الشعر ؟ فقال لجرير : ثم غناه :

أسرى لخالِدَةِ الخيـــالِ ولا أرى * شيئاً ألذّ من الخيالِ الطارقِ
إنّ البليّةَ مَن يُمَلُّ حديثه * فانقعْ فؤادَك من حديث الوامقِ ١٠

فقال : لمن هذا الشعر ؟ فقال : لجرير . قال : ما أحوجه مع عفافه إلى خنوثة شعرى ، وما أحوجنى مع فسوقى إلى رقة شعره !

جرير — وقال جرير : والله لولا ما شُغلت به من هذه الكلاب ، لشببت تشبيبا تحن منه العجوز إلى أيام شبابها ، حنين الجمل إلى عَطنه !

الأحوص ومعبد وعقيلة — وقال الأحوص يوما لمعبد : آمض بنا إلى عقيلة حتى نتحدث إليها ونسمع ١٥ من غنائها وغناء جواريها . فمضيا ، فألفيا على بابها معاذا الأنصارى وابن صياد ؛ فاستأذنوا عليها ، فأذنت لهم إلا الأحوص ، فإنها قالت : نحن على الأحوص غِضاب ، فانصرف الأحوص وهو يلوم أصحابه على استبدادهم بها ، وقال :

ضنّتْ عقيلةُ عنك اليوم بالزّاد * وآثرت حاجةَ الثّاوى على الغادى
قولا لمنزِلها : حُيِّيت من طَلَلٍ * وللعقيق : ألا حُيِّيت من وادِ ٢٠
إنى وهبتُ نصيبى من مَودّتها * لمَعْبدٍ ومُعاذ وآبن صيّاد

قرشى ومغن فى المسجد — وجعل رجل يترنم فى مسجد المدينة ، ورجل من قريش يسمع ؛ فأخذه بعض القوم فقالوا : يا عدوّ الله ؛ أتغنى فى المسجد الحرام ! وذهبوا به إلى صاحب

الحكم ، واتبعهم القرشى فقال لصاحب الحكم : أصلحك الله ، إنما كان يقرأ ! فأطلق سبيله ، فقال له القرشى : والله لولا أنك أحسنتَ فى غنائك وأقمت دارات معبد لكنتُ عليك أشدّ من الأعوان .

دارات معبد

والصوت المنسوب إلى دارات معبد ، قولُ أعشى بكر :

٥ هريرةَ ودِّعْها وإن لامَ لائمُ * غداةَ غد أم أنت للبيْنِ واجمُ

ويروى أن معبداً دخل على قتيبة بن مسلم والى خراسان وقد فتح خمس مدائن فجعل يفخر بها عند جلسائه ؛ فقال له معبد : والله لقد صُغْت بعدك خمسة أصوات ، إنها لأكثرُ من الخمس المدائن التى فتحْت ! والأصوات : الأول :

ودِّعْ هُريرة إنّ الرَّكبَ مُرْتَحِلُ * وهل تُطيقُ وداعاً أيها الرجلُ

١٠ والثانى :

هريرةَ ودِّعها وإن لامَ لائمٌ * غَداة غد أم أنت للبيْنِ واجمُ

والثالث :

ودِّعْ لبابَةَ قبل أن تترحَّلا * وآسْأل فإنّ سبيلَهُ أنْ تُسْألا

والرابع :

١٥ لعَمْرى لئن شطتْ بغَنْمَة دارُها * لقد كدتُ من وشْكِ الفِراقِ أبيحُ

والخامس :

تُغذّ بِىَ الشّهْباء نحو آبن جعفرِ * سواء عليها ليلها ونَهارُها

أصل الغناء ومعدنه

الكلبى

قال أبو المنذر بن هشام بن الكلبى : الغناء على ثلاثة أوجه : النصب ، ٢٠ والسناد ، والهزج ؛ فأما النصب فغناء الركبان والقينات ؛ وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات ، وأما الهزج فالخفيف كله ، وهو الذى يثير القلوب ويهيج الحليم .

وإنما كان أصل الغناء ومعدنه فى أمهات القرى من بلاد العرب ظاهراً

فاشيا وهى : المدينة ، والطائف ، وخيبر ، ووادى القرى ، ودومة الجندل ، واليمامة ؛ وهذه القرى مجامع أسواق العرب .

صانع العود

وقيل إنّ أوّل من صنع العود : لامَك بن قابيل بن آدم ، وبكى به على ولده .

ويقال إنّ صانعه بطليموس صاحب الموسيقى ، وهو كتاب اللحون الثمانية .

أول من غنى

وكان أول من غنى فى العرب قينتان لعاد يقال لهما الجرادتان ، ومن غنائهما . ٥

ألا يا قَيْلُ وَيْحَكَ قُمْ فهيْنِمْ * لعــلَّ اللهَ يُصْبِحُنا غَماما

وإنما غنَّتا بهذا حين حُبس عنهما المطر ؛ وكانت العرب تسمى القينة : الكرينة ، والعود : الكِرَان ؛ والمزهر أيضاً هو العود ، وهو البربط .

وكان أول من غنى فى الإسلام الغناء الرقيق : طُويس ، وهو علَّم ابن سريج ، والدلال ، وتَنومة الضحى ؛ وكان يكنى أبا عبدالنعيم ، ومن غنائه وهو أول ١٠ صوت غنى به فى الإسلام :

قد بَرانِي الشوقُ حتى * كِدْتُ من شوقى أذوبُ

أخبار المغنين

طويس

أولهم : طُوَيس ، وكان فى أيام عثمان رضى الله عنه .

هو وأبان

حدثنا جعفر بن محمد قال : لما ولى أبان بن عثمان بن عفان المدينة لمعاوية ١٥ ابن أبى سفيان ، قعد فى بَهو له عظيم ، واصطف له الناس ، فجاء طويس المغنى وقد خضب يديه غمسا ، واشتمل على دُف له ، وعليه ملاءة مصقولة ؛ فسلَّم ثم قال : بأبى وأمى يا أبان ، الحمد لله الذى أرانيك أميراً على المدينة ؛ إنى نذرتُ لله فيك نذراً إن رأيتك أن أخضب يدى غمساً وأشتمل على دفى وآتى مجلس إمارتك وأغنيك صوتا ! قال : فقال : يا طويس ، ليس هذا موضع ذاك . قال : ٢٠ بأبى أنت وأمى يابنَ الطيِّب أبحنى . قال : هات ياطويس . فحسر عن ذراعيه وألقى رداءه ومشى بين السماطين وغنى :

ما بالُ أهلك يا رَبابُ * خُزْراً كأنهمُ غِضابُ

قال : فصفق أبان بيديه ، ثم قام عن مجلسه فاحتضنه وقبّل بين عينيه ، وقال : يلومونني على طويس !

ثم قال له : من أسن ، أنا أو أنت ؟ قال : وعيشِك لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب ! انظر إلى حذقه ورقة أدبه ، كيف لم يقل : أمك الطيبة إلى أبيك المبارك .

هو وبكر وسعيد

وعن الكلبي قال : خرج عمر بن عبد العزيز إلى الحج وهو والى المدينة ، وخرج الناس معه ؛ وكان فيمن خرج : بكر بن إسماعيل الأنصارى ، وسعيد ابن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ؛ فلما انصرفا راجعَين مرّا بطويس المغنى ، فدعاهما إلى النزول عنده ؛ فقال بكر بن إسماعيل : قُدِ البعير إلى منزلك . فقال له سعيد بن عبد الرحمن : أتنزل على هذا المخنّث ؟ فقال : إنما هو منزل ساعة ثم نذهب . واحتمل طويس الكلام عن سعيد ، فأتيا منزله ، فإذا هو قد نظفه ونجّده ، فأتاهما بفاكهة الشام فوضعها بين أيديهما ، فقال له بكر بن إسماعيل ، ما بقى منك يا طويس ؟ قال : بقى كلّى يا أبا عمرو ! قال : أفلا تُسمعنا من بقاياك ؟ قال : نعم . ثم دخل خيمته ؛ فأخرج خريطة ، وأخرج منها دُفًّا ، ثم نقرَ وغنّى :

يا خليلى نابَنى سُهدى * لم تنَمْ عينى ولم تَكَدِ
كيف تلحُونى على رجلٍ * مؤنِس تلتذُّه كَبِدى
مِثلُ ضوءِ البدرِ صورتُه * ليس بالزُّمَّيْلَةِ النكِدِ
من بنى آل المُغيرةِ لا * خامِلٍ نِكْس ولا جَحِدِ
نظرتْ عينى فلا نظرتْ * بعده عينى إلى أحد

ثم ضرب بالدف الأرض والتفت إلى سعيد بن عبد الرحمن فقال : يا أبا عثمان ، أتدرى مَن قائل هذا الشعر ؟ قال : لا . قال : قالته خولة ابنة ثابت

عمتُك ، فى عمارة بن الوليد بن المغيرة ! ونهض ، فقال له بكر : لو لم تقل ما قلته لم يُسْمِعْكَ ما أسمعَك . وبلغت القصةُ عمرَ بن عبد العزيز ، فأرسل إليهما فسألهما ، فأخبراه ؛ فقال : واحدة بأخرى والبادى أظلم .

هو والنعمان ابن بشير

الأصمعى قال : حدثنى رجل من أهل المدينة ، قال : كان طويس يتغنى فى عرس رجل من الأنصار ، فدخل النعمان بن بشير العرس ، وطويس يتغنى : ٥

أجَدّ بعَمْرة غُنيانها * فتهجر أمْ شأنُنا شأنها

وعَمْرةُ من سَرَواتِ النسا * ء تنفح بالمسك أرْدانها

فقيل له : اسكت ! اسكت لأنّ عمرة أمّ النعمان بن بشير ؛ فقال النعمان : إنه لم يقل بأسا ، إنما قال :

وعمرةُ من سَرَواتِ النسا * ء تنفح بالمسك أردانها ١٠

هو وابن سريج والدلال ونومة الضحى

وكان مع طويس بالمدينة ، ابنُ سريج ، والدلال ، ونومة الضحى ؛ ومنه تعلّموا ، ثم نجم بعد هؤلاء : سلم الخاسر ، وكان فى صحبة عبد الله بن عبد الله بن جعفر ، وعنه أخذ معبد الغناء ، ثم كان ابن أبى السمح الطائى ، وكان يتيما فى حجر عبد الله بن جعفر ، وأخذ الغناء عن معبد ، وكان لا يضرب بعود ، وإنما يغنى مرتجلا ، فإذا غنى لمعبد صوتا حققه ، ويقول : قال الشاعر فلان ، ومططه معبد ، وخففته أنا . ومن غنائه : ١٥

نام صَحْبِى ولم أنمْ * لخيالٍ بِنا ألَمّ

إنّ فى القصر غادةً * كحَلتْ مُقْلتى بدمْ

معبد والغريض

وكان معبد والغريض بمكة ، ولمعبد أكثر الصناعة الثقيلة .

ولما قدمت سكينة ابنة الحسين عليهما السلام مكة أتاها الغريض ومعبد فغنياها : ٢٠

عُوجى علينا ربّةَ الهوْدَجِ * إنكِ إلا تفعلى تَحرَجِى

قالت : والله ما لكما مثَلٌ إلا الجدى الحارّ والبارد ، لا ندرى أيهما أطيب .

الغريض وختان

قال إسحاق بن إبراهيم : شهد الغريض ختاناً لبعض أهله ، فقال له بعض القوم : غنّ . فقال : هو ابن الزانية إن غنّى ! قال له مولاه : فأنت والله ابن الزانية ، فغنّ . قال : أكذلك أنا عندك ؟ قال : نعم . قال : أنت أعلم . فغنّى :

وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ شادناً * بمكّةَ مكحولاً أسيلاً مدامعُهْ

٥ تشرّب لونَ الرازقيِّ بياضُه * أو الزعفران خالَطَ المسكِ رادعه

فلوت الجنّ عنقه فمات . وقال غير إسحاق : بل غنى :

أمِن مكتومةَ الطَّللُ * يَلوحُ كأنه خَلَلُ

لقد نَزلوا قريباً منـ * ـكَ لو نفَعوكَ إذ نَزلوا

تُحاولنى لتقتلَنى * وليس بعينِها حَوَلُ

ابن طنبورة

١٠ ثم نجم ابن طنبورة ، وأصله من اليمن ، وكان أهزج الناس وأخفهم غناء ؛ ومن غنائه :

وفِتيانٍ على شرَفٍ جميعاً * دَلفْتُ لهم بباطيَةٍ هَدُورِ

كأنى لم أصِدْ فيهم ببازِى * ولم أُطعِم بعَرْصَتِهم صُقورى

فلا تشربْ بلا لهو فإنى * رأيتُ الخيلَ تشربُ بالصَّفير

هو فى مجلس شريف

١٥ ويقال : إنه حضر مجلساً لرجل من الأشراف ، إلى أن دخل عليهم صاحب المدينة ، فقيل له : غنّ . فغنى :

ويْلى من الحُبَيِّبَهْ * ويْلٌ لِيَهْ ! ويل لِيَهْ

قد عشّشَ الحيّة فى * بُيَيْتِيَهْ بُيَيْتِيَهْ

فضحك صاحب المنزل ووصله .

حكم الوادى

٢٠ ومنهم : حكم الوادى ، وكان فى صحبة الوليد بن يزيد ويغنى بشعره ، ومن غنائه :

خفّ من دار جيرتى * يابنَ داود أُنسُها

قد دنا الصبحُ أو بَدا * وهى لم يُقضَ لُبْسُها

فمتى تخـــرج العرو * س لقد طال حَبسُها
خرجتْ بين نِسوةٍ * أكرمُ الجنسِ جنسُها

الغزيل

وكان بالشام أيام الوليد بن يزيد ، مُغَنٍ يقال له الغُزيِّل ويكنى أبا كامل ، وفيه يقول الوليد بن يزيد :

٥

من مُبلغ عنّى أبا كامل * أنى إذا ما غابَ كالهابِلِ

ومن غنائه :

آمدح الكأسَ ومن أعملَها * وآهجُ قوماً قتلونا بالعطَشْ
إنما الكأسُ ربيعٌ باكرٌ * فإذا مالم تذُقها لم نَعش

مغنو الرشيد وزامره

وكان لهارون الرشيد جماعة من المغنين ، ومنهم إبراهيم الموصلى وابن جامع السهمى ، ومخارق ؛ وطبقة أخرى دونهم ، منهم زلزل ، وعمرو الغزال ، وعلّوية. ١٠ وكان له زامرٌ يقال له برصوما . وكان إبراهيم أشدّهم تصرفا فى الغناء ، وابن جامع أحلاهم نغمة .

الرشيد وبرصوما

فقال الرشيد يوماً لبرصوما : ما تقول فى ابن جامع ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، وما أقول فى العسل الذى من حيثما ذقتَه فهو طيب ؟ قال : فإبراهيم الموصلى ؟ ١٥ قال : هو بستانٌ فيه جميع الثمار والرياحين . قال : فعمرو الغزال ؟ قال : هو حَسنُ الوجه يا أمير المؤمنين .

يوسف فى المغنين

قال إسحاق : قلت ليوسف : من أحسنُ الناسِ غناء ؟ قال : ابن محرز ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال : إن شئت أجملتُ وإن شئت فصلتُ . قلت : أجمِل . قال : كان يغنى كلّ إنسان بما يشتهى ، كأنه خلق من قلبِ كل إنسان .

٢٠ وكان إبراهيم أول من وقع الإيقاع بالقضيب .

المغنون فى بيت إبراهيم

وحدث يحي بن محمد قال : بينا نحن على باب الرشيد ننتظر الإذن ، إذ خرج الآذن فقال لنا : أمير المؤمنين يقرئكم السلام ! قال : فانصرفنا ، فقال لنا إبراهيم : تصيرون إلى منزلى ! قال : فانصرفنا معه ، قال : فدخلت داراً لم أر أشرف

منها ولا أوسع ، وإذا أنا بأفرشة خز مظهرة بالسنجاب ، قال : فقعدنا ، ثم دعا بقدح كبير فيه نبيذ ، وقال :

آسقِنى بالكبيرِ ، إنى كبيرٌ * إنما يشربُ الصغيرَ صغيرُ

ثم قال :

٥ آسقنى قهوةً بكوبٍ كبيرٍ * ودعِ الماء كله للحَمير

ثم شرب به ، وأمر به فملئ وقال لنا : إن الخيل لا تشرب إلا بالصفير ! ثم أمر بجوارٍ فأحطن بالدار ، فما شبهت أصواتهن إلا بأصوات طير فى أجمة يتجاوبن .

المأمون وإسحاق الموصلى

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلى : لما أفضتِ الخلافة إلى المأمون ، أقام ١٠ عشرين شهراً لم يسمع حرفا من الغناء ، ثم كان أول من تغنى بحضرته أبو عيسى ، ثم واظب على السماع ؛ وسأل عنى فجرّحنى عنده بعضُ من حسدنى فقال : ذلك رجل يتيه على الخلافة ! فقال المأمون : ما أبقى هذا من التيه شيئا . وأمسك عن ذكرى ، وجفانى كلُّ من كان يصِلُنى ، لما ظهر من سوء رأيه ، فأضرَّ ذلك بى ، حتى جاءنى يوما علُّوية ، فقال لى : أتأذن لى اليوم فى ذكرك ، فإنى اليوم عنده ؟ ١٥ فقلت : لا ، ولكن غنِّه بهذا الشعر ، فإنه سيبعثه على أن يسألك من أين هذا ؟ فينفتح لك ما تريد ، ويكون الجوابُ أسهلَ عليك من الابتداء . فمضى علوية ؛ فلما استقر به المجلس غناه الشعر الذى أمرته به ، وهو :

يامشرَعَ الماءِ قد سُدّت مسالكُهُ * أما إليكَ سبيلٌ غيرُ مسدودِ

لحائمٍ حار حتى لا حياةَ به * مُشردٍ عن طريقِ الماءِ مطرود

٢٠ فلما سمعه المأمون قال : ويلك ! لمن هذا ؟ قال : ياسيدى ، لعبدٍ من عبيدك جفوتَه وآطرحْته ! قال : إسحاق ! قلت : نعم . قال : ليحضُر الساعة . قال إسحاق : فجاءنى الرسول ، فسرتُ إليه ؛ فلما دخلت قال : آدن . فدنوت ؛ فرفع يديه مادّهما ؛ فاتكأت عليه ؛ فاحتضنى بيديه ؛ وأظهر من إكرامى وبِرّى مالو أظهره

صديقٌ لى مُواس كَسرَّنى .

الرشيد وعبثر

قال: وحدثنى يوسف بن عمر المدنى قال: حدثنى الحارث بن عبيد الله قال: سمعت إسحاق الموصلى يقول: حضر مسامرةَ الرشيد ليلةً عبثر المغنى، وكان فصيحا متأدبا، وكان مع ذلك يغنى الشّعر بصوت حسن، فتذاكروا رقةَ شعرِ المدنيين، فأنشد بعض جلسائه أبياتا لابن الدمينة حيث يقول: ٥

وأذكرُ أيامَ الحِمى ثم أنثَنى * على كبِدى من خشيةٍ أن تَصدّعا

وليست عشيات الحمى برواجع * عليكَ ولكن خلِّ عينيكَ تَدْمَعا

بَكت عينىَ اليُمْنى فلما زجرتُها * عن الجهلِ بعد الحِلمِ أسبلَتا معا

فأعجب الرشيد رقة الأبيات، فقال له عبثر: ياأمير المؤمنين، إن هذا الشعر مدنى رقيق، قد غُذِى بماء العقيق، حتى رق وصفا، فصار أصفى من الهوا، ١٠ ولكن إن شاء أمير المؤمنين أنشدتُه ماهو أرق من هذا وأحلى، وأصلب وأقوى، لرجل من أهل البادية. قال: فإنى أشاء. قال: وأترنم به ياأمير المؤمنين قال: وذلك لك. فغنى لجرير:

إنّ الذين غَدوا بِلُبِّكَ غادروا * وشلاً بعينِكَ لا يزال مَعينا

غيَّضْنَ من عَبراتِهنّ وقُلن لى * ماذا لقيتَ من الهوى ولَقينا ٥

راحوا العشيّةَ روحةً مذكورةً * إن حرِنَ حرنا أو هُدين هُدينا

فرمَوْا بهنّ سَواهِماً عُرْضَ الفَلا * إن مِتنَ متنا أو حَيين حَيينا

قال: صدقت ياعبثرة! وخلع عليه وأجازه.

زرياب

وكان لإبراهيم الموصلى عبدٌ أسود يقال له زرياب، وكان مطبوعا على الغناء علمه إبراهيم؛ وكان ربما حضر به مجلس الرشيد يغنى فيه، ثم إنه انتقل ٢٠ إلى القيروان، إلى بنى الأغلب؛ فدخل على زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، فغناه بأبيات عنترة الفوارس، حيث يقول:

فان تك أُمّى غُرابيةً * من أبناء حام بها عِبتَنى

فإنى لطيفٌ ببيض الظُّبا * وسُمر العوالى إذا جئتَنى
ولولا فرارُكَ يوم الوغَى * لقُدتُك فى الحرب أو قُدتَنى

فغضب زيادة الله ، فأمر بصفع قفاه وإخراجه ، وقال له : إن وجدتك فى شىء من بلدى بعد ثلاثة أيام ضربت عنقك ! فجاز البحر إلى الأندلس ، فكان عند الأمير عبد الرحمن بن الحكم .

قند

وكان فى المدينة فى الصدر الأول مغنٍّ يقال له قند ، وهو مولى سعد بن أبى وقاص ، وكانت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها تستظرفه ، فضربه سعد ، فحلفت عائشة لا تكلمه حتى يرضى عنه قند ، فدخل عليه سعد وهو وجِعٌ من ضربه ، فاسترضاه ، فرضى عنه ، وكلمته عائشة .

هو ومروان ابن الحكم

وكان معاوية يُعقب بين مروان بن الحكم وسعيد بن العاص على المدينة : يستعمل هذا سنة وهذا سنة ؛ وكانت فى مروان شدة وغلظة ، وفى سعيد لينُ عريكةٍ وحلمٌ وصفحٌ ؛ فلقى مروان بن الحكم قندا المغنى ، وهو معزول عن المدينة وبيده عكازة ؛ فلما رآه قال :

قل لقندٍ يُشيعُ الأظعانا * ربَّما سرَّ عيْنَنا وكفانا

قال له قند : لا إله إلا الله ، ما أسمجك واليا ومعزولا .

ابن عائشة والحسن

وروى ابن الكلبى عن أبيه قال : كان ابن عائشة من أحسن الناس غناء ، وأنبههم فيه ، وأضيقهم خُلقا ، إذا قيل له غنِّ ، يقول : أو لمثلى يقال هذا ؟ علىَّ عِتق رقبة إن غنيت يومى هذا ! فإن غنى وقيل له أحسنت ، قال : لمثلى يقال أحسنت ؟ على عتق رقبة إن غنيتُ سائرَ يومى هذا . فلما كان فى بعض الأيام سال وادى العقيق ، فجاء بالعجب ، فلم يبق بالمدينة مُخبَّأة ولا شابة ولا شاب ولا كهل إلا خرج يُبصره ، وكان فيمن خرج ابن عائشة المغنى ، وهو معتجِر بفضل ردائه ؛ فنظر إليه الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام ـ وكان فيمن خرج إلى العقيق ـ وبين يديه أسودان كأنهما ساريتان يمشيان بين يديه أمام دابته ؛ فقال لهما : أنتما حُرّان لوجه الله إن لم تفعلا ما آمركما به

ولم أقطعكما إربا إربا ؛ آذهبا إلى ذلك الرجل المعتجر بفضل ردائه ، فخذا بضبعيه فإن فعل ماآمره به وإلا فاقذفا به فى العقيق ! قال : فمضيا والحسن يقفوهما ، فلم يشعر ابن عائشة إلا وهما آخذان بضبعيه ؛ فقال : من هذا ؟ فقال له الحسن : أنا هذا يابن عائشة ! قال : لبيك وسعديك ، وبأبى أنت وأمى ! قال : اسمع منى ماأقول ، واعلم أنك مأسور فى أيديهما وهما حُرّان [وقد أقسمت] إن لم تُغنّ مائة صوت أن يطرحاك فى العقيق وهما حُرّان ، وإن لم يفعلا ذلك لأقطَعَنّ أيديَهما ! فصاح ابن عائشة : واويلاه ! واعظم مصيبتاه ! قال دع من صياحك وخذ فيما ينفعنا . قال : اقترح وأقم من يُحصى ! وأقبل يُغنى ، فترك الناس العقيق وأقبلوا عليه ، فلما تمت أصواته مائة ، كبّر الناس بلسان واحد تكبيرة واحدة ارتجت لها أقطار المدينة ، وقالوا للحسن : صلى الله على جدّك حيا وميتا ؛ فما اجتمع لأهل المدينة سرورٌ قط إلا بكم أهل البيت ! فقال له الحسن إنما فعلت هذا بك يابن عائشة لأخلاقك الشكسة ! قال له ابن عائشة : والله مامرتْ علىّ مصيبةٌ أعظم منها ، لقد بلغت أطراف أعضائى . فكان بعد ذلك إذا قيل له : ماأشدّ مامر عليك ؟ قال : يوم العقيق .

ابن المهدى

وكان إبراهيم بن المهدى — وهو الذى يقال له ابن شَكلة — داهيا عاقلا عالما بأيام الناس شاعراً مفلقا ، وكان يَصُوغ فيُجيد .

مخالفته على المأمون

ويروى عن إبراهيم أنه قد كان خالف على المأمون ودعا إلى نفسه ، فظفر به المأمون فعفا عنه ، وقال لما ظفر به المأمون :

ذهبتُ من الدُّنيا كما ذهبتْ منى ٭ هوى الدهر بى عنها وأهوى بها عنى
فإن أبْك نفسى أبْك نفساً عزيزةً ٭ وإن أحتسِبْها أحتسبْها على ضَنّ

هو والمأمون

فلما فتحت له أبواب الرضا من المأمون . غنى بهما بين يديه ؛ فقال له المأمون : أحسنت والله ياأمير المؤمنين ! فقام إبراهيم رهبة من ذلك ، وقال : قتلْتنى والله ياأمير المؤمنين ! لا والله إن جلست حتى تسمّيَنى باسمى . قال : آجلس ياإبراهيم . فكان بعد ذلك آثر الناس عند المأمون : ينادمُه ويسامره ويغنّيه .

قصة يرويها للمأمون

فحدثه يوما فقال : بينا أنا مع أبيك يا أمير المؤمنين بطريق مكة ، إذ تخلفت عن الرفقة وانفردت وحدى ، وعطشت وجعلت أطلب الرفقة ، فأتيت إلى بئر ، وإذا حبشى نائم عندها ، فقلت له : يا نائم ، قم فاسقنى ! فقال : إن كنت عطشان فانزلْ وآستقِ لنفسك . فخطر صوت ببالى ، فترنمت به وهو :

٥ كفّنانى إن متُّ فى دِرْعِ أروَى * وآسقِيانى من بئرِ عُرْوةَ ماء

فلما سمع قام نشيطاً مسرورا ، وقال : والله هذه بئر عروة ، وهذا قبره ! فعجبت يا أمير المؤمنين لما خطر ببالى فى ذلك الموضع ، ثم قال : أسقيك على أن تغنّينى ؟ قلت : نعم ، فلم أزل أغنيه وهو يَجْبِذُ الحبل ، حتى سقانى وأروى دابّتى ، ثم قال : أدلك على موضع العسكر على أن تغنّيَنى ؟ قلت : نعم . فلم يزل

١٠ يعدُو بين يدى وأنا أغنيه حتى أشرفنا على العسكر ، فانصرف ؛ وأتيت الرشيد فحدثتُه بذلك ، فضحك . ثم رجعنا من حجّنا ، فإذا هو قد تلقانى وأنا عديل الرشيد ، فلما رآنى قال : مُغَنٍّ والله ! قيل له : أتقول هذا لأخى أمير المؤمنين ؟ قال إى لعمر الله ، لقد غنانى ! وأهدى إلىّ أقطا وتمرا ، فأمرت له بصلة وكسوة ، وأمر له الرشيد بكسوة أيضا . فضحك المأمون ، وقال : غنّنى الصوت . فغنيتُه

١٥ فافتتن به ، فكان لا يقترح على غيره .

مخارق وعلوية

وكان مخارق وعلّوية قد حرّفا القديم كله وصيرا فيه نغما فارسية ؛ فإذا أتاهما الحجازى بالغناء الأول الثقيل ، قالا : يحتاج غناؤك إلى فصاده ! واسم علّوية : يوسف مولى لبنى أمية .

زلزل

وكان زلزل أضربَ الناس للوتر ، لم يكن قبله ولا بعده مثله ، ولم يكن

٢٠ يغنى ؛ وإنما كان يضرب على إبراهيم وابن جامع وبرصوما . ومن غنائه فى المأمون :

ألا إنما المأمونُ للناسِ عِصمةٌ * مُميِّزةٌ بين الضلالةِ والرُّشدِ
رأى اللهُ عبدَ الله خيرَ عبادِه * فملّكه ، واللهُ أعلم بالعبدِ

وحدث سعيد بن محمد العجلى عن الأصمعى قال : كان أبو الطمحان القينى ،

القينى وبعض المغنين على باب يزيد

وهو حنظلة بن الشرقى شاعراً مجيداً ، وكان مع ذلك فاسقاً ، وكان قد انتجع يزيد بن عبد الملك ، فطلب الإذن عليه أياماً فلم يصل ، فقال لبعض المغنين : ألا أعطيك بيتين من شعرى تغنى بهما أمير المؤمنين ، فإن سألك من قائلهما فأخبره أنى بالباب ، وما رزقنى الله منه فهو بينى وبينك ! قال : هات . فأعطاه هذين البيتين : ٥

يكادُ الغَمامُ الغُرُّ يَرعدُ إن رأى * مُحَيَّا ابن مَرْوانٍ وينْهَلّ بارِقُه

يظَلُّ فتيتُ المِسْكِ فى رونقِ الضُّحَى * تسيلُ به أصــداغُه ومفارِقُهْ

قال : فغَنَّى بهما فى وقت أريحيَّتِه ، فطرب لهما طرباً شديداً ، وقال : لله در قائلهما ! من هو ؟ قال : أبو الطمحان القينى ، وهو بالباب يا أمير المؤمنين . قال : ما أعرفه ! فقال له بعض جلسائه : هو صاحب الدير يا أمير المؤمنين . قال : ١٠ وما قصة الدير ؟ قال : قيل لأبى الطمحان : ما أيسر ذنوبك ؟ قال ليلةَ الدير ! قيل له : وما ليلةُ الدير ؟ قال : نزلت ذات ليلة بدير نصرانية ، فأكلت عندها طفَيْشَلا بلحم خنزير ، وشربت من خمرها ، وزنيتُ بها ، وسرقت كساءها ، ومضيت ؛ فضحك يزيد وأمر له بألفى درهم ، وقال : لا يدخل علينا ! فأخذها أبو الطمحان وانسلّ بها ، وخيَّب المغنِّى . ١٥

المسدود وزنين ودبيس

أبو جعفر البغدادي قال : حدثنى عبد الله بن محمد كاتب بغا عن أبى عكرمة قال : خرجت يوماً إلى المسجد الجامع ومعى قرطاس لأكتب فيه بعض ما أستفيده من العلماء ، فمررت بباب أبى عيسى بن المتوكل فإذا ببابه المسدود ، وكان من أحذق الناس بالغناء ؛ فقال : أين تريد يا أبا عكرمة ؟ قلت إلى المسجد الجامع ، لعلّى أستفيد فيه حكمة أكتبها . فقال : ادخل بنا على أبى عيسى . قال : فقلت : ٢٠ مثل أبى عيسى فى قدره وجلالته يُدْخَلُ عليه بغير إذن ! قال : فقال للحاجب : أعلِم الأمير بمكان أبى عكرمة . قال : فما لبث إلا ساعة حتى خرج الغلمان فحملونى حملا ؛ فدخلت إلى دار لا والله ما رأيتُ أحسن منها بِناء ، ولا أظرف فرْشاً ؛ ولا صباحةَ وجُوهٍ ؛ فحين دخلنا نظرت إلى أبى عيسى ، فلما

أبصرنى قال لى : ما يعيش من يحتشم ! اجلس ، فجلست ، فقال : ما هذا القرطاس بيدك ؟ قلت : ياسيدى حملته لأستفيد فيه شيئاً ، وأرجو أن أدرك حاجتى فى هذا المجلس . فمكثنا حيناً ، ثم أتينا بطعام ما رأيت أكثر منه ولا أحسن ، فأكلنا ؛ وحانت منى التفاتة ، فإذا أنا بزنين ودبيس ؛ وهما من أحذق الناس بالغناء ، قال : فقلت : هذا مجلس قد جمع الله فيه كلّ شىء مليح . قال : ورُفعَ الطعام وجىء بالشراب ؛ وقامت جارية تسقينا شراباً ما رأيت أحسن منه ، فى كل كأس لا أقدر على وصفها ؛ فقلت : أعزك الله ، ما أشبه هذا بقول إبراهيم بن المهدى يصف جارية بيدها خمر :

حمراء صافية فى جوْفِ صافيةٍ * يسعَى بها نحوَنا خود مِنَ الحُورِ

حسناء تحملُ حسناوَيْنِ فى يدِها * صافٍ من الرّاحِ فى صافى القواريرِ

وقد جلس المسدود وزنين ودبيس ، ولم يكن فى ذلك الزمان أحذقُ من هؤلاء الثلاثة بالغناء ؛ فابتدأ المسدود فغنّى :

لما استقلّ بأرداف تجاذِبُهُ * وآخضرّ فوق حجابِ الدرّ شاربُه

وتمّ فى الحسن والتأمَتْ محاسنُه * ومازَجت بِدعاً فيها غرائبُه

وأشرقَ الوردُ فى نسرين وجْنَتِه * وآهتزّ أعلاه وارتَجّتْ حقائبُه

كلّمْتُه بجفونٍ غيرِ ناطقةٍ * فكان من ردّه ما قال حاجبُه

ثم سكت ، فغنى زنين :

الحبُّ حُلوٌ أمَرّتْهُ عواقبُه * وصاحِبُ الحبِّ صَبُّ القلبِ ذائبُه

أستودِعُ الله مَنْ بالطّرْفِ ودّعَنى * يوم الفِراق ودمْعُ العَيْنِ ساكبُهُ

ثم انصرفتُ وداعى الشوْقِ يهتِفُ بى * آرفقْ بقلبِك قد عزّتْ مطالبُه

وقال :

وعاتبْتُهُ دهراً فلما رأيْتُهُ * إذا ازْداد ذُلّا جانبى عزّ جانبُهْ

عقدتُ له فى الصدرِ منى مَودّةً * وخلّيتُ عنه مُبْهماً لا أعاتبُهْ

ثم سكت ، فغنى دبيس :

بدرٌ منَ الإنسِ حفّتْهُ كواكبُه * قد لاحَ عارضُه واخضرّ شاربُه
إن يوعِدِ الوعدَ يوماً فهو مُخلِفُه * أو ينطقُ القولَ يوما فهو كاذبه
عاطيْتُه كدَمِ الأوداجِ صافيةً * فقام يشدو وقد مالتْ جوانبُه

قال أبو عكرمة : فعجبت أنهم غنّوا بلحن واحد وقافية واحدة . ٥

قال أبو عيسى : يعجبك من هذا شيء يا أبا عكرمة ؟ فقلت : ياسيدى المنى دون هذا . ثم إن القوم غنّوا على هذا إلى انقضاء المجلس : إذا ابتدأ المسدود تبعه الرجلان بمثل ما غنى ؛ فكان مما غنى المسدود :

يا دَيْرَ حَنَّةَ من ذاتِ الأُكَيْرِاحِ * مَنْ يصحُ عنكِ فإنى لست بالصّاحى
يعتادُه كلُّ مَحْنِيٍّ مفارِقُه * منَ الدِّهانِ عليه سَحْقُ أمساحِ ١٠
ما يَدلِفون إلى ماءٍ بآنيةٍ * إلّا اغترافاً منَ الغُدرانِ بالرّاحِ

ثم سكت فغنى زنين :

دعِ البساتينَ من آسٍ وتُفّاحِ * واعدِلْ هُديتَ إلى ذاتِ الأُكَيْراحِ
واعدِل إلى فِتيةٍ ذابت لُحومُهُمُ * منَ العبادةِ إلّا نِضْوَ أشباحِ
وخمرةٍ عُتِّقتْ فى دَنِّها حِقَباً * كأنها دمعةٌ فى جَفْنِ سَيّاحِ ١٥

ثم سكت فغنى دبيس :

لا تحفلَنَّ بقولِ اللائمِ اللاحى * واشرَبْ على الوردِ من مشمولةِ الراحِ
كأساً إذا انحدرَتْ فى حَلْقِ شاربِها * أغناكَ لألاؤها عن كلِّ مصباحِ
ما زلتُ أسقى نديمى ثم ألثِمُهُ * والليلُ مُلتحِفٌ فى ثوبِ سَيّاحِ
فقام يشدو وقد مالتْ سوالفُهُ * يا دَيْرَ حَنَّةَ منْ ذاتِ الأُكَيْراحِ ٢٠٢

ثم ابتدأ المسدود فغنى :

بِاحوِرارِ العَيْنِ والدَّعَجِ * واحمرارِ الخدِّ فى الضَّرَجِ
وبتُفّاحِ الخُدودِ وما * ضُمّ من مسكٍ ومن أرَجِ

كن رقيقَ القلب إنكَ مِن * قتل مَن يَهواك فى حَرَجِ

ثم سكت وغنى زنين :

كسْرَوىُّ التِّيه مُعتدل * هاشمىُّ الدَّلّ والغَنَجِ

وله صدْغان قد عَطَفا * ببياض الخدّ كالسَّبَجِ

٥ وإذا ما افترّ مُبتسما * أطلَق الأسرى من المُهَجِ

ما لِما بى منكَ من فَرَجٍ * لا ٱبتلانى اللهُ بالفَرَجِ

ثم سكت وغنى دبيس :

تَعمَلُ الأجفان بالدَّعَجِ * عَمَل الصَّهْباء بالمُهجِ

بأبى ظَبىٌ كَلِفْت به * واضحُ الخدَّين والفَلَجِ

١٠ مَرَّ بى فى زِىٍّ ذى خَنَث * بين ذات الضَّالِ من أمَجِ

قلت قلبى قد فتَنكتَ به * قال ما فى الدِّين من حَرَجِ

ثم سكت وغنى المسدود :

ما يُبالى اليوم ما صَنعا * مَن بقلبى يُبْدِعُ البدَعا

كنتُ ذا نُسْكٍ وذا وَرَع * فتركتُ النُّسْكَ والورعا

١٥ كم زَجرتُ القلبَ عنكَ فلمْ * يُصغِ لى يوما ولا نَزَعا

لا تَدَعْنى للهوى غَرَضا * إنّ وِرْدَ الموت قد شَرَعا

ثم سكت وغنى دبيس

ٱسقِنى كأساً مُصَرَّدَةً * إن نجمَ الليل قد طلَعا

قد شربْت الحبَّ شُرْبَ فتى * لم يَدعْ فى كأسه جرَعا

٢٠ ثم ابتدأ أيضاً دبيس فغنى :

يقولون فى البستان للعين لذة * وفى الخمر والماء الذى غيرُ آسنِ

إذا شئت أن تلقى المحاسنَ كلَّها * ففى وجه مَن تَهوى جميعُ المحاسن

فغضب المسدود لما قطع عليه دبيس ، وقال : غن على غير هذه القافية واللحن ، ثم نرجع إلى حالنا الأولى : فقال أبو عكرمة : قد أصبت . فابتدأ المسدود فغنى :

أدعوك من قلبي إذا لم أرَكْ * يا غاية الطرف إذا أبصرَكْ
قضى لك الله فسبحان مَن * أحلكَ القلبَ ومن قدَّرك ٥
لستُ بناسيك على حالةٍ * ياليت ما يُذكِرنى ذَكَّرك
صبَّرنى الله على ما أرى * منك من الهجر كما صبَّرَك

قال : فقال زنين : وأنا فلا بد أن أسلك سبيلكما . قال أبو عكرمة : ثم التفت إلى فقال : ماترى ؟ فقلت . أحسنت والله . فابتدأ يغنى :

يا هائم القلبِ عاصٍ من عذَلك * ما نلتَ ممن هويتَه أملَكَ ١٠
دعاك داعى الهوى بخدْعتِه * حتى إذا ما أجبتَه خذَلكْ
فاحتَلْ لداء الهوى وسطْوتِه * إنكَ إن لم تُداوهِ قتلكْ

ثم ابتدأ المسدود يغنى :

شققتُ جيبي عليكَ شقًّا * وما لِجيبي أردتُ شقا
أردتُ قلبي فصادفَتْهُ * يداىَ بالجيبِ قد توقى ١٥
مالكَ رقِّى أبيتَ عِتقى * لولاك ما كنتُ مُسترَقا

ثم سكت وغنى زنين :

قد ذُبتُ شوقاً ومتُّ عشقا * يازفراتِ الحبِّ رفقـا
ثكِلتُ نفسى وزرتُ رمسى * إن كنت للهجرِ مُستحقًّا

ثم سكت وغنى دبيس : ٢٠

ظمئتُ شوقا وبحر عشق * يفيضُ عذباً ولست أُسقَى
أنا الذى صرتُ من غرامى * على فراشِ السّقامِ ملقى

فمن زفير ومن شهيقٍ * ومن دموع تجودُ سبْقا

ثم ابتدأ المسدود فغنى :

ماذا على نُجْلِ العيونِ لوَ انّهم * أومَوْا إليك فسلموا أو عرّجُوا

أمِنوا مُقاساةَ الهموم وأيقنوا * أنّ المحبَّ إلى الأحبّةِ يُدلِج

٥ ثم سكت وغنى دبيس :

هيّا فقد بدأ الصباحُ الأبلجُ * قد ضمّ مُشبِهَ الغزالِ الهودجُ

بانوا ولم أقضِ اللُّبانةَ منهُم * وكذا الكريمُ إذا تصابَى يلهجُ

ثم سكت وغنى زنين :

السحرُ والغنجُ فى عينيكَ والدَّعجُ * والشمسُ والبدرُ فى خديكَ والضرجُ

١٠ الدُّرُ ثغرُكَ لولا أنّ ذا بَرَدٌ * والحِبرُ صُدغُكَ لولا أنّ ذا سبج

أنضجْت قلبى ولو أنّ الورى لقيَت * قلوبُهم منكَ ما لاقيْتُ ما لهجوا

ثم سكت وابتدأ المسدود فغنى :

يا صاحبَ المُقلِ المِراض * أنظر إلىّ بعين راض

إن تجفُنى مُتعمّداً * لتُذيقَنى جرعَ الحِياض

١٥ فلطالما أمكنْتَنِى * منكَ المراشفَ عن تَراض

ثم سكت وغنى زنين :

هائمٌ مُدنف من الإعراضِ * لا سبيلٌ له إلى الإغماضِ

مُوثقُ النومِ مُطلقُ الدمعِ ما يَعرِف ملْجاً من الحُتوفِ القَواضى

ما تَرَى جِسمَهُ سوى لحظاتٍ * أمْرضتْه من العيونِ المراض

٢٠ ثم سكت وغنى دبيس :

كن ساخطاً واظْهر بأنّكَ راضٍ * لا تُبدينّ تكرُّهَ الإعراضِ

وانْظر إلىّ بمقلةٍ غضْبانةٍ * إن كنتَ لم تنظر بمقلةِ راض

وارحم جُفوناً ماتجفُّ من البكا * في ليلةٍ مسلوبةِ الإغماضِ
واحكم فديتُكَ بين جسمي والهوى * فالحكمُ منك على الجوارحِ ماضِ

ثم ابتدأ المسدود فغنى :

ياذا الذي حالَ عنِ العهدِ * ومَن يرانى منه بالصّدِّ
بسُمْرةِ الخالِ وما قد حوى * من حُمرةٍ في سالفِ الخدِّ
إلا تعطفتَ على عاشقٍ * مُنفردٍ بالبثِّ والوجدِ

ثم سكت وغنى زنين :

أظلُّ بكتمانِ الهوى وكأنما * ألاقى الذى لاقاه غيرى من الوجْدِ
وعيبَ علىَّ الشّوْقُ والوجدُ والبكا * ولا أنا بالشكوى أُنفّسُ من جهدى

ثم سكت وغنى دبيس :

تهزّأتَ بى لما خلوتَ من الوَجدِ * ولم ترْثِ لى لا كان عندكَ ما عندى
وعِيبَ علىَّ الشوقُ والوجدُ والبكا * وأنت الذى أجريت دمعى على خدِّى
صددْتَ بلا جُرمٍ إليـك أتيتُه * أكان عجيباً لو صددتَ عنِ الصدِّ
ألا إنّى عبـدٌ لطرفكَ خاضعٌ * وطرفُكَ مولًى لا يرقُّ على عبدِ

ثم غنى المسدود :

أقمتُ ببلدةٍ ورحلتَ عنها * كِلانا عندَ صاحبهِ غريبُ
أقلُّ الناسِ في الدنيا نصيبا * مُحبٌّ قد نأى عنه الحبيبُ

ثم سكت وغنى زنين :

ويُقنِعُنى ممن أُحبُّ كتابُه * ويمنَعُنيه ، إنه لبخيـلُ
كفى حزناً أن لا أُطيقَ وداعَكم * وقد حان منّى ياظلومُ رحيلُ

ثم سكت وغنى دبيس :

يا واحدَ الحسنِ الذى لحظاتُه * تدعو النُّفوسَ إلى الهوى فتُجيبُ

مَن وجهُه القمرُ المنيرُ وحُسنُه * غُصنٌ نضيرٌ مُشرقٌ وكثيب
أَلِناظرَيْكَ على العيونِ رقيبةٌ * أم هل لِطرْفِك فى القلوبِ نصيبُ

ثم ابتدأ المسدود فغنى :

قَلَقٌ لم يزلْ وصبرٌ يَزولُ * ورِضاً لم يَطلْ وسُخْطٌ يطولُ
٥ لم تَسِل دَمعتى علىّ من الرّحـمة حتى رأيتُ نفسى تسيل
حالَ فى جسمىَ السّقام لجسمى * مُدْنفٌ ليس فيه رُوحٌ تجول
يَنقضى للقتيلِ حولٌ فيُنْسَى * وأنا فيك كلَّ يومٍ قتيل

ثم سكت وغنى زنين :

ليس إلى تَركِكَ من حيلة * ولا إلى الصبرِ لقلبى سبيلْ
١٠ فكيفَما شئتَ فكن سيدى * فإنّ وجدى بك وجدٌ طويلْ
إن كنتَ أزمَعْت على هجرنا * فحسبُنا الله ونعمَ الوكيل

قال أبو عكرمة : وأقبل أبو عيسى على المسدود فقال له غنِّ صوتاً . فغنى :

يا لُجّة الدمْع هل للدمع مَرْجوعُ * أمِ الكرَى من جُفونِ العيْنِ ممنوعُ
ما حيلتى وفؤادى هائم أبدا * بعقربِ الصُّدغ من مولاى ملسوع
١٥ لا والذى تَلِفَت نفسى بفُرْقته * فالقلبُ من حُرَقِ الهجرانِ مَصدوع
ما أرّقَ العَينَ إلا حُبُّ مُبْتدِعٍ * ثوبُ الجمالِ على خدّيه مخلوع

قال أبو عكرمة : فوالله الذى لا إله إلا هو ، لقد حضرت من المجالس ما لا أحصى ، فما رأيت مثل ذلك اليوم . ثم إن أبا عيسى أمر لكل واحد بجائزة وانصرفنا ، ولولا أن أبا عيسى قطعهم ما انقطعوا .

٢٠ من سمع صوتا فوافقه معناه فاستخفه الطرب

حكى عن إسحاق بن إبراهيم الموصلى عن أبيه قال : دخلت على هارون الرشيد فلما رأيته قد أخذ فى حديث الجوارى وغلبتهن على الرجال ، غنيته بأبيات التى

يقول فيها :

مَلَكَ الثَّلاثُ الآنساتُ عِنانى * وحَلَلْن من قلبى بكلِّ مكان

مالى تُطاوعُنى البرِيَّةُ كلُّها * وأُطيعُهُنّ وهُنّ فى عصيانى

ماذاكَ إلا أنّ سلطانَ الهوى * وبه قَوِينَ أعزُّ من سلطانى

فارتاح وطرب ، وأمر لى بعشرة آلاف درهم . ٥

الموصلى والأمين — وغنى إبراهيم الموصلى محمد بن زبيدة الأمين بقول الحسن بن هانئ فيه :

رشَأٌ لولا مَلاحتُه * خلَت الدُّنيا من الفِتَنِ

كلَّ يومٍ يَسترِقُّ له * حُسنُه عبْداً بلا ثمن

ياأمين اللهِ عش أبداً * دُمْ على الأيام والزمن

أنتَ تبقى والفَناء لنا * فإذا أفنيْتَنا فكُنِ ١٠

سَنّ للناسِ القِرى فقَروْا * فكأنّ البُخلَ لم يكُنِ

قال : فاستخفه الطرب حتى قام من مجلسه وأكبَّ على إبراهيم يقبّل رأسَه ؛ فقام إبراهيم من مجلسه يقبل أسفل رجليه وما وطئتا من البساط ؛ فأمر له بثلاثة آلاف درهم ؛ فقال إبراهيم : ياسيدى ، قد أجزتنِى إلى هذه الغاية بعشرين ألف ألف درهم ! فقال الأمين : وهل ذلك إلا خراج بعض الكور ؟ ١٥

جرير والامراء — الرياشى عن الأصمعى ؛ قال : قدم جرير المدينة ، فأتاه الشعراء وغيرهم ، وأتاه أشعب فيهم ، فسلموا عليه وحادثوه ساعة وخرجوا ، وبقى أشعب . فقال له جرير : أراك قبيحا ، وأراك لئيم الحسب ؛ ففيم قعودك وقد خرج الناس ؟ فقال له : أصلحك الله ، إنه لم يدخل عليك اليوم أحد أنفع لك منى ! قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنى آخُذُ رقيق شعرك فأزيِّنُه بحسن صوتى . فقال له ٢٠ جرير : فقل . فاندفع يغنيه :

ياأُختَ ناجيَةَ السّلام عليكم * قبل الرحيلِ وقبل لوْمِ العُذَّلِ

لو كنتُ أعلم أنّ آخر عهدِكم * يومَ الرّحيلِ فعلتُ مالم أفعلِ

قال : فاستخف جرير الطربُ لغنائه بشعره ، حتى زحف إليه واعتنقه وقبّل بين عينيه ، وسأله عن حوائجه فقضاها له .

المسور وامرأته

الزبير بن بكار قال : كان المسور بن مخرمة ذا مال كثير ، فأسرع فيه على إخوانه ، فذهب فسأل امرأته — وكانت موسرة — فمنعته وبَخِلَتْ عليه ؛ ٥ فخرج يريد بعض خلفاء بنى أمية منتجعا ، فلما كان ببعض الطريق نزل ماء يقال له بلاكث ، فقال له غلامه : كيف يقال لهذا الماء ؟ قال : يقال له بلاكث ، فقال [مغنّيا] :

بينما نحن من بلاكِثَ بالقا ٭ ع سِراعا والعِيسُ تَهوِي هُوِيّا

خَطَرتْ خطرةٌ على القلبِ من ذِكْـــراك وهْناً فما آستطعْتُ مُضيّا

١٠ قلتُ لبَّيْكِ إذ دعانى لكِ الشّوْ ٭ قُ ، وللحادِيين كُرّا المَطيّا

فقال : هن بُدْنٌ إن لم تكرّها رواجع . قال له : قد أشرفن على أمير المؤمنين قال : هن بُدن إن لم تكرها رواجع ! فانصرف ، ودخل المصلى ليلى ، فوجد رجال قريش حلَقا يتحدثون ، فقالوا له : زاد خير ! فقال : زاد خير . حتى انتهى إلى داره ، فقالت له امرأته : زاد خير ! فأنشدها الأبيات . قالت : كل ما أملك ١٥ فى سبيل الله ، إن لم أشاطرك مالى ! فشاطرته مالها .

عمر الوادى

وروى أبو العباس قال : حُدثت أن عمر الوادى قال : أقبلت من مكة أريد المدينة ، فجعلت أسير فى صَمْد من الأرض ، فسمعت غناء من الهواء لم أسمع مثله فقلت : والله لأتوصّلن إليه . فإذا هو عبد أسود ، فقلت له : أعِدْ ما سمعت . فقال : والله لو كان عندى قِرى أقريك ما فعلت ، ولكن أجعله قِراك ؛ فإنى ٢٠ والله ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فأشبع ، وربما غنيته وأنا كسلان فأنشط وربما غنيتُه وأنا عطشان فأرْوَى ! ثم ابتدأ فغنى :

وكنتُ متى ما زرتُ سُعدَى بأرضِها ٭ أرى الأرضَ تُطوِى لى ويَدنو بعيدها

من الخَفِراتِ البيضِ وَدَّ جليسُها ٭ إذا ما انقضتْ أُحدوثةٌ لو يُعيدُها

قال عمر : فحفظته منه ، ثم تغنيت به على الحالات التى وصف ، فإذا هو كما ذكره .

خالد صامة

وتحدث الزبيريون عن خالد صامة بأنه كان من أحسن الناس ضربا بعود . قال : قدمت على الوليد بن يزيد فى مجلس ناهيك به مجلسا ، فألفيته على سريره ، وبين يديه معبد ، ومالك بن أبى السمح ، وابن عائشة ، وأبو كامل غُزَيِّل الدمشقى ٥ وكانوا يغنُّون ، حتى بلغت النوبة إلىّ ، فغنيته .

سَرَى هَمِّى وهَمُّ المرء يسرى * وغابَ النَّجمُ إلا قِيدَ فِتْرِ
لِهَمٍّ ما أزالُ له قـــرينا * كأنَّ القلبَ أُودِعَ حَرَّ جَمْرِ
على بَكْرٍ أخى ، فارقْتُ بَكْرًا * وأىُّ العيْشِ يصلُح بعد بَكْرِ

١٠ فقال : أعد يا صام . ففعلت ، فقال لى : مَن يقول هذا الشعر ؟ قلت : يقوله عروة بن أذينة يرثى أخاه بكرا . قال الوليد :

وأى عيش يصلح بعد بكر !

والله لقد حَجَّر واسعا ، هـذا والله العيش الذى نحن فيـه ، يصلح على رغم أنفه !

سكينة

١٥ وقد قيل : إن سكينة بنت الحسين غنيت بهـذا الشعر ، فقالت : ومَن بكر هـذا ! هو ذاك الأشتر الذى كان يأتينا ؟ لقد طاب كلُّ شىء بعده حتى الخبز والزيت !

الرشيد وإسحاق الموصلى

وعن عبد الصمد بن المعذّل قال : سمعت إسحاق الموصلى يتحدث ، قال : حججت مع الرشيد ، فلمـا نزلت المدينة آخيت رجلا كانت له مُروءة ومعرفة ٢٠ وأدب ، وكان يغنِّى ، فإنى ذات ليلة فى منزلى إذا أنا بصوته يستأذن علىّ ، فظننت أمرًا قد حدث ففزع فيه إلىّ ، فأسرعت نحو الباب فقلت : ما جاء بك ؟ قال : دعانى صديق إلى طعام عتيد ، ومجلس شراب قد التقى طرفاه ، وشواء رَشْراش ، وحديث ممتع ، وغنـاء مشبع ؛ فأجبته وأقمت معه إلى هـذا الوقت ، فأخذت

منى حُيا الكأس مأخذها ، ثم غنيت بقول نصيب :

بزينبَ أَلِمْ قبل أن يَرحلَ الرَّكْبُ ٭ وقل إن تَمَلّينا فما مَلّكِ القلبُ

فكدت أطير طربا ، ثم وجدت فى الطرب تنغيصاً إذا لم يكن معى من يفهم هذا كما فهمته ؛ ففزعت إليك لأصف لك هذه الحال ثم أرجع إلى صاحبى ! وضرب بغلته موليا فقلت : قف أكلمك . فقال مابى إلى الوقوف إليك من حاجة .

معاوية ويزيد وسائب خاثر

وحدث أن معاوية بن أبى سفيان استمع على يزيد ذات ليلة ، فسمع عنده غناء أعجبه ؛ فلما أصبح قال له : من كان مُلهيك البارحة ؟ قال : سائب خاثر . قال : فأكثر له من العطاء .

عثمان بن حيان وابن أبى عتيق فى تحريم الغناء

وكان ابن أبى عتيق من نبلاء قريش وظرفائهم ؛ فمن ظريف أخباره :

أن عثمان بن حيان المرى لما دخل المدينة واليا عليها ، اجتمع إليه الأشراف من قريش والأنصار ، فقالوا له : إنك لا تعمل عملا أحرى ولا أولى من تحريم الغناء والرثاء . ففعل ، وأجلهم ثلاثا ؛ فقدم ابن أبى عتيق فى الليلة الثالثة ، وكان غائبا ، فحط رحله بباب سلامة الزرقاء ، وقال : بدأت بك قبل أن أصير إلى منزلى ! قالت : أو ماتدرى ماحدث بعدك ؟ وأخبرته الخبر ؛ فقال : أقيمى إلى السحر حتى ألقاه . فلقيه ، فأخبره أنه إنما أقدمه حبُّ التسليم عليه ، وقال له : إن أفضل ماعملت تحريم الغناء والرثاء . فقال : إن أهلك أشاروا علىّ بذلك . فقال : إنهم وُفّقوا ووفِّقت ، ولكنى رسول امرأة إليك تقول : قد كانت هذه صناعتى فتبت إلى الله منها ، وأنا أسألك أيها الأمير أن لا تحول بينها وبين مجاورة قبر النبى صلى الله عليه وسلم . فقال عثمان : إذاً أدعها . فقال : إذاً لا يدعك الناس ، ولكن تدعو بها فتنظر إليها ؛ فإن كان يجوز تركها تركتها . قال : فادع بها . فأمر ابن أبى عتيق فتنقبت وأخذت سُبحة فى يدها ، وصارت إليه فحدثته عن مآثر آبائه ، ففكهَ بها ؛ فقال ابن أبى عتيق : أريد أن أسمع الأمير قراءتها . ففعلت ؛ فحركه حداؤها . ثم قال له ابن أبى عتيق : فكيف لو سمعتها

فى صناعتها التى تركتها! فقال له : قل لها فلْتُغَنِّ . فغنت :

شددْنَ خصاصَ البيْت لما دخلْتُه * بِكلِّ بَنانٍ واضحٍ وجبينِ

فنزل عثمان عن سريره ثم جلس بين يديها ، وقال : لا والله ما مثلك يخرج عن المدينة ! فقال ابن أبى عتيق : يقول الناس : أذِنَ لسلّامة ومنع غيرها! فقال له : قد أذنتُ لهم جميعاً ! ٥

وذُكر لابن أبى عتيق أن المخنثين خُصُوا ، وأنه خُصِىَ فلان فيهم —لواحد منهم كان يعرفه — ، فقال ابن أبى عتيق : إنا لله ! لئن خُصِىَ لقد كان يحسن :

لمَنْ ربعٌ بذاتِ الجيْـ * ـشِ أمسَى دراساً خلَقا

ثم استقبل ابن أبى عتيق القِبلة ، فلما كبّر سلّم ، ثم قال لأصحابه :أما إنه كان يحسن خفيفه ، فأما ثقيله فلا . ثم كبّر . ١٠

سليمان ومغن فى عسكره

وكان سليمان بن عبد الملك مفرط الغَيرة ، فسمع مغنيا فى عسكره ، فقال : اطلبوه ! فجاءوا به ، فقال له : أعد ما تغنّيت به . فأعاد واحتفل ، فقال لأصحابه: والله لكأنها جرجرة الفحل فى الشول ، وما أحسب أنثى تسمع هذا إلا صَبتْ إليه ! ثم أمر به فخُصِىَ .

ابن هشام ورجل صالح

وقال أبو العباس محمد بن يزيد النحوى : رُوِىَ لنا أن رجلا من الصالحين كان عند إبراهيم بن هشام ، فأنشده إبراهيمُ قول الشاعر : ١٥

... إذ أنتِ فينا لَمَنْ ينهاكِ عاصيةٌ * وإذ أجرُّ إليكم سادِراً رسَنِى

فقام الرجل فرمى بشقّ ردائه وأقبل يسحبه حتى خرج من المجلس ، ثم رجع إلى موضعه فجلس ؛ فقال له إبراهيم : ما بالك ؟ قال : إنى كنت سمعت هذا الشعر فاستحسنته ، فآليت أن لا أسمعه إلا جررتُ ردائى كما جر هذا الرجلُ رسَنهُ ! ٢٠

شاعر ومغن

ووقف رجل من الشعراء على رجل من المغنّين فأنشده :

إنى أتيتُ إليك من أهلى * فى حاجة يسعى لها مثلى

لا أبتغي شيئاً لديكَ سوَى * «حيَّ الحمُولَ بجانبِ الرّملِ»

قال له : انزل !

دحمان المغنى

مرّ دحمانُ المغنى بقوم وعليه رداء عدنى يثربى، فقالوا له: بكم أخذتَ الرداء ؟

فقال : بـ * ألا إنّ جيرانَنا ودّعوا *

أشعب وهاشمى

٥ وحدثنى أبو العباس أحمد بن بكر ببغداد قال : حدثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال : كان يقال قديماً : إذا قسا عليك قلبُ القرشى من تهامة ، فغنّه بشعر عمر بن أبى ربيعة وغناء ابن سريج . وكذا فعل أشعبُ برجل من أهل مكة من بنى هاشم ، وكان أشعب قد انتجع أهل مكة من المدينة .

قال أشعب : فلما دخلت عليه غنيتُه بغناء أهل المدينـة وأهل العقيق ، فلم ١٠ ينجع ذلك فيه ولم يحرِّك من طرَبه ولا أريحيَّته ؛ فلما عيل صبرى غنيتُه بغناء ابن سريج المكى وقول ابن أبى ربيعة القرشى :

نظرْتُ إليها بالُمحصَّبِ من منى * ولى نظرٌ لولا التحرُّجُ عارِمُ

فقلت أشمسٌ أم مصابيحُ راهب * بدتْ لك تحت السجْفِ أم أنت حالم

بعيدةُ مهْوَى القُرْط إما لِنوْفلٍ * أبوها وإما عبد شَمْس وهاشمُ

١٥ قال : فحرّكت والله من طربه ، وكان الذى أردتُ ؛ ثم غنيته لابن أبى ربيعة القرشى أيضا :

ولولا أن يقولَ لنا قريشٌ * مقالَ الناصحِ الأدنى الشفيقِ

لقلتُ إذِ التقَيْنـا قبِّلينى * وإن كنا بقارعةِ الطريقِ

فقال : أحسنَ والله ! هكذا يطيب التلقّى ، لا بالخوف والتوقّى ! قال : فلما ٢٠ رأيته قد طرب للصوتين ولم يندَّ لِى بشىء ، قلت : هو الثالث وإلا فعليه السلام . قال : فغنيتُه الثالث من غناء ابن سريج قولَ عمر بن أبى ربيعة ، ويقال إنها لجميل :

ما زلت أمتَحِنُ الدّساكرَ دونها * حتى ولجت على خَفِىِّ المَوْلِجِ

فوضعتُ كفّى عند مقطع خصرها * فتنفّست نفسا ولم تتلهّج

قالت: وحقّ أخى وحُرمة والدى * لأنبّهن الحىّ إن لم تخرُج

فخرجتُ خيفة قولها فتبسّمت * فعلمت أن يمينها لم تحرج

فرشفتُ فاها آخذاً بقرونها * رشف النزيف ببرد ماء الحشرج

فصاح الهاشمى: أوّه! أحسن والله وأحسنت! وأمر لى بألف درهم وثلاثين حلة وخلعة كانت عليه. ٥

وغنى ابن سريج رجلا من بنى هاشم بقول جرير:

بعثن الهوى ثم ارتمين قلوبنا * بأسهم أعداء وهن صديقُ

وما ذقت طعم العيش منذ نأيتم * وما ساغ لى بين الجوانح ريقُ

قال: فخطف من ثوبه ذراعا، وقال: هذا والله العقيان فى نحور القيان! ١٠

مدنى وجارية تغنى

قال: وصحب شيخ من أهل المدينة شابًّا فى سفينة ومعهم جارية تغنى، فقال له: إن معنا جارية تغنى، ونحن نجلّك؛ فإذا أذنت لنا فعلنا. قال: فأنا أعتزل وافعلوا ما شئتم. فتنحى وغنت الجارية:

حتى إذا الصبحُ بدا ضوءه * وغابت الجوزاء والمرزمُ

أقبلت والوطء خفىٌّ كما * ينساب من مكمنه الأرقمُ ١٥

فرمى الناسك بنفسه فى الفرات وجعل يخبط بيديه ويقول: أنا الأرقم! فأخرجوه وقالوا: ما صنعت؟ فقال: والله إنى أعلم من تأويله ما لا تعلمون!

قاضى مكة ومغنية

وقال أحمد بن جعفر: حضر قاضى مكة مأدبة لرجل من الأشراف، فلما انقضى الطعام اندفعت جارية تغنى:

إلى خالد حتى أنخنا بخالد * فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمَّلُ ٢٠

فلم يدر القاضى ما يصنع من الطرب، حتى أخذ نعليه، ثم جثى على ركبتيه وقال: أهدونى فإنى بدنة.

هاشمى ومغن

كان رجل من الهاشميين يحب السماع؛ فبعث إلى رجل من المغنين فاقترح

عليه صوتا كان كلفا به ، فغناه إياه ؛ فطرب الهاشمى وشق ثوبا كان عليه، ثم قال للمغنى : أفعل بنفسك مثل ما فعلت بنفسى ! قال : أصلحك الله ، إنك تجد خلفاً من ثوبك ، وإنى لا أجد خلفاً من ثوبى قال : أنا أخلف لك . قال : فأفعل وتفعل ؟ قال : أخرجتنا من حد الطرب إلى حد السوم .

٥ من قرع قلبه صوت فمات منه أو أشرف

يزيد ومغنية

حدث أبو القاسم إسماعيل بن عبد الله المأمون فى طريق الحج من العراق إلى مكة ، قال : حدثنى أبى ، قال : كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها وأكملهم عقلا وأفضلهم أدباً ، قرأت القرآن وروت الأشعار وتعلمت العربية ؛ فوقعت عند يزيد بن عبد الملك ، فأخذت بمجامع قلبه ، فقال لها ذات يوم :
١٠ ويحك ! أما لك قرابة أو أحدٌ يحسُن أن أصطنعه أو أسدى إليه معروفا ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، أما قرابة فلا ، ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء لمولاى ، كنت أحبُّ أن ينالهم من خير ما صرتُ إليه ! فكتب إلى عامله بالمدينة فى إشخاصهم ، وأن يعطى كل رجل منهم عشرة آلاف درهم ، وأن يعجل بسراحهم إليه ؛ ففعل عامل المدينة ذلك ؛ فلما وصلوا إلى باب يزيد استؤذن لهم ، فأذن لهم
١٥ وأكرمهم وسألهم [عن] حوائجهم ؛ فأما الاثنان فذكرا حوائجهما فقضاها لهما وأما الثالث فسأله عن حاجته ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مالى حاجة ! قال : ويحك ! ولِمَ ؟ ألست أقدرُ على حوائجك ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين ، ولكن حاجتى لا أحسبك تقضيها ! قال : ويحك ! فسلنى ، فإنك لا تسألنى حاجة أقدر عليها إلا قضيتُها . قال : ولى الأمان يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم وكرامة ،
٢٠ قال : إن رأيت أن تأمر جاريتك فلانة التى أكرمتنا لها أن تغنينى ثلاثة أصوات أشرب عليها ثلاثة أرطال ، فافعلْ ، قال : فتغير وجه يزيد . وقام من مجلسه ، فدخل على الجارية فأعلمها ؛ قالت : وما عليك يا أمير المؤمنين؟ أفعلُ ذلك . فلما كان من الغد أمر بالفتى فأحضِرَ ، وأمر بثلاثة كراسى من ذهب فأُلقيت ؛

فقعد يزيد على أحدها ، وقعدت الجارية على الآخر ، وقعد الفتى على الثالث ؛ ثم دعا بطعام فتغدّوا جميعا ، ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوُضِعتْ ، ثم أمر بثلاثة أرطال فملِئت ؛ ثم قال للفتى : قل ما بدا لك وسل حاجتك . قال : تأمرها تغنى :

لا أستطيع سُلوًّا عن مودّتها * أو يَصنع الحبُّ بى فوق الذى صَنعا
أدعو إلى هَجرها قلبى فيُسعدُنى * حتى إذا قلتُ هذا صادقٌ نَزعا

فأمرها فغنّت ، فشرب يزيد وشرب الفتى ، ثم شربت الجارية ؛ ثم أمر بالأرطال فملئت ، ثم قال للفتى : سل حاجتك . قال : تأمرها تغنى :

تخيَّرتُ من نَعمانَ عُودَ أراكةٍ * لهندٍ ، ولكن مَن يبلِّغُه هنْدا ؟
ألا عرِّجا بى بارك اللهُ فيكما * وإن لم تكن هندٌ لأرضكما قصْدا

قال : فغنت بهما ، وشرب يزيد ثم الفتى ثم الجارية ؛ ثم أمر بالأرطال فملئت ؛ ثم قال للفتى : سل حاجتك . قال : يا أمير المؤمنين مُرْها تغنى :

منّا الوصالُ ومنكمُ الهَجْرُ * حتى يُفرِّق بيننا الدهرُ
واللهِ ما أسلوكمُ أبداً * ما لاحَ نجمٌ أو بَدا فجْرُ

قال : فلم تأت على آخر الأبيات حتى خرّ الفتى مغشيا عليه ؛ فقال يزيد للجارية : انظرى ما حاله ! فقامت إليه لتحرّكه ، فإذا هو ميت ! فقال لها : آبكيه ! قالت لا أبكيه يا أمير المؤمنين وأنت حىٌّ ! قال لها : آبكيه ، فوالله لو عاش ما انصرفَ إلا بِكِ ! فبكتْه ، وأمر بالفتى فأحسن جهازُه ودفْنه .

عبد الملك وابن جعفر فى الغناء

قال : وحدّث أبو يوسف بالمدينة قال : حدّثنا إبراهيم بن المنذر الجذامى عن أبيه ، أنّ عبد الله بن جعفر وفد على عبد الملك بن مروان ، فأقام عنده حينا ؛ فبينا هو ذات ليلة فى سمره ، إذ تذاكروا الغِناء ؛ فقال عبد الملك : قبح الله الغِناء ! ما أوضعَه للمروءة ، وأجرَحه للعرْض ، وأهدمَه للشّرَف ، وأذهبَه للبهاء ! وعبد الله ساكت ، وإنما عرّض بعبد الله ، وأعانه عليه من

حضر من أصحابه ـ فقال عبد الملك : مالك أبا جعفر لا تتكلم ؟ قال : ما أقول
ولحيى يتمزع وعرضى يتمزق ؟ قال : أما إنى نُبِّئتُ أنك تغنى ! قال : أجل
يا أمير المؤمنين ، قال : أفّ لك وتُفّ ! قال : لا أُفّ ولا تُفّ ، فقد تأتى
أنت بما هو أعظم من ذلك ، قال : وما هو ؟ قال : يأتيك الأعرابى الجافى ،
٥ يقول الزُّور ؛ ويقذف المحصنات ؛ فتأمر له بألف دينار ، وأشترى أنا الجارية
الحسناء من مالى ، فأختار لها من الشعر أجودَه ، ومن الكلام أحسنَه ، ثم
تردده علىّ بصوت حسن ؛ فهل بذلك بأس ؟ قال : لا بأس ، ولكن أخبرنى
عن هذه الأغانى ما تصنع ؟

قال : نعم ، اشتريت جارية باثنى عشر ألف درهم مطبوعة ، فكان بديحٌ
١٠ وطويس يأتيانها فيطرحان عليها أغانيهما ، فعلِقت منهما حتى غلبت عليهما ؛
فوُصفت ليزيد بن معاوية ، فكتب إلىّ : إمّا أهديتَها إلىّ ، وإمّا بعتَها بحكمك .
فكتبت إليه : إنها لا تخرج عن مِلكى ببيع ولا هبة ! فبذل لى فيها ما كنت
أحسب أنّ نفسَه لا تسخو به ، فأبيتُ عليه .

فبينما هى عندى على تلك الحال ، إذ ذَكرت لى عجوز من عجائزنا أنّ فتى
١٥ من أهل المدينة سَمع غناءها فعلِقها وشغف بها ، وأنه يجيء فى كل ليلة مستتراً
يقف بالباب حتى يسمع غناءها ثم ينصرف ؛ فراعيت مجيئَه ، فإذا الفتى قد
أقبل مقنَّع الرأس ، فأشرفتُ عليه وقد قعد مستخفيا ، فلم أدعُ بها تلك الليلة ،
وجعلتُ أتأمّل موضعه ، فبات مكانه الذى هو فيه ؛ فلما انشق الفجر اطلعتُ
عليه ، فإذا هو فى موضعه ، فدعوت قيِّمة الجوارى فقلت لها : انطلقى الساعةَ
٢٠ فزيِّنى هذه الجارية وأعجلى بها إلىّ . فلما جاءت بها نزلتُ وفتحتُ الباب وحرّكتُه ،
فانتبه مذعورا ؛ فقلت له : لا بأس عليك ! خذْ بيد هذه الجارية فهى لك ، وإن
هممتَ ببيعها فردَّها إلىّ ! فدهش وأخذه الخبَل ولَبِطَ به ؛ فدنوت من أذنه !
فقلت : ويحك ! قد أظفرَك الله ببُغيتك ، فقم فانطلق بها إلى منزلك ! فإذا الفتى
قد فارق الدنيا ، فلم أر شيئاً قط أعجب منه !

قال عبد الملك : وأنا والله ما سمعت شيئاً قط أعجبَ من هذا ولولا أنك عاينتَه ما صدقتُ به ؛ فما صنعتَ بالجارية ؟ قال : تركتُها عندى ، وكنت إذا ذكرتُ الفتى لم أجدْ لها مكانا من قلبي ، وكرهت أن أوجِّه بها إلى يزيد فيبلغه حالُها فيحقد علىّ ، فما زالت تلك حالها حتى ماتت !

طريفة وأيوب المغنى

ووقف رجل يقال له طريفة على أيوب المغنى فقال :

إنى قصَدتُ إليكَ من أهلى * فى حاجةٍ يسعى لها مثْلى

لا أبتغى شيئاً لديك سِوى * «حيِّ الُحمولَ بجانب الرَّمْل»

فقال له : آنزل ، فلك ما طلبت . فنزل ، فأخرج عوده ثم غناه بقول امرئ القيس :

حيِّ الُحمول بجانب الرملِ * إذ لا يُلائمُ شكلها شكلى

فلُبط بِطريفة ، فإذا هو فى الأرض منجدل ، فلما أفاق قام يمسح التراب عن وجهه ؛ فقيل له : ويحك ! ما كانت قصتك ؟ قال : ارتفع والله من رِجلى شىء حارّ ، وهبط من رأسى شىء بارد ، فالتقيا وتصادما ؛ فوقعت لا أدرى ما كانت حالى .

أخبار عنان وغيرها من القيان

الرشيد وعنان

حدث محمدُ بن زكريا الغلابى بالبصرة قال : حدثنا إبراهيم بن عمر قال : كان الرشيد قد استعرض عنانَ جاريةَ الناطفى ليشتريها ، وقال لها : أنا والله أحِبّك ! ثم أمسك عن شرائها ؛ فجلس ليلة مع سُمّاره ، فغناه بعض من حضر من المغنين بأبيات جرير حيث يقول :

إنّ الذين غَدَوْا بلُبِّكَ غادَروا * وشَلًا بعينكَ لا يزال مَعِينا

قال : فطرب الرشيد لها طربا شديدا ، وأُعجب بالأبيات ، وقال لجلسائه : هل منكم أحد يجيز هذه الأبيـاتَ بمثلهن ، وله هذه البدرة ؟ ـ وبين يديه

بدرة من دنانير ـ قال : فلم يصنعوا شيئا ؛ فقال خادم على رأسه : أنا لك بها يا أمير المؤمنين . قال : شأنَك . فاحتمل البدرة ؛ ثم أتى الناطقيّ فقال له : استأذن لى على عنان . فأذنت له ، فدخل وأخبرها الخبر ؛ فقالت : ويحك ! وما الأبيات ؟ فأنشدها إياها ، فقالت له : اكتب :

٥ هيَّجتَ بالقول الذى قد قلتَه * داءً بقلبي ما يزال كمينَا
قد أينعتْ ثمراتُه فى طينِها * وسُقِينَ من ماء الهوى فرَوِينا
كذَبَ الذين تقوّلوا يا سيدى * إنّ القلوبَ إذا هَوِينَ هَوِينا

فقالت له : دونك الأبيات . فدفع إليها البدرة ورجع إلى هارون ، فقال : ويحك ! من قالها ؟ قال : عنان جارية الناطفى . فقال : خلعتُ الخلافةَ من عنق
١٠ إن باتت إلا عندى ! قال : فبعث إلى مولاها فاشتراها منه بثلاثين ألفا ، وباتت بقية تلك الليلة عنده !

وقال الأصمعى : ما رأيت الرشيد متبذّلا قط إلا مرة ، كتبتْ إليه عنانُ جارية الناطفى رقعة فيها :

كنتُ فى ظلِّ نعمةٍ بهَواكا * آمناً منك لا أخاف جَفاكا
١٥ فسَعى بيننا الوُشاة فأقررْ * تَ عيونَ الوُشاة بى فهَناكا
ولَعمرى لَغيرُ ذاكان أولى * بك فى الحق يا جُعلت فِداكا

قال : فأخذ الرقعة بيده وعنده أبو جعفر الشطرنجى ، فقال : أيكم يشير إلى المعنى الذى فى نفسى فيقول فيه شعراً وله عشرة آلاف درهم ؟ فظننت أنه وقع بقلبه أمر عنان ، فبدر أبو جعفر :

٢٠ مجلسٌ يُنسَبُ السرورُ إليه * لمحبٍّ ريحانُه ذِكراكا

فقال : يا غلام ، بدرة ! قال الأصمعى : وقلت :

لم ينَلكِ الرجاء أن تحضرينى * وتجافت أُمنيّتى عن سِواكا

قال : أحسنت والله يا أصمعى ، لها ولك بهذا البيت عشرون ألفا .

قال جرير :

كلما دارتِ الزُجاجةُ والكأ * سُ أعارتهُ صَبْوةً فبكاكا

فقال : أنا أشعركم حيث أقول :

قد تمنيْتُ أنْ يُغشّيني الله نُعاساً لعلّ عيني تَراكا

قلنا له : صدقت والله يا أمير المؤمنين . ٥

الباهلى فى أمر عنان

وقال بكر بن حماد الباهلى : لما انتهى إلىّ خبر عنان ، وأنها ذُكرت لهارون وقيل إنها من أشعر الناس ، خرجت معترضا لها ؛ فما راعنى إلا الناطفى مولاها قد ضرب على عضدى ، فقال لى : هل لك فيما سنح من طعام وشراب ومجالسة عنان ؟ فقلت : ما بعد عنان مطلب ! ومضينا حتى أتينا منزله ، فعقل دابته ثم دخل فقال : هذا بكْر شاعر باهلة يريد مجالستكِ اليوم . فقالت : لا والله ، إنى كسلانة ! ١٠ فحمل عليها بالسوط ؛ ثم قال لى : ادخل . فدخلت ودمعُها يتحدّر كالجمان فى خدها ، فطمعت بها ؛ فقلت :

هذِى عِنان أسْبلَت دمْعها * كالدرّ إذ ينْسل من خيطهْ

ثم قلت : أجيزى . فقالت :

فليتَ مَن يَضربُها ظالما * تجفُّ كفّاه على سوطهْ ١٥

فقلت لها : إن لى حاجة . فقالت : هاتها ، فمن سببك أوذينا ! قلت لها : بيتٌ وجدته على ظهر كتابى ، لم أقرضه ولم أقدر على إجازته . قالت : قل . فأنشدتها :

فما زال يشكو الحبَّ حتى حسبتَه * تنفَّسَ من أحشائِه فتكلما

قال : فأطرقت ساعة ثم أنشدت :

ويبكى فأبكِى رحمةً لبكائِه * إذا ما بكى دمْعاً بكيتُ له دما ! ٢٠

قلتُ لها : فما عندكِ فى إجازةِ هذا البيت :

بديعُ حُسن بديع صدٍ * جعلت خدّى له مَلاذا

فأطرقت ساعة ثم قالت :

فعـــاتبوهُ فعنّفوهُ * فأوعدوهُ، فكانماذا ...؟

أبو نواس وعنان

وجلس أبو نواس إلى عنان ، فقالت : كيف علمُك بالعروض وتقطيع الشعر يا حسَن ؟ قال : جيد . قالت تقطع هذا البيت :

٥ أكلت الخرْدلَ الشا * ميّ في صفحةِ خبّاز

فلما ذهب يقطّعه ضحكت به وأضحكت ، فأمسك عنها وأخذ فى ضروب من الأحاديث ؛ ثم عاد سائلا لها ، فقال : كيف علمُك بالعروض ؟ قالت : حسن ياحسن فقال : قطعى هذا البيت :

حوّلوا عنّا كنيسَتكمْ * يا بنى حمّالةِ الحطب

١٠ فلما ذهبت تقطّعه ضحك أبو نُواس ، فقالت : قبحك الله ! مابرحتَ حتى أخذت بثأرك !

المأمون وسوسن المغنى وجارية

حدث أبو عبد الله بن عبد البر المدنى قال : حدثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال : كان للمأمون جماعةٌ من المغنين ، وفيهم مغنّ يسمى سوسنا ، عليه وسْم جمال قال : فبينما هو عنده يغنى إذ تطلعت جارية من جواريه فنظرتْ إليه فعلِقتْه ، ١٥ فكانت إذا حضر سوسن تسوّى عودها وتغنى :

ما مَرَرْنا بالسّوسنِ الغضّ إلا * كان دمعى لِمقلتىّ نديما

حبّـــذا أنت والمسمّى به أنــت وإن كنت منه أذكى نسيما

فإذا غاب سوسن أمسكت عن هذا الصوت وأخذت فى غيره ؛ فلم تزل تفعل ذلك حتى فطن المأمون ، فدعا بها ودعا بالسيف والنّطع ؛ ثم قال : اصدقينى أمرَكِ ٢٠ قالت : يا أمير المؤمنين ، ينفعنى عندك الصدق ؟ قال لها : إن شاء الله ! قالت : يا أمير المؤمنين ، اطلعت من وراء الستارة فرأيته فعلقته ، فأمسك المأمون عن عقوبتها ، وأرسل إلى المغنى فوهبها له ، وقال . لا يقربُنا !

قال أبو الحسن : وكان الواثق إذا شرب وسكر رقد فى موضعه الذى سكر

فيه ، ومن سكر من ندمائه ترك ولم يخرج ؛ فشرب يوما فسكر ورقد ، وانقلب أصحابه ، إلا مغنّياً أظهر التراقد ، وبقيت معه مغنية للواثق ؛ فلما خلا المجلس وقع المغنى فى سحاءة ودفعها إليها :

إنى رأيتُكِ فى المنامِ كأننى * مُترشِّفٌ من ريقِ فيكِ الباردِ
وكأنّ كفّك فى يَدى وكأنمـا * بِتنا جميعاً فى فراش واحِد
ثم آنتبهتُ ومَنكِباكِ كلاهما * فى راحتىّ وتحت خدّكِ ساعدِى

فأجابته :

خيراً رأيتَ وكل ماأبصرتَهُ * ستنالُه منّى برغمِ الحاسِدِ
وتَبيتُ بين خلاخِلِى ودمالِجى * وتجول بين مَراسلى[1] ومجاسِدى
فنكونُ أنعمَ عاشقَيْنِ تَعاطيا * مُلحَ الحديث بِلا مَخافةِ راصِد

فلما مدت يدها لترمى إليه بالسحاءة ، رفع الواثق رأسه فأخذ السحاءة من يدها ، وقال لهما : ما هذه ؟ فحلفا له أنه لم يجرِ بينهما قبل هذا كلامٌ ولا كتابٌ ولا رسول غير اللحظ ، إلا أن العِشق قد خامرهما . فأعتقها وزوجها منه ، فلما أشهد له وتم النكاح ، أقامها الواثق إلى بيت من بعض البيوت ، فوقع بهـا ثم خرج فقال له : أردت أن تُكشّخنى فيهـا وهى خادمتى ، فقد كشختك فيها وهى زوجتك !

يزيد ومسلمة فى حبابه

قال : ولمـا كلف يزيد بحبابة واشتغل بها وأضاع الرعية ، دخل عليه مسلمة أخوه فقال : يا أمير المؤمنين ، تركت الظهورَ للعامّة ، والشهود للجمعة ، واحتجبتَ مع هذه الأمَة ! فارعوى قليلا وظهر للناس ؛ فأوصت حبابةُ إلى الأحوص أن يقول أبياتاً يهوّن فيها على يزيد ما قال مسلمة ؛ فقال وغنّت بها حبابة :

ألا لا تَلُمْهُ اليوم أن يَتبلّدا * فقد مُنع المحزُونُ أن يتجلّدا

(١) فى بعض الأصول : « وتحل بين مراشفى » .

إذا أنت لم تَعشِقْ ولم تدرِ ما الهوى * فكُن حَجراً من يابِسِ الصخرِ جلْمَدا
هــلِ العيشُ إلا ما تَلذُّ وتَشتهى * وإن لام فيه ذُو الشّنانِ وفنّدا

فلما سمعها ضرب بجُرُبّانه الأرض وقال : صدقتِ صدقت ؛ على مسلمة لعنة الله ! ثم عاد إلى سيرته الأولى .

يزيد بعد موت حبابة

٥ وحدث ابن الغاز قال : حدثنا أبو سعيد عبد الله بن شبيب قال : حدثنا الهيثم بن أبى بكر قال : كان يزيد بن عبد الملك كلفا بحبابة كلفاً شديداً ، فلما توفيت أكب عليها أياماً يترشفها ويتشممها ؛ ؛ ثم أنتنت ، فقام عنها وأمر بجهازها ؛ ثم خرج بين يدى نعشها ؛ حتى إذا بلغ القبر نزل فيه ، حتى إذا فرغ من دفنها وانصرف لصق إليه مسلمة أخوه يعزيه ويؤنسه ؛ فلما أكثر عليه قال : قاتل الله
١٠ ابن أبى جمعة حيث يقول :

فإن تسلُ عنكِ النفسُ أو تَدعِ الهوى * فباليأسِ تسلو عنكِ لا بالتجلُّدِ
وكلُّ خليــلٍ زارنى فهو قائلٌ * منَ آجلكِ : هذا هامةُ اليومِ أو غَدِ

قال : وطُعِن فى جنازتها ، فدفنّاه إلى سبعة عشر يوما .

المعتصم وجارية

وذكر المعتصم جارية كانت غلبت عليه وهو بمصر ، ولم يكن خرج بها معه ؛
١٥ فدعا مغنيا له فقال له : ويحك ! إنى ذكرت جارية ، فأقلقنى الشوق إليها ؛ فهات صوتاً يشبه ما ذكرتُ لك . فأطرق مليا ثم غنى :

وددت منَ الشوقِ المبَرّحِ أننى * أعارُ جناحَىْ طائرٍ فأطيرُ
فما لِنعيمٍ لستِ فيه بَشاشةٌ * وما لسرورٍ لستِ فيه سُرور
وإنّ آمرأ فى بلْدةٍ نِصفُ قلبِه * ونصفٌ بأُخرى غيرِها لصبورُ

٢٠ فقال : والله ما عدوتَ ما فى نفسى ! وأمر له بجائزة ، ورحل من ساعته ، فلما بلغ الفرما قال :

غريبٌ فى قُرَى مِصر * يُقاسى الهمَّ والسّدما

لَلَيْلُكَ كان بالمَيْدا * نِ أقْصَرَ منه بالفرمَا

المأمون فى قينة

وقال المأمون فى قينة له :

لها فى لَحْظِها لَحَظاتُ حتْفٍ * تُميتُ بها وتُحيي مَن تُريدُ
فإن غضبَتْ رأيتَ الناسَ قَتْلى * وإن ضَحِكتْ فأرواحٌ تعودُ
وتَسْبِي العالمين بمُقْلتيها * كأنّ العالمين لها عبيد

٥

البحترى فى قينة

وأنشد البحترى فى قينة له :

أُمازِحُها فتغْضبُ ثم تَرضى * وفعل جَمالِها حسَنٌ جميلُ
فإن تغْضبْ فأحسَنُ ذاتِ دلٍّ * وإن ترضَى فليس لها عديل

لابن المعتز فى مثله

وقال المعتز فى قينة له :

فأمسيْتُ فى ليْليْن للشَّعرِ والدُّجا * وشمسيْن من كأسٍ ووجهِ حبيبِ

للرشيد فى مثله

وقال هارون الرشيد فى قينة له رحمه الله :

تُبْدِى صُدوداً وتُخْفِى تحته مِقَةً * فالنفْسُ راضيةٌ والطرْف غضبانُ
يا من وَضعتُ له خـدّى فذلَّله * وليس فوقى سوى الرحمٰنِ سلطان

للشيبانى

وقال إبراهيم الشيبانى : القينة لا تخلص محبةً لأحد ، ولا تؤتى إلا من باب طمع .

١٥

لابن الجهم فى قينة

وقال على بن الجهم : قلت لقينة :

هل تَعْلمين وراء الحبِّ منزلةً * تُدْنِى إليك فإنّ الحبَّ أقصانى

فقالت : تأتى من باب الذهب ، وأنشدت :

آجعلْ شفيعَك منقوشاً تُقدِّمُه * فلم يَزل مُدْنِياً مَن ليس بالدّانى

أشعب وقينة

وكان أشعب يختلف إلى قينة بالمدينة ، فجلس عندها يوماً يطارحها الغناء ؛ فلما أراد الخروج قال لها : نوّلينى خاتمك أذكرك به . قالت : إنه ذهب ، وأخاف أن تذهب ؛ ولكن خذ هـذا العود ، لعلك تعود ! وناولته عوداً من الأرض !

٢٠

وكان أشعب يختلف إلى قينة بالمدينة يكلف بها وينقطع إذا نظرها، فطلبت منه أن يُسلفها دراهم، فانقطع عنها وتجنب دارها، فعملت له دواء ولقيته به؛ فقال لها: ما هذا؟ قالت: دواء عملته لك تشربه لهذا الفزع الذى بك! قال: اشربيه أنتِ للطمع، فإن انقطع طمعك انقطع فزعى. وأنشأ يقول:

٥ أنا واللهِ أهواكِ * ولكن ليس لى نفقَهْ

فإمّا كنتِ تَهوَيْنى * فقد حلّتْ لىَ الصَّدَقهْ

أبو الحارث وقينة — وقعد أبو الحارث جُمَيْز إلى قينة بالمدينة صدرَ نهاره، فجعلت تحدّثه ولا تذكر الطعامَ؛ فلما طال ذلك به قال: مالى لا أسمع للطعام ذِكْراً؟ قالت: سبحان الله! أما تستحى؟ أما فى وجهى ما يشغلك عن هذا؟ فقال لها: جُعِلتُ

١٠ فداك، لو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة واحدة لا يأكلان، لبصق كل واحد منهما فى وجه صاحبه وافترقا!

أبو نواس وقينة — وقال الشيبانى: كانت بالعراق قينة، وكان أبو نواس يختلف إليها، فتظهر له أنها لا تحب غيره؛ وكان كلما جاءها وجد عندها فتى يجلس عندها ويتحدث إليها؛ فقال فيها:

١٥ ومُظهِرة لخلْقِ الله وُدًّا * وتَلْقى بالتحيّة والسَّلامِ

أتيتُ فؤادَها أشكو إليه * فلم أَخلُصْ إليه من الزِّحام

فيامَنْ ليس يَكفيها صديقٌ * ولا خمسونَ ألفاً كلَّ عام

أراكِ بقيّةً من قومِ موسى * فهم لا يصبِرونَ على طعام

أبو نواس وقيان — وقال الشيبانى حضر أبو نواس مجلساً فيه قيان؛ فقلن له: ليتنا بناتُك.

٢٠ قال: نعم، ونحن على المجوسية.

وقال العتبى: حضرت قينة مجلساً، فتغنت فأجادت، فقام إليها شيخ من القوم فجلس بين يديها، وقال: كل مملوكٍ لى حرٌّ، وكل امرأة لى طالق، لو كانت الدنيا لى كلها صرراً فى كمى لقطعتها لك؛ فأما إذا لم يكن فجعل الله كل حسنة لى لك،

وكلّ سيئة عليك عليّ . قالت : جزاك الله خيرا ، فوالله ما يقوم الوالد لولده بما قمت به لنا . فقام شيخ آخر وقعد بين يديها وقال لها : كل مملوك لى حر ، وكل امرأة لى طالقٌ ، إن كان وهب لك شيئا ولا حمل عنك ثقلا ؛ لأنه ماله حسنةٌ يهبها لك ، ولا عليك سيئةٌ يحملها عنك ؛ فلأيِّ شيء تحمدينه ؟

حدث أحمد بن عمر المكى قال : سمعت إسحاق بن إبراهيم الموصلى يقول : كان بالمدينة رجل جعفرى ، من ولد جعفر بن أبى طالب ، وكان يحب الغناء ، وكان بالمدينة قينة يقال لها بصبص ، وكان الجعفرى يتعشّقها ، فقال يوما لإخوانه : قوموا معى إلى هذه الجارية حتى نكاشفها ، فقد والله أيتمت ولدي ، وأرملتْ نسائى ، وأخربت ضيعتى . فقاموا معه ، حتى إذا جاءوا إلى بابها دقّه ، فخرجت إليه ، فإذا هى أملح الناس دلاًّ وشكلا ، فقال لها : ياجارية ، أتغنّين :

وكنت أحبكم فسلوت عنكم ﴿ عليكم فى دياركمُ السـلام

فاستحيت وخجلت وبكت وقالت : ياجارية ، هاتى عودى ؛ والله ما أُحسن هذا ولكن أُحسن غيره . فغنت :

تحمّل أهلها منها فبانوا ﴿ على آثار من ذهب العفاء

قال : فاستحيا والله صاحبنا حتى تصبب عرقا ، ثم قال لها : ياسيدتى ، أفتحسنين أن تغنى :

وأخضع للعُتْبَى إذا كنت ظالما ﴿ وإن ظلموا كنت الذى أتفضل

قالت : والله ما أعرف هذا ولكن غيره . فغنت :

فإنْ تقبلوا بالود أقبل بمثله ﴿ وأُنزِلكم منا بأكرم منزل

قال : فدفع الباب ودخل ، وأرسل غلامه يحمل إليه حوائجه ؛ وقال : لعن الله الأهل والولد والضّيعة !

خبر الذلفاء

قال أبو سويد : حدثنى أبو زيد الأسدى قال : دخلت على سليمان بن

عبد الملك بن مروان ، وهو جالس على دكان مباط بالرخام الأحمر ، مفروش بالديباج الأخضر ، فى وسط بستان ملتف ، قد أثمر وأينع ؛ وإذا بإزاء كل شِقّ من البستان ميدان بنبت الربيع قد أزهر وعلى رأسه وصائف . كلٌّ واحدة منهن أحسنُ من صاحبتها ؛ وقد غابت الشمس ، فنضرت الخضرة ، وأضعفت فى حسنها الزهرة ، وغنّت الأطيار فتجاوبت ، وسفت الرياح على الأشجار فتمايلت ؛ [وقد حَلِى البستانُ] بأنهار فيه قد شقّقت ، ومياه قد تدفقت : فقلت : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته .

وكان مطرقا ، فرفع رأسه وقال : أبا زيد ! فى مثل هذا الحين يصاب أحدٌ حيا ؟

قلت : أصلح الله الأمير ، أو قد قامت القيامة بعدُ !

قال : نعم ، على أهل المحبة سرًا والمراسلةُ بينهم خفية .

ثم أطرق مليا ، ثم رفع رأسه فقال : أبا زيد ، ما يطيب فى يومنا هذا ؟

قلت : أعز اللهُ الأمير ، قهوةٌ صفراء ، فى زجاجة بيضاء ، تناولها مقدودة هيفاء ، مضمومة لفّاء [مكحولةٌ] دعجاء ، أشربُها من كفها ، وأمسح فمى بفمها !

فأطرق سليمان مليا لا يُحير جوابا ، ينحدر من عينه عبراتٌ بلا شهيق ؛ فلما رأت الوصائفُ ذلك تنحيْنَ عنه ؛ ثم رفع رأسه فقال : أبا زيد ، حللتَ فى يوم فيه انقضاء أجلك ومنتهى مدتك وتصرُّمُ عمرك ! والله لأضربن عنقك أو لتخبرنى ما أثار هذه الصفة من قلبك .

قلت : نعم أصلح الله الأمير ؛ كنت جالسا عند باب أخيك سعيد بن عبد الملك ، فإذا أنا بجارية قد خرجت إلى باب القصر كالغزال انفلت من شبكة الصياد ؛ عليها قميص إسكندرانىّ يتبين منه بياضُ بدنها ، وتدويرُ سرّتها ، ونقش تكتها ؛ وفى رجليها نعلان حمراوان ، وقد أشرق بياضُ قدمها على حمرة نعليها ؛ مضمومة بفرد ذؤابة تضرب إلى حقويها وتسيل كالعثاكيل على منكبيها ، وطرّة قد أسبلت على مثنى جبينها ، وصدغان قد زينا كأنهما نونان على وجنتيها ، وحاجبان

قد قوسا على محجرى عينيها ، وعينان مملوءتان سحراً ، وأنف كأنه قصبةُ درّ ، وفم كأنه جُرْح يقطر دما ؛ وهى تقول : عباد الله ، مَن لى بدواء من لا يشتكى ، وعلاج من لا ينتمى ؟ طال الحجاب ، وأبطأ الجواب ؛ فالفؤاد طائر ، والقلب عازب ، والنفس والهة ، والفؤاد مختلَس ، والنوم محتبَس ؛ رحمة الله على قوم عاشوا تجلُّداً ، وماتوا تبلُّدا ؛ ولو كان إلى الصبر حيلةٌ وإلى العزاء سبيلٌ لكان أمرا جميلا !

ثم أطرقت طويلا ، ثم رفعت رأسها ؛ فقلت : أيتها الجارية ، إنسية أنت أم جنّية ؟ سمائية أم أرضية ؟ فقد أعجبنى ذكاء عقلك ، وأذهلنى حُسْنُ منطقك !

فسترتْ وجهها بكمها كأنها لم ترنى ، ثم قالت : أعذِر أيها المتكلم الأريب ، فما أوحش الساعة بلا مساعد ، والمقاساة لصبّ معاند ! ثم انصرفت ؛ فوالله — أصلح الله الأمير — ما أكلت طيبا إلا غُصِصْت به لذكرها ، ولا رأيت حسناً إلا سَمُج فى عينى لحسنها !

قال سليمان : أبا زيد ، كاد الجهل أن يستفزنى ، والصبا أن يعاودنى ، والحلم أن يعزب عنى ؛ لحسْن مارأيت ، وشجو ما سمعت ؛ تلك هى الذلفاء التى يقول فيها الشاعر :

إنما الذَّلفاء ياقوتةٌ * أُخرِجت من كِيس دهْقانِ

شراؤها على أخى ألفُ ألفِ درهم ، وهى عاشقة لمن باعها ، والله إنى من لا يموت إلا بحزنها ، ولا يدخل القبر إلا بغصّتها ، وفى الصبر سلوة ، وفى توقُّع الموت نُهية ؛ قم أبا زيد فاكتم المفاوضة ؛ ياغلام ، ثقّله ببدرة . فأخذتها وانصرفت .

قال أبو زيد : فلما أفضَت الخلافةُ إلى سليمان ، صارت الذلفاء إليه ، فأمر بفسطاط ، فأُخرج على دهناء الغوطة ، وضُرب فى روضة خضراء مونِقة زهراء ذات حدائق بهجة ، تحتها أنواع الزهر الغض ، من بين أصفر فاقع ، وأحمر ساطع ، وأبيض ناصع ؛ فهى كالثوب الحرمى وحواشى البُرد الأتحمىّ يثير منها

مرّ الرياح نسيما رُبى على رائحة العنبر ، وفتيت المسك الأذفر ، وكان له مغن ونديم وسمير ، يقال له سنان ، به يأنس ، وإليه يسكن ، فأمره أن يضرب فسطاطه بالقرب منه ، وقد كانت الذلفاء خرجت مع سليمان إلى ذلك المُتَنَزَّه ، فلم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان ، فى أكمل سرور ، وأتم حبور ، إلى أن انصرف مع الليل إلى فسطاطه ، فنزل به جماعة من إخوانه ، فقالوا له : قِرانا أصلحك الله ٥
قال : وما قراكم ؟ قالوا : أكل وشرب وسماع . قال : أما الأكل والشرب فمباحان لكم ، وأما السماع فقد عرفتم شدة غَيْرَة أمير المؤمنين ونهيه إياى عنه ، إلا ما كان فى مجلسه . قالوا : لا حاجة لنا بطعامك وشرابك وإن لم تُسمِعْنا . قال : فاختاروا صوتا واحدا أغنيكموه . قالوا : غنِّنا صوت كذا . قال : فرفع عقيرته ١٠ يتغنى بهذه الأبيات :

محجوبةٌ سمعَت صَوْتى فأرّقها * فى آخرِ الليْلِ لمّا ظلَّها السحَرُ
تثنى على الخدِّ منها من مُعصفَرَة * والحَلْىُ بادٍ على لبّاتها خضرُ
فى ليلةِ التِّمِّ لا يدرى مُضاجعُها * أوجهها عنده أبهى أم القمرُ
لم يحجُبِ الصَّوْت أحراسٌ ولا غلَقٌ * فدمْعُها لطَرُوق الصَّوْتِ مُنْحَدِرُ
لو خُلِّيَتْ لمَشَتْ نحوى على قدمٍ * يكاد من لينِه للمشْيِ ينفطِرُ ١٥

فسمعت الذلفاء صوت سنان ، فخرجت إلى وسط الفسطاط تستمع ؛ فجعلت لا تسمع شيئاً من [حُسْنِ] خَلق ولطافة قد ، إلا الذى وافق المعنى ؛ ومن نعت الليل واستماع الصوت ، إلا رأت ذلك كله فى نفسها ومهبها ، فحرك ذلك ساكناً فى قلبها ، فهملت عيناها ، وعلا نشيجها ، فانتبه سليمان فلم يجدها معه ، فخرج إلى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحال ، فقال لها : ما هذا ٢٠ يا ذلفاء ؟ فقالت :

ألا رُبَّ صوْتٍ رائعٍ من مُشوَّهٍ * قبيحِ المُحيَّا واضعِ الأبِ والجدِّ
يَروعُك منه صوْتُه ولعلَّهُ * إلى أمَةٍ يُعزَى معاً وإلى عبدِ

فقال سليمان : دعينى من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر ! يا غلام ،

على بسنان . فدعت الذلفاء خادما لها فقالت : إن سبقت رسولَ أمير المؤمنين إلى سنان ، فحذِّره ولك عشرة آلاف درهم وأنت حُر لوجه الله تعالى ! فخرج الرسول فسبق رسولُ سليمان ؛ فلما أُتى به قال : ياسنان ، ألم أنهك عن مثل هذا ؟ قال : ياأمير المؤمنين حملنى الثمل وأنا عبد أمير المؤمنين وغَذِىُّ نعمتِه : فإن رأى أمير المؤمنين أن لا يُضيع حظَّه من عبده فليفعل . قال : أما حظى ٥ منك فلن أُضيعه ، ولكن ويلك ! أما علمتَ أن الرجل إذا تغنى أصغت المرأةُ إليه ، وأن الحصان إذا صهل ودَقَّتْ له الفرس ، وأن الفحل إذا هدر صغت له الناقة ، وأن التيس إذا نبَّ استحرمت له الشاة ؟ وإياك والعَوْدَ إلى ماكان منك يطول غمُّك .

أبو السمراء وامرأة بالمدينة

قال إسحاق : حدثنى أبو السمراء قال : حججت فبدأت بالمدينة ، فإنى ١٠ لمنصرف من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا بامرأة بفناء المسجد تبيع من طرائف المدينة ، وإذا هى فى ناحية وحدها وعليها ثوبان خلقان ، وإذا هى ترجِّع بصوت خفى شجى ، فالتفتُّ فرأيتُها فوقفت ، فقالت : هل من حاجة ؟ قلت تزيدين فى السماع ! قالت : وأنت قائم ؟ لو قعدتَ ! فقعدت كالخَجِل ، فقالت : كيف عِلمُك بالغناء ؟ قلت : علمٌ لا أحمده ، قالت : فعلام ١٥ أنفخ بغير نار ؟ مامنعك من معرفته ؟ فوالله إنه لسَحُورى وفطورى ! قلت : وكيف وضعتِه بهذا الموضع العالى ؟ قالت : ياهذا ، وهل له موضع يوضع به وهو فى علوه فى السماء الشاهقة ؟ قلت : فكل هؤلاء النسوة اللاتى أرى على مثل رأيك وفى مثل حالك ؟ قالت ؟ : فيهن وفيهن ... ، ولى بينهن قصة . قلت : وماهى ؟ قالت : ٢٠

كنت أيامَ شبابى وأنا فى مثل هذه الخلقة التى ترى من القبح والدمامة ، وكنت أشتهى الجماع شهوة شديدة وكان زوجى شابًّا وضيئا ، وكان لاينتشر علىّ حتى أتحفه وأطيِّبه وأسكره ، فأضَرَّ ذلك بى ؛ وكان قد علقته امرأةُ قصّار تجاورنى ، فزاد ذلك فى غمى ؛ فشكوت إلى جارة لى ماأنا فيه ، وغلبةَ امرأةِ

القصار على زوجي ؛ فقالت : أدلُّك على ما ينهضه عليك ويرد قلبه إليك ! قلت : وا بأبي أنت ! إذاً تكونين أعظمَ الخلق مِنة عليّ . قالت : اختلفي إلى مجمع مولى الزبير ، فإنه حسن الغِناء ، فاعلَقي من غنائه أصواتا عشرة ، ثم غنّي بها زوجك ، فإنه سيجامعك بجوارحه كلها ! قالت : فالتطت بمجمعه ، فلم أفارقه حتى رضيني ٥ حَذَاقة ومعرفة ؛ فكنت إذا أقبل زوجي اضطجعت ورفعت عقيرتي ثم تغنيت ، فإذا غنيت صوتاً بت على نيِّف ، وإن غنيت صوتين بت على اثنين ، وإن غنيت ثلاثة فثلاثة .

فكنّا كندْمانَىْ جذيمةَ حِقْبةً * من الدهرِ حتى قيلَ لن يتصدّعا

قال : فضحكتُ والله حتى أمسكت على بطني ، وقلت : يا هذه ، ما أظن أنه ١٠ خُلق مثلك ! قالت : اخفض من صوتك ، قلت : ما كان أعظمَ مِنّةً من المشورة قالت : حسبك بها منة ، وحسبك بي شاكرة ، قلت : ففي قلبك من تلك الشهوة شيء ؟ قالت : لذعٌ في الفؤاد ، وأما تلك الغلمة التي كانت تنسيني الفريضة وتقطعني عن النافلة فقد ذهب تسعة أعشارها ! فوقفت عليها وقلت : ألك حاجة إن أزم حالك ؟ قالت : لا ، أنا في فائت من العيش ! فلما نهضت لأقوم قالت : على رِسْلك ، ١٥ لا تنصرف خائبا ! ثم ترنمت بصوت تخفيه من جارتها :

ولِي كبِدٌ مقْروحةٌ ، مَنْ يَبيعُني * بها كبِداً ليسَتْ بِذَاتِ قُروح

أبَى الناسُ كلُّ الناسِ لا يَشترونَها * ومن يَشترى ذا عِلّة بصحيح

ابن الجهم وقينة

أبو بكر بن جامع عن الحسين بن موسى ، قال : كتب على بن الجهم إلى قينة كان يتعشقها :

٢٠ خَفِي اللهَ فيمن قد تَبلّتَ فؤادَهُ * وتَيّمْتِه دهراً كأنّ به سِحْرا

دَعى الهجرَ لا أسمعْ به منكِ إنما * سأَلتُكِ أمراً ليس يُعرِى لكم ظَهرَا

فكتبت إليه : صدقت ، جعلت فداك ؛ ليس يُعرى لنا ظهرا ، ولكنه يملأ لنا بطنا !

أبو بكر الكاتب وقينة ابن حماد

وكان أبو بكر الكاتب مفتتنا بقينة محمد بن حماد ، فأهدى إليها مسكة ، فقال فيها بعض الكتاب :

أَهْدَى إليها قيصاً • يَنيكُها فيهِ غيْرُهْ
فللسعادةِ حِرُها • وللشقاوةِ أيْرُهْ

هاشمى وقينتان ومضحك

حدث أبو عبد الله بن عبد البر بمصر قال : حدثنى إسحاق بن إبراهيم عن ٥ الهيثم بن عدى قال : كان بالمدينة رجل من بنى هاشم ، وكان له قينتان ، يقال لإحداهما رشا ، وللأخرى جؤذر ؛ وكان يحب الغناء ، وكان بالمدينة مضحك لا يكاد يغيب عن مجلس أحد ؛ فأرسل الهاشمى إليه ذات يوم ليضحك به ، فلما أتاه قال : ما الفائدة فيك وفى لذتك ولا لذة لى ؟ قال له : وما لذتُك ؟ قال : تُحضِرُ لى نبيذا ، فإنه لا يطيب لى عيش إلا به . فأمر الهاشمى بإحضار نبيذ ، ١٠ وأمر أن يطرح فيه سكّر العُشَر ، فلما شربه المضحك تحرك عليه بطنُه ؛ وتناوم الهاشمى وغمز جواريه عليه ، فلما ضاق عليه الأمر واضطر إلى التبرُّز قال فى نفسه : ما أظن هاتين المغنيتين إلا يمانيتين . وأهل اليمن يسمون الكُنُفَ المراحيض فقال لهما : ياحبيبتىّ ، أين المرحاض ؟ قالت إحداهما لصاحبتها : ما يقول : قالت يقول : غنيانى : ١٥

رَحَضْت فؤادى فخلّيْتنى • أهيمُ من الحبّ فى كلّ واد

فاندفعتا تغنيانه ؛ فقال فى نفسه : ما أراهما فهمتا عنى ، أظنهما مكيّتيْن وأهل مكة يسمونها المخارج . قال : ياحبيبتى ، أين المخرج ؟ قالت إحداهما للأخرى : ما يقول ؟ قالت : يقول غنيانى :

خرجتُ بها من بطنِ مكةَ بعدَما • أصاتَ المنادى للصلاةِ فأعلَما ٢٠

فاندفعتا تغنيانه ؛ فقال فى نفسه : لم يفهما والله عنى ، أظنهما شاميتين ، وأهل الشام يسمونها المذاهب ؛ فقال لهما : ياحبيبتى ، أين المذهب ؟ قالت إحداهما لصاحبتها : ما يقول ؟ قالت : يقول : غنيانى :

ذَهَبْت من الهجرانِ فى غيرِ مَذْهَبِ • ولم يكُ حقا كلُّ هذا التَّجنُّبِ

فغنتاه الصوت ؛ فقال فى نفسه : لم يفهما عنى ، وما أظنهما إلا مدنيتين وأهل المدينة يسمونها بيت الخلاء ؛ فقال لهما : يا حبيبتىّ ، أين بيت الخلاء ؟ قالت إحداهما لصاحبتها : ما يقول ؟ قالت : يسأل أن نغنى :

خلِّى على جَوى الأحزانِ إذ ظَعنا * من بطنِ مكةَ والتسهيدَ والحزَنا

٥ قال : فغنتاه ؛ فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ما أحسب الفاسقتين إلا بصريتين وأهل البصرة يسمونها الحشوش ؛ فقال لهما : أين الحشّ ؟ فقالت إحداهما لصاحبتها ما يقول ؟ قالت : يسأل أن نغنيه :

فلقد أوحشَ الجهيدانِ منها * فمنــاها فالمنزِلُ المعمُورُ

فاندفعتا تغنيانه ؛ فقال : ما أراهما إلا كوفيتين . وأهل الكوفة يسمونها

١٠ الكنُف . قال : يا حبيبتى ، أين الكنيف ؟ قالت إحداهما لصاحبتها : يعيش سيدُنا ، هل رأيتِ أكثر اقتراحاً من هذا الرجل ؟ ما يقول ؟ قالت : يسأل أن نغنى :

تكنّفنى الهوى طِفْلا * فشيّبَنى وما اكتَهلا

قال : فغلبه بطنه ، وعلم أنهما تُولعان به ، والهاشمى يتقطع ضحكا ؛ فقال لهما :

١٥ كذبتما يا زانيتان ، ولكنى أُعلِمُكما ما هو . فرفع ثيابه فسلح عليهما ، وانتبه الهاشمى فقال له : سبحان الله ! أتسلح على وطائى ؟ قال : الذى خرج من بطنى أعزّ علىّ من وطائك ؛ إن هاتين الزانيتين إنما حسبتا أنى أسأل عن الحش للضراط ، فأعلمتهما ما هو .

قولهم فى العود

٢٠ قال يزيد بن عبد الملك يوماً وذُكر عنده البربط ، فقال : ليت شعرى ما هو ؟ فقال له عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : أنا أُخبرك ما هو : هو محدوب الظهر ، أرسح البطن ، له أربعة أوتار إذا حُرِّكت لم يسمعها أحد إلا حرّكَ أعطافه وهزّ رأسه !

يزيد وعبيد الله فى البربط

إسحاق وناحت عود

مرّ إسحاق بن إبراهيم الموصلى برجل ينحت عوداً . فقال : لمن تُرْهِفُ هذا السيف ؟

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى هذا المعنى :

يا مجلساً أَيْنَعَتْ منه أزاهِرُه * يُنْسيك أوّلَه فى الحُسْنِ آخِرُهُ

لم يدْرِ هل بات فيه ناعماً جَذِلا * أو بات فى جنةِ الفِردوْسِ سامِرُه ٥

فالعودُ يَخفق مَثنــاه ومَثْلثُه * والصُّبح قد غَرّدتْ فيه عصافِرُهُ

وللحجارةِ أهزاجٌ إذا نطَقتْ * أحيا بها الكَبْرةُ الحُنْىُ ناقِرُه

وحنّ بينهما الكَشْبانُ عن نغَمٍ * تُبدى عن الصبِّ ما تُخفِى ضمائرُه

كأنمــا العــودُ فيما بيننا مَلِكٌ * يمشى الهُوَيْنا وتتلوه عساكِرُه

كأنه إذ تَمطَّى وهْى تتبعُه * كسرى بن هُرْمُزَ تقفوهُ أساوِرُه ١٠

ذاك المَصون الذى لو كان مُبتذَلاً * ما كان يَكسِر بيْتَ الشِّعرِ كاسِرُه

صوت رشيقٌ وضرْبٌ لو يُراجِعُه * سَجْعُ القريضِ إذا ضَلّت أساطِرُه

لو كان زِرْيابُ حيًّا ثم أسمِعَه * لمات من حسَد إذ لا يُناظِره

لبعض الكتاب

وقال بعض الكُتّاب فى العود :

وناطقٍ بلسانٍ لا ضمير له * كأنه فَخِذٌ نِيطَتْ إلى قدَمِ ١٥

يُبدى ضميرَ سواه فى الكلام كما * يُبدى ضميرَ سواه منطقُ القلمِ

للحمدونى

وقال الحمدونى فيه :

وسَجَّعتْ رَجْع صوتٍ بين أربعةٍ * سرُّ الضمائرِ فيما بينها علَنُ

فوَلَّدَت للنّدامى بين نَغْمتِها * وكفِّها فرحا تفصيله حزَنُ

فما تلعْثَمَ عنها لفظُ مِزهَرِها * ولا تَحيّر فى ألحانها لحَنُ ٢٠

تهدِى إلى كلّ حرّ من طبائعِها * بَنانها نغَماً أثمارها فِتَن

وتَرتعى العين منها روْضَ وجنَتها * طَوراً وتَسرحُ فى ألفاظها الآذُن

لابن الحصين

وقال عكاشة بن الحصين :

من كَفِّ جاريةٍ كأنّ بنانَها * من فِضةٍ قد طُرِّفت عُنَّابا

وكأنّ يُمناها إذا ضَرَبتْ بها * تُلقِى على يدها الشمالِ حسابا

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى العود :

٥ يارُبَّ صوتٍ يصُوغُه عصَبٌ * نِيطتْ بساقٍ من فوقِها قدَمُ

جوْفاء مضمومة أصابعُها * مُسَكّناتٌ تحريكُها نغَمُ

أربعةٌ جُزِّئتْ لأربعـــةٍ * أجزاؤُها بالنُفوسِ تلتحم

أصغرُها فى القلوبِ أكبَرها * يَبعثُ منها الشّفاءُ والسقَم

إذا أرنَّت بغمْزِ لافِظِها * قلتَ حمامٌ يُجيبُهُنّ حَمُ

١٠ لهـا لسانٌ بكَفِّ ضاربها * يُعرِبُ عنهـــا ومالهنّ فم

قولهم فى المبرّدين فى الغناء

لأبى نواس

قال أبو نواس :

قل لزُهَيْرٍ إذا شـدَا وحَـدَا * أقْلل أوَ آكثِر فأنت مِهْذارُ

سَخنْتَ من شدّةِ البرودةِ حـــتى صرتَ عندى كأنك النار

١٥ وقال أيضاً :

لا يَعجَبِ السامِعون من صفَتى * كذلك الثلجُ باردٌ حارّ

وقال أيضاً :

قد نضِجْنا ونحن فى الجيشِ طُرًّا * أنضجَتْنا كواكبُ الجوْزاء

فأصِيبوا لنـا حُسيْنا ففيـــه * عِوَضٌ من جليدِ بردِ الشتاء

٢٠ لو يُغنّى وَفوهُ مَلآنُ خمرا * لم يَضِرْه من برد ذاك الغِناء

وله :

وكان أبو المُغَلس إذ يُغنّى * يُحاكى غاطساً فى عينِ شمسِ

يميلُ بشدْقِه طوْراً وطوْرا * كأنَّ بشدْقِه ضَرَبانَ ضِرْسِ

لدعبل وقال دعبل :

ومغنٍّ إن تغنَّى * أوْرث الندْمانَ همَّا
أحسنُ الأقوامِ حالا * فيه من كان أصمَّا

٥ للحمدونى وقال الحمدونى :

بينما نحن سالمون جميعا * إذ أتانا ابن سالمٍ مُختالا
فتغنَّى صوتا فكان خَطاء * ثم ثنَّى أيضاً فكان محالا
سألنا حاجةً على ما تغنى * فخلعْنا على قفاه النِّعالا !

للخياط ولعباس الخياط :

١٠ رأيتُ نصراً شادياً يَضرِبُ * فقمتُ من مجلسِنا أهرُب
لأنه يَنبَح من عودِه * عليك من أوتارِه أكلُبُ
كأنما تسمع فى حلْقِه * دجاجــةً يَخنقُها ثعلب
ما عجبى منه ولكننى * من الذى يسمعُه أعجب

لبعضهم وقال آخر :

١٥ ومُغنٍّ يَخزَى على جُلسائه * ضرَبَ اللّه شِدْقَه بغنائهْ

لمؤمن وقال مؤمن فى ربيع المغنى ، وكان يتغنى وينقر فى الدواة :

غناؤُك يا ربيع أشدُّ بردا * إذا حَمِيَ الهجيرُ من الصَّقيع
ونَقْرُك فى الدَّواةِ أشدُّ منه * فما يَصْبو إليك سوى رَقيع
أغثْنا فى المصيفِ إذا تلظَّى * ودَعْنا فى الشِّتاء وفى الربيع

باب من الرقائق

٢٠

وقد جُبِل أكثر الناس على سوء الاختيار ، وقلة التحصيل والنظر مع لؤم الغرائز ، وضعف الهمم . وقلَّ مَن يختار من الصنائع أرفعَها ، ويطلب من العلوم

أنفعها . ولذلك كان أثقل الأشياء عليهم وأبغضها إليهم مئونة التحفظ ، وأخفها عندهم وأسهلها عليهم إسقاط المروءة .

لبعضهم

وقيل لبعضهم : ما أحلى الأشياء كلها ؟ قال الارتكاس .

لابن جعفر

وقيل لعبد الله بن جعفر : ما أطيبُ العيش ؟ قال : هتك الحياء واتباع الهوى .

لابن العاص

٥ وقيل لعمرو بن العاص : ما أطيب العيش ؟ قال : ليقم مَن هنا مِن الأحداث قال : فلما قاموا ، قال : [أطيب] العيش كله إسقاط المروءة .

وأى شيء أثقل على النفس من مجاهدة الهوى ومكابدة الشهوة ؟ ومن ذلك كان سوء الاختيار أغلب على طبائع الناس من حسن الاختيار .

المبرد وكتابه الروضة

ألا ترى أن محمد بن يزيد النحوى — على علمه باللغة ومعرفته باللسان —
١٠ وضع كتابا سماه بالروضة ، وقصد فيه إلى أخبار الشعراء المحدثين ، فلم يختر لكل شاعر إلا أبرَدَ ما وجد له ، حتى انتهى إلى الحسن بن هانئ — وقلما يأتى له بيت ضعيف ، لرقة فطنته ، وسبوطة بنيته ، وعذوبة ألفاظه — فاستخرج له من البرد أبياتا ما سمعناها ولا رويناها ، ولا ندرى من أين وقع عليها ، وهى :

ألَا لا يَلمنى فى العُقارِ جليسِى * ولا يَلحَنى فى شُربِها بعُبُوسِ

١٥ تعشَّقَها قلبى فبَغَّضَ عشقَها * إلىّ من الأشياء كلَّ نفيسِ

وأين هذا الاختيار من اختيار عمرو بن بحر الجاحظ ، حين اجتلب ذكره فى كتاب الموالى ، فقال : ومن الموالى الحسن بن هانئ ، وهو من أقدر الناس على الشعر ، وأطبعهم فيه ؛ ومن قوله :

فجاء بها صفراء بِكْراً يزُفُّها * إلىّ عروساً ذات دَلّ مُعَتَّقِ

٢٠ فلما جَلتْها الكأس أبدَت لناظرى * محاسنَ ليثٍ بالجمالِ مطوَّق

ومن قوله :

ساعٍ بكأسٍ إلى ناسٍ على طرَبٍ * كِلاهما عجبٌ فى منظرٍ عجب

قامت تريك وشملُ الليلِ مُجتمعٌ * صُبحاً تولَّد بين الماء والعنب

كأنَّ صُغْرى وكُبْرَى من فقاقِعها * حَصْباءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذهبِ

وجُلّ أشعاره فى الخمريات بديعة لا نظير لهـا ، فخطرفها كلها وتخطاها إلى التى جانسته فى برْدِه ، فما أحسبه لحقه هذا الاسم « المبرّد » إلا لبرده ؛ وقد تخيّر لأبى العتاهية أشعاراً تقتل من بردها ، وشنّفها وقرطها بكلامه ، فقال : ومن شعر أبى العتاهية المستظرف عند الظرفاء ، المتخيَّر عند الخلفاء ، قوله : ٥

يا قُرّة العينِ كيف أمسَيْتِ * أعْزِزْ علينا بما تشكَّيْتِ

وقوله :

آهِ من وجدى وكَرْبى * آه من لوعةِ حُبى

ما أشدّ الحُبَّ ياسُبحانكَ اللهُمّ ربّى !

من سوء الاختيار

ونظير هذا من سوء الاختيار ، ما تخيَّره أهلُ الحذق بالغناء والصانعون للألحان من الشعر القديم والحديث ؛ فإنهم تركوا منه الذى هو أرق من المـاء ، وأصفى من الهواء ؛ وكلّ مدنى رقيق ، قد غذى بماء العقيق ، وغنّوا بقول الشاعر : ١٠

فلا أنسَى حياتى ما * عبدْتُ الله لى ربا

وقلتُ لهـا أنيلينى * فقالت تعرِفُ الذّنبا ! ١٥

ولو تعلمُ بمابىَ لم * تَرَ الذنبَ ولا العتْبا

وأقلُّ ما كان يجب فى هذا الشعر ، أن يُضْرَب قائلُه خمسمائة ، وصانعه أربعمائة ، والمغنّى به ثلثمائة ، والمصغى إليه مائتين ! ومثله :

كأنها الشمسُ إذا ما بدَتْ * تلكَ التى قلبى لهـا يضرِب

تلك سُلَيماىَ إذا ما بدَت * ومَن أنا فى وُدّها أرغَب ٢٠

كأنّ فى النفسِ لها ساحِراً * ذاك الذى علمهُ المذْهَب

يعنى المذهب الحبى ومثله :

يا خليلَىْ ، أنتُما عَللانى * بين كرْمٍ مُزْهِرٍ وجِنانِ

خبّرانى أينَ حلت مُنايا * يا عبادَ اللهِ لا تكتُمانى
إنما حلت بوادٍ خصيب * يُنبِتُ الورْسَ مع الزعفرانِ
حلَفا باللهِ لو وَجدانى * غرقاً فى البحرِ ما أنقذانى

ومثله :

أبصَرْتُ سلمَى من مِنًى * يوما فراجَعْت الصِّبا
٥ يا دُرّةَ البحرِ متَى * تشهد سُوقا يُشترى

ومثله :

يا معشَر الناسِ هذا * أمْرٌ وربِّى شديدُ
لا تعْنِنى يا فُلانهْ * فإنّنى لا أريدُ

١٠ ومثله :

أرِقتُ فأَمْسَيْت لا أرقُدُ * وقد شفَّنى البيضُ والخُرَّدُ
فصِرْتُ لظَبْىِ بنى هاشِم * كأنىَ مُكْتَحِلٌ أرمَدُ
أُقلِّبُ أمرِى لَدَى فِكْرتى * وأهبِطُ طوْراً فما أصعَدُ
وأصعدُ طوْراً ولا عِلْم لى * على أنى قبلَكمْ أرْشَدُ

١٥ ومثله :

ما أُرجِّى من حبيبٍ * ضَنَّ عنى بالمِدادِ
لو بكفَّيْهِ سحابٌ * ما ارْتَوتْ منه بلادى
أنا فى وادٍ ويُمسِى * هو لى فى غيْرِ وادِ
ليْتَهُ إذ لم يَجُدْ لى * بالهوَى ردَّ فؤادى

٢٠ ومثله :

ما لِسَلمى تجنّبَتْ * ما لها اليومَ ما لها
إن تكنْ قد تغضّبَتْ * أصلَح اللهُ حالَها

باب من رقائق الغناء

لإسحاق في شعر الراعي

قال الزبير بن بكار : سألت إسحاق : هل تغنى من شعر الراعى شيئاً ؟ قال : وأين أنت من قوله :

فلم أر مظلوماً على حالِ عِزَّةٍ * أقلَّ انتصارًا باللسانِ وباليَدِ
سِوَى ناظِرٍ ساجٍ بعينٍ مريضةٍ * جرَتْ عَبْرةٌ منها ففاضت بإثمدِ ٥

لابن الدمينة

ومن شعر ابن الدمينة ، وهو عبد الله بن عبيد الله ، والدمينة أمُّه ، وهو من أرق شعراء المدينة بعد كثيِّر عزة وقيس بن الخطيم :

بنفسى وأهلى مَن إذا عرَضُوا له * ببعضِ الأذى لم يدْرِ كيف يُجيبُ
ولم يعتَذِر عُذْر البرىء ولم تَزلْ * له بهْتَـــةٌ حتى يُقال مُريب
جرَى السَّيْلُ فاستبْكانىَ السَّيْلُ إذ جرَى * وفاضت له من مُقْلَتَىَّ غُروبُ ١٠
وما ذاكَ إلّا أن تيَقَّنْتُ أنهُ * يَمُرُّ بوادٍ أنت منـــهُ قريبُ
يكونُ أجاجاً قبلَكمْ فإذا انتهى * إليكمْ تلقَّى طِيبَكم فيطيبُ
أيا ساكِنىْ شرْقىَّ دِجْـــلَة كُلُّكم * إلى القلب من أجلِ الحبيبِ حبيبُ !

لابن الطثرية

ومن قول يزيد بن الطثرية ، وغنى به ابن صياد المدنى وغيره :

بنفسى مَن لو مَرَّ بردُ بنانِه * على كبدى كانت شِفاءً أناملُهْ ١٥
ومن هابَنِى فى كل شىءٍ وهِبْتُه * فلا هو يُعطينى ولا أنا سائلُهْ

لجرير

ومما يغنى به من قول جرير :

أتذكُرُ إذ تودِّعُنا سُلَيْمَى * بعودِ بشامَةٍ ؟ سُقِىَ البَشامُ !
بنفسى مَن تَجنُّبه عزيزٌ * علىّ ومَن زِيارتُه لمَامُ
ومن أُمسِى وأُصبحُ لا أراهُ * ويطْرُقُنى إذا هَجعَ النِّيــامُ ٢٠
متى كان الخيامُ بذى طُلوحٍ * سُقيتِ الغيْث أيَّتُها الخيامُ

نومه الضحى

ومما غنى به نوَمَة الضحى :

يا مُوقِدَ النارِ قد أعْيَتْ قوادِحُهُ * اقبِسْ إذا شئتَ من قلبى بمقباسِ

ما أوحشَ الناسَ فى عينى وأقبحَهم * إذا نظرتُ فلم أُبصِرْكَ فى الناسِ

من شعر ذى الرمة

ومما يغنّى به من شعر ذى الرُّمة ، وهو من أرق شعر يُغنى به ، قوله :

لئن كانتِ الدنيا علىّ كما أرى * تباريحَ من ذِكراك فالموتُ أروَحُ

معبد وشعر الأحوص

وأكثر ما كان يغنى به معبدٌ بشعر الأحوص ، ومن جيد ما غنّى به له قوله :

٥ كأنّى من تذكّرِ أمِّ حفصٍ * وحبلُ وِصالِها خلَقٌ رِمامُ

صريعُ مُدامَة غلَبتْ عليه * تموتُ لها المفاصِلُ والعِظام

سلامُ اللهِ يا مَطَرٌ عليها * وليس عليكَ يا مَطرُ السّلام

فإن يكُنِ النكاحُ أحلَ شىءٍ * فإنّ نكاحَها مطراً حرامُ

من شعر المتوكل الهشلى

ومن شعر المتوكل بن عبد الله بن نهشل ، وكان كوفيا فى عصر معاوية ،

١٠ وهو القائل :

* لا تنْهَ عن خُلُقٍ وتأْتىَ مثلَه *

قِفى قبل التّفرُّقِ يا أُماما * ورُدّى قبل بينِكمُ السّلاما

تَرجّيها وقد شَطتْ نَواها * ومَنّتْكَ المنى عاماً فعاما

فلا وأبيكِ لا أنساكِ حتى * تُجاوبَ هامتى فى القبرِ هاما

من شعر ابن الرقاع

١٥ ومما يغنّى به من شعر عدى بن الرقاع :

تُزجى أغَنّ كأنّ إبرةَ روقِهِ * قلمٌ أصابَ من الدواةِ مِدادَها

ولقد أصبتُ من المعيشةِ لذةً * ولقيتُ من شظَفِ الخطوبِ شِدادها

وعلِمتُ حتى ما أُسائلُ عالماً * عن حَرف واحدةٍ لكىْ أزدادَها

كتاب المرجانة الثانية

في النساء وصفاتهن

لابن عبد ربه — قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله : قد مضى قولنا في الغناء واختلاف الناس فيه .

ونحن قائلون بعون الله تعالى وتوفيقه في النساء وصفاتهن ، وما يُحمد ويذم من عشرتهن ؛ إذ كان كله مقصوراً على الحليلة الصالحة والزوجة الموافقة ؛ والبلاء كله موكل بالقرينة السوء ، التي لا تسكن النفْسُ إلى كريم عِشرتها ، ولا تقرُّ العين برؤيتها .

لعروة بن الزبير — قال الأصمعي : حدثني ابن أبي الزناد عن عروة بن الزبير قال : مارفع أحدٌ نفسه بعد الإيمان بالله بمثل مَنكح صِدْقٍ ، ولا وضع أحدٌ نفسه بعد الكفر بالله بمثل منكح سوءٍ ! ثم قال : لعن الله فلانة ألفت بني فلانٍ بيضاً طوالا ، فقلبتهم سوداً قصاراً .

لسليمان عليه السلام — وفي حكمة سليمان بن داود عليهما السلام : المرأةُ العاقلة تَبني بيتها ، والسفيهةُ تَهدِمُه .

وقال : الجمال كاذب ، والحسن مخلِف ؛ وإنما تستحق المدحَ المرأةُ الموافقة .

الرسول صلى الله عليه وسلم وعكاف — مكحول ، عن عطية بن بشر ، عن عكّاف بن وداعة الهلاليّ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : ياعكاف ، ألك امرأة ؟ قال : لا ! قال : فأنت إذاً من إخوان الشياطين ! إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم ، وإن كنت منا فانكح ، فإن من سُنّتنا النكاح .

وقالت عائشة : النكاح رقٌّ ؛ فلينظر أحدُكم عند من يُرِقُّ كريمته .

النبي صلى الله عليه وسلم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُوصيكم بالنساء ، فإنهنّ عندكم عَوان. يعنى أسيرات .

قولهم فى المناكح

صعصعة وابن الظرب

خطب صعصعة بن معاوية إلى عامر بن الظَّرب حكيمِ العرب ابنتَه عمرة ـ وهى أم عامر بن صعصعة ـ فقال : يا صعصعة ، إنك أتيتنى تشترى منى كَبِدِى ، فارحَمْ ولَدِى ، قبلتُك أو رددتُك ، والحسيب كفء الحسيب ، والزوج الصالح أبٌ بعدَ أب ، وقد أنكحتُك خشيةَ أن لا أجد مثلك ؛ أفِرّ من السرِّ إلى العلانية ... يا معشر عدوان ، خرجَتْ بينِ أظهُركم كريمتُكم ، من غير رغبةٍ ولا رَهْبة ، وأُقسم لولا قَسْمُ الحظوظ على [قدر] الجدود ماترك الأولُ للآخر ما يعيش به .

ابن حجر وابن محلم

العباس بن خالد السهمى قال : خطب عمرو بن حُجر إلى عوف بن محلم الشيبانى ابنتَه أمَّ إياس ، فقال : نعم ، أزوّجُكها ، على أن أُسمِّيَ بنيها وأزوّج بناتها . فقال عمرو بن حجر : أما بنونا فنسميهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا ، وأما بناتنا فنُنكحهن أكفاءهن من الملوك ، ولكنى أُصدِقُها عقارا فى كندة ، وأمنحها حاجات قومها ، لاتردّ لأحد منهم حاجة ! فقبل ذلك منه أبوها ، وأنكحه إياها ؛ فلما كان بناؤه بها خلت بها أمها فقالت :

أى بنية ، إنك فارقتِ بيتَك الذى منه خرجتِ ، وعُشَّك الذى فيه دَرَجتِ ، إلى رجل لم تعرفيه ، وقرينٍ لم تألفيه ، فكونى له أمة يكن لكِ عبدا ، واحفظى له خصالا عشرا تكن لك ذُخراً : أما الأولى والثانية ، فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة ؛ وأما الثالثة والرابعة ، فالتفقد لموضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيبَ ريح ؛ وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن حَرارةَ الجوع مَلْهبة ، وتنغيصَ النوم مَغضبة ؛ وأما السابعة والثامنة ، فالاحتفاظ بماله ، والإرعاء على حشمه وعياله ، وملاكُ

الأمر فى المال حُسْنُ التقدير ، وفى العيال حُسْنُ التدبير ؛ وأما التاسعة والعاشرة فلا تَعصنّ له أمراً ، ولا تُفشِينّ له سرًّا ؛ فإنكِ إن خالفتِ أمرَه أوغَرتِ صدره ، وإن أفشيت سرَّه لم تأمنى غدره ؛ ثم إياكِ والفرحَ بين يديه إذا كان مهتمًّا ، والكآبةَ بين يديه إذا كان فرحا .

فولدت له الحارث بن عمرو ، جدَّ امرئ القيس الشاعر . ٥

زرارة ولقيط وابنة ذى الجدين

الشيبانى قال : حدثنا بعض أصحابنا ، أن زرارة بن عدس نظر إلى ابنه لقيط فقال : مالى أراك مختالا ؟ كأنك جئتنى بابنة ذى الجدين أو مائة من هجائن النعمان ! فقال : والله لا يمسُّ رأسى دهنٌ حتى آتيك بهما أو أُبلى عذراً ! فانطلق حتى أتى ذا الجدين ـ وهو قيس بن مسعود الشيبانى ـ فوجده جالساً فى نادى قومه من شيبان ، فخطب إليه ابنتَه علانية ؛ فقال له : هلا ناجيتنى ؟ قال : علمت أنى إن ١٠ ناجيتك لم أخدعْك ، وإن عالنتُك لم أفضَحْك ! قال : ومن أنت ؟ قال : لقيط ابن زرارة ، قال : لا جرم ، لا تبيتن فينا عَزَباً ولا محروماً ! فزوّجه وساق عنه المَهْر ، وبنى بها من ليلته تلك .

ثم خرج إلى النعمان ، فجاء بمائتين من هجائنه ؛ وأقبل إلى أبيه وقد وفى نذره فبعث إليه قيس بن مسعود بابنته مع ولده بسطام بن قيس ؛ فخرج لقيط يتلقاها ١٥ فى الطريق ومعه ابن عم له [1] يقال له قراد ، فقال لقيط :

هاجت عليكَ ديارُ الحىِّ أشجانا * وآستقبلوا من نوى الجيرانِ قُربانا

تامتْ فؤادَك لم تَقْضِ التى وعدَتْ * إحدى نساء بنى ذُهل بنِ شَيبانا

فانظرْ قرادُ وهل فى نظرةٍ جزَعٌ * عرضَ الشقائقِ؛ هل بيَّنتَ أظعانا

فيهنّ جارية تَنْضحُ العبيرِ بهـا * تُكسى ترائبهـا دُرًّا ومَرجانا ٢٠

كيف اهْتديْت ولا نَجمٌ ولا علمٌ * وكنت عِندى نَئومَ الليلِ وسْنانا

ولما رحل بها بسطام بن قيس ، قالت : مُرُّوا بى على أبى أودعه ! فلما ودعته

(١) فى رواية الأغانى « ابن خاله » .

قال لها : يا بنية ، كونى له أمة يكن لك عبداً وليكن أطيب طيبك الماء ، ثم لا أذكرتِ ولا أيسرتِ ؛ فإنك تلدين الأعداء ، وتُقرِّبين البُعَداء ! إن زوجك فارس من فرسان مضر ، [وإنه يوشك أن يُقتَل أو يموت] ؛ فإذا كان ذلك فلا تخمشى [عليه] وجها ، ولا تحلقى شعراً .

٥ فلما قتل لقيط تحملت إلى أهلها ، ثم مالت إلى محلّة عبد الله بن دارم فقالت : نعم الأحماء كنتم يا بنى دارم ، وأنا أوصيكم بالغرائب خيرا ، فلم أر مثل لقيط .

ثم لحقت بقومها ، فتزوجها ابن عمٍّ لها ، فكانت لا تسلو عن ذكر لقيط ، فقال لها زوجها : أى يوم رأيت فيه لقيطا أحسن فى عينك ؟ قالت : خرج ١٠ يوما يصطاد ، فطرد البقر فصرع منها ، ثم أتانى مختضبا بالدماء ، فضمنى ضمة ، ولثمنى لثمة ، فليتنى مت ثَمَّة ! فخرج زوجُها ففعل مثل ذلك ، ثم أتاها ، فضمها ، ولثمها ، ثم قال لها : من أحسن ، أنا أم لقيط عندك ؟ قالت : مرعى ولا كالسعدان .

قيس بن زهير والنمر

أبو الفضل عن بعض رجاله ، قال : قدم قيس بن زهير — بعد ما قتل أهل ١٥ الهباءة — على النمر بن قاسط ، فقال :

يا معشر النمر ، نزعت إليكم غريبا حزينا ، فانظروا لى امرأة أزوجها . قد أذلها الفقر ، وأدبها الغنى ، لها حسب وجمال .

فزوجوه على هيئة ما طلب ، فقال : إنى لا أقيم فيكم حتى أعلمكم أخلاقى : إنى غيور فخور أنوف ؛ ولكنى لا أغار حتى أرى ، ولا أفخر حتى أفعل ، ٢٠ ولا آنف حتى أظلَم .

فأقام فيهم حتى وُلد له غلامٌ سماه خليفة ، ثم بدا له أن يرتحل عنهم ، فجمعهم ثم قال :

يا معشر النمر ، إن لكم علىّ حقا ، وأنا أريد أن أوصيكم ، فآمُرَكم بخصالٍ ،

وأنهاكم عن خصال : عليكم بالأناة ، فإن بها تنال الفرصة ؛ وسوّدوا من لا تعابون بسؤدَدِه ؛ وعليكم بالوفاء ، فإن به يعيش الناس ؛ وبإعطاء ما تريدون إعطاءه قبل المسألة ؛ ومنع ما تريدون منعه قبل القسم ؛ وإجارة الجار على الدهر ؛ وتنفيس المنازل ؛ [عن بيوت اليتامى ، وخلْط الضيف بالعيال] وأنهاكم عن الرهان ، فإني به ثكِلت مالكا . وأنهاكم عن البغى ، فإنه صرع زهيرا . وعن السرف فى الدماء ، فإن يوم الهباءة أورثنى الذلّ ، ولا تُعْطوا فى الفضول فتعجزوا عن الحقوق ولا تَرُدوا الأكفاء عن النساء فتُحْوِجوهُنّ إلى البلاء ؛ فإن لم تجدوا الأكفاء فخير أزواجهن القبور ؛ واعلموا أنى أصبحت ظالما مظلوما : ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالكا ، وظَلَمت بقتلى من لا ذنب له .

الفاكه وزوجته هند فى ريبة

كان الفاكه بن المغيرة المخزومى أحد فتيان قريش ، وكان قد تزوج هند ابنة عتبة ، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس فيه بلا إذن ؛ فقال يوما فى ذلك البيت وهند معه ؛ ثم خرج عنها وتركها نائمة ، فجاء بعض من كان يغشى البيت . فلما وجد المرأة نائمة ولّى عنها ، فاستقبله الفاكه بن المغيرة ، فدخل على هند وأنبها ، وقال : من هذا الخارج من عندك ؟ قالت : والله ماانتبهت حتى أنبَهْتنى ، ومارأيت أحدا قط . قال : الحق بأبيك ! وخاض الناس فى أمرها ، فقال لها أبوها : يا بنية العار وإن كان كذبا ، أبِثّينى شأنَك ، فإن كان الرجل صادقاً دسَسْت عليه من يقتله فيقطع عنك العار ، وإن كان كاذباً حاكمته إلى بعض كهان اليمن . قالت : والله يا أبت إنه لكاذب ! فخرج عتبة فقال : إنك رميْت ابنتى بشىء عظيم ، فإما أن تبيِّن ما قلت ، وإلا فحاكِمْنى إلى بعض كهان اليمن . قال : ذلك لك . فخرج الفاكه فى جماعة من رجال قريش ، ونسوة من بنى مخزوم . وخرج عتبة فى رجال ونسوة من بنى عبد مناف .

فلما شارفوا بلاد الكاهن تغيّر وجه هند ، وكَسَف بالُها . فقال لها أبوها : أى بنية ، ألّا كان هذا قبل أن يشتهر فى الناس خروجنا ؟ قالت : يا أبت ، والله ما ذلك لمكروه قِبَلى ، ولكنكم تأتون بَشرا يخطئ ويصيب ، ولعله أن

يَسِمْنى بسِمَة تبقى على ألسنة العرب . فقال لها أبوها : صدقت . ولـكنى سأخبره لك
فصفَّر بفرسه ، فلما أدلى عمد إلى حبة بر فأدخلها فى إحليله ، ثم أوكى عليها وسار .
فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم ، فقال له عتبة : إنا أتيناك فى أمر . وقد
خبأنا لك خبيئة ، فما هى ؟ قال : بُرّةٌ فى كمرة . قال : أريد أبْيَن من هذا . قال :
٥ حبةُ بُر فى إحليل مهر . قال : صدقت . فانظر فى أمر هؤلاء النسوة . فجعل يمسح
رأس كل واحدة منهن ، ويقول : قومى لشأنك ! حتى إذا بلغ إلى هند مسح يده
على رأسها ، وقال : قومى غير رقْحاء ولا زانية ، وستلدين ملكا يسمى معاوية .

فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها ، فنثرت يده من يدها ، وقالت [إليك
عنى !] والله لأحرِصَنّ أن يكون ذلك الولد من غيرك ! فتزوجها أبو سفيان ،
١٠ فولدت له معاوية .

هند وزواجها من أبى سفيان

وذكروا أن هند بنت عتبة بن ربيعة قالت لأبيها : ياأبت : إنك زوجتنى من
هذا الرجل ولم تؤامرْنى فى نفسى ، فعرّض لى معه ما عرّض ؛ فلا تزوِّجْنى من
أحد حتى تعرض علىّ أمره ، وتبيِّن لى خصاله ، فخطبها سهيل بن عمرو ،
وأبو سفيان بن حرب . فدخل عليها أبوها وهو يقول :

١٥ أتاكِ سُهيْلٌ وابنُ حربٍ وفيهما ٭ رضاً لك ياهِندَ الهنود ومَقنعُ
وما منهما إلا يُعاشُ بفضلِه ٭ وما منهما إلا يضُرُّ وينفع
وما منهما إلا كريم مُرَزَّأٌ ٭ وما منهما إلا أغرُّ سَمَيْدَع
فدونَكِ فاختارى فأنت بصيرةٌ ٭ ولا تُخدَعى إن المُخادعَ يخدع

قالت : ياأبت ، والله ما أصنع بهذا شيئا ، ولـكن فسِّرْ لى أمرهما وبيِّنْ لى
٢٠ خصالهما ، حتى أختار لنفسى أشدّهما موافقة لى . فبدأ بذكر سهيل بن عمرو ،
فقال : أما أحدهما ففى ثروة واسعة من العيش ، إن تابعتيه تابعك ، وإن مِلْتِ
عنه حطّ إليك ، تحكمين عليه فى أهله وماله . وأما الآخر فموسّع عليه ، منظور
إليه ، فى الحسب الحسيب ، والرأى الأريب ، مِدْرَهُ أرُومته ، وعزُّ عشيرته ،
شديد الغيرة ، كثير الطِّهْرة ، لا ينام على ضَعَة ، ولا يرفع عصاه عن أهله .

فقالت : يا أبت ، الأوّل سيدٌ مِضياعٌ للحرّة ، فما عست أن تلين بعد إبائها، وتضيع تحت جناحه ، إذا تابعها بعلُها فأشرت ، وخافها أهلُها فأمنت ، فساء عند ذلك حالها ، وقبح عند ذلك دلالها ، فإن جاءت بولد أحمقت ، وإن أنجبَتْ فمن خطأ ما أنجبتْ ؛ فاطوِ ذِكْرَ هذا عنى ، ولا تسمّه علىّ بعدُ . وأما الآخر فبعل الفتاة الخريدة ، الحرّة العفيفة ، وإنى للتى لا أريب له عشيرة فتُعيره ، ولا تصيِّره بذُعْر فتضيره ، وإنى لأخلاق مثل هذا لموافِقة ، فزوِّجنيه .

فزوجها من أبى سفيان ، فولدت له معاوية ، وقبله يزيد؛ فقال فى ذلك سهيلُ ابنُ عمرو :

نُبِّئْت هِنداً تَبَّرَ اللهُ سعْيها * تأَبّت وقالت وصفُ أهْوجَ مائقِ

وما هَوَجى باهِنْـــدُ إلا سجيّةٌ * أُجرُّ لها ذيلى بحُسْنِ الخلائقِ

ولو شئْتُ خادَعْتُ الفتىَ عن قلوصِه * ولاطَمت بالبطْحاء فى كل شارِقِ

ولكننى أكْرَمْت نفسى تكرُّماً * ودافعْت عنها الذَّمّ عند الخلائقِ

وإنى إذا ما حُرّةٌ ساء خُلْقُها * صبَرْتُ عليها صبْرَ آخر عاشقِ

فإن هى قالت خلِّ عنى تركتُها * وأقلِلْ بتركِ من حبيبٍ مُفارقِ

فإن سامحونى قلْتُ أمرى إليكمُ * وإن أبعدونى كنتُ فى رأسِ حالقِ

فلم تنكِحى ياهِنْدُ مِثْلِى وإنَّنى * لِمَنْ لم يَمِقْنى فاعلَمى غيرُ وامِقِ

فبلغ أبا سفيان ، فقال : والله لو أعلم شيئا يُرْضِى أبا زيد سوى طلاق هند لفعلتُه ! وألح سهيلٌ فى تنقيص أبى سفيان ، فقال أبو سفيان :

رأيتُ سُهَيْلًا قد تفاوتَ شأوُهُ * وفرّط فى العلْياء كلَّ عِنانِ

وأصبحَ يسْمُو للمعـــالى وإنه * لَذُو جَفْنةٍ مغْشيّةٍ وقِيانِ

وشَرْبُ كرامٍ من لُؤَىّ بن غالبٍ * عراضِ المساعِى عرْضة الحدَثانِ

ولكنّه يوماً إذا الحربُ شَمّرَتْ * وأبرزَ فيها وجهُ كلِّ حِصانِ

تَطأْطأَ فيها ما استطاع بنفسِهِ * وقَنّعَ فيها رأسهُ ودعانى

فأكفيهما لا يُستطاعُ دفاعُهُ * وألقَيْتُ فيها كَلْكَلى وجِرانى

سهيل وابن له

قال: وتزوج سهيل بن عمرو امرأة، فولدت له ولداً؛ فبينا هو سائر معه إذ نظر إلى رجل يركب ناقة ويقود شاة، فقال لأبيه: يا أبت، هذه ابنةُ هذه! يريد الشاة ابنة الناقة! فقال أبوه: يرحم الله هذا! يعنى ما كان من ٥ فِرَاستِها فيه.

الرسول صلى الله عليه وسلم وأم هانئ

وعن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: يارسول الله، لو تزوجتَ أم هانئ بنت أبى طالب، فقد جعل الله لها قرابة، فتكون صهرا أيضا! فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: والله لهو أحبُّ إلىّ من سمعى وبصرى ولكن حقه عظيم، وأنا موتِمة؛ فإن قمتُ بحقه خفتُ أن أُضيّعَ أيتامى، وإن ١٠ قمتُ بأمرهم قصَّرْتُ عن حقه! فقال النبى صلى الله عليه وسلم: خيرُ نساء ركِبْن الإبل نساء قريش، أحناها على ولد فى صغره وأرعاها على بعل فى ذات يده، ولو علمتُ أن مريم ابنةَ عمران ركِبَتْ جملا لاستثنيتُها.

زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من حفصة

ولما تُوُفيت رُقَيَّةُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان بن عفان، عرض عليه عمرُ ابنتَه حفصة؛ فسكت عنه عثمان — وقد كان بلغه أن رسول الله ١٥ صلى الله عليه وسلم يريد أن يزوِّجه ابنتَه الأخرى — فشكا عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سكوتَ عثمان عنه؛ فقال له: سيزوِّج الله ابنتَك خيرا من عثمان، ويزوّج عثمان خيراً من ابنتك! فتزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حفصة، وتزوّج عثمانُ ابنته.

خطبته صلى الله عليه وسلم لخديجة

ولما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن عبد العزى، ٢٠ ذكرت ذلك لورقة بن نوفل — وهو ابن عمها — فقال: هو الفحل لا يُقْدَعُ أنفُه، تزوّجيه.

وخطب عمر بنُ الخطاب أمَّ كلثوم بنت أبى بكر، وهى صغيرة، فأرسل [عمرُ] إلى عائشة، فقالت: الأمر إليك. فلما ذكرت ذلك عائشة لأم كلثوم، قالت: لا حاجة لى فيه! فقالت عائشة: أترغَبين عن أمير المؤمنين؟ قالت: نعم

إنه خَشِنُ العيش ، شديدٌ على النساء! فأرسلت عائشة إلى المغيرة ابن شعبة فأخبرته فقال لها : أنا أكفيك ! فأتى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، بلغنى عنك أمرٌ أُعيذك بالله منه ! قال : ماهو ؟ قال : بلغنى أنك خطبت أمّ كلثوم بنت أبى بكر. قال : نعم ، أفرغبت بها عنى ، أم رغبت بى عنها ؟ قال : لا واحدة منهما ، ولكنها حدثة نشأت تحت كنف خليفة رسول الله فى لين ورفق ، وفيك غلظة ، ونحن نهابك وما نقدر أن نردّك عن خُلُق من أخلاقك ؛ فكيف بها ؟ إن خالفَتْك فى شىء فسطوت بها كنت قد خلفت أبا بكر فى ولده بغير ما يحق عليك ! فقال : كيف لى بعائشة وقد كلمتُها ؟ قال : أنا لك بها ؛ وأدلك على خير لك منها ، أمّ كلثوم بنت علىّ من فاطمة بنت رسول الله ؛ تتعلق منها بسبب من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

على وعمر فى أم كلثوم

وكان علىٌّ قد عزل بناته لولد جعفر بن أبى طالب ؛ فلقيه عمر فقال : يا أبا الحسن ، أنكحنى ابنتك أم كلثوم ابنة فاطمة بنتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : قد حبستُها لابن جعفر ! قال : إنه والله ما على الأرض أحد يُرضيك من حسن صحبتها بما أُرضيك به ؛ فأنكحْنى يا أبا الحسن . قال : قد أنكحتكها يا أمير المؤمنين !

فأقبل عمر فجلس فى الروضة بين القبر والمنبر ، واجتمع إليه المهاجرون والأنصار ؛ فقال : زفّونى ! قالوا : بمن يا أمير المؤمنين ؟ قال : بأمّ كلثوم ؛ فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «كلُّ سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى» ! وقد تقدمت لى صحبةٌ ، فأحببت أن يكون لى معها سبب .

فولدت له أمُّ كلثوم زيدَ بن عمر ، ورقية بنت عمر ؛ وزيدُ بن عمر هو الذى لطم سمرة بن جندب عند معاوية إذ تنقّص عليا فيما يقال .

سلمان وعمر فى ابنته

وخطب سلمان الفارسى إلى عمر ابنته ، فوعده بها ؛ فشق ذلك على عبد الله ابن عمر ، فلقى عمرَو بن العاص فشكا ذلك إليه ؛ فقال له : سأكفيكه ! فلقى سلمان فقال له : هنيئاً لك يا أبا عبد الله ، أمير المؤمنين يتواضع لله عز وجل فى تزويجك

ابنتَه ! فغضب سلمان وقال : لا ، والله لا تزوجت إليه أبدا .

زواج بلال وأخيه

وخرج بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخيه ، إلى قوم من بنى ليث ، يخطب إليهم لنفسه ولأخيه . فقال : أنا بلال وهذا أخى ، كنا ضالّين فهدانا الله ، وكنا عبدين فأعتقنا الله ، وكنا فقيرين فأغنانا الله ؛ فإن تزوِّجونا فالحمد لله ، وإن تردُّونا فالمستعان الله ! قالوا : نعم وكرامة ! فزوجوهما .

زواج عثمان من نائلة

قالت تماضر امرأة عبد الرحمن بن عوف لعثمان بن عفان : هل لك فى ابنة عم لى ، بِكر جميلة ، ممتلئة الخلق ، أسيلة الخد ، أصيلة الرأى ، تتزوجها ؟ قال : نعم . فذكرتْ له نائلة بنت الفرافصة الكلبية ، فتزوجها وهى نصرانية ، فتحنّفت وحُملت إليه من بلاد كلب ، فلما دخلت عليه قال لها : لعلك تكرهين ماترين من شيبى ؟ قالت : والله يا أمير المؤمنين ، إنى من نسوة أحب أزواجهن إليهن الكهل ! قال : إنى قد جُزت الكهول ، وأنا شيخ ! قالت : أذهبتَ شبابك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خير ما ذهبت فيه الأعمار ! قال : أتقومين إلينا أم نقوم إليك ؟ قالت : ما قطعت إليك أرض السماوة وأريد أن أنثنى إلى عرض البيت ! وقامت إليه ؛ فقال : لها : انزعى ثيابك . فنزعَتْها ؛ فقال : حلى مِرطك . قالت : أنت وذاك .

قال أبو الحسن : فلم تزل نائلة عند عثمان حتى قتل ؛ فلما دُخِل إليه وقَتْه بيدها ، فجذمت أناملها ، فأرسل إليها معاوية بعد ذلك يخطبها ، فأرسلت إليه : ما ترجو من امرأة جذماء !

وقيل : إنها قالت لما قتل عثمان : إنى رأيت الحزن يَبلى كما يبلَى الثوب ، وقد خشيت أن يبلى حزنُ عثمان من قلبى ! فدعت بفهر فهتمت فاها ، وقالت : والله لا قعَد أحدٌ منى مقعد عثمان أبدا !

فاطمة بنت الحسين بن على وابن عمرو

وكانت فاطمة بنت الحسين بن على عند حسن بن حسن بن على ، فلما احتُضر قال لبعض أهله : كأنى بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان إذا سمع بموتى قد جاء يتهادى فى إزار له مورَّد قد أسبله ، فيقول : جئت أشهد ابنَ عمى ،

وليس يريد إلا النظر إلى فاطمة ، فإذا جاء فلا يدخلنّ ! قال : فوالله ماهو إلا أن أغمضوه ، فجاء عبد الله بن عمرو فى تلك الصفة التى وصفها ، فمُنعَ ساعة ؛ فقال بعض القوم : لايدخل : وقال بعضهم : افتحوا له ، فإن مثلَه لا يُرد . ففتحوا له ، ودخل ؛ فلما صرنا إلى القبر قامت عليه فاطمة تبكى ، ثم اطلعت إلى القبر فجعلت تصكُّ وجهها بيديها حاسرة ؛ قال : فدعا عبد الله بن عمرو وصيفاً له فقال : انطلق إلى هذه المرأة وقل لها : يقرئك ابن عمّك السلام ، ويقول لك : كُفّى عن وجهك ؛ فإن لنا به حاجة ! فلما بلّغها الرسالة أرسلت يديها فأدخلتهما فى كمها حتى انصرف الناس .

فتزوجها عبد الله بن عمرو بعد ذلك ، فولدت له محمد بن عبد الله ؛ وكان يسمى المُذهب ، لجماله ؛ وكانت ولدت من حسن بن حسن ، عبد الله بن حسن الذى حارب أبو جعفر ولديه إبراهيمَ ومحمدا ابنى عبد الله بن الحسن بن الحسن حتى قتلهما .

محمد بن عبد الله ابن عمرو

وعن سلمة بن محارب قال : مارأيت قرشيا قط كان أكمل ولا أجمل من محمد بن عبد الله بن عمرو الذى ولدته فاطمة بنت الحسين .

وكانت له ابنة ولدَها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير : كانت أمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير وأم عروة أسماء بنت أبى بكر الصديق . وأم محمد فاطمة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأم فاطمة بنت الحسين أمُّ إسحق بنت طلحة بن عبيد الله ، وأم عبد الله بن عمرو بن عثمان سودةُ بنت عبد الله بن عمر ابن الخطاب .

شريح والشعبى فى نساء تميم

وعن الهيثم بن عدى الطائى قال : حدثنا مجالد عن الشعبى قال : قال لى شُريح : ياشعبى ، عليك بنساء بنى تميم ، فإنى رأيت لهن عقولا ، قال : ومارأيت من عقولهن ؟ قال : أقبلت من جنازة ظهرا ، فمررت بدورهم فإذا أنا بعجوز على باب دار ، وإلى جنبها جارية كأحسن مارأيت من الجوارى ، فعدلتُ

فاستسقيت ومابى عطش ؛ فقالت : أى الشراب أحب إليك ؟ فقلت : ماتيسّر . قالت : ويحك ياجارية ! ائتيه بلبن ؛ فإنى أظن الرجل غريبا ! قلت : من هذه الجارية ؟ قالت : هذه زينب ابنة جرير ، إحدى نساء بنى حنظلة . قلت : فارغة هى أم مشغولة ؟ قالت : بل فارغة . قلت : زوّجينيها . قالت : إن كنت لها كفئاً ـ ولم تقل كفوا ، وهى لغة تميم ـ فمضيت إلى المنزل فذهبت لأقيل ، فامتنعت منى القائلة ؛ فلما صليتُ الظهر أخذت بأيدى إخوانى من القرّاء الأشراف : علقمة ، والأسود ، والمسيب ، وموسى بن عرفطة ؛ ومضيت أريد عمها ، فاستقبل فقال : ياأبا أمية ، حاجتك ؟ قلت : زينب بنت أخيك . قال : مابها رغبة عنك ! فأنكحنيها ، فلما صارت فى حبالى ندمتُ ، وقلت : أى شىء صنعتُ بنساء بنى تميم ؟ وذكرت غِلَظ قلوبهن ، فقلت : أطلّقها ! ثم قلت : لا ، ولكن أضمها إلىّ ، فإن رأيت ما أُحِب وإلا كان ذلك . فلو رأيتنى ياشعبى وقد أقبل نساؤهم يُهدينها حتى أُدخلت علىّ ، فقلت : إن من السُّنة إذا دخلت المرأةُ على زوجها أن يقوم فيصلى ركعتين فيسألَ الله من خيرها ويعوذ به من شرها . فصليت وسلمت ، فإذا هى من خلفى تصلى بصلاتى ، فلما قضيت صلاتى أتتنى جواريها ، فأخذن ثيابى وألبسننى ملحفة قد صبغت فى عكر العصفر .

فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدى إلى ناحيتها ، فقالت : على رِسلك أبا أمية ! كما أنت ! ثم قالت :

الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأصلى على محمد وآله ؛ إنى امرأة غريبة لا علم لى بأخلاقك ، فبيِّنْ لى ماتحب فآتيه ، وما تكره فأزدجِرَ عنه ... وقالت : إنه قد كان لك فى قومك منكح ، وفى قومى مثل ذلك ، ولكن إذا قضى الله أمراً كان ، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به : ﴿إمساكٌ بمعروف أو تسريحٌ بإحسان﴾ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولك .

قال : فأحوجتنى والله ياشعبي إلى الخطبة فى ذلك الموضع ، فقلت :

الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأصلى على النبي وآله وأسلم ، وبعد ؛ فإنك

قد قلتِ كلاماً إن تَثبُتِى عليه يكن ذلك حظَّك ، وإن تدعيه يكن حُجةً عليك ؛ أُحب كذا وأكره كذا ، ونحن جميع فلا تُفرِّقى ، وما رأيتِ من حسنة فانشريها ، وما رأيت من سيئة فاستريها .

وقالت شيئا لم أذكره : كيف محبتُك لزيارة الأهل ؟ قلت : ما أحب أن يُملّنى أصهارى ! قالت : فمن تحب من جيرانك أن يدخُل دارك آذنُ لهم ، ومن تكرهُهُ أكرهه ؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء .

قال : فبتُّ يا شعبىُّ بأنعم ليلة ، ومكثتُ معى حولا لا أرى إلا ما أُحب ، فلما كان رأسُ الحوْل جئت من مجلس القضاء ، فإذا بعجوز تأمر وتنهى فى الدار ! فقلت : من هذه ؟ قالوا : فلانة خَتَنُك . فسُرِّى عنى ما كنت أجد ، فلما جلست أقبلت العجوز فقالت : السلامُ عليك أبا أمية . قلت : وعليك السلام ، من أنت ؟ قالت : أنا فلانة ختنك . قلت : قرّبك الله . قالت : كيف رأيت زوجتك ؟ قلت خير زوجة . فقالت لى : أبا أمية ، إن المرأة لا تكون أسوأ حالا منها فى حالتين : إذا ولدت غلاما ، أوحظِيت عند زوجها ؛ فإن رابك ريبٌ فعليك بالسوط ؛ فوالله ما حاز الرجال فى بيوتهم شرًّا من المرأة المدللة . قلت : أما والله لقد أدَّبتِ فأحسنت الأدب ، ورضْت فأحسنت الرياضة . قالت : تحبُّ أن يزورك أختانُك ؟ قلت ! متى شاءوا . قال : فكانت تأتينى فى رأس كل حول توصينى تلك الوصية .

فمكثت معى عشرين سنة لم أعتب عليها فى شىء ، إلا مرة واحدة ، وكنت لها ظالماً : أخذ المؤذّن فى الإقامة بعد ماصليت ركعتى الفجر ، وكنت إمام الحىّ ، فإذا بعقرب تدب : فأخذت الإناء فأكفأته عليها ؛ ثم قلت : يا زينب ؛ لا تتحركى حتى آتى ! فلوشهدتنى ياشعبى وقد صليت ورجعت فإذا أنا بالعقرب قد ضربتها ، فدعوت بالكست والملح : فجعلت أمغث أصبعها وأقرأ عليها بالحمد والمعوذتين .

وكان لى جارٌ من كندة يُفزع امرأته ويضربها ؛ فقلت فى ذلك :

رأيت رجالا يضربونَ نساءهُم * فشُلت يَميني حين أضرِب زينبا

أأضربُها فى غيرِ ذنبٍ أتت به * فما العدلُ مِنى ضربُ من ليس مُذنبا

فزينبُ شمس والنساء كواكب * إذا طَلَعت لم تُبدِ منهنّ كوكبا

٥ وقال أبو عبيدة : نكح الفرزدق أمة له زنجية ؛ فولدت له بنتا ، فسماها مكية ، وكان يكنى بها ، ويقول : أنا أبو مكية ! فكتبت النوار يوما إلى الفرزدق تشكو مكية ، فكتب إليها :

الفرزدق وأمة له

كنتمْ زعمتُم أنها ظلَمتْكمُ * كذَبتم وبيتِ اللهِ بل تَظلمونها

فإن لا تَعدُّوا أمّها من نسائكم * فإنّ أباها والدٌ لن يَشينَها

١٠ وإنّ لها أعمامَ صِدقٍ وإخوة * وشيخاً إذا شئتم تأَيّمَ دونَها

قالت النوار : فإذاً لا نَشاء .

وقال الفرزدق فى أمته الزنجية :

يا رُب خَودٍ من بناتِ الزَّنجِ * تَنقُلُ تنُّوراً شديدَ الوهجِ

أغيرَ مثلَ القَدح الخَلَنج * يزدادُ طيباً بعد طُولِ الهرجِ

١٥ وعن الهيثم بن عدى : عن ابن عياش قال : حدثنا يعلى الهذلى[1] قال : كنت بسجستان مع طلحة الطلحات ، فلم أر أحداً كان أسخى منه ولا أشرف نفسا ؛ فكتب إلىّ عمى من البصرة : إنى قد كبرت ، ومالى كثير ، وأكره أن أُوكله غيرك فاقدم أزوّجك ابنتى وأصنع بك ما أنت أهله .

يعلى الهذلى وطلحة الطلحات

قال : فخرجت على بغلة لى تركية ، فأتيت البصرة فى ثلاثين يوما ، ووافيته ٢٠ فى صلاة العصر ، فوجدته قاعداً على دكانه ، فسلمت عليه ، فقال لى من أنت ؟ قلت له : ابن أخيك يعلى ، قال : وأين ثقلك ؟ قلت : تعجلت إليك حين أتانى

(١) فى بعض الأصول : « سلمى الهذلى » .

كتابُك وطربت نحوكم . قال : يابن أخى ، أتدرى ما قالت العرب ؟ قلت : لا .
قال : قالت العرب : شر الفتيان المُفْلس الطروب ! قال : فقمت إلى بغلتى
فأعددت سرجى عليها ، فما قال لى شيئا ، ثم قال : إلى أين ؟ قلت : إلى سجستان !
قال : فى كَنَف الله .

قال : فخرجت فبتُّ فى الجسر ، ثم ذكرت أم طلحة ، فانصرفت أسأل عنها ٥
حتى أتيت منزلها — وكان طلحة أبرّ الناس بها — فقلت : رسول طلحة ،
فقالت ائذنوا له . فدخلت ، فقالت : ويحك ! كيف آبنى ؟ قلت : على أحسن حال
قالت : فلله الحمد ! وإذا بعجوز قد تحدرت ، قالت : فما جاء بك ؟ قلت : كيت
وكيت . قالت : يا جارية . ائتينى بأربعة آلاف درهم ! ثم قالت : ائت عمك فابتن
بابنته ، ولك عندنا ما تحب ! قلت : لا والله لا أعود إليه أبدا ، قالت : يا جارية ١٠
ائتينى ببغلة رحالتى . ثم قالت : راوح بين هذه وبغلتك حتى تأتى سجستان . قلت :
آكتبى بالوصاة بى والحالة التى آستقبلتُها . فكتبت بوجهها التى كانت فيه ، وبعافية
الله إياها ، وبالوصاة بى ؛ فلم تَدعْ شيئا . ثم دفعت حتى أتيت سجستان ، فأتيت
باب طلحة ، وقلت للحاجب : رسول صفية بنت الحرث . وأنا عابس باسر ،
فدخل ؛ فخرج طلحة متوشِّحا ، وخلفه وصيف يسعى بكرسى ، فقمت بين يديه ، ١٥
فقال : ويلك ! كيف أمى ؟ قلت : بأحسن حالة . قال : انظر كيف تقول ؟ قلت :
هذا كتابها . قال : فعرف الشواهد والعلامات ، قلت : آقرأ كتاب وصيتها . قال :
ويحك ! ألم تأتنى بسلامتها ؟ حسبُك ! فأمر لى بخمسين ألف درهم ، وقال لحاجبه :
اكتُبه فى خاصّة أهلى ، قال : فوالله ما أتى علىّ الحول حتى تم لى مائة ألف .

قال ابن عياش : فقلت له : هل لقيت عمك بعد ذلك ؟ قال لا والله ٢٠
ولا ألقاه أبدا .

السلامانى وطريب له

وعن الهيثم بن عدى عن ابن عياش قال : أخبرنى موسى السلامانى ، مولى
الحضرمى ، وكان أيسر تاجر بالبصرة ، قال : بينا أنا جالس إذ دخل علىّ غلام لى
فقال : هذا رجل من أهل أمّك يستأذن عليك — وكانت أمه مولاة لعبد الرحمن

ابن عوف — فقلت : ائذن له . فدخل شاب حلوُ الوجه ، يُعرف فى هيئته أنه
قرشى ، فى طمرين . فقلت : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا عبد الحميد بن سهيل
ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، خال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت :
فى الرحب والقرب . ثم قلت : يا غلام ، برّه وأكرمْه وألطفه ، وأدخله الحمام ،
٥ وآكسُه قميصاً رقيقا ، ومبطنا قوهيا ، ورداء عمريا . وحذونا له نعلين حضرميين
فلما نظر الشاب فى عطفيه وأعجبته نفسه قال : ياهذا ، آبغِنى أشرف أيِّم بالبصرة
أو أشرف بكر بها ! قلت : يابن أخى ، معك مال ؟ قال : أنا مال كما أنا ! قلت :
يابن أخى ، كُفَّ عن هذا . قال : انظر ما أقول لك ! قلت : فإن أشرف أيِّم
بالبصرة هند ابنة أبى صفرة . أخت عشرة ، وعمة عشرة ، وحالها فى قومها
١٠ حالها . وأشرف بكر بالبصرة الملاة بنت زرارة ابن أوفى الجرشى قاضى البصرة
قال اخطبها علىّ . قلت : يا هذا ، إن أباها قاضى البصرة ! قال : انطلق بنا إليه .
فانطلقنا إلى المسجد فتقدم . فجلس إلى القاضى ، فقال له : من أنت يابن أخى ؟
قال له : عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف خال رسول الله صلى الله
عليه وسلم . قال مرحباً بك ، ما حاجتك ؟ قال : جئت خاطباً . قال : ومن
١٥ ذكرتَ ؟ قال : الملاة ابنتك . قال : يابن أخى ، ما بها عنك رغبة . ولكنها
امرأة لا يُفْتات عليها [فى] أمرها ، فاخطبها إلى نفسها . فقام إلىّ ، فقلت :
ما صنعت ؟ قال : قال كذا وكذا . قلت : ارجع بنا ولا تخطبها . قال : اذهب بنا
إليها . فدخلنا دار زرارة ، فإذا دار فيها مقاصير ، فاستأذَنا على أمها ، فلقيتْنا بمثل
كلام الشيخ ، ثم قالت : وهاهى فى تلك الحجرة . قلت له : لا تأتها . قال :
٢٠ أليست بكرا ؟ قلت : بلى . قال : ادخل بنا إليها . فاستأذنا ، فأذنت لنا . فوجدناها
جالسة وعليها ثوب قوهى رقيق معصفر ، تحته سراويل يُرى منه بياضُ جسدها ،
ومِرْط قد جمعته على فخذيها ، ومصحف على كرسى بين يديها . فأشْرَجَت المصحف
ثم نحَّته ، فسلمنا ، فردّت ، ثم رحبت بنا ، ثم قالت : من أنت ؟ قال : أنا عبد الحميد
ابن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري خال رسول الله صلى الله عليه وسلم !

ومدّ بها صوته ، قالت : يا هذا ، إنما يمدّ هذا الصوت للساسانيين ! قال موسى :
فدخل بعضى فى بعض ! ثم قالت : ما حاجتك ؟ قال : جئت خاطبا . قالت : ومن
ذكرت ؟ قال : ذكرتكِ ! قالت : مرحبا بك ياأخا أهل الحجاز ، ماالذى بيدك؟
قال : لنا سهمان بخيبر أعطاناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم — ومدّ بها صوته —
وعين بمصر ، وعين باليمامة ، ومال باليمن . قالت : يا هذا ، كل هذا عنا غائب ، ٥
ولكن ما الذى يحصل بأيدينا منك ؟ فإنى أظنك تريد أن تجعلنى كشاة عكرمة ،
أتدرى من عكرمة ؟ قال : لا . قالت : عكرمة بن ربعى . فإنه كان نشأ بالسواد ،
ثم انتقل إلى البصرة وقد تغذى باللبن . فقال لزوجته : اشترى لنا شاة نحتلبها
وتصنعين لنا من لبنها شرابا وكامخا . ففعلت وكانت عندهم الشاة إلى أن استحرمت ،
فقالت : ياجارية خذى بأُذُن الشاة وانطلق بها إلى التيّاس . فانزى عليها ! ففعلت ١٠
فقال التياس : آخذ منك على النزوة درهما ! فانصرفت إلى سيدتها فأعلمتها .
فقالت : إنما رأينا من يرحم ويعطى ، وأما من يرحم ويأخذ فلم نره !... ولكن
ياأخا أهل المدينة ، أردت أن تجعلنى كشاة عكرمة . فلما خرجنا قلت له : ماكان
أغناك عن هذا ! قال : ماكنت أظن أن امرأة تجترئ على مثل هذا الكلام .

ابن علفة وعبد الملك

وعن الأصمعى قال : كان عقيل بن عُلَّفة المرى غيوراً فخورا ، وكان يُصهِر ١٥
إليه خلفاء بنى أمية ، فخطب إليه عبد الملك بن مروان ابنته لبعض ولده ، فقال :
جنبنى هُجناء ولدك .

ابن علفة وأولاده

وكان إذا خرج يمتار خرج بابنته الجرباء معه . فخرج مرة فنزلوا دَيْراً من
أديرة الشام يقال له دَيْرُ سعد ، فلما ارتحلوا قال عقيل :

قضتْ وطَرا من دَيْرِ سعدٍ ورُبّما * عَلاَ عُرُضٌ ناطَحْنَه بالجماجمِ ٢٠

ثم قال لابنه : أجِزْ ياعُمَيْس . فقال :

فأصبحْن بالمَوْماة يَحمِلْن فتيةً * نَشاوَى من الإدْلاجِ مِيلَ العمائمِ

ثم قال لابنته : ياجرباء أجيزى ، فقالت :

كأنّ الكَرَى أسقاهم صَرْخديّةً * عُقارا تَمَشّتْ فى المَطا والقوائمِ

فقال لها : وما يدريك أنت ما نعت الخمر ؟ ثم سل السيف ونهض إليها ، فاستغاثت بأخيها عميس ، فانتزعه بسهم فأصاب فخذه ، فبرك . ومضوا وتركوه . حتى إذا بلغوا أدنى المياه منهم قالوا لهم : إنا أسقطنا جزوراً لنا فأدركوه . وخذوا معكم الماء ! ففعلوا . وإذا عقيلٌ بارك وهو يقول :

٥ إنّ بَنِيّ زمّلونى بالدَّمِ * من يَلْقَ أبطالَ الرِّجالِ يُكلَمِ

ومن يكن درْءٌ به يُقوِّم * شِنْشِنةٌ أعرِفُها من أخزَمِ

الشنشنة : الطبيعة . وأخزم : فحل كريم . وهذا مثل للعرب .

عبد الملك وابنة عبد الرحمن

الشيبانى عن عوانة قال : خطب عبد الملك بن مروان ابنة عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فأبت أن تتزوجه . وقالت : والله لا تَزوَّجَنى أبو الذباب ! ١٠ فتزوجها يحيى بن الحكم . فقال عبد الملك : والله لقد تزوجت أفْوَه أشْوَه . فقال يحيى : أما إنها أحبت منى ما كرِهَت منك . وكان عبد الملك ردىء الفم يَدمَى فيقع عليه الذباب فسمى أبا الذباب .

أخت أبى سفيان

وعن العتبي قال : خطب قريبة ابنة حرب أخت أبى سفيان بن حرب ، أربعة عشر رجلا من أهل بدر ، فأبتْهم وتزوجت عَقيل بن أبى طالب . قالت : ١٥ إن عَقيلا كان مع الأحبة يوم قتلوا ، وإن هؤلاء كانوا عليهم ! ولاحتْه يوما فقالت : يا عقيل ، أين أخوالى ؟ أين أعمامى ؟ كأن أعناقهم أباريق الفضة ! قال لها : إذا دخلت النار فخذى على يسارك .

زياد وسعيد بن العاص فى ابنته

وكتب زياد إلى سعيد بن العاص يخطب إليه ابنته ، وبعث إليه بمال كثير وهدايا ؛ فلما قرأ الكتاب أمر حاجبه بقبض المال والهدايا ، وأن يقسمها بين ٢٠ جلسائه ؛ فقال الحاجب : إنها أكثر من ظنك . قال سعيد : أنا أكثر منها ! ثم وقّع إلى زياد فى أسفل كتابه : ﴿ كلاّ إنّ الإنسانَ ليَطْغَى أنْ رآه آستغْنَى ﴾ .

الحسن ورجل يزوج ابنته

وقال رجل للحسن : إن لى بنية ، فمن ترى أن أزوجها ؟ قال زوّجها ممن يتقى الله فإن أحبّها أكرمها ، وإن أبغضها لم يَظلمها .

عبد الملك وعمر ابن عبد العزيز

وقال عبد الملك بن مروان ، لعمر بن عبد العزيز : قد زوّجك أمير المؤمنين ابنته فاطمة ، فقال عمر : وصلك الله يا أمير المؤمنين ، فقد كفيتَ المسئلة ، وأجزلت فى العطية .

للحسن

وقيل للحسن : فلان خطب إلينا فلانة . قال : أهو موسرٌ من عقل ودين ؟ قالوا : نعم . قال : فزوّجوه .

٥

لحيوة بن شريح

وقال رجل لحيوة بن شُريح : إنى أريد أن أتزوج ، فماذا ترى ؟ قال : كم المهر؟ قال : مائة . قال : فلا تفعل ؛ تزوج بعشرة وأبق تسعين ، فإن وافقتك ربحت التسعين ، وإن لم توافقك تزوجت عشرا ؛ فلا بد فى عشرة نسوة من واحدة توافقك .

هبنقة القيسى وراغب فى الزواج

١٠

وقال رجل : أردت النكاح فقلت : لأستشيرن أول من يطلع علىّ ثم أعمل برأيه ؛ فكان أول من طلع هبنّقة القيسى ، وتحته قصبة ؛ فقلت له : أريد النكاح ، فما تشير [به] علىّ ؟ قال : البكر لك ، والثيب عليك ، وذاتُ الولد لا تقربْها واحذر جوادى لا ينفحك !

مكثر ومقل فى زواج

وعن الأصمعى قال : أخبرنى رجل من بنى العنبر عن رجل من أصحابه وكان مُقِلاً ؛ فخطب إليه مكثِرٌ من مال مُقِـلٌ من عقـل ، فشاور فيه رجلا يقال له

١٥

أبو يزيد ؛ فقال : لاتفعـل ، ولا تُزوِّج إلا عاقلا ديِّناً ؛ فإنه إن لم يكرمها لم يظلمها . ثم شاور رجلا آخر يقال له أبو العلاء ، فقال له : زوِّجه ، فإن ماله لها وحمقه على نفسه . فزوَّجه ، فرأى منه ما يكره فى نفسه وابنته ؛ وأنشده فقال :

أَلهْفِى إذ عصيْتُ أبا يزيدٍ * ولهفِى إذ أطعْت أبا العلاء

وكانت هفْوَة من غيرِ ريحٍ * وكانت زلقَة من غيْرِ ماء

٢٠

زواج معبد بن خالد

المفضل بن محمد الضبى قال : أخبرنى مِسْعَر بن كدام عن معبد بن خالد الجدلى قال : خطَبْت امرأة من بنى أسد فى زمن زياد — وكان النساء يجلسن لخطّابهن — قال : فجئت لأنظر إليها ؛ وكان بينى وبينها رواق ؛ فدعت بجفنة عظيمة من الثريد مكللة باللحم ، فأتت على آخرها وألقت العظام نقية ، ثم دعت بشن عظيم مملوءة

لبناً ، فشربته حتى أكفأته على وجهه ، وقالت : يا جارية ارفعى السجف ، فإذا هى جالسة على جلد أسد ، وإذا شابة جميلة ؛ فقالت : يا عبد الله ، أنا أسدة ، من بنى أسد ، وعلىّ جلدُ أسد ، وهذا طعامى وشرابى ؛ فعلام ترى ؟ فإن أحببت أن تتقدم فتقدم ، وإن أحببت أن تتأخر فتأخر ! فقلت : أستخيرُ الله فى أمرى ٥ وأنظر ! قال : فخرجت ولم أعُدْ !

جارية لأمية وراغب فى زواجها.

قال : وحدثنا بعض أصحابنا أن جارية لأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ذات ظرف وجمال ، مرت برجل من بنى سعد ، وكان شجاعا فارساً ، فلما رآها قال : طوبى لمن كانت له امرأة مثلك ! ثم إنه أتبعها رسولا يسألها : ألها زوج ؟ ويذكره لها ؛ فقالت للرسول : ما حرفتُه ؟ فأبلغه الرسول قولها ، فقال : ارجع ١٠ إليها فقل لها :

وسائلةٍ ما حرْفتى؟ قلت:حرْفتى * مُقارعةُ الأبطال فى كلّ شارقِ
إذا عرضَت لى الخيلُ يوماً رأيتنى * أمام رعيلِ الخيلِ أحمِى حقائقى
وأصبِرُ نفسى حين لا حُرّ صابرٌ * على ألم البيضِ الرّقاقِ البوارقِ

فأنشدها الرسول ما قال ، فقالت له : ارجع إليه وقل له : أنت أسدٌ فاطلب ١٥ لنفسك لبؤة ، فلست من نسائك ! وأنشدت هذه الأبيات :

ألا إنما أبغِى جَواداً بمـالِه * كريماً مُحيَّاه قليل الصدائقِ
فتى همُّه مُذْ كان خَودٌ كريمةٌ * يعانقُها بالليل فوق النمارقِ
ويشربُها صِرْفاً كُمَيْتاً مُدامةً * نداماهُ فيها كلُّ خِرقٍ موافقِ

رجل بين زوجتين

يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن الحكم عن الشافعى قال : تزوج رجل ٢٠ امرأة حديثة على امرأة له قديمة ، فكانت جارية الحديثة تمرُّ على باب القديمة فتقول :

وما يستوى الرّجلان رجلٌ صحيحة * ورجلٌ رمى فيها الزمانُ فشلت

ثم تعود فتقول :

وما يستوى الثوبانِ ثوبٌ به البِلَى * وثوبٌ بأيدى البائعين جديدُ

فمرت جارية القديمة على الحديثة فأنشدت :

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما القلبُ إلا للحبيبِ الأوّلِ

كم منزلٍ فى الأرضِ يألفهُ الفتى * وحنينُـهُ أبداً لأوّلِ منزِلِ

المغيرة وغلام حارثى

وعن الشعبي قال . سمعت المغيرة بن شعبة يقول : ما غلبنى أحدٌ قط إلا غلام من بنى الحارث بن كعب ، وذلك أنى خطبت امرأة من بنى الحارث ، وعندى شاب منهم ، فأصغى إلىّ فقال : أيها الأمير ، لاخير لك فيها ! قلت : يا ابن أخى ومالها ؟ قال : إنى رأيت رجلا يقبّلها ! قال : فبرئت منها ؛ فبلغنى أن الفتى تزوجها قلت : ألم تخبرنى أنك رأيت رجلا يقبّلها ؟ قال : بَلى رأيت أباها يقبلها .

أبو سعيد وابن سيرين فى الزواج

أبو سعيد قال : صحبتُ ابن سيرين عشرين سنة ، فقال لى يوما : يا أبا سعيد إن تزوجت فلا تتزوج امرأة تنظر فى يدها ، ولكن تزوج امرأة تنظر فى يدك .

صفات النساء وأخلاقهن

لعبدة بن الطبيب

قال أبو عمرو بن العلاء : أعلم الناس بالنساء عَبَدَة بن الطبيب حيث يقول :

فإن تسألونى بالنساء فإننى * عليمٌ بأدواء النسـاء طبيبُ

إذا شاب رأسُ المرء أوقلّ ماله * فليسَ له فى وُدّهِنّ نصيبُ

يُرِدْنَ ثراء المـالِ حيث علِمْنَهُ * وشرْخُ الشبابِ عِندَهُنّ عجيبُ

وهذه الأبيات لعلقمة بن عبدة المعروف بالفحل وأول القصيدة :

* طحا بِك قلبٌ فى الحسانِ طَرُوبُ *

لمعاذ بن جبل

وعن رجاء بن حَيوة عن مَعاذ بن جبل قال : إنكم ابتُليتم بفتنة الضراء فصبرتم وإنى أخاف عليكم فتنة السراء ؛ وهى النساء ، إذا تحلين بالذهب ، ولبسن ريط الشام وعصب اليمن ، فأتعبن الغنى ، وكلّفن الفقير ما لا يطاق .

لعبد الملك

وقال عبد الملك بن مروان : من أراد أن يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ومن أراد للولد فليتخذها فارسية ، ومن أراد للخدمة فليتخذها رومية .

لابن | وعن أبى الحسن المدائنى قال : قال يزيد بن عمر بن هُبيرة : اشتروا لى جارية شقّاء مقّاء رسحاء ، بعيدةَ ما بين المنكبين ، ممسوحةَ الفخذين .

قوله : شقاء : يريد كأنها شقة جبل ؛ مقاء : طويلة ؛ رسحاء : صغيرة العجيزة، أرادها للولد ؛ لأن الأرسح أفرَس من العظيم العجيزة .

بين ابن هبيرة ورجل | ٥ وقال عمر بن هبيرة لرجل : ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيدا ، ولا بأرسحَ فتكون فارسا .

للأصمعى | وقال الأصمعى وذكر النساء : بناتُ العم أصبر ، والغرائبُ أنجب ، وما ضَرَب رءوس الأبطال كابن الأعجمية .

يونس ومستشير له فى زواج | أبو حاتم عن الأصمعى عن يونس بن مصعب عن عثمان بن إبراهيم بن ١٠ محمد قال : أتانى رجلٌ من قريش يستشيرنى فى امرأة يتزوّجها ، فقلت : يا ابن أخى ، أقصيرة النسب أو طويلته ؟ فلم يفهم عنى ؛ فقلت : يا ابنَ أخى ، إنى أعرف فى العين إذا عَرفت ، وأنكر فيها إذا أنكرتْ ، وأعرف فيها إذا لم تَعرف ولم تُنكر ؛ أما إذا عرفت فتحاوص ، وأما إذا أنكرت فتجحظ ، وأما إذا لم تعرف ولم تنكر فتسجو ؛ وقد رأيت عينَك ساجية ؛ فالقصيرة النسب ١٥ التى إذا ذكرَتْ أباها اكتفت به ، والطويلة النسب التى لا تُعرف حتى تطيلَ فى نسبتها ؛ فإياك أن تقع فى قوم قد أصابوا كثيراً من الدنيا مع دناءة فيهم ؛ فتضيع نفسك فيهم .

الوليد وعقائله | وعن العتبى قال كان عند الوليد بن عبد الملك أربع عقائل : لبابةُ بنت عبد الله ابن عباس ، وفاطمةُ بنت يزيد بن معاوية ، وزينب بنت سعيد بن العاص ، وأمُّ ٢٠ جحش بنت عبد الرحمن بن الحرث ؛ فكنّ يجتمعن على مائدته ويفترقن فيفخرن فاجتمعن يوما ، فقالت لبابة : أما والله إنك لتسوينى بهن وإنك تعرف فضلى عليهن ! وقالت بنت سعيد : ما كنت أرى أنّ للفخر علىّ مجازا ، وأنا ابنة ذى العمامة إذ لا عمامةَ غيرها ! وقالت بنت عبد الرحمن بن الحارث : ما أحبُّ بأبى بدلا ، ولو شئت لقلت فصَدقْتُ وصُدّقت ! وكانت بنتُ يزيد بن معاوية جاريةً حديثة

السن ، فلم تتكلم ؛ فتكلم عنها الوليد فقال نطق مَن احتاج إلى نفسه ، وسكت من اكتفى بغيره ؛ أما والله لو شاءت لقالت : أنا ابنةُ قادتكم فى الجاهلية ، وخلفائكم فى الإسلام ! فظهر الحديث حتى تُحُدِّثَ به فى مجلس ابن عباس ، فقال : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

للحجاج فى نسوة

الشيبانى عن عوانة قال : ذُكر النساء عند الحجاج ، فقال عندى أربع نسوة : هند بنت المهلب ، وهند بنت أسماء بن خارجة ، وأم الجلاس بنت عبد الرحمن بن أسيد ، وأمة الرحمن بنت جرير بن عبد الله البجلى . فأما ليلتى عند هند بنت المهلب فليلةُ فتى بين فتيان ، يلعب ويلعبون ؛ وأما ليلتى عند هند بنت أسماء فليلة ملك بين الملوك ؛ وأما ليلتى عند أم الجلاس فليلة أعرابى مع أعراب فى حديثهم وأشعارهم ؛ وأما ليلتى عند أَمَة الرحمن بنت جرير فليلة عالم بين العلماء والفقهاء .

أبو الحر المخنث

وعن العتبى قال : حدثنى رجل من أهل المدينة قال : كان بالمدينة مخنث يدُلُّ على النساء ، يقال له أبو الحر ، وكان منقطعاً إلىّ ، فدلنى على غير ما امرأة أتزوجها ، فلم أرض عن واحدة منهن ، فاستقصرته يوما ، فقال : والله يا مولاى لأدلنّك على امرأة لم ترَ مثلها قط ، فإن لم ترها كما وصفت فاحلق لحيتى ! فدلنى على امرأة ، فتزوجتها ، فلما زُفت إلى وجدتُها أكثرَ مما وصف ، فلما كان فى السحر إذا إنسان يدق الباب ، فقلت : من هذا قال : أبو الحر ، وهذا الحجّام معه فقلت : قد وفر الله لحيتك أبا الحر ، الأمر كما قلتَ !

للرسول صلى الله عليه وسلم فى مخنث

ابن بكير عن مالك بن هشام بن عروة عن أبيه : أن مخنّثا كان عند أم سلَمَة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لعبد الله بن أبى أمية ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع : أبا عبد الله ، إن فَتح الله لكم الطائف غداً فأنا أدلك على بنت غيلان فإنها تُقبل بأربع ، وتُدبر بثمان ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يدخل عليكن هؤلاء .

قوله : تقبل بأربع وتدبر بثمان ، يريد عكن البطن ، أنها إذا أقبلت أربع ، وإذا أدبرت ثمـان .

كوفى وابنة عمه

وضُرب البعث على رجل من أهل الكوفة ، فخرج إلى أذربيجان ، فاقتاد جارية وفرسا ، وكان مُملكا بابنة عمه ، فكتب إليها ليُغيرها :

٥ ألا أبلغوا أُمَّ البنينَ بأننا * غَنينا وأغْنتْنا الغطارِفةُ المُرْدُ

بعيدُمَناطِ المنكِبَيْنِ إذا جرى * وبيضاء كالتمثالِ زيَّنَها العِقْدُ

فهذا لِلأيامِ العَدُوِ ، وهٰذه * لِحاجةِ نفسى حينَ ينصرِفُ الجندُ

فلما ورد كتابُه قرأته وقالت : يا غلام ، هات الدواة . فكتبت إليه تجيبه :

ألا أقْرِهِ منَّا السلامَ وقُل لهُ * غَنينا ـ ففيقوا ـ بالغطَارفةِ المُردِ

١٠ بحَمْدِ أميرِ المؤمنينَ أقرَّهُم * شباباً ـ وأغزاكم ـ خَوالِفَ فى الجُنْد

إذا شِئتُ غنَّانِى غُـلامٌ مُرَجَّلٌ * ونازَعَنهُ مِن ماء مُعتَصَرِ الوَرْد

وإن شاء منهم ناشئٌ مَدَّ كَفَّهُ * إلى كبدٍ مَلساء أو كَفَلٍ نَهدِ

فما كنتُم تقضونَ من حاجِ أهْلِكم * شُهوداً ، قَضيناها على النَّأيِ والبُعد

فعجِّـل علينا بالسَّراحِ فإنهُ * مُنانا ولا تَدْعو لك الله بالردِّ !

١٥ فلا قَفَلَ الجُنْدُ الذى أنت فيهمُ * وزادَكَ ربُّ الناسِ بُعداً إلى بُعدِ !

فلما ورد كتابها ، لم يزد على أن ركب فرسه وأردف الجارية ، والحق بها ، فكان أول شىء بدأ لها به بعد السلام أن قال : بالله هل كنت فاعلة ؟ قالت : الله أجل فى قلبى وأعظم ، وأنت فى عينى أذلُّ وأحقر من أن أعصىَ الله فيك ! فكيف ذقت طعمَ الغَيْرَة ؟ فوهب لها الجارية وانصرف إلى بعثه .

معاوية وابن صوحان

٢٠ وقال معاوية لصعصعة بن صوحان : أى النساء أشهى إليك ؟ قال : المواتية لك فيما تهوى . قال : فأيهن أبغَض ؟ قال : أبعدهُن مما تَرضى . قال : هـذا النقد العاجل . فقال صعصعة : بالميزان العادل .

وقال صعصعة لمعاوية : يا أمير المؤمنين ، كيف ننسبك إلى العقل وقد غلب عليك نصف إنسان ! يريد غلَبة امرأته فاختة بنت قرظة عليه ؛ فقال معاوية : إنهنّ يغلبن الكرام ويغلبُهُنّ اللئام !

جرير البجلى وابن الخطاب

وعن سفيان بن عيينة قال : شكا جرير بن عبد الله البجلى إلى عمر بن الخطاب ما يلقى من النساء ، فقال : لا عليك ، فإن التى عندى ربما خرجت من عندها فتقول : إنما تريد أن تتصنع لفتيان بنى عدى . ٥

فسمع كلامَهما ابنُ مسعود ، فقال : لا عليكما ، فإن إبراهيم الخليل شكا إلى ربه رداءةً فى خلق سارة ، فأوحى الله إليه : أن ألبسْها على لباسها مالم تر فى دينها وصمة . فقال عمر : إن بين جوانحك لعلما .

الحجاج وابن القرية

وكتب الحجاج إلى أيوب بن القرية : أن أخطب على عبد الملك بن الحجاج امرأةً جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، شريفة فى قومها ذليلة فى نفسها ، مواتية لبعلها . فكتب إليه : قد أصبتها لولا عظمُ ثدييها . فكتب إليه : لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها ، فتدفئَ الضجيع ، وتُروى الرضيع . ١٠

أبو العباس وابن صفوان

وقال أبو العباس أمير المؤمنين لخالد بن صفوان : يا خالد ، إن الناس قد أكثروا فى النساء ؛ فأيهن أعجبُ إليك ؟ قال : أعجبُهن يا أمير المؤمنين التى ليست بالضَّرَع الصغير ، ولا الفانية الكبيرة ، وحسبك من جمالها أن تكون فخمة من بعيد ، مليحة من قريب ، أعلاها قضيب ، وأسفلها كثيب ، كانت فى نعمة ثم أصابتها فاقة ، فأترفها الغنى وأدبها الفقر . ١٥

ابن صفوان وامرأة

ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة فى المسجد بالبصرة ، فقال ما هذه الجماعة ؟ قالوا : على امرأة تدلّ على النساء . فأتاها فقال لها : أبغنى امرأة . قالت : صفها لى . قال : أريدها بكراً كثيّب ، أو ثيّبا كبكر ، حلوة من قريب ، فخمة من بعيد ؛ كانت فى نعمة فأصابتها فاقة ؛ فمعها أدب النعمة وذل الحاجة ؛ فإذا اجتمعنا كنا أهل دنيا ، وإذا افترقنا كنا أهل آخرة ٢٠

قالت : قد أصبتُها لك . قال : وأين هى ؟ قالت : فى الرفيق الأعلى من الجنة فاعْمَلْ لها !

لأعرابى فى النساء

وسئل أعرابى عن النساء ، وكان ذا تجربة وعِلْم بهن ؛ فقال : أفضل النساء أطوَلهن إذا قامت ، وأعظمُهن إذا قعَدَتْ ، وأصدقُهن إذا قالت ؛ التى إذا غضبت حلمت ، وإذا ضحكتْ تبسمت ، وإذا صنعتْ شيئاً جَوّدَتْ ؛ التى تطيع زوجَها ، وتلزم بيتها ؛ العزيزةُ فى قومها ، الذليلة فى نفسها ، الودود الوَلود ، وكل أمرها محمود .

غطفانى وعبد الملك

وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان : صف لى أحسنَ النساء . فقال : خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ، ردماء الكعبين ، مملوءة الساقين ، جماء الركبتين ، لفّاء الفخذين ، مقرمدة الرفْغين ، ناعمة الأليتين ، منيفة المأكمتين ، فعْمة العضدين ، فخمة الذراعين ، رخْصة الكفين ، ناهدة الثديين ، حمراء الخدين ، كحلاء العينين ، زجّاء الحاجبين ، لَمياء الشفتين ، بلجاء الجبين ، شمّاء العِرْنين ، شنْباء الثغر ، حالكة الشعر ، غيداء العنق ، عيناء العينين ، مكسَّرة البطن ، ناتئة الركب . فقال : ويحك ! وأنّى توجد هذه ؟ قال : تجدها فى خالص العرب ، أو فى خالص الفُرس .

رجل وخاطب

وقال رجل لخاطب : ابغِنِى امرأة لا تؤنس جاراً ، ولا تُوهِن داراً ، ولا تثقب ناراً .

يريد : لا تدخل على الجيران ، ولا يدخل عليها الجيران ، ولا تغرى بينهم بالشر .

لبعض الشعراء

وفى نحو هذا يقول الشاعر :

مِنَ الأوانِسِ مِثْل الشمسِ لم يَرها * فى ساحةِ الدارِ لا بَعْلٌ ولا جارُ

للأعشى

وقال الأعشى :

لمْ تَمشِ مِيلًا ولم تركبْ على جمَلٍ * ولا ترَى الشمسَ إلا دونَها الكِلَلُ

لبعضهم

وقال آخر :

آبغى امرأة بيضاء مديدة ، فرعاء جعدة ؛ تقوم فلا يصيب قميصها منها إلا مُشاشة منكبيها ، وحلمتى ثديها ، ورانفتى أليتيها .

وقال الشاعر :

أبتِ الرَّوادِفُ والثُّدِىُّ لِقُمْصِها * مسَّ البُطونِ وأن تَمسَّ ظهورَا ٥

وإذا الرِّياحُ مع العشىِّ تناوَحَتْ * نَبَّهْنَ حاسدةً وهِجْن غيورا

ولآخر :

إذا آنبطحَتْ فوق الأثافى رَفَعْنَها * بثَدْيين فى نَحْرٍ عريضٍ وكَعْثَبِ

ابن حطان وامرأته

ونظر عمران بن حطان إلى امرأته ، وكانت من أجمل النساء وكان من أقبح الرجال ؛ فقال : إنى وإياكِ فى الجنة إن شاء الله ! قالت له : كيف ذاك ؟ قال : ١٠ إنى أُعطيتُ مثلكِ فشكرتُ ، وأُعطيتِ مثلى فصبرْتِ .

من أخبار عائشة بنت طلحة

ونظر أبو هريرة إلى عائشة بنت طلحة ؛ فقال : سبحان الله ! ما أحسن ما غذاك أهلُكِ ! والله ما رأيت وجهاً أحسنَ منك ، إلا وجه معاوية على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان معاوية من أحسن الناس وجها . ١٥

ونظر ابن أبى ذئب إلى عائشة بنت طلحة تطوف بالبيت ، فقال لها : من أنت ؟ فقالت :

من اللاء لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حسبةً * ولكن لِيَقْتُلْنَ البَرِىءَ المُغَفَّلا

فقال لها : صان الله ذلك الوجهَ عن النار ! فقيل له : أفتنتْك أبا عبد الله ؟ قال : لا ، ولكن الحسْن مرحوم . ٢٠

وقال يونس : أخبرنى محمد بن إسحاق ، قال : دخلت على عائشة بنت طلحة ، فوجدتها متكئة ولو أن بختية نوخت خلفها ما ظهرت !

السرّى بن إسماعيل عن الشعبى ، قال : إنى لفى المسجد نصف النهار ، إذ سمعت

باب القصر يفتح : فإذا بمصعب بن الزبير ومعه جماعة ، فقال : يا شعبي اتبعْني . فاتبعته ؛ فأتى دار موسى بن طلحة ، فدخل مقصورة ، ثم دخل أخرى ، ثم قال : يا شعبي اتبعني . فاتبعته ؛ فإذا امرأة جالسة ، عليها من الحلىّ والجواهر مالم أر مثله ، ولهِى أحسنُ من الحلى الذى عليها ؛ فقال : يا شعبىّ ، هذه ليلى التى

٥ يقول فيها الشاعر :

ومازِلتُ من ليلى لدُن طَرَّ شاربى * إلى اليومِ أُخفِى حُبّها وأُداجِنُ

وأَحمِلُ فى ليلى لقومٍ ضغينة * وتُحمَلُ فى ليلى علىّ الضّغائن

هذه عائشة ابنةُ طلحة ، فقالت له : أما إذ جلوتَنى عليه فأحسِنْ إليه ! فقال : يا شعبى ، رُح العشية [إلى المسجد] فرُحْتُ ، فقال : يا شعبى ، ما ينبغى لمن

١٠ جُليت عليه عائشة بنت طلحة أن ينقص عن عشرة آلاف ، فأمر لى بها ! وبكسوة ، وقارورةِ غالية ، فقيل للشعبى فى ذلك اليوم : كيف الحال ؟ قال : وكيف حال مَن صدَر عن الأمير ببدرة ، وكسوة ، وقارورة غالية ، ورؤية وجه عائشة بنت طلحة .

زواج عمر بن حجر من بنت عوف

وكان عمرو بن حُجْر ملك كندة ـ وهو جد امرئ القيس ـ أراد أن يتزوج

١٥ ابنةَ عوف بن محلِّم الشيبانى ، الذى يقال فيه : « لا حُرّ بوادى عوف » لإفراط عزه ، وهى أم إياس ، وكانت ذات جمال وكمال ؛ فوجه إليها امرأة يقال لها عصام ، لتنظر إليها وتمتحن ما بلغه عنها ؛ فدخلت على أمها أمامة ابنة الحرث ، فأعلمتْها ما قدِمت له ، فأرسلت إلى ابنتها [فقالت] : أى بنية ، هذه خالتك أتتْ إليكِ لتنظرَ إلى بعضِ شأنِك ؛ فلا تسترى عنها شيئاً أرادت النظر إليه ، من وجه وخلق ،

٢٠ وناطِقيها فيما استنطقتك فيه . فدخلت عصام عليها ، فنظرت إلى ما لم تر عينُها مثلَه قطّ ، بهجةً وحسنا وجمالا ، وإذا هى أكمل الناس عقلا ، وأفصحهم لسانا ؛ فخرجتْ من عندها وهى تقول : « ترك الخِداعَ مَن كشف القِناع » . فذهبت مثلا ، ثم أقبلت إلى الحرث ، فقال لها : « ما وراءكِ يا عصام » ؟ فأرسلها مثلا . قالت : « صرّح المحضُ عن الزبد » ، فذهبت مثلا . قال : أخبرينى . قالت : أخبرك صدقا وحقا :

رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة ، يزينها شعر حالك كأذناب الخيل المضفورة ، إن أرسلتْه خِلْتَه السلاسل ، وإن مَشَطتْه قلت عناقيد كرْم جلاها الوابل ، ومع ذلك حاجبان كأنهما خُطّا بقلم ، أو سُوِّدا بحُمَم ، قد تقوسا على مثل عين العبْهرة التى لم يَرُعْها قانص ولم يُذعِرها قسورة ، بينهما أنف كحَدّ السيف المصقول ، لم يخلِس به قصر ، ولم يُمعن به طول ، حفَّت به وجنتان كالأرجُوان ، فى بياض محض كالجمان ، شق فيه فم كالخاتم ، لذيذ المبتسم ، فيه ثنايا غُرّ ، ذوات أشر ، وأسنان تبدوا كالدر ، وريق كالخمر ، له نشر الروض بالسَّحر ، يتقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان ، يقلّبه به عقل وافر ، وجواب حاضر ، تلتقى دونه شفتان حمراوان كالورد ، يحلبان ريقاً كالشهد ، تحت ذاك عنق كإبريق الفضة ، رُكِّب فى صدر تمثال دمية يتصل به عضدان ممتلئان لحما ، مكتنزان شحما ، وذراعان ليس فيهما عظمٌ يُحَس ، ولا عِرق يجس ، رُكِبَتْ فيهما كفان دقيق قَصَبُهُما ، لَيِّنٌ عصَبُهما ، تعقد إن شئت منهما الأنامل ، وتركّب الفصوص فى حُفر المفاصل ، وقد تربع فى صدرها حُقان كأنهما رمانتان ، [يَخرِقان عليها ثيابَها] ، من تحته بطن طُوى كطىّ القباطىّ المدمجة ، كسى عُكنا كالقراطيس المدْرجة ، تحيط تلك العكَن بسرّة كمدهن العاج المجلوّ ، خلف ذلك ظهر كالجدول ينتهى إلى خصر لولا رحمة الله لانخزل ، تحته كفَل يقعدها إذا نهضت ، ويُنهضها إذا قعدت ، كأنه دِعص رمل ، لبّده سقوط الطل ، يحمله فخذان لفاوان ، كأنهما نضيد الجمان ، تحملهما ساقان خدلّجتان كالبَردى وُشّيتا بشعر أسود ، كأنه حلق الزرد ، ويحمل ذلك قدمان كحذْو اللسان ، تبارك الله ، مع صغرهما كيف تطيقان حمل مافوقهما ، فأما ما سوى ذلك فتركت أن أصفه غير أنه أحسن ماوصفه واصف بنظم أو نثر .

قال : فأرسل إلى أبيها يخطبها ، فكان من أمرهما ما تقدم ذكره فى صدر هذا الكتاب .

صفة المرأة السوء

للنبي صلى الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إياكم وخضراء الدِّمَن» . يريد الجارية الحسناء فى المَنْبِت السوء .

لداود عليه السلام

وفى حكمة داود : «المرأةُ السوء مثلُ شركِ الصياد ، لا ينجو منها إلا من رضى الله عنه» .

لعمر بن الخطاب

الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال : قال عمر بن الخطاب : النساء ثلاثة : هينة عفيفة مسلمة ، تعين أهلَها على العيش ولا تعين العيش على أهلها . وأخرى وعاء للولد . وثالثة غُل قَمِل يلقيه الله فى عنق من يشاء من عباده .

لأعرابى

وقيل لأعرابى عالم بالنساء : صف لنا شر النساء . قال شرُّهن النحيفة الجسم القليلة اللحم ، الطويلة السقم ، المحياض الممراض الصفراء ، المشئومة العسراء ، السليطة الذفراء ، السريعة الوثبة ، كأن لسانها حربة ، تضحك من غير عجب ، وتقول الكذب ، وتدعو على زوجها بالحرب ، أنف فى السماء ، وآستٌ فى الماء .

للخشنى

وفى رواية محمد بن عبد السلام الخشنى قال : إياك وكل امرأة مذكّرة منكرة ، حديدة العرقوب ؛ بادية الظّنبوب ، منتفخة الوريد ، كلامها وعيد ، وصوتها شديد ؛ تدفن الحسنات ، وتفشى السيئات ؛ تعين الزمان على بعلها ، ولا تعين بعلها على الزمان ؛ ليس فى قلبها له رأفة ، ولا عليها منه مخافة ؛ إن دخل خرجت ، وإن خرج دخلت ، وإن ضحك بكت ، وإن بكى ضحكت ؛ وإن طلقها كانت حرفتَه ، وإن أمسكها كانت مصيبتَه ؛ سفعاء ورهاء ، كثيرة الدعاء ، قليلة الإرعاء ، تأكل لَمًّا ، وتوسع ذما ؛ صخوب غضوب ، بذيّة دنية ؛ ليس تَطفأ نارُها ، ولا يهدأ إعصارها ؛ ضيقة الباع ، مهتوكة القناع ، صبيها مهزول ؛ وبيتها مزبول ، إذا حدثت تشير بالأصابع ، وتبكى فى المجامع ، بادية من حجابها ، نباحة على بابها ، تبكى وهى ظالمة ، وتشهد وهى غائبة ، قد دُلِّىَ لسانها بالزور ، وسال دمعُها بالفجور .

ابن قتيبة بين امرأة وزوجها

نافرت امرأةُ فضالة زوجَها إلى مسلم بن قتيبة ، وهو والى خراسان فقالت : أُبْغِضه والله لخلالٍ فيه . قال : وما هى ؟ قالت : قليلُ الغَيْرة ، سريع الطيرة ، شديد العتاب ، كثير الحساب ، قد أقبل بَخَرُه ، وأدبر ذفرُه ، وهجمت عيناه ، واضطربت رجلاه ، يفيق سريعا ، وينطق رجيعا ، يصبح حلسا ، ويمسى رجسا ، إن جاع جزع ، وإن شبع جشع . ٥

فى المرأة السوء

ومن صفة المرأة السوء يقال : امرأة سِمْعَنَّة نِظْرَنَّة ؛ وهى التى إذا تسمّعت أو تبصّرت فلم تر شيئاً تَظَنَّتْه تظنّيا .

شعر لبعض الأعراب

قال أعرابى :

إنّ لنا لَكَنَّهْ ، سِمْعِنَّةَ نِظْرَنَّهْ
مِعَنَّةَ مِفَنَّهْ ، كالرّيح حول القُنَّهْ[١] ١٠
إلّا تَرَهْ تظنّهْ

لابن هبيرة

وقال يزيد بن عمر بن هبيرة : لا تنكحنّ برشاء ، ولا عمشاء ، ولا وقصاء ، ولا لثغاء ؛ فيجيئك ولدٌ ألثغ ؛ فوالله لَولد أعمى أحبُّ إلىّ من ولد ألثغ .

لبعضهم

وقال : آخِر عُمرِ الرجل خيرٌ من أوله ؛ يثوب حلمه ، وتثقل حصاتُه ، وتُحمَد سريرته ، وتكْمُل تجاربه ، وآخر عُمُرِ المرأة شر من أوله ؛ يذهب جمالها ؛ ١٥ ويذرب لسانها ، وتَعْقُمُ رحمها ، ويسوء خُلُقها .

لجعفر بن محمد

وعن جعفر بن محمد عليهما السلام : إذا قال لك أحد : تزوجت نَصَفا ؛ فاعلم أن شر النصفين ما بقى فى يده ! وأنشد :

وإن أتوك وقالوا إنها نَصَفٌ ، فإنّ أطيَبَ نصفَيْها الذى ذَهَبا

للحطيئة

وقال الحطيئة فى امرأته : ٢٠

أُطوّفُ ما أُطوّفُ ثم آوِى ، إلى بيْتٍ قعيدته لَكاع

(٢) فى بعض الأصول : « كالذئب وسط العنة » .

وقال فى أمّه :

تنَحَّىْ فاجلِسِى مِنِّى بعيداً * أراح الله منكِ العالَمينا
أغِرْبالاً إذا استُودِعتِ سرًا * وكانوناً على المُتحدِّثينا
حياتُكِ ما علِمتُ حياةُ سوءٍ * وموْتُكِ قد يسُرُّ الصالحينا

٥ وقال زيد بن عمير فى أمته : لابن عمير

أعاتبُها حتى إذا قلتُ أقلَعَتْ * أبَى اللهُ إلّا خِزْيَها فتعودُ
فإن طمِثَتْ قادتْ وإن طَهُرت زنتْ * فهى أبداً يُزْنَى بها وتقودُ

ويقال : إن المرأة إذا كانت مُبْغضة لزوجها ، فعلامة ذلك أن تكون عند قربه منها مرتدة الطرف عنه ، كأنها تنظر إلى إنسان غيره ؛ وإذا كانت مُحبة له ، ١٠ لا تقلع عن النظر إليه . علامة الحب والبغض

وقال آخر يصف امرأة لثغاء : لبعض الشعراء

أوّلُ ما أسمعُ منها فى السَّحَرْ * تذكيرُها الأنثى وتأنيثُ الذكرْ
* والسَّوْءةُ السوءاءُ فى ذِكرِ القمرْ *

ولآخر فى زوجته : لآخر فى زوجته

١٥ لقد كنتُ محتاجاً إلى موتِ زوْجتى * ولكن قرينُ السُّوءِ باقٍ مُعَمَّرُ
فياليْتَها صارتْ إلى القــبْرِ عاجلا * وعذّبها فيه نكيرٌ ومُنكَرُ

كان روح بن زنباع أثيراً عند عبد الملك ، فقال له يوما : أرأيت امرأتى العبشمية ؟ قال : نعم . قال : بماذا شبهتَها ؟ قال : بمشجب بال قد أسىء صُنْعُه . قال : صدقت ، وما وضعتُ يدى عليها قط إلا كأنى وضعتها على الشُّكاعى ، وأنا ٢٠ أحب أن تقول ذلك إلى ابنيها الوليد وسليمان ! فقام إليه فزعا فقبل يده ورجله ، وقال : أنشُدك الله يا أمير المؤمنين ، أن لا تعرِّضنى لهما ! قال : ما من ذلك بُدٌّ ! وبعث من يدعوهما ؛ فاعتزل روح وجلس ناحية من البيت ؛ فقال لهما [عبد الملك] : أتدريان لم بعثت إليكما ؟ إنما بعثت لتعرفا لهذا الشيخ حقَّه عبد الملك وابن زنباع

وحُرمته ! ثم سكت .

ابن زنباع وزوجه

أبو الحسن المدائنى : كان عند روح بن زنباع ، هند بنت النعمان بن بشير ، وكان شديد الغَيْرة ، فأشرفت يوما تنظر إلى وفد جذام [إذْ] كانوا عنده ، فزجرها ؛ فقالت : والله إنى لأبغض الحلال من جذام ؛ فكيف تخافنى على الحرام فيهم . ٥

وقالت له يوما : عجبا منك ! كيف يسودك قومك ؛ وفيك ثلاث خلال : أنت من جذام . وأنت جبان . وأنت غيور ؟ فقال لها : أما جذام فإنى فى أرومتها ، وحسبُ الرجل أن يكون فى أرومة قومِه ؛ وأما الجبن فإنى مالى إلا نفسٌ واحدة ، فأنا أحوطها ؛ فلو كانت لى نفس أخرى جدت بها ؛ وأما الغَيْرة فأمر لا أريد أن أُشارك فيه ، وحقيق بالغيرة من كانت عنده حمقاء مثلك ، مخافة أن تأتيه بولد من غيره فتقذفه فى حِجره ! فقالت : ١٠

وهل هِنْـــدُ إلّا مُهْرَةٌ عربيّةٌ * سليلَة أفراسٍ تجلّلها بغــلُ
فإن أنجبت مُهْرا عريقاً فبالحَرَى * وإن يَكُ إقرافٌ فما أنجب الفحْلُ

رجل وامرأة تخطب له

وعن الأصمعى قال : قال أبو موسى : جاءت آمرأة إلى رجل تدله على امرأة يتزوجها ، فقال : ١٥

أقولُ لهَا لمَّا أتتْنى تَدُلُّنى * على آمرأة موْصُوفةٍ بجمالِ
أصبتِ لها والله زوْجاً كما آشتهت * إنِ آحتَمَلت منه ثلاث خِصال
فمِنْهُن عجْزٌ لا يُنادِى وليدَهُ * ورِقّةُ إسْــلامٍ وقلّةُ مالِ

صفة الحسن

المدائنى

عن أبى الحسن المدائنى قال : الْحُسْنُ أحمرُ ، وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث فى الكن والتضمّخ بالطيب ، كما تضرب بيضة الأدحىّ واللؤلؤة المكنونة ؛ وقد شبه الله عز وجل فى كتابه فقال : ﴿ كأنهن بيْضٌ مكنونٌ ﴾ . ٢٠

وقال الشاعر : لبعض الشعراء

كأنّ بيْضَ نعام فى ملاحِفِها * إذا اجتلاهنّ قَيْظٌ ليلُه ومِدُ

وقال آخر : لآخر

مَروزىُّ الأديمِ تغمُرُه الصُّفْ * رةُ حيناً لا يستحق اصفِرارا

٥ وجَرى من دَمِ الطبيعةِ فيه * لونُ ورد كَسَا البياضَ احمرارا

وقالت امرأة خالد بن صفوان له : لقد أصبحت جميلا ! فقال لها : ابن صفوان وامرأة
وما رأيت من جمالى ، وما فىّ رداء الحُسن ولا عمودُه ولا بُرنُسه ؟ قلت :
وكيف ذلك ؟ قال : عمود الحُسن الشَّطاط ، ورداؤُه البياض ، وبرنُسه
سواد الشعر .

١٠ وقالوا : إن الوجه الرقيق البشرة الصافى الأديم ، إذا خجل يحمرّ وإذا لبعضهم
فرِق يصفر .

ومنه قولهم : ديباج الوجه ؛ يريدون تلوُّنَهُ .

وقال عدىّ بن زيد يصف لونَ الوجه : لعدى بن زيد

حُمْرَةٌ خلطَت صُفرة فى بياض * مثل ما حاكَ حائكٌ ديباجا

١٥ وقالوا : إن الجارية الحسناء تتلون بلون الشمس ، فهى بالضحى بيضاء ، لبعضهم
وبالعشى صفراء .

وقال الشاعر : لبعض الشعراء

بيضاء ضَحْوتُها وصفْ * راء العشِيّة كالعرارَهْ

وقال ذو الرمة : لذى الرمة

٢٠ بيضاء صفراء قد تنازَعها * لونانِ من فضةٍ ومن ذهبِ

ومن قولنا : لابن عبد ربه

بيضاء يحمرُّ خدّاها إذا خَجِلَتْ * كما جرَى ذهبٌ فى صفحتَىْ ورِقِ

ومن قولنا :

ما إن رأيت ولا سَمِعت بمثلِه * دُرًّا يعودُ من الحياء عقيقا

ومن قولنا :

كم شادِن لطفَ الحياء بوجْهه * فأصارَهُ وردًا على وجناته

ومن قولنا :

عقائلُ كالآرامِ أما وُجُوهُها * فَدُرٌ ولكن الُخدودَ عقيقُ

ومن قولهم فى الجارية

٥

لبعضهم جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ؛ فالجميلة التى تأخذ بصرك جملة على بُعْد ، فإذا دنت لم تكن كذلك ؛ والمليحة التى كلما كررت فيها بصرك زادتك حُسنا .

وقال بعضهم : الجميلة السمينة ، مِن الجميل ، وهو الشحم ، والمليحة أيضا من المُلحة ، وهو البياض ، والصبيحة مثل ذلك ، يشبهونها بالصبح فى بياضه .

المنجبات من النساء

١٠

قالوا : أنجبُ النساء الفَرُوك ، وذلك أن الرجل يغلبها على الشبق ، لزهدها فى الرجل .

للأصمعى أبو حاتم عن الأصمعى قال : النجيبة التى تنزع بالولد إلى أكرم العرقين .

لعمر وقال عمر بن الخطاب : يا بنى السائب ، إنكم قد أضويتم ، فانكحوا فى النزائع .

١٥

للعرب وقالت العرب : بنات العمّ أصبر ، والغرائب أنجب .

والعرب تقول : اغتربوا لا تضووا : أى انكحوا فى الغرائب ، فإن القرائب يُضوين البنين .

وقالوا : إذا أردت أن يصلب ولدُ المرأة فأغضِبها ثم قَعْ عليها ؛ وكذلك الفزِعة .

٢٠

لبعض الشعراء وقال الشاعر :

مِمّن حمَلْن به وهُنّ عواقدٌ * حُبُكَ النِّطاق فشبّ غير مُهَبَّل

حَملت به في ليلةٍ مَزْءودَة * كُرهاً وعقْدُ نطاقها لم يُحللِ

لأم تأبط شـ.

قالت أم تأبط شرا : والله ما حملتُه تَضعا ولا وُضعا ، ولا وضعته يَتْنا ، ولا أرضعتُه غَيلا ، ولا أنمتُه مَئِقا .

حَمْلته وُضعا وتُضْعا : وهى أن تحمله فى مُقبل الحيض . ووضعتُه يتنا : وضعته ٥ منكسا ، تخرج رجلاه قبلَ رأسه . وأرضعتُه غيلا : أرضعته لبنا فاسداً ، وذلك أن ترضعه وهى حامل . وأنمته مئقا . أى مغضبا مغتاظا .

ومن أمثال العرب قولهم : أنا مَئِقٌ وأنتَ نَئِق ، فلا نتفق .

المئق : المغضب المغتاظ . والنئِق : الذى لا يحتمل شيئا .

من أخبار النساء

لابن أبى ربيعة فى مقتل زوجة المختار

١٠ لما قتل مصعب بن الزبير ابنةَ النعمان بن بشير الأنصارية ، زوجة المختار ابن أبى عبيد ، أنكر الناسُ ذلك عليه وأعظموه ؛ لأنه أتى بما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فى نساء المشركين ؛ فقال عمر بن أبى ربيعة :

إنّ مِن أعظَم الكبائرِ عندِى * قَتلَ حَسناء غادَةٍ عُطْبُولِ

قُتِلت باطلا على غيرِ ذنبٍ * إنّ لله دَرّها من قَتيل

١٥ كُتِبَ القتلُ والقِتالُ علينا * وعلى الغانياتِ جَرُّ الذيولِ

الخوارج وامرأة أرادوا قتلها

ولما خرجت الخوارج بالأهواز ، أخذوا امرأة فهمُّوا بقتلها ؛ فقالت لهم : أتقتلون من يُنَشَّأُ فى الحلية وهو فى الخصام غيرُ مبين . فأمسكوا عنها .

باب الطلاق

للأصمعى

محمد بن الغاز قال : حدثنى عبد الرحمن بن محمد ابن أخى الأصمعى قال : سمعت ٢٠ عمى يقول : توصّلت بالمُلَح ، وأدركت بالغريب .

الرشيد والأصمعى

وقال عمى للرشيد فى بعض حديثه : بلغنى يا أمير المؤمنين أن رجلا من العرب طلق فى يوم خمسَ نسوة ! قال إنما يجوز ملك الرجل على أربع نسوة ؛

فكيف طلق خمسا ؟ قال : كان لرجل أربع نسوة ، فدخل عليهن يوما فوجدهن متلاحيات متنازعات — وكان شِنْظيرا ،[1] فقال : إلى متى هذا التنازع ؟ ما إخال هذا الأمر إلا من قِبلك — يقول ذلك لامرأة منهن — اذهبي فأنت طالق ! فقالت له صاحبتها : عجلت عليها بالطلاق ، ولو أدّبتها بغير ذلك لكنت حقيقا ! فقال لها : وأنت أيضا طالق ! فقالت له الثالثة : قبحك الله ! فوالله لقد كانتا إليك محسنتين ، وعليك مُفضلتين ! فقال : وأنت أيتها المعدِّدةُ أياديَهما طالق أيضا ! فقالت له الرابعة ، وكانت هلالية وفيها أناة شديدة : ضاق صدرُك عن أن تؤدب نساءك إلا بالطلاق ! فقال لها : وأنت طالق أيضا ! وكان ذلك بمسمع جارة له ، فأشرفت عليه وقد سمعت كلامه ، فقالت : والله ما شهدَت العرب عليك وعلى قومك بالضعف إلا لما بَلوْهُ منكم ووجدوه فيكم ، أبيتَ إلا طلاق نسائك في ساعة واحدة ! قال : وأنت أيضاً أيتها المؤنِّبة المتكلفة طالق ، إن أجاز زوجُكِ ! فأجابه من داخل بيته : قد أجزت ! قد أجزتُ .

المغيرة وزوجته فارعة

ودخل المغيرة بن شعبة على زوجته فارعة الثقفية وهى تتخلل حين انفتلت من صلاة الغداة ؛ فقال لها : لئن كنت تتخللين من طعامك اليوم إنكِ لجشِعة ، وإن كنت تتخللين من طعام البارحة إنك لشبِعة ، كنتِ فبنتِ ، فقالت : والله ما اغتبطنا إذ كنا ، ولا أسِفنا إذ بِنَّا ، وماهو لِشيء مما ذكرت ، ولكنى آستكت فتخللت للسواك ؛ فخرج المغيرة نادما على ما كان منه ، فلقِيه يوسف بن أبى عقيل فقال له : إنى نزلت الآن عن سيدة نساء ثقيف : فتزوجها فإنها ستنجب ؛ فتزوّجها فولدت له الحجاج .

الحسن وعائشة بنت طلحة

وقال الحسن بن على بن حسين لامرأته عائشة بنت طلحة : أمرُكِ بيدك ! فقالت : قد كان عشرين سنة بيدك فأحسنت حفظه ، فلم أضيعه إذ صار بيدى ساعة واحدة ؛ وقد صرفته إليك ! فأعجبه ذلك منها وأمسكها .

(١) الشنظير . الفحاش .

لرجل فى طلاق امرأته

وقال أبو عبيدة : طلق رجل امرأته وقال :

لقد طلَّقْتُ أُختَ بنى غِلابٍ * طلاقاً ما أظنُّ له آرتدادا

ولم أكُ كالمُعدّلِ أو أُويْسٍ * إذا ماطلقــا نَدِما فعَادا

قال أبو عبيدة : وطلاق المعدّل وأويس يضرب به المثل .

لآخر فى مثله

٥ ونكح رجل امرأة من عدِىّ ، فلما اهتداها رأت رَبعَ داره أحسنَ ربع ، وشملَ عياله أجمعَ شمل ؛ فقالت : أما والله لئن بقيت لهم لأشتّتن أمرهم ! وقالت فى ذلك :

أرى ناراً سأجعلُها إرِينا * وأتركُ أهْلَها شتّى عِزِينا

فلما انتهى ذلك إلى زوجها طلقها ، وقال فى ذلك :

١٠ ألا قالت هَدِىٌّ بنى عدِىّ * أرى ناراً سأجعلُها إرِينا

فبِيِنى قبلَ أن تلحَىْ عَصانا * ويُصبحَ أهلُنا شتى عِزِينا

لابن عباس

وقيل لابن عباس : ما تقول فى رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء ؟ فقال : يكفيه من ذلك عددُ كواكب الجوزاء !

لأعرابى

وقيل لأعرابى : هل لك فى النكاح ؟ قال : لو قدرتُ أن أطَلِّقَ نفسى لطلقتها .

١٥ وعن الزهرى قال : قال أبو الدرداء لامرأته : إذا رأيتنى غضبتُ فتَرَضَّيْنى ، وإن رأيتك غضبت ترضّيتك ، وإلا لم نصطحب ! قال الزهرى : وهكذا تكون الإخوان .

الأصمعى وأعرابى طلق امرأته أمامة

قال الأصمعى : كنت أختلفِ إلى أعرابى أقتبس منه الغريب ، فكنت إذا استأذنت عليه يقول : يا أُمامة ائذنى له . فتقول : ادخل . فاستأذنت عليه مراراً فلم أسمعه يذكر أمامة ؛ فقلت : يرحمك الله ، ما أسمعك تذكر أمامة ؛ قال : فوجم

٢٠ وجمة ، فندمت على ما كان منى ، ثم أنشأ يقول :

ظَعَنت أُمامةُ بالطلاق * ونَجوتُ من غُلِّ الوثاقِ

بانت فــلم يَألم لهـا * قلبى ولم تَبكِ المآقى

لو لم يُرِحْ بطلاقِها * لأرحتُ نفسى بالإباقِ
ودواءُ ما لا تشتهيه النفسُ تعجيلُ الفراق
والعيشُ ليسَ يطيبُ من * إلفينِ من غيرِ اتّفاق

لأبى موسى فى طلاق امرأته

وعن الشيبانى قال : طلق أبو موسى امرأته وقال فيها :

تجهّزى للطلاقِ وارتحلى * فذَا دواءُ المجانبِ الشرسِ
ما أنتِ بالحبّةِ الولُودِ ولا * عِندَكِ نفعٌ يُرجى لِمُلتمِسِ
لليلَتي حين بِنتِ طالقةً * ألذُّ عندى من ليلةِ العُرس
بِتُّ لديها بِشرِّ مَنزلةٍ * لا أنا فى لذّةٍ ولا أنس
تلكَ على الخسْفِ لا نظيرَ لها * وإننى ما يَسوغُ لى نَفسى

ابن زبان والزبير

أقبل منظور بن زَبّان بن سيار الفزارى إلى الزبير فقال : إنما زوجناك ولم نزوج عبد الله ! قال : مالهُ ؟ قال : إنها تشكوه . قال : يا عبدَ الله طلِّقها ! قال عبد الله : هى طالق ! قال ابن منظور : أنا ابن قهدم[1] . قال الزبير : أنا ابنُ صفية أتريد أن يطلق المنذر أختها ؟ قال : لا ، تلك راضية بموضعها .

خديجة بنت محمد وإبراهيم

وتزوج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان خديجة بنت عروة ابن الزبير ، فذُكر لها جماله — وكان يقال له المذهب من حسنه ، وكان رجلا مطلاقاً — فقالت : محمدٌ هو الدنيا لا يدوم نعيمها . فلما طلقها خطبها إبراهيم ابن هشام بن إسماعيل المخزومى ؛ فكتب إليها :

أُعيذُكِ بالرحمنِ من عيشِ شِقْوةٍ * وأن تطمَعى يوما إلى غيرِ مَطْمَعِ
إذا ما ابنُ مظعون تحدَّر وسْقُه * عليكِ فبُوئى بعد ذلك أو دَعِى

فردّته ولم تتزوجه .

الحجاج وزواجه بابنة جعفر

وعن العتبى عن أبيه قال : أمهر الحجاج ابنة عبد الله بن جعفر تسعين ألف دينار فبلغ ذلك خالد بن يزيد بن معاوية ، فأمهل عبد الملك ، حتى إذا أطبق الليل

(١) فى الأغانى : « قهطم » .

دق عليه البـاب ؛ فأذن له عبد الملك ، ودخل عليه فقال له : ما هذا الطروق أبا يزيد ؟ قال : أمرٌ والله لم يُنتظر له الصبح ، هل علمتَ أن أحداً كان بينه وبين مَن عادَى ما كان بين آل أبى سفيان وآل الزبير بن العوام ؟ فإنى تزوجت إليهم ، فما فى الأرض قبيلة من قريش أحبُّ إلىّ منهم ؛ فكيف تركتَ الحجاج وهو سهم من سهامك يتزوج إلى بنى هاشم ، وقد علمتَ ما يقال فيهم فى آخر الزمان ؟ قال : وصلتْك رحِم .

وكتب إلى الحجاج يأمره بطلاقها وألا يراجعه فى ذلك . فطلقها . فأتاه الناس يعزونه ، وفيهم عمرو بن عتبة ؛ فجعل الحجاج يقع بخالد ويتنقّصه ، ويقول : إنه صيّر الأمرَ إلى من هو أولى به منه ، وإنه لم يكن لذلك أهلا !

فقال له عمرو بن عتبة : إن خالداً أدرك مَن قبله ، وأتعب مَن بعده ، وعلم علما فسلّم الأمر إلى أهله ، ولو طلب بقديم لم يُغْلب عليه ، أو بحديث لم يُسْبَقْ إليه .

فلما سمعه الحجاج استخى ، فقال : يا بن عتبة ، إنا نسترضيكم بأن نعتب عليكم ، ونستعطفكم بأن ننال منكم ؛ وقد غَلبتم على الحلم فوثقنا لكم به ، وعلمنا أنكم تحبون أن تَحلموا فتعرّضنا للذى تحبون .

من طلق امرأته ثم تبعتها نفسه

بين العريان وبنت عم له

الهيثم بن عدى قال : كانت تحت العريان بن الأسود بنتُ عمٍّ له ، فطلّقها ، فتبعتْها نفسه ؛ فكتب إليها يعرّض لها بالرجوع ؛ فكتبت إليه :

إنْ كنتَ ذا حاجةٍ فاطلُبْ لها بدلا * إنّ الغزالَ الذى ضَيّعْتَ مشغولُ

فكتب إليها :

مَنْ كان ذا شُغُل فاللهُ يَكْلَؤُهُ * وقد لهوْنا به والحبلُ موصولُ

وقد قضيْنا منَ استِطْرافِه طرَفاً * وفى الليالى وفى أيّامِها طولُ !

وطلق الوليد بن يزيد امرأته سعدى ، فلما تزوجت اشتد ذلك عليه ، وندم

الوليد وزوجته سعدى

على ما كان منه ؛ فدخل عليه أشعب ، فقال له : أبلغ سعدى عنى رسالة ، ولك منى خمسة آلاف درهم ! فقال : عجِّلها ! فأمر له بها ؛ فلما قبضها قال : هات رسالتك . فأنشده :

أسُعْدَى ما إليْكِ لنا سبيلُ * ولا حتى القِيامةَ مِن تلاقِ ؟

بلى ، ولعل دهْراً أن يُواتى * بموْتٍ من حَليلِكِ أو فِراقِ ٥

فأتاها فاستأذن ، فدخل عليها . فقالت له : ما بدا لك فى زيارتنا يا أشعب ؟ فقال : ياسيدتى ، أرسلنى إليك الوليد برسالة . وأنشدها الشعر ؛ فقالت لجواريها: خُذْنَ هذا الخبيث ! فقال : يا سيدتى ، إنه جعل لى خمسةَ آلاف درهم ! قالت : والله لأعاقبنك أو لتُبلغن إليه ما أقول لك . قال : سيدتى ، اجعلى لى شيئاً . قالت: لك بساطى هذا . قال : قومى عنه ! فقامت عنه وألقاه على ظهره ، وقال : هاتى ١٠ رسالتك . فقالت : أنشده

أتبكى على سُعْدَى وأنت تركْتَها * فقد ذهبتْ سُعْدَى فما أنت صانعُ

فلما بلغه وأنشده الشعر ، سُقط فى يده وأخذته كظمة ، ثم سُرِّىَ عنه ، فقال: اختر واحدة من ثلاث : إما أن نقتلك ، وإما أن نطرحك من هذا القصر ، وإما أن نلقيَك إلى هذه السِّباع ! فتحير أشعب وأطرق حيناً ؛ ثم رفع رأسه فقال: ١٥ يا سيدى ، ما كنت لتعذِّبَ عينين نظرتا إلى سعدى ! فتبسم وخلى سبيله .

ابن أبى بكر وامرأته

ومن طلق امرأته فتبعتها نفسه ، عبد الرحمن بن أبى بكر : أمره أبوه بطلاقها ، ثم دخل عليه فسمعه يتمثل :

فلم أر مثْلى طلَّقَ اليومَ مثلَها * ولا مثلَها فى غيْرِ شىء تُطلَّقُ

فأمره بمراجعتها . ٢٠

الفرزدق ونوار

ومن طلق امرأته فتبعتها نفسه ، الفرزدق الشاعر : طلق النَّوار ، ثم ندم فى طلاقها وقال :

نَدِمْتُ ندامةَ الكُسَعِىِّ لمَّا * غَدَتْ منِّى مُطلَّقةً نَوارُ

وكانت جنّتى فخَرَجْت منها * كآدمَ حين أخرجَه الضِّرارُ

فأصبحْتُ الغَداةَ ألومُ نفْسى * بأمرٍ ليس لى فيه خِيار

من أخبار النوار

وكانت النوار بنت عبد الله قد خطبها رجل رضيته ، وكان وليُّها غائبا ، وكان الفرزدق وليَّها إلا أنه كان أبعد من الغائب ؛ فجعلت أمرها إلى الفرزدق ، وأشهدت له بالتفويض إليه ؛ فلما توثّق منها بالشهود ، أشهدهم أنه قد زوجها من نفسه ! فأبت منه ونافرته إلى عبد الله بن الزبير ؛ فنزل الفرزدق على حمزة بن عبد الله [ابن الزبير] ، ونزلت النوار على زوجة عبد الله بن الزبير ، وهى بنت منظور ابن زبّان ؛ فكان كل ما أصلح حمزة من شأن الفرزدق نهاراً أفسدته المرأة ليلا ؛ حتى غلبت المرأة وقضى ابن الزبير على الفرزدق ؛ فقال :

أمّا البنونَ فلم تقْبل شفاعتهم * وشُفِّعَتْ بنت منْظورِ بن زَبّانا

ليس الشّفيعُ الذى يأتيك مُؤْتزِراً * مثل الشفيع الذى يأتيك عُريانا

وقال الفرزدق فى مجلس ابن الزبير :

وماخاصَمَ الأقوامَ من ذى خُصومةٍ * كوَرْهاء مَدنُوٍ إليها خليلُها

فدونَكَها يابن الزبير فإنها * مُلعَّنةَ يُوهى الحِجارة قيلُها

فقال ابن الزبير : إن هذا شاعر ، وسيهجونى ؛ فإن شئت ضربت عنقه وإن كرهت ذلك ؛ فاختارى نكاحه وقَرّى . فقرّت واختارت نكاحه ، ومكثت عنده زمانا ، ثم طلقها وندم فى طلاقها .

وعن الأصمعى عن المعتمر بن سليمان عن أبى مخزوم عن راوية الفرزدق ، قال : قال لى الفرزدق يوما : امض بنا إلى حلقة الحسن ، فإنى أريد أن أطلق النوار ! فقلت له : إنى أخاف أن تتبَعها نفسُك ، ويشهد عليك الحسن وأصحابه . قال : انهض بنا . فجئنا حتى وقفنا على الحسن ، فقال [الفرزدق] : كيف أصبحت أبا سعيد ؟ قال : بخير ، كيف أصبحت يا أبا فراس ؟ فقال : تعلمُنّ أنى طلقت النوار ثلاثا ! قال الحسن وأصحابه : قد سمعنا فانطلقنا ، فقال لى الفرزدق :

يا هذا ، إن فى نفسى من النوار شيئاً ! فقلت : حذرتك ! فقال :

ندمتُ ندامةَ الكُسَعِىِّ لمَّا * غـدتْ منى مُطلَّقةً نَوارُ
وكانت جَنَّتى فخرجتُ منها * كآدم حين أخرجه الضِّرار
ولو أنى مَلَكتُ بها يمينى * لكان علىَّ للقَدَر الخِيار

قيس بن ذريح وطلاق امرأته

٥ ومن طلق امرأته وتبعتها نفسُه ، قيس بن الذريح ؛ وكان أبوه أمره بطلاقها فطلقها وندم ؛ فقال فى ذلك :

فوا كَبِدى على تسريح لُبْنَى * فكان فِراق لُبْنَى كالخِداع
تكنَّفَنى الوُشاةُ فأزعجونى * فيا للنـاس للواشى المطاع
فأصبحتُ الغداةَ ألومُ نفْسى * على أمرٍ وليس بمستطاع
١٠ كمغبونٍ يعَضُّ على يديه * تبيَّن غَبْنَهُ بعـد البَياع

رجل فى مثله

وطلق رجل امرأته ، فقالت : أبعْدَ صحبة خمسين سنة ؟ فقال : مالك عندنا ذنبٌ غيره !

ابن أم الحكم بين رجل وامرأته

العتبى قال : جاء رجل بامرأة كأنها بُرْج فضة ، إلى عبد الرحمن بن أم الحكم وهو على الكوفة ، فقال : إن امرأتى هذه شجَّتنى ! فقال لها : أنتِ فعلت به ؟ قالت : نعم ، غير متعمِّدة لذلك ؛ كنت أعالج طيبا ، فوقع الفهر من يدى ١٥ على رأسه ؛ وليس عندى عقل ، ولا تقوى يدى على القصاص ! فقال عبد الرحمن للرجل : يا هذا ، علام تحبسها وقد فعلت بك ما أرى ؟ قال : أصدقْتها أربعة آلاف درهم ، ولا تطيب نفسى بفراقها ! قال : فإن أعطيتُها لك أتفارقها ؟ قال : نعم . قال : فهى لك . قال : هى طالق إذاً ! فقال عبد الرحمن : احبسى علينا ٢٠ نفسَك . ثم أنشأ يقول :

ياشيْخُ ويحكَ مَن دلَّاك بالغزَل * قد كنت يا شيْخُ عن هذا بمعتزَلِ
رُضْتَ الصِّعابَ فلم تُحسِن رياضتَها * فاعمِدْ لنفسِك نحو الجِلَّةِ الذُّلُلِ

فى مكر النساء وغدرهن

لداود عليه السلام

فى حكمة داود عليه السلام : وجدت من الرجال واحداً فى ألف ، ولم أجد واحدة فى النساء جميعا .

الغسانى والكندى وهند

وقال الهيثم بن عدى : غزا الغسانىُّ الحارث بن عمرو آكل المرار الكندى ، فلم يصبه فى منزله ، فأخذ ما وجد له واستاق امرأته ؛ فلما أصابها أُعجبت به ، فقالت له : أَنْجُ ، فوالله لكأنى أنظر إليه يتبعك فاغرا فاه كأنه بعيرٌ آكل مُرار ! وبلغ الحارث ، فأقبل يتبعه حتى لحقه فقتله ، وأخذ ما كان معه وأخذ امرأته ، فقال لها : هل أصابك ؟ قالت : نعم والله ما اشتملت النساء على مثله قط ! فأمر بها فأوقفت بين فرسين ، ثم استحضرهما حتى تقطعت . ثم قال :

كلُّ أُنثى وإن بدا لك منها * آية الوُدِّ حُبُّها خَيْتَعورُ
إن مَن غَرَّهُ النِّساء بوُدٍّ * بعدَ هندٍ لجاهلٌ مغرور

للحكماء

وقالت الحكماء : لا تثق بامرأة ، ولا تغترَّ بمال وإن كثر .

لبعضهم

وقالوا : النساء حبائل الشيطان .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

تمتّع بها ما ساعفَتْك ، ولا تكن * جَزوعا إذا بانت ، فسوف تبينُ
وصُنها وإن كانت تفِى لك ، إنها * على مَددِ الأيام سوف تخُون
وإن هى أعطَتْك اللِّيانَ فإنها * لآخرَ من طُلّأبها ستَلين
وإن حَلفَتْ لا ينقُضُ النأىُ عهدَها * فليس لمخضوب البَنانِ يمين
وإن أسبَلَت يومَ الفِراقِ دُموعَها * فليس لعَمْرُ اللهِ ذاك يقين

للحكماء

وقالت الحكماء : لم تُنْه امرأةٌ قط عن شىء إلا فعلتْه .

لطفيل

وقال طفيل الغنوى :

إنّ النِّساء متى يُنْهيْن عن خُلقٍ * فإنه واقــعٌ لا بُدّ مفعولُ

وعن الهيثم بن عدى عن ابن عياش قال : أرسل عبد الله بن همام السلولى

شابّا إلى امرأة ليخطبها عليه . فقالت له : فما يمنعك أنت ؟ فقال لها : ولى طمع فيك ! قالت : ما عنك رغبةٌ ! فتزوجها ؛ ثم انصرف إلى ابن همام ، فقال له : ما صنعت ؟ قال والله ما تزوّجتْنى إلا بعد شرط ! قال : أو لهذا بعثتُك ؟ فقال ابن همام فى ذلك :

رأت غلاماً على شَرط الطّلابةِ لا * يَعْيا بإرْقاص برْدِىّ الخلاخيل ٥
مُبطَّناً بدَحِيس اللحم تحسَبُه * مما يُصور فى تلك التّماثيلِ
أكفأمن الكُفْءِ فى عقدِ النّكاح وما * يَعْيا به حَلُّ هميان السّراويلِ
تركتُها والأيامَى غير واحدةٍ * فاحبِسْه عن بيتها يا حابس الفيلِ

السلولى وامرأة خطبها

وعن الهيثم بن عدى عن ابن عياش ، قال : كان النساء يجلسن لخطابهن ؛ فكانت امرأة من بنى سلول تخطب ، وكان عبد الله بن همام السلولى يخطبها ؛ ١٠ فإذا دخل عليها تقول له : فداك أبى وأمى ! وتقبل عليه تحدثه ، وكان شاب من بنى سلول يخطبها ، فإذا دخل عليها الشاب وعندها عبد الله بن همام قالت للشاب قم إلى النار ! وأقبلت بوجهها وحديثها على عبد الله ؛ ثم إن الشاب تزوّجها ، فلما بلغ ذلك عبد الله بن همام قال :

أوْدى بحبّ سُليْمى فاتكٌ لقِنٌ * كحيَّةٍ برزَتْ من بين أحجارِ ١٥
إذا رأتْنى تُفدّينى وتجعلُه * فى النارِ ، ياليْتنى المجعولُ فى النارِ

وله فيها :

ماذا تظنُّ سُليْمى إنْ ألَمّ بها * مُرَجّلُ الرأسِ ذُو بُرْدَيْنِ مَزّاحُ
حُلْوٌ فُكاهَتُهُ ، خَزٌّ عِمَامَتُهُ * فى كفِّهِ مِن رُقَى الشيطانِ مِفتاحُ !

فى السرارى ٢٠

إبراهيم عليه السلام وهاجر

تسرّى الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام هاجر ، فولدت له إسماعيل عليه السلام .

وتسرّى النبي عليه الصلاة والسلام مارية القبطية ، فولدت له إبراهيم .

ولما صارت إليه صفية بنت حُيَيّ ، كان أزواجه يعيِّرْنها باليهودية ، فشكت ذلك إليه ، فقال لها : أما إنكِ لو شئت لقلتِ فصدَقْتِ وصُدِّقت : أبى إسحاقُ ، وجَدِّى إبراهيم ، وعمى إسماعيل ، وأخى يوسف .

هشام وزيد بن على

ودخل زيد بن علىّ على هشام بن عبد الملك ، فقال له [هشام] : بلغنى أنك تحدّث نفسك بالخلافة ، ولا تصلح لها ، لأنك ابن أمة ! فقال له : أما قولك إنى أحدث نفسى بالخلافة فلا يعلم الغيب إلا الله ، وأما قولك إنى ابن أمة ، فإسماعيل ابن أمة ، أخرج الله من صلبه خيرَ البشر محمدا صلى الله عليه وسلم ، وإسحاق بن حرّة ، أخرج الله من صلبه القردة والخنازير .

الرغبة فى السرارى

قال الأصمعى : وكان أكثر أهل المدينة يكرهون الإماء ، حتى نشأ منهم على ابن الحسين ، والقاسم بن محمد [بن أبى بكر] ، وسالم بن عبد الله [بن عمر] ؛ ففاقوا أهل المدينة فقها وعلما وورعا ؛ فرغب الناس فى السرارى .

عبد الملك وابن الحسين فى جارية تزوجها

وتزوج على بن الحسين جارية له وأعتقها ، فبلغ ذلك عبد الملك ، فكتب إليه يؤنّبه ، فكتب إليه علىّ : إن الله رفع بالإسلام الخسيسة ، وأتم به النقيصة وأكرم به من اللؤم ؛ فلا عار على مسلم ؛ وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج أمته وامرأةَ عبدِه ! فقال عبد الملك : إن علىّ بن الحسين يشْرُف من حيث يتّضع الناس .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

لا تشتُمَنّ امرَءًا فى أن تكون له * أمٌّ من الرُّومِ أو سوداء عجْماء

فإنما أمّهاتُ القوْمِ أوعِيَــةٌ * مُستوْدَعاتٌ ، وللأحسابِ آباء

لبعضهم

وقال بعضهم : عجبت لمن لبس القصير كيف يلبس الطويل ؛ ولمن أحفى شعره كيف أعفاه ؛ وعجبا لمن عرف الإماء كيف يقدم على الحرائر .

وقالوا : الأمة تُشترى بالعين وتُرَدّ بالعيب ؛ والحرة غُلّ فى عُنق من صارت إليه .

الهُجَنـــاء

للعرب والفرس

العرب تسمى العجمىّ إذا أسلم : المَسلمانى ؛ ومنه يقال : مُسالِمة السواد ، والهجين عندهم : الذى أبوه عربى وأمه أعجمية ؛ والمذَرّع : الذى أمه عربية وأبوه أعجمى وقال الفرزدق :

إذا باهِلِىٌّ أنجبَتْ حنظَلِيّةٌ * له ولداً منها ؛ فذاكَ المُذَرّعُ ٥

والعجمى : النصرانى ونحوه وإن كان فصيحاً . والأعجمى : الأخرس اللسان وإن كان مسلماً .

ومنه قيل : زياد الأعجم ؛ وكان فى لسانه لكنة .

والفُرْس تسمى الهجين : دوشن ؛ والعبد : واش ونجاش . ومن تزوج أمة : نفاش ، وهو الذى يكون العهد دونه ، وسمى أيضاً : بوركان . ١٠

والعرب تُسمّى العبد الذى لايخدم إلا ما دامت عليه عين مولاه : عبد العين .

وكانت العرب فى الجاهلية لا تورث الهجين .

وكانت الفرس تطرح الهجين ولا تعدُّه ، ولو وجدوا أمّا أمّة على رأس ثلاثين أما ، ما أفلح [ولدُها] عندهم ولا كان آزاد ، ولا كان بيده مزاد . والآزاد عندهم : الحرّ ، والمزاد : الريحان . ١٥

لابن الزبير

وقال ابن الزبير لعبد الرحمن بن أم الحكم :

تبلّغتَ لمّا أن أتيتَ بلادَهم * وفى أرضنا أنت الهُمامُ القلَنّسُ

ألستَ ببغـــلٍ أمُّه عربيّةٌ * أبوهُ حِمارٌ أدبَرُ الظهرِ يُنْخَس ؟

وشبه المذرع بالبغل ؛ إذا قيل له : من أبوك ؟ قال : أمى الفرس !

الهجناء

ومما احتجت به الهُجَناء : أن النبى صلى الله عليه وسلم زوّج ضُباعةَ بنت الزبير بن عبد المطلب من المقداد بن الأسود ، وزوج خالدةَ بنت أبى لهب من عثمان بن أبى العاص الثقفى . ٢٠

وبذلك احتج عبد الله بن جعفر إذ زوج ابنته زينب من الحجاج بن يوسف

فعيّره الوليد بن عبد الملك ، فقال عبد الله بن جعفر : سيف أبيك زوّجه ! والله ما فديت بها إلا خيط رقبتى . وأخرى : أن النبي صلى الله عليه وسلم قد زوّج ضباعة من المقداد ، وخالدة من عثمان بن أبى العاص ، ففيه قدوة وأسوة .

وزوّج أبو سفيان ابنته أم الحكم بالطائف فى ثقيف .

للهذم

٥ وقال لهذم الكاتب فى عبد الله بن الأهتم وسأله فحرمه :

وما بنُو الأهتمِ إلا كالرَّخِمْ * لا شىء إلا أنهم لحمٌ ودَمْ

جاءت به جُذامُ من أرضِ العجَمْ * أهتمَ سلَّاحٍ على ظهرِ القدَمْ

مُقابلٌ فى اللُّؤْمِ من خالٍ وعَمّ

بنو أمية وأولاد الإماء

وكانت بنو أمية لا تستخلف بنى الإماء ، وقالوا لا تصلح لهم العرب .

١٠ زياد بن يحيى قال : حدثنا جبلة بن عبد الملك : قالوا : سابق عبد الملك [بين] سليمان ومسلمة ؛ فسبق سليمان مسلمة ، فقال عبد الملك :

ألم أنهكُمْ أنْ تحمِلُوا هُجَناءكم * على خيْلِكم يومَ الرِّهان فتُدْرَكُ ؟

وما يستوى المرْءانِ ، هٰذا ابنُ حُرّة * وهٰذا ابنُ أخرَى ظهرُها مُتشرِّك

وأضْعفُ عضداهُ ويقصُرُ سوْطُه * وتقصُرُ رِجــلاهُ فلا يتحرّك

١٥ وأدركــهُ خالاتُه فنزَعْنــهُ * ألَا إنّ عِرْقَ السُّوءِ لابُدّ يُدرك

ثم أقبل عبد الملك على مصقلة بن هبيرة الشيبانى فقال : أتدرى من يقول هذا ؟ قال : لا أدرى . قال : يقوله أخوك الشَّنِّىّ .

قال مسلمة : يا أمير المؤمنين ، ما هكذا قال حاتم الطائى . قال عبد الملك : وماذا قال حاتم ؟ فقال مسلمة : قال حاتم :

٢٠ وما أنكَحونا طائعينَ بناتِهم * ولكِن خطَبْناها بأسيافِنا قسْرَا

فما زادها فينا السِّــباءُ مذلّةً * ولا كُلِّفت خُبزاً ولا طبخت قِدْرا

ولكن خلَطْناها بخيْرِ نِسائنا * فجاءت بهم بيضاً وجُوهُهم زُهْرا

وكائن ترى فينا منَ ابنِ ســبيّة * إذا لقِىَ الأبطالَ يطعنُهم شزْرَا

ويأخذُ راياتِ الطِّعانِ بكفِّه * فيُورِدُها بِيضاً ؛ ويُصْدِرُها حُمْرا
أَغَرُّ إذا آغبرّ اللئام رأيتَه[1] * إذ ما سَرَى ليْل الدُّجى قمراً بدرَا

فقال عبد الملك كالمستحى :

وما شرُّ الثلاثةِ أمَّ عمرٍو * بصاحبِكِ الذى لا تصْبحِينا

بنو أمية فى أولاد الأمهات

قال الأصمعى : كانت بنو أمية لا تبايع لبنى أمهات الأولاد ؛ فكان الناس ٥ يرون أن ذلك لاستهانةٍ بهم ، ولم يكن لذلك ، ولكن لِمَا كانوا يرون أن زوال ملكهم على يد ابن أم ولد ؛ فلما ولِىَ الناقص ظن الناس أنه الذى يذهب ملك بنى أمية على يديه — وكانت أمه بنت يزدجرد بن كسرى — فلم يلبث إلا سبعة أشهر حتى مات ؛ ووثب مكانه مروان بن محمد — وأمه كردية — فكانت الرواية عليه . ولم يكن لعبد الملك آبنٌ أسدُّ رأيا ، ولا أذكى عقلا ، ١٠ ولا أشجع قلباً ، ولا أسمح نفسا ، ولا أسخى كفًّا من مسلمة ؛ وإنما تركوه لهذا المعنى .

شىء عن يحيى ابن أبى حفصة

وكان يحيى بن أبى حفصة أخو مروان بن أبى حفصة يهوديا ، أسلم على يد عثمان بن عفان ، فكثر ماله ، فتزوج بخولة بنت مُقاتل بن قيس بن عاصم ، ونقدها خمسين ألفا . وفيه يقول القُلاخ : ١٥

رأيتُ مُقاتِلَ الطَّلبات حَلَّى * نُحُور بناتِه كَرَ الموالى
فلا تفخرْ بقيْسٍ ، إنّ قيْسًا * خَرِيتُم فوق أعْظُمِه البوالى !

وله فيه :

نُبِّئتُ خوْلَة قالت حين أنكَحها * لطالَما كنتُ مِنْكَ العارَ أنتظِرُ
أنكحت عبْدَيْن ترجُو فضل مالِهما * فى فيكَ مما رَجَوْتَ التُّربُ والحجرُ ٢٠
لله درُّ جيادٍ أنت سائسُها * بَرْذَنْتَها وبها التَّحجيلُ والغرَرُ

(١) فى بعض الأصول : «كريم إذا اعتز اللئيم خاله» .

فقال مقاتل يردّ عليه :

وما تَرَكتْ خمسون ألفاً لقائِلٍ * عليكَ ـ فلا تحفِل ـ مَقالة َلائِمِ
فإن قُلتمُ زوّجتموْلَى؛ فقدمَضت * بهِ سُنّةٌ قبلى وحُبُّ الدراهِمِ

ويقال : إن غيره قال ذلك .

٥

باب فى الأدعياء

زياد

أول دَعِيّ كان فى الإسلام واشتهر ، زياد بن عبيد ، دعِيّ معاوية ؛ وكان من قصته أنه وجّهه بعض عمال عمر بن الخطاب رضى الله عنه على العراق إلى عمر بفتح كان ؛ فلما قدم وأخبر عمر بالفتح فى أحسن بيان وأفصح لسان ، قال له عمر : أتقدر على مثل هذا الكلام فى جماعة الناس على المنبر ؟ قال : نعم ، ١٠ وعلى أحسنَ منه ، وأنا لك أهيب ! فأمر عمرُ بالصلاة جامعة ؛ فاجتمع الناس ، ثم قال لزياد : قم فاخطب وقُص على الناس مافتح الله على إخوانهم المسلمين . ففعل وأحسن وجوّد ، وعند أصل المنبر على بن أبى طالب ، وأبو سفيان بن حرب فقال أبو سفيان لعلىّ : أيعجبك ما سمعتَ من هذا الفتى ؟ قال : نعم . قال : أما إنه ابن عمك ؟ قال : فكيف ذلك ؟ قال : أنا قذفته فى رحم أمّه سمية ! قال : ١٥ فما يمنعك أن تدّعِيه ؟ قال : أخاف هذا الجالس على المنبر ــ يعنى عمر ــ أن يُفسد على إهابى . فلما ولى معاوية استلحقه بهذا الحديث ، وأقام له شهوداً عليه ؛ فلما شهد الشهود قام زياد على أعقابهم خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : هذا أمرٌ لم أشهد أوله ، ولا علم لى بآخره ؛ وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم ، وشهد الشهود بما قد سمعتم ، والحمد لله الذى رفع منا ما وضع الناس ، وحفظ منا ٢٠ ما ضيّعوا ؛ فأما عبيد فإنما هو والد مبرور ، أو ربيب مشكور . ثم جلس .

فقال فيه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

ألا أبلِغ مُعاويةَ بن حربٍ * فقد ضاقتْ بما يأتى اليدانِ

أتغضبُ أن يُقالَ أبوكَ عف * وترضى أن يقال أبوكَ زانِ ؟

وأشهدُ أن قربَكَ من زيادٍ * كقربِ الفيلِ من ولدِ الأتان

وقال زياد : ما هُجيتُ ببيت قط أشد عليّ من قول يزيد بن مفرغ الحميرى :

فكّر ففي ذاك إن فكّرتَ مُعتبَرُ * هل نلتَ مَكرمةً إلا بتأميرِ ؟

عاشت سُميّةُ ما عاشت وما علمتْ * أنّ ابنها من قريشٍ فى الجماهيرِ ٥

سُبحان مَن مُلكُ عَبّاد بقدرته * لا يدفعُ الناسُ محتومَ المقاديرِ

وكان ولدُ سمية : زيادا : وأبا بكرة ، ونافعا ؛ فكان زياد ينسب فى قريش ، وأبو بكرة فى العرب ، ونافع فى الموالى ؛ فقال فيهم يزيد بن مفرغ :

إن زياداً ونافعاً وأبا * بكرةَ عندى من أعجب العجبِ

إن رجالا ثلاثة خُلقوا * من رحمِ أنثى مُخالِفى النّسبِ ... ١٠

ذا قرشىٌ ، فيما يقولُ ، وذا * مَولًى وهذا ابنُ أمّهِ عربى !

لبعض العراقيين فى أبى مسهر

وقال بعض العراقيين فى أبى مُسهر الكاتب :

حِمارٌ فى الكتابةِ يدّعيها * كدعوى آلِ حَربٍ فى زيادِ

فدَعْ عنكَ الكتابةَ لستَ منها * ولو غرّقتَ ثوبَكَ بالمداد

لبعض الشعراء فى دعى

وقال آخر فى دعىّ : ١٥

لعينٌ يورثُ الأبناء لعناً * ويَلطخُ كلَّ ذى نسبٍ صحيح

عبد الله بن حجاج

ولما طالت خصومة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، ونصر بن حجاج عند معاوية ، فى عبد الله بن حجاج ، مولى خالد بن الوليد — أمر معاوية حاجبه أن يؤخر أمرهما حتى يحتفل مجلسُه ، فجلس معاوية وقد تلفّع بمطرف خزّ أخضر ، وأمر بحجر فأتى منه ، وألقى عليه طرف المطرف ، ثم أذن لهما وقد احتفل المجلس ٢٠ فقال نصر بن حجاج : أخى وابن أبى ، عهد إلىّ أنه منه . وقال عبد الرحمن : مولاي وابن عبد أبى وأمته ، وُلد على فراشه . فقال معاوية : يا حرسىّ ، خذ هذا

الحجر ـ وكشف عنه ـ فادفعه إلى نصر بن حجاج . وقال يا نصر ، هذا مالَكَ فى حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه قال : « الولد للفراش وللعاهر الحَجر ».
فقال نصر : أفلا أُجريت هذا الحكم فى زياد يا أمير المؤمنين؟ قال ذاك حكم معاوية وهذا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٥ وليس فى الأرض أحمى [1] من الأدعياء ؛ لتستحق بذلك العربية .
قال الشاعر :

دعىٌّ واحدٌ أجدَى عليهم * من ألفْ عالم مثلِ ابنِ دابِ
ككلْبِ السُّوءِ يحرسُ جانبيْه * وليس عدوهُ غيرَ الكلاب

للأصمعى فى دعى

وقال الأصمعى : استمشى رجل من الأدعياء ، فدخل عليه رجل من أصحابه
١٠ فوجد عنده شيحاً وقيصوما ؛ فقال له : ما هذا ؟ فقال ، ورفع صوته : الطبيعة تتوق إليه ! يريد أن طبيعته من طباع العرب ؛ فقال فيه الشاعر :

يَشمُّ الشيح والقيْصُو * مَ كى يستوجِبُ النَّسبا
وليس ضميرُهُ فى الصدْ * رِ إلا التِّينَ والعِنبا

أبو سعيد المخزومى

وعن إسماعيل بن أحمد قال : أرأيت على أبى سعيد الشاعر المخزومى كُردوانيا
١٥ مصبوغا بتوريد ، فقلت : أبا سعيد ، هذا خز ؟ قال : لا ولكنه دعِىٌّ على دعىّ
وكان أبو سعيد دعيًا فى بنى مخزوم ؛ وفيه قال الشاعر :

متَى تاهَ على الناسِ * شريفٌ يا أبا سعْدِ [2]
فتِهْ ما شئت إذ كنتَ * بِلا أبٍ ولا جَدِّ
وإذ حظّك فى النِّسبَةِ بين الحرّ والعبدِ
٢٠ وإن قارَفَكَ الفحشُ * ففى أمْنٍ من الحدّ

تزوج ابن عبد العزيز فى عبد القيس

وعن أحمد بن عبد العزيز قال : نزلت فى دار رجل من بنى عبد القيس بالبحرين

(١) فى بعض الأصول : « أشقى فى العرب ».
(٢) فى بعض الأصول : « لم يته قط على الناس شريف ... ».

فقال لى : بلغنى أنك خاطبٌ ؟ قلت : نعم . قال : فأنا أزوجك . قلت له : إنى مولى . قال : اسكت وأنا أفعل ! فقال أبو بجير فيهم :

أمِن قِلةٍ صرتم إلى أن قبِلتُمُ * دعاوةَ زرّاعٍ وآخَرَ تاجرِ
وأصهبَ رُوميٍّ وأسودَ فاحمٍ * وأبيضَ جَعدٍ من سراةِ الأحامرِ
شُكولَهمُ شتى وكلٌّ نَسيبُكم * لقد جئتمُ فى الناسِ إحدى المناكر ٥
متى قال إنى منكم فمُصدَّقٌ * وإن كان زَنجيًّا غليظَ المشافر
أكُلُّهمُ وافَى النِّساء جُدودهُ * وكُلُّهمُ أوفى بصدْقِ المعاذِر ؟
وكلهمُ قد كان فى أوّليَّةٍ * لهُ نِسبةٌ معروفةٌ فى العشائر ؟
على عِليكُمُ أن سوفَ ينكحُ فيكمُ * لجَدْعاً ورغماً للأنوفِ الصَّواغِر
فهلّا أبَيْتم عِفّةً وتكرُّماً * وهَلّا وجِلتمْ من مَقالةِ شاعرِ ؟ ١٠
تَعيبُونَ أمراً ظاهراً فى بناتِكم * وفخرُكم قد جازَ كلَّ مَفاخِر
متى شاء منكم مُغرَمٌ كان جَدّهُ * عِمارة عبسٍ خيرَ تلك العمائر
وحِصنُ بن بدرٍ أو زُرارةُ دارِمٍ * وزبّانُ زبّانُ الرئيسُ ابنُ جابر
فقد صرتُ لا أدرى وإن كنتُ ناسباً * لعلَّ نجاراً من هلالِ بنِ عامر
وعلَّ رجالَ التركِ من آلِ مِذحجٍ * وعلَّ تميماً عُصبةٌ من يُحابِر ١٥
وعلَّ رجالَ العُجْمِ من آلِ عالجٍ * وعلّ البوادِى بُدِّلت بالحواضر
زعمتمْ بأنّ الهندَ أولادُ خندفٍ * وبينكم قُربَى وبين البرابر
ودَيلَمَ من نسلِ ابن ضَبةَ باسِلٍ * وبُرجانَ من أولادِ عَمرو بنِ عامرِ
بنو الأصفرِ الأملاكُ أكرمُ منكمُ * وأولى بقُربانا مُلوكُ الأكاسر
أأطْمعُ فى صهرى دَعيًّا مُجاهِراً * ولم تَر شرا فى دعِيٍّ مُجاهر ٢٠
ويَشتُمُ لؤماً عِرضَهُ وعشيرَهُ * ويمدحُ جهلا طاهراً وابنَ طاهرِ

لزرارة

وقال زرارة بن ثروان ، أحد بنى عامر بن ربيعة بن عامر :

قدِ اختلَطَ الأسافِلُ بالأعالى * وباح الناسُ واختلَط النِّجارُ

وصار العبدُ مثلَ أبى قُبَيْس * وسيق مع المَعْلُهَجةِ العِشارُ

وإنك لن يَضِيرَكَ بعد حوْل * أطِرْفٌ ناك أُمَّكَ أَمْ حمارُ

لابن علفة

٥ وقال عقيل بن عُلَّفة :

وكنا بنى غَيْظٍ رجالا فأصبحتْ * بنو مالك غيْظاً ، وصرْنا لمالكِ

لَحَى اللهُ دهراً ذَعْذَعَ المالَ كلَّه * وسوّد أستاهَ الإماء الفَوارِكِ

جعفر بن سليمان وولده أحمد

وذكر جعفر بن سليمان بن على يوما ولده ، وأنهم ليسوا كما يحب ، فقال له ولده أحمد بن جعفر : عمدتَ إلى فاسقات المدينة ومكة وإماء الحجاز ، فأوعيت ١٠ فيهم نُطَفك ، ثم تريد أن يُنْجِبْنَ ! ألا فعلت فى ولدك ما فعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلةَ قومها .

الأشعث وعلى

ودخل الأشعث بن قيس على علىّ بن أبى طالب ، فوجد بين يديه صبية تدرج ؛ فقال : من هذه يا أمير المؤمنين؟ قال هذه زينب بنت أمير المؤمنين . قال زوِّجْنيها يا أمير المؤمنين ! قال : أعزب ، بفيك الكِثْكِث ، ولك الأثلب ! أغرّك ١٥ ابنُ أبى قحافة حين زوَّجك أم فروة ؟ إنها لم تكن من الفواطم ولا العواتك من سليم . فقال : قد زوّجتم أخملَ منى حسباً ، وأوضع منى نسبا : المقدادَ بن عمرو ، وإن شئت فالمقداد بن الأسود . قال علىّ : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فعَله ، وهو أعلم بما فعل ؛ ولئن عدت إلى مثلها لأسُوأنّك .

الكميت

وفى هذا المعنى قال الكميت بن زيد .

٢٠ وما وجدتْ بنات بنى نزار * حلائلَ أسودين وأحمرينا [1]

وما حَمَلوا الحَميرَ على عِتاقٍ * مُطهّمة فيُــلْفَوْا مُبْغِلينا

(١) فى بعض الأصول :

وما ضربت لفحول بنى نزار * فوالج من فحول الأعجمينا

بنى الأعمام أنكحنا الأيامَى * وبالآباء سُمِّينـــا البَنِينا

أراد تزويج أبرهة الحبشى فى كندة .

لخالد النجار

عن العتبى : قال : أنشدنى أبو إسحاق إبراهيم بن خداش لخالد النجار :

اليومَ من هاشم بَخْ ، وأنت غداً * مَوْلًى ، وبعدَ غد حِلْفٌ من العربِ

٥ إن صح هذا فأنت الناسُ كلُّهُمُ * ياهاشِمىٌّ ، ويامولى ، وياعربِى

فى الهيثم بن عدى

قال : وكان الهيثم بن عدىّ فيما زعموا دعيا ، فقال فيه الشاعر :

الهيثمُ بنُ عدِىّ من تَنَقّلَه * فى كلّ يوم له رَحْلٌ على حَسَب

إذا اجْتَدَى مَعشراً من فضلِ نِسْبتِهِمْ * فلم يُنيلوه عداهم إلى نَسَبِ

فما يزال له حـــلٌّ ومُرْتَحَلٌ * إلى النصارى وأحياناً إلى العرب

١٠ إذا نَسَبْتَ عديًّا فى بنى ثُعَل * فقدِّم الدالَ قبل العيْنِ فى النسب !

لبشار العقيلى

وقال بشّار العقيلى :

إنّ عَمْراً ، فاعرِفوه * عربىٌّ من زُجاجِ

مُظلِمُ النِّسبة لا يُعْ * ـرفُ إلّا بالسِّراجِ !

وقال فيه :

١٥ أرفقْ بنسبة عمرٍو ، حين تنْسُبُه * فإنه عربىٌّ من قواريرِ

ما زال فى كيرِ حدّادٍ يُردِّدُه * حتى بَدا عربيًّا مُظلِمَ النُّورِ

وقال أيضا فى أدعياء :

هم قعدوا فانتقَوْا لهم حَسَباً * يدخلُ بعد العِشاء فى العرب

والناسُ قد أصبحوا صيارفةً * أعلَمَ شىء بزائفِ الحسب

لأبى نواس فى أشجع

٢٠ وقال أبو نواس فى أشجع بن عمرو :

قل لمن يدّعِى سُلَيْمَى سفاهاً * لستَ منها ولا قلامةَ ظُفْرِ

إنما أنت من سُلَيْمَى كواوٍ * أُلحِقتْ فى الهِجاء ظُلْماً بعمرو

وقال فيه :

أَيَا مُتَحَيِّرًا فيـــه * لمن يتعجبُ العجبُ
لِأسمـــاءِ تَعلَّمَهُنَّ * أشجعُ حين يَنتسِبُ

الخراز فى أبى تمام الطائى

ولأحمد بن أبى الحارث الخراز فى حبيب الطائى :

٥ لوَ آنَّكَ إذ جعلتَ أباك أوْساً * جعلتَ الجَدّ حارثةَ بنَ لامِ
وسَمَّيت التى ولدتك سُعْدَى * فكنت مقابِلًا بين الكرام !

وله فيه :

أنت عِنـدى عربىٌّ * ليس فى ذاك كلامُ
شعرُ فخذيْك وساقيـ * ـك خُزامَى وثمـام
١٠ وضُلوعُ الصدرِ من * جسمك نبعٌ وبَشام
وقذَى عينيك صَمْغٌ * ونَواصيك ثُغام
لوْ تحرَّكْت كذا لا * نجفَلتْ منك نَعام
وظِبـاء سانِحـاتٌ * ويَرابيـــعٌ عِظام
وحَمـامٌ يَتغَـــنَّى * حبّذا ذاك الحمام
١٥ أنا ما ذنبىَ إن كـ * ـذّبنى فيك الكرام
القفـا يَشهد أدماً * عَرَفت فيـك الأنام
كذبوا ما أنت إلّا * عربىٌّ والسـلام !

وقال فى المعلى الطائى :

مُعَلّى لست من طَيٍّ * فإنْ قَبِلَتْك فأرهَنْها
٢٠ وإبنك فأرمِ فى أجاٍ * فلا تَرغَبْ به عنها
كأنْ دَمامِلًا جُمِعت * فصُوِّر وجهُه منهـا

لبعضهم ولآخر :

تعلّمها وإخوتَهُ * فكلُّهم بها دربُ
لقد ربّوا عَجُوزهُم * ولو زيّنْتَها غضِبُوا
فيالَكِ عُصْبَةً إن حدّ * ثُوا عن أصلِهم كذَبُوا
لهم فى بيتِهم نسبٌ * وفى وسطِ المَلا نَسَبُ ٥
كما لم تَخْفَ سافرةٌ * وتَخفَى حين تَنْتقِبُ

لخلف فى الأدعياء وقال خلف بن خليفة فى الأدعياء :

فقُل للأكرَمين بنى نِزَارٍ * وعندَ كرائِم العربِ الشِّفاءُ
أآخِرَ مَرّتينِ سَبَيْتُمونا * وفى الإسلامِ ما كُرِهَ السِّباءُ ؟
إذا آستحللتمُ هذا وهذا * فليس لنا على ذاكم بقاءُ ١٠
فلا تأمَنْ على حالٍ دعِيًّا * فليس له على حالٍ وفاءُ

فى الباه وما قيل فيه

لابن أنس ذُكر عند مالك بن أنسٍ الباهُ ، فقال: هو نورُ وجهِك ، ومُخُّ ساقك ؛ فأقِلّ منه أو أكثِرْ .

لمعاوية وقال معاوية : ما رأيت نهماً فى النساء إلا عرَفت ذلك فى وجهه . ١٥

وقال الحجاج لابن شماخ العكلى : ما عندك للنساء ؟ قال : أُطيلُ الظماء ، وأرِدُ فلا أشرب .

لرؤبة وقيل لرؤبة : ما عندك يا أبا الجحّاف ؟ قال : يمتد ولا يشتد ، ويرد ولا يشرب .

وقيل لآخر : ما عندك لهن ؟ قال : ما يقطعُ حجّتها ، ويشفى غُلّتها .

لكسرى وقال كسرى : كنت أرانى إذا كبرت أنهن لا يُحْببْننى ، فإذا أنا لا أُحِبُّهن ! ٢٠

وأنشد الرياشى لأعرابىّ من بنى أسد :

تمنّيْت لو عادَ شرخُ الشبابِ * ومن ذا على الدَّهْرِ يعطى المُنى
وكنت مكيناً لدَى الغانياتِ * فلا شىء عندى لها مُمكِناً

فأمّا الحِسانُ فيأبَيْنَنى * وأما القِباحُ فآبَى أنا

لعيسى بن موسى — ودخل عيسى بن موسى على جارية ، فلم يقدر على شيء ، فقال :

النفسُ تطمعُ والأسبابُ عاجزةٌ * والنفسُ تَهلكُ بين اليأسِ والطمَعِ

لابن أشرس — وخلا ثمامة بن أشرس بجارية له ، فعجز ؛ فقال : ويحكِ ! ما أوسع حِرِك ! فقالت :

٥ أنت الفِداءُ لِمَنْ قد كان يَملَؤُه * ويشتَكى الضّيق منه حين يلقـاهُ

لبعضهم — وقال آخر لجاريته :

ويُعجبُنى منكِ عند الجِماع * حياةُ الكلامِ وموتُ النّظَرْ

وقال آخر :

شفاءُ الحبِّ تقبيلٌ ولَمْسٌ * وسَنْحٌ بالبُطون على البطونِ

١٠ ورهْزٌ تذرف العيْنان منه * وأخذٌ بالذّوائب والقُرونِ

عائشة بنت طلحة — وقالت امرأة كوفية : دخلت على عائشة بنت طلحة ، فسألت عنها ، فقيل هى مع زوجها فى القيطون ؛ فسمعت زفيراً ونخيراً لم يُسمع قط مثلُه . ثم خرجت وجبينها يتفصّدُ عرقاً ؛ فقلت لهـا : ما ظننت أن حرّة تفعل مثل هذا ! فقالت : إن الخيل العِتاق تشرب بالصفير .

١٥ لأعرابى — وقيل لأعرابىّ : ما عندك للنساء ؟ فأشار إلى متاعه وقال :

وتراهُ بعد ثلاث عشرة قائماً * نظرَ المؤذّن شكَّ يوم سحاب !

الفرزدق — وقال الفرزدق :

أنا شيخٌ ولى آمرأةٌ عجوزُ * تُراوِدُنى على ما لايجوزُ

وقالت : رقّ أيْرُكَ مُذْ كبرنا * فقلت لهـا : بلِ آتسعَ القفيزُ

٢٠ لراجز — وقال الراجز :

لا يُعقبُ التّقبيل إلّا زُبّى * ولا يداوى من صميم الحبِّ

إلا احتِضانِ الرّكب الأزبِّ * يُنزع منه الأير نزع الضبِّ

روى زياد عن مالك عن محمد بن يحيى بن حسان ، أن جدته عاتبت جدّه فى

قلة إتيانه إياها؛ فقال لها: أمّا أنا وأنت على قضاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه؟ قالت: وما قضاء عمر؟ قال: قضى أن الرجل إذا أتى امرأته عند كلّ طُهر فقد أدّى حقها. قالت: أفتَرك الناس كلهم قضاء عمر وأقمت أنا وأنت عليه.

لأعرابى — وقال أعرابىٌّ حين كبِر وعجَز:

عجِبتُ من أيرِىَ كيف يصنعُ * أدفعُـــهُ بأصبُعى ويرجِعُ ٥

يقوم بعد النّشرِ ثم يُصْرَعُ

كثير وعزة — ودخلت عزّة صاحبة كثيّر على أم البنين زوج عبد الملك بن مروان، فقالت لها: أخبريني عن قول كثير:

قضَى كلُّ ذى دين فوفَّى غريمَهُ * وعزّة ممطولٌ مُعَنّى غريمُها

ما هذا الدَّينُ الذى طلبك به؟ قالت: وعدتُه بقُبلة فتحرّجت منها. قالت: أنجزيها وعلىّ إثمها.

عن أبى البيداء — على بن عبد العزيز قال: كان أبو البيداء رجلا عِنّيناً، وكان يتجلد ويقول لقومه: زوّجونى امرأتين. فقالوا له: إن فى واحدة كفاية. قال: أمّا لى فلا. فقالوا: نزوّجك واحدة فإن كفتك وإلا نزوّجك أخرى. فزوّجوه أعرابية؛ فلما دخل بها أقام معها أسبوعا، فلما كان فى اليوم السابع أتوه فقالوا له: ماكان من أمرك فى اليوم الأول؟ قال: عظيم جدا.. فقالوا: ففى اليوم الثالث؟ قال: لا تسلونى ١٥ فاستجابت امرأته من وراء الستر فقالت:

كان أبو البيداء ينزو فى الوهقْ * حتى إذا أُدخـل فى بيت أنِق

فيه غزال حسنُ الدّلّ خرِق * مارسَـهُ حتى إذا ارفضّ العرق

انكسر المفتاح وانسدّ الغَلَق ٢٠

حماد عجرد وجارية — أُهديت جارية إلى حماد عجرد، وهو جالس مع أصحابه على لذة، فتركهم وقام بها إلى مجلس له فافتضها، وكتب إليهم:

قد فتَحْتُ الحِصْنَ بعد امتناع * بسِنانٍ فاتحٍ للقــــلاع

ظفِرت كفِّى بتفريقِ جَمْعٍ * جاءنا تفريقُه باجتماع
وإذا شَملِيَ وشملُ خليلى * إنما يلتامُ بعد انصداع

لبعضهم

آخر :

لم توافِق طِباعُ هذى طِباعى * فأنا وهى دهرنا فى صِراع
وتحرّيت أن أنالَ رضاها * فأبت غير جَفْوَة وامتناع
فتفكّرْتُ لِمْ بُليت بهذا ؟ * فإذا أنّ ذا لضَعْف المتاع !

بين رجل وامرأة

وقع بين رجل وامرأته شرٌّ ، فجعل يحيل عليها بالجماع ، فقالت : فعل الله بك ! كلما وقع بيننا شىء جئتنى بشفيع لا أقدر على ردّه .

على بن أبى طالب وشاك من امرأة

وأقبل رجلٌ إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال : إن لى امرأة كلما غشيتُها تقول : قتلْتَنى قتلتنى ، قال : اقتلْها وعلىّ إثمها .

نساء كلب

وقال هشام بن عبد الملك للأبرش الكلبى : زوّجنى امرأة من كلب . ففعل وصارت عنده ، فقال له هشام ودخل عليه : لقد وجدنا فى نساء كلب سَعة ! فقال له الأبرش : إن نساء كلب خُلقْن لرجال كلب .

وقالوا : من ناك لنفسه لم يضعُفْ أبداً ولم ينقطع ، ومن فعل ذلك لغيره فذاك الذى يُضْنَى وينقطع .

يعنون : من فعل ذلك ليبلغ أقصى شهوة المرأة ويطلب الذّكر عندها ...

وقال الشاعر :

من ناك للذكرِ أضنَى قبل مُدّتهِ * لا يقطع النَّيْك إلّا كلّ منهُومِ

فى النكاح

وقالوا : من قل جماعُه فهو أصحّ بدناً وأطول عُمُراً ويعتبرون ذلك بذكر الحيوان ، وذلك أنه ليس فى الحيوان أطول عمراً من البغل ، ولا أقصر عمرا من العصافير ؛ وهى أكثر سفادا . والله أعلم .

كتاب الجمانة الثانية

في المتنبئين والممرورين والبخلاء والطفيليين

لابن عبد ربه

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى النساء والأدعياء ، وما قيل فى ذلك من الشعر .

ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى كتابنا هذا ذِكر المتنبئين والممرورين والبخلاء والطفيليين ؛ فإن أخبارَهم حدائق مونقة ، ورياض زاهرة ، لما فيها من طُرفة ونادرة ، فكأنها أنوارٌ مزخرفة ، أو حُلل منشرة ، دانية القطوف من جانى ثمرتها ، قريبة المسافة لمن طلبها ؛ فإذا تأملها الناظر ، وأصغى إليها السامع ، وجدها ملهى للسمع ، ومرتعاً للنظر ، وسكناً للروح ، ولقاحاً للعقل ، وسميرا فى الوحدة وأنيسا فى الوحشة ، وصاحبا فى السفر ، وأنيسا فى الحضر .

المهدى ومدع النبوة

قال أبو الطيب اليزيدى : أُخِذَ رجل ادعى النبوة أيامَ المهدى ، فأُدْخِل عليه فقال له : أنت نبيّ ؟ قال : نعم ! قال : وإلى من بُعثت ؟ قال : أو تركتمونى أذهب إلى أحد ؟ ساعةَ بُعثت وضعتمونى فى الحبس ! فضحك منه المهدى وخلّى سبيله .

سليمان بن على وآخر

ادعى رجل النبوّة بالبصرة ، فأُتى به سليمان بن على مقيّدا ، فقال له : أنت نبيٌّ مرسل ؟ قال : أما الساعةَ فإنى مقيد ! قال : ويحك ! من بعثك ؟ قال : أبهذا يخاطَب الأنبياء ياضعيف ؟ والله لولا أنى مقيد لأمرت جبريل يدمدمها عليكم ! قال : فالمقيّد لا تجاب له دعوة ؟ قال : نعم ؛ الأنبياء خاصة إذا قُيدت لم يرتفع دعاؤها ! فضحك سليمان ، وقال له أنا أُطلِقك وأْمر جبريل ، فإن أطاعك آمنّا بك وصدّقناك . قال : صدق الله : ﴿ فلا يُؤْمنوا حتى يَرَوُا العذابَ الأليمَ ﴾ !

فضحك سليمان ، وسأل عنه فشُهِدَ عنده أنه ممرور ، فخلى سبيله .

المأمون وآخر

قال ثمامة بن أشرس : شهدت المأمون أُتِيَ برجل ادّعى النبوّة وأنه إبراهيم الخليل ، فقال المأمون : ما سمعت أجرأ على الله من هذا . قلت : أكلِّمه . قال : شأنُكَ به . فقلت له : يا هذا ، إنّ إبراهيم كانت له براهين . قال : وما براهينُه ؟ قلت : أضرمت له نارٌ وأُلقِيَ فيها فصارت برداً وسلاما ؛ فنحن نضرم لك ناراً ونطرحك فيها ، فإن كانت عليك برداً كما كانت على إبراهيم آمنّا بك وصدقناك . قال : هات ما هو ألين علىّ من هذا . قال : براهين موسى . قال : وما كانت براهينُ موسى ؟ قال : عصاه التى ألقاها فصارت حية تسعى تلقف ما يأفكون ، وضرب بها البحر فانفلق ؛ وبياض يده من غير سوء . قال : هذا أصعب ؛ هات ما هو ألين من هذا . قلت : براهين عيسى . قال : وما براهين عيسى ؟ قلت : كان يُحيي الموتى ، ويمشى على الماء ، ويُبرئ الأكمه والأبرص . فقال فى براهين عيسى جئت بالطامة الكبرى ! قلت : لا بدّ من برهان ! فقال : مامعى شىء من هذا ؛ قد قلت لجبريل : إنكم توجِّهونى إلى شياطين ، فأعطونى حجة أذهب بها إليهم ، وأحتجُّ عليهم ؛ فغضب وقال : بدأت أنت بالشر قبل كل شىء ، اذهب الآن فانظر ما يقول لك القوم . وقال : هذا من الأنبياء لا يصلح إلا للحُمُر . فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا هاج به مرار ، وأعلام ذلك فيه . قال : صدقت ؛ دَعْهُ .

المهدى وآخر

ادّعى رجل النبوّة فى أيام المهدى ، فأدخل عليه ؛ فقال له : أنت نبىّ ؟ قال : نعم . قال : ومتى نُبئت ؟ قال : وما تصنع بالتاريخ ؟ قال : ففى أى المواضع جاءتك النبوّة ؟ قال : وقعنا والله فى شغل ! ليس هذا من مسائل الأنبياء ؛ إن كان رأيك أن تصدقنى فى كل ما قلت لك فاعمل بقولى ؛ وإن كنت عزمت على تكذيبى فدعنى أذهبْ عنك ! فقال المهدى : هذا ما لا يجوز ؛ إذ كان فيه فساد الدين . قال : واعجباً لك ! تغضب لدينك لفساده ، ولا أغضب أنا لفساد نبوّتى ؟ أنت والله ما قويت علىّ إلا بمعن بن زائدة والحسن بن قحطبة وما أشبههما

من فؤادك . وعلى يمين المهدى شريك القاضى ؛ قال : ما تقول فى هذا النبى يا شريك ؟ قال [المتنبئ] : شاورت هذا فى أمرى وتركت أن تشاورنى ! قال : هات ما عندك ؟ قال : أحاكمك فيما جاء به مَن قبلى من الرسل . قال : رضيت . قال : أكافرٌ أنا عندك أم مؤمن ؟ قال : كافر . قال : فإنّ الله يقول ﴿ ولا تُطِعِ الكافرين والمنافقين ودَعْ أذاهم ﴾ ؛ فلا تطعنى ولا تؤذنى ؛ ودعنى أذهب إلى الضعفاء والمساكين ؛ فإنهم أتباع الأنبياء ؛ وأدع الملوك والجبابرة ؛ فإنهم حطب جهنم ! فضحك المهدى وخلى سبيله .

القسرى وآخر

قال خلف بن خليفة : ادّعى رجل النبوّة فى زمن خالد بن عبد الله القسرى ، وعارض القرآن ؛ فأُتِىَ به خالد ؛ فقال له : ما تقول : قال : عارضت فى القرآن ما يقول الله تعالى ﴿ إنّا أعطيْناكَ الكوْثَر ، فصلّ لربِّك وانحَرْ ، إن شانِئَك هو الأبتَرُ ﴾ فقلت أنا ما هو أحسن من هذا : إنا أعطيناك الجماهر ، فصل لربك وجاهر ، ولا تطع كل ساحر وكافر . فأمر به خالدٌ فضُربت عنقُه وصلب على خشبة ؛ فمرّ به خلف بن خليفة الشاعر ، وقال : إنا أعطيناك العمود ، فصل لربك على عود ، وأنا ضامن أن لا تعود !

ابن خازم وآخر

قال : وإنى لقاعد على مجلس عبد الله بن خازم وهو على الجسر ببغداد ، فإذا بجماعة قد أحاطت برجل ادّعى النبوّة ، فقدّم إلى عبد الله ؛ فقال له : أنت نبى ؟ قال : نعم . قال : وإلى من بُعِثتَ ؟ قال : وما عليك ؟ بعثت إلى الشيطان ! فضحك عبد الله بن حازم وقال : دعوه يذهب إلى الشيطان الرجيم !

ابن أشرس وآخر

وقال ثمامة بن أشرس : كنت فى الحبس ، فأُدخل علينا رجل ذو هيئة وبزة ومنظر ، فقلت له : من أنت جُعلت فِداك ؟ وما ذنبك ؟ — وفى يدى كأس دعوت بها لأشربها — قال : جاءوا بى هؤلاء السفهاء لأنى جئت بالحق من عند ربى ، أنا نبىٌّ مرسَل ! قلت : جعلت فداك ! معك دليل ؟ قال : نعم ، معى أكبر الأدلة ؛ ادفعوا إلىّ امرأة أُحبلْها لكم ، فتأتى بمولود يشهد بصدق ! قال ثمامة : فناولتُه الكأس وقلت له : اشرب ، صلى الله عليك !

ابن عتاب وآخر

محمد بن عتاب قال : رأيت بالرقة أيامَ الرشيد جماعة أحاطت برجل ، فأشرفتُ عليه ، فإذا رجل له جَهارة وبنية ، قلت : ماقصة هذا ؟ قالوا : ادّعى النبوة . قلت : كذبتم عليه ، مثل هذا لايدّعى الباطل ! فرفع رأسه إلىّ فقال : وما علمك أنهم قالوا علىّ الباطل ؟ قلت له : وأنت نبىّ ؟ قال : نعم . قلت له :
٥ مادليلك ؟ قال : دليلى أنك ولدُ زنا ! قلت : نبىٌّ يقذف المحصنات ؟ قال : بهذا بُعثت ! قلت : أنا كافر بمـا بُعثت به ! قال : ومن كفر فعليه كفرُه . فإذا حصاة عائرة جاءت حتى صكت صلعته ، قال : ما رماها إلا ابنُ الزانية ، ثم رفع رأسه إلى السماء فقال : ما أردتم بى خيراً حين طرحتمونى فى يدى هؤلاء الجهال .

المأمون وابن أكثم مع آخر

ادّعى رجلٌ النبوة فى أيام المأمون ، فقال ليحيى بن أكثم : أمض بنا
١٠ مستترّين حتى ننظر إلى هذا المتنبئ وإلى دعواه . [قال يحيى] : فركبنا متنكرين ومعنا خادم ، حتى صرنا إليه ، وكان مستتراً بمذهبة ، فخرج آذنه وقال : من أنتما ؟ فقلنا : رجلان يريدان أن يسلما على يديه . فأذن لهما ودخلا ، فجلس المأمون عن يمينه ، ويحيى عن يساره ؛ فالتفت إليه المأمون فقال له : إلى مَن بُعثت ؟ قال : إلى الناس كافة . قال : فيوحَى إليك ، أم ترى فى المنام ، أم
١٥ يُنفَث فى قلبك ، أم تُناجَى ، أم تُكلَّم ؟ قال : بل أناجَى وأكلَّم . قال : ومن يأتيك بذلك ؟ قال : جبريل ، قال : فمتى كان عندك ؟ قال : قبل أن تأتينى بساعة ! قال : فمـا أوحَى إليك ؟ قال : أوحى إلىّ أنه سيدخل علىّ رجلان ، فيجلس أحدهما عن يمينى والآخر عن يسارى ؛ فالذى عن يسارى ألْوَطُ خلق الله ! قال المأمون : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله !
٢٠ وخرجا يتضاحكان .

ابن عياش ومتنبئ

تنبأ رجل بالكوفة وأحل الخمر ، ولقى ابنَ عياش ، وكان مغرما بالشراب ، فقال له : أشعرْت أنه بُعث نبى يحلّ الخمر ؟ قال : إذاً لا يُقبل منه حتى يبرئ الأكمه والأبرص . وأتى به عامل الكوفة ، فاستتابه فأبى أن يتوب ويرجع ، فأتته أمه تبكى ، فقال لها : تنحَّىْ ربَط الله على قلبك كما ربط على قلب أمّ موسى !

وأتاه أبوه يطلب إليه ، فقال له : تنحَّ ياآزَر ! فأمر به العامل فقُتِل وصُلب .

بعض الكوفيين مع آخر

وذكر بعض الكوفيين قال : بينا أنا جالس بالكوفة فى منزلى ، إذ جاءنى صديق لى ، فقال لى : إنه ظهر بالكوفة رجل يدعى النبوة ، فقم بنا إليه نكلّمه ونعرف ماعنده . فقمت معه ، فصرنا إلى باب داره ، فقرعنا الباب وسألْنا الدخولَ عليه ، فأخذ علينا العهودَ والمواثيق إذا دخلنا عليه وكلمناه وسألناه ، إن كان على حق اتبعناه ، وإن كان على غير ذلك كتمْنا عليه ولم نؤذِه ؛ فدخلنا فإذا شيخ خراسانى أخبثُ من رأيت على وجه الأرض ، وإذا هو أصلع ؛ فقال صاحبى وكان أعور : دعنى حتى أسائله . قلت : دونك . قال : جُعلت فداك ، ماأنت ؟ قال : نبى ! قال : وما دليلك ؟ قال : أنت أعورُ عينك اليمنى ، فأقلع عينك اليسرى تصير أعمى ؛ ثم أدعو الله فيردّ عليك بصرك ! فقلت لصاحبى : أنصفَك الرجل ! قال : فاقلع أنت عينيك جميعا ! وخرجنا نضحك .

المأمون وآخر

وأُتى المأمون بإنسان متنبئ ، فقال له : ألك علامة ؟ قال : نعم . علامتى أنى أعلم ما فى نفسك . قال : قزبتَ علىّ ؛ ما فى نفسى ؟ قال له : فى نفسك أنى كذاب ! قال : صدقت ! وأمر به إلى الحبس فأقام به أياما ؛ ثم أخرجه فقال : أوحى إليك بشىء ؟ قال : لا . قال : ولم ؟ قال : لأن الملائكة لا تدخل الحبس ! فضحك المأمون وأطلقه .

متنبئ اسمه نوح

وتنبأ إنسان وسمى نفسه نوحا صاحبَ الفُلك ؛ وذكر أنه سيكون طوفان على يديه [يَهلِك به الناسُ] إلا من اتبعه ، ومعه صاحب له قد آمن به وصدّقه ؛ فأُتىَ به الوالى فاستتابه فلم يتب ، فأمر به فصلب ، واستتاب صاحبَه فتاب ؛ فناداه [المتنبئ] من الخشبة : يافلان ، أتسلمنى الآن فى مثل هذه الحالة ؟ فقال : يانوحُ قد علمت أنه لا يصحبك من السفينة إلا الصارى !

المأمون وثمامة مع متنبئ

قال : وحُمل إلى المأمون من أذربيجان رجل قد تنبأ ، فقال : ياثمامة ، ناظِرْهُ . فقال : ماأكثر الأنبياء فى دولتك ياأمير المؤمنين ! ثم التفت إلى المتنبئ فقال له : ماشاهدك على النبوة ؟ قال : تحضر لى ياثمامة امرأتك أنكحها

بين يديك ، فتلد غلاماً ينطق فى المهد يخبرك أنى نبى ! فقال ثمامة : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ! فقال المأمون : ما أسرع ما آمنتَ به ! قال : وأنت يا أمير المؤمنين ما أهون عليك أن تتناول امرأتى على فراشك ! فضحك المأمون وأطلقه .

أخبار الممرورين والمجانين ٥

من أخبار عليان

قال أبو الحسن : كان بالبصرة ممرور يقال له عَليان بن أبى مالك ، وكانت العلماء تستنطقه لتسمع جوابه وكلامه ، وكان راوية للشعر بصيراً بجيده ؛ فذُكر عن عبد الله بن إدريس صاحب الحديث .

قال [ابن إدريس] : أخرجه الصبيان مرة حتى هجم علينا فى الدار ؛ فقال لى الخادم : هذا عليان قد هجم علينا ، والصبيان فى طلبه . فقلت : ادفع ١٠ الباب فى وجوه الصبيان ، وأخرجْ إليه طعاما وطبقا عليه رطب مُشان وملبقات وأرغفة . فلما وضعه بين يديه حمد الله وأثنى عليه ، وقال : هذا رحمةُ الله — وأشار إلى الطعام — كما أن أولئك من عذاب الله — وأشار إلى الصبيان — ثم جعل يأكل والصبيان يرجمون الباب ، وهو يقول : « فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبله العذاب » ! قال : ابن إدريس : ١٥ فلما انقضى طعامه قلت له يا عليان ، مالك تروى الشعر ولا تقوله ؟ قال : إنى كالمِسَنّ : أشحذُ ولا أقطع ! وكان بصيرا بالشعر ، فقلت : أى بيت تقوله العرب أشعر ؟ قال : البيت الذى لا يُحجب عن القلب . قلت : مثل ماذا ؟ قال : مثل قول جميل :

ألا أيُّها النُّوَّامُ ويحَكم هُبُّوا ٭ أسائِلُكمْ : هل يَقتُلُ الرَّجلَ الحبُّ؟ ٢٠

قال : فأنشد النصف الأول بصوت ضعيف ، وأنشد النصف الآخر بصوت رفيع ؛ ثم قال : ألا ترى النصف الأول كيف استأذن على القلب فلم يأذن له ، والنصف الثانى استأذن على القلب فأذن له ؟ قلت : وماذا ؟ قال :

مثل قول الشاعر :

نَدِمْت على ما كان مُنذُ فقَدِتنى * كما نَدِم المغبُون حين يَبيع

قال : ألا تستطيب قوله « فقدتنى » بالله يا ابن إدريس ؟ قلت : بلى . فضرب بيده على فخذى وقال : قم يثبت الله لك قرنك ! وابن إدريس يومئذ ابن ثمانين سنة .

وحُكى عنه ابن إدريس قال : مررت به فى مربعة كندة ، وهو جالس على رماد وبيده قطعة من جص وهو يخبط بها فى الرماد ؛ فقلت له : ما تصنع ههنا يا ابنَ أبى مالك ؟ قال : ما كان يصنع صاحبنا . قلت : ومن صاحبك ؟ قال : مجنون بنى عامر . قلت : وما كان يصنع ؟ قال : أما سمعتَه يقول :

عشِيّةَ مالى حِيلةٌ غيرَ أننى * بلقْطِ الحصى والجصّ فى الدار مُولَعُ[1]

قلت : ما سمعتُه ! فرفع رأسه إلىّ متضاحكا ، فقال : ما يقول الله عز وجل ﴿ ألم تَر إلى ربّكَ كيفَ مدّ الظّلَّ ولو شاء لَجَعلهُ ساكناً ﴾ فأنت سمعته أو رأيته هذا كلام من كلام العرب ولا علم لك به .

قلت : يا بنَ أبى مالك ، متى تقومُ القيامة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، غير أنه من مات قامت قيامتُه .

قلت : فالمصلوبُ يعذّب عذابَ القبر ؟ قال : إن حقت عليه كلمةُ العذاب يعذب ، وما يدريك لعل جسده فى عذاب من عذاب الله لا تدركه أبصارُنا ولا أسماعُنا ، فإن لله لطفاً لا يُدرك .

قلت : ما تقول فى النبيذ حلال أم حرام ؟ قال : حلال . قلت : أتشربه ؟ قال إن شربتُه فقد شربهُ وكيع ، وهو قدوة . قلت : أتقتدى بوكيع فى تحليله ولا تقتدى بى فى تحريمه ، وأنا أسنُّ منه ؟ قال : إن قولَ وكيع مع اتفاق أهل البلد عليه أحبُّ إلى من قولك مع اختلاف أهل البلدة عليك .

---

(١) ينسب هذا البيت لذى الرمة .

قلت : فما تقول فى الغناء ؟ قال : قد غنى البراء ابنُ عازب ، وعبد الله ابن رواحة ؛ وسمع الغناء عبد الله بن عمر ، وكان عبد الله بن جعفر ... قلت : أيش كان عبد الله بن جعفر ؟ قال : إنما سألتنى عن الغناء ولم تسألنى عن ضرب العيدان .

مجنون بالبصرة

٥ وكان بالبصرة مجنونٌ يأوى إلى دكان خياط ، وفى يده قصبة قد جعل فى رأسها أكرة ولف عليها خرقة ، لئلا يؤذى بها الناس ؛ فكان إذا أحرده الصبيان ، التفت إلى الخياط وقال له : قد حمى الوطيس ، وطاب اللقاء ! فما ترى ؟ فيقول : شأنك بهم . فيشدّ عليهم ويقول :

أشدُّ على الكتيبةِ لا أبالى * أحَتْفِى كان فيها أمْ سِواها

١٠ فإذا أدرك منهم صبيا رمى بنفسه إلى الأرض وأبدى له عورته ، فيتركه وينصرف ؛ ويقول : عورة المؤمن حِمًى ، ولولا ذلك لتَلِفَت نفسُ عمرِو بن العاص يوم صفين ! ثم يقول وينادى :

أنا الرجلُ الضّرْبُ الذى يَعرِفوننى * خَشاشٌ كرأسِ الحيّةِ المُتوقِّدِ !

ثمّ يرجع إلى دكان الخياط ، ويُلقى العصا من يده ويقول :

١٥ فألقت عَصاها وآستَقرّت بها النّوى * كما قَرّ عيناً بالإيابِ المُسافِرُ

عليان وتاجر بالبصرة

وكان بالبصرة رجلٌ من التجار يكنى أبا سعيد ، وكانت له جارية تدعى جيرين ، وكان بها كلِفا ، فمر يوما بعليان وقد أحاط به الناس ، فقالوا له : هذا أبو سعيد صاحب جيرين . فناداه : أبا سعيد ! قال : نعم . قال : أتحب جيرين ؟ قال : نعم . قال : وتحبك ؟ قال : نعم فأنشأ يقول :

٢٠ نُبِّئْتُها عَشِقت حَشًا فقلت لهم * ما يَعشِقُ الحشّ إلا كلُّ كَنّاسِ

فضحك الناس من أبى سعيد ومضى .

صباح الموسوس

ومر ابنُ أبى الزرقاء صاحب شرطة ابنِ أبى هبيرة بصَباح الموسوس ، فقال له : يا بن أبى الزرقاء ، أسمنت بِرْذَوْنَكَ ، وأهزلتَ دينَك ! أما والله إن أمامك عقبةً

لايجاوزها إلا المُخِفّ ! فوقف ابن أبى الزرقاء ، فقيل له : هو صَباح الموسوس .
قال : ماهذا بموسْوس !

بهلول المجنون

وقال إبراهيم الشيبانى : مررت ببهلول المجنون وهو يأكل خبيصاً ؛ فقلت : أطعِمنى . قال : ليس هو لى ، إنما هو لعاتكة بنت الخليفة ، بعثته إلى لآكله لها .

وكان البهلول هذا يتشيع ، فقيل له : اشتُم فاطمة وأعطيك درهما ! فقال : بل أشتَم عائشة وأعطنى نصف درهم !

أمارات الحق

وقال ابن عبد الملك : يُعرف حمقُ الرجل فى أربعٍ : لحيتِهِ ، وشناعةِ كنيته ، وإفراط شهوته ، ونقشِ خاتمه . فدخل عليه شيخ طويل العثنون ؛ فقال : أما هذا فقد أتاكم بواحدة ، فانظروا أين هو من الثلاث . فقيل له : ما كنيتُك ؟ قال : أبو الياقوت . قيل : فنقش خاتمك ؟ قال : وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد . قيل : أى الطعام تشتهى ؟ قال : خلنجبين .

ابن عبد العزيز ومجنون

وسمع عمر بن عبد العزيز رجلا ينادى : يا أبا العُمَرين ، فقال : لو كان عاقلا لكفاه أحدهما .

وقيل لداود المصابِ فى مصيبة نزلت به : لا تتهم الله فى قضائه . قال : أقول لك شيئا على الأمانة ؟ قال : قل . قال : والله مابى غيره !

من أخبار أبى عتاب

ودخل أبو عتّاب على عمرو بن هَذاب وقد كُفَّ بصره والناس يعزّونه ؛ فقال له : أبا يزيد ، لا يسوءك فقدُهما ، فإنك لو درَيْت بثوابهما تمنيتَ أن الله قطع يديك ورجليك ودق عنقك .

ودخل على قوم يعود مريضا لهم ، فبدأ يُعزّيهم ! قالوا : إنه لم يمتْ ! فخرج وهو يقول : يموت إن شاء الله ! يموت إن شاء الله .

ووقع بين أبى عتاب وبين ابنه كلام ، فقال : لولا أنك أبى ، وأسنُّ منى لعرفت .

أبو حاتم عن الأصمعى عن نافع قال : كان الغاضرىّ من أحمق الناس .

فقيل له : ما رأيت من حُمْقِه ؟ فسكت ، فلما أكثر عليه قال : قال لى مرة : البحر من حفره ؟ وأين ترابه الذى خرج منه ؟ وهل يقدر الأمير أن يحفر مثله فى ثلاثة أيام ؟

الشعبى ورجل من النوكى

ودخل رجل من النَّوكى على الشعبى وهو جالس مع امرأته ، فقال : أيكم الشعبى؟ فقال [الشعبى] : هذه [وأشار إلى امرأته] ! فقال : ماتقول أصلحك الله فى رجل شتمنى أولَ يوم من رمضان ، هل يؤجَر ؟ قال : إن كان قال لك « يا أحمق » فإنى أرجو له .

الشعبى ومجنون آخر

وسأل رجل آخرُ الشعبىَّ فقال : ما تقول فى رجل فى الصلاة أدخل أصبعه فى أنفه فخرج عليها دمٌ ، أترى له أن يحتجم ؟ فقال الشعبى : الحمد لله الذى نقلنا من الفقه إلى الحجامة .

وقال له آخر : كيف تسمى امرأةَ إبليس ؟ قال : ذاك نكاحٌ ما شهدتاه

صوفى فى أيام المهدى

العتبى قال : سمعت أبا عبد الرحمن بشراً يقول : كان فى زمن المهدى رجل صوفى ، وكان عاقلا عاملا ورعاً ، فتحمّق ليجد السبيل إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ وكان يركب قصبة فى كل جمعة يومين : الاثنين والخميس ، فإذا ركب فى هذين اليومين فليس لمعلم على صبيانه حكمٌ ولا طاعة ، فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان ، فيصعد تلًّا وينادى بأعلى صوته : ما فعل النبيون والمرسلون ، أليسوا فى أعلى عليين ؟ فيقولون : نعم .

قال : هاتوا أبا بكر الصديق . فأُخذ غلام فأجلس بين يديه ؛ فيقول : جزاك الله خيراً أبا بكر عن الرعية ، فقد عدلت وقمت بالقسط ، وخلفت محمداً عليه الصلاة والسلام فأحسنت الخلافة ، ووصلت حبلَ الدين بعد حلٍّ وتنازع ، وفرغت منه إلى أوثقِ عُرْوة وأحسنِ ثقة ؛ اذهبوا به إلى أعلى عليين .

ثم ينادى : هاتوا عمر . فأُجلس بين يديه غلام ، فقال : جزاك الله خيراً أبا حفص عن الإسلام ، قد فتحت الفتوح ، ووسّعت الفىء ، وسلكت سبيل الصالحين ، وعدلت فى الرعية ؛ اذهبوا به إلى أعلى عليين بحذاء أبى بكر .

ثم يقول : هاتوا عثمان . فأُتِىَ بغلام فأُجلس بين يديه ، فيقول له : خلطت فى تلك السنين ، ولكن الله تعالى يقول : ﴿ خَلَطوا عملا صالحاً وآخَرَ سيّئاً عسى اللهُ أن يتوبَ عليهم ﴾ ! ثم يقول : اذهبوا به إلى صاحبيه فى أعلى عليين !

ثم يقول : هاتوا علىّ بن أبى طالب . فأُجلس غلام بين يديه ، فيقول : جزاك الله عن الأمة خيراً أبا الحسن ، فأنت الوصى وولىّ النبىّ ، بسطت العدل ، وزهِدْتَ فى الدنيا ، واعتزلت الفَىْء فلم تخمش فيه بناب ولاظفر ، وأنت أبو الذرية المباركة ، وزوج الزكية الطاهرة ؛ اذهبوا به إلى أعلى عليين الفردوس . ٥

ثم يقول : هاتوا معاوية . فأُجلس بين يديه صبىٌّ ، فقال له : أنت القاتل عمارَ بنَ ياسر ، وخزيمةَ بنَ ثابت ذا الشهادتين ، وحُجْرَ بن الأدبر الكندى الذى أخلقت وجهَه العبادة ؛ وأنت الذى جعل الخلافة مُلْكا ، واستأثر بالفىء ، وحكم بالهوى ، واستنصر بالظّلمة ؛ وأنت أول من غيّر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقض أحكامه ، وقام بالبغىْ ؛ اذهبوا به فأوْقِفوه مع الظلَمة ! ١٠

ثم قال : هاتوا يزيد . فأُجلس بين يديه غلام ، فقال له : يا قوّاد ! أنت الذى قتلت أهل الحرة ، وأبحت المدينةَ ثلاثةَ أيام ، وانتهكت حُرَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآويتَ الملحدين ، وبُؤْتَ باللعنة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتمثلتَ بشعر الجاهلية : ١٥

ليت أشياخى ببدرٍ شَهِدُوا * جَزَعَ الخَزْرَجِ من وقْعِ الأَسَلْ

وقتلت حُسَيْناً ، وحملتَ بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا على حقائب الإبل ؛ اذهبوا به إلى الدرك الأسفل من النار . ٢٠

ولا يزال يذكر والياً بعد وال ، حتى بلغ إلى عمر بن عبد العزيز ، فقال : هاتوا عمر . فأتى بغلام فأجلس بين يديه ، فقال : جزاك الله خيرا عن الإسلام ، فقد أحييتَ العدل بعد موته ، وألنْتَ القلوب القاسية ، وقام بك عمودُ الدين

على ساق ، بعد شقاق ونقاق ؛ اذهبوا به فألحقوه بالصدّيقين.

ثم ذكر من كان بعده من الخلفاء إلى أن بلغ دولة بنى العباس ، فسكت فقيل له : هذا أبو العباس أميرُ المؤمنين . قال : فبلغ أمرنا إلى بنى هاشم ؟ ارفعوا حساب هؤلاء جملة واقذفوا بهم فى النار جميعا .

من أخبار عيناوة

٥ ومن مجانين الكوفة : عيناوة وطاق البصل . قيل لعيناوة : مَن أحسن ، أنت أو طاق البصل ؟ قال : أنا شىءٌ وطاق البصل شىء .

من أخبار طاق البصل

وكان طاق البصل يغنى بقيراط ويسكت بدانق ، وكان عيناوة جيد القفا ، فربما مرّ به من يعبث فيصفعه ، فحشا قفاه خراء وقعد على قارعة الطريق ، فإذا صفعه أحد قال : شمّ يدك يافتى ! فلم يصفعه أحد بعد ذلك .

رجل وأحمق

١٠ ووعد رجلٌ رجلاً من الحمق أن يُهدِىَ له نعلا حضرمية ، فطال عليه انتظارُها فبال فى قارورة وأتى الطبيبَ وقال : انظر فى هذا الماء إن كان يُهدِىَ إلىَّ بعضُ إخوانى نعلا حضرمية .

من أخبار مجيبة

وكان بالكوفة امرأة حمقاء يقال لها مجيبة فَفقدا عيناوةُ فتى كان أرضعتْه مجيبة ، فقال له لما وجده : كيف لا تكون أرعن ومجيبة أرضعتْك ؟ فوالله لقد

١٥ زقّت لى فرخا فمازلت أرى الرعونة فى طيرانه !

هبنقة وجرنفش

ومن المجانين : هبنقة القيسى ، وجرنفش السدوسى ، واسم هبنقة : يزيد بن ثروان ، وكنيته : أبو نافع ، وكان يحسن من إبله إلى السمان ويسىء إلى المهازيل ، فسئل عن ذلك فقال إنما أكْرِم ما أكرم الله ، وأُهينُ ما أهان الله .

وشرد بعير له ، فجعل بعيرين لمن دلّ عليه ، فقيل له : أتجعل بعيرين

٢٠ فى بعير ؟ قال : إنكم لا تعرفون فرحة من وجد ضالته !

وافترس الذئب له شاة ، فقال لرجل : خلِّصها من الذئب وخذها ، فإن فعلت فأنت والذئب واحد .

وساوم رجل هبنقة بشاة فقال : اشتريتها بستة ، وهى خير من سبعة ، وأُعطيت فيها ثمانية ، وإن أردتَّها بتسعة ، وإلا فزن عشرة !

باقل

وكان باقل الذى يُضرب به المثل فى العىّ ، اشترى شاة بأحد عشر درهما فسئل : بكم اشتريتَ الشاة ؟ ففتح يديه جميعا وأشار بأصابعه وأخرج لسانه ، ليتمّ العدد أحد عشر .

الفرزدق والجرنفش

ولما قرّب الفرزدق رأسَ بغلته من الماء ، قال له الجرنفش : نحّ رأسَ بغلتك حلق الله شأفتك ! قال : لماذا عافاك الله ؟ قال لأنك كذوب الحنجرة زانى الكمرة ، فصاح الفرزدق : يابنى سدود . فاجتمعوا إليه ، فقال : سوّدوا الجرنفش عليكم ، فما رأيت فيكم أعقلَ منه . ٥

الجرنفش وهبنقة

قال الأصمعى : سُوبِقَ بين الجرنفش وهبنقة ، أيُّهما أجنُّ وأحمق ، فجاء جرنفش بحجارة خِفاف من جص ، وجاء هبنقة بحجارة ثقال وترْس ، فبدأ الجرنفش فقبض على حجر . ثم قال : درّى عقاب ، بلبن وأشخاب ! ثم رفع صوته وقال : الترس ! فرمى الترس فأصابه ، فانهزم هبنقة ، فقيل له : لم انهزمتَ؟ فقال : إنه قال : الترس ! ورمى الترس فلم يخطئه ، فلو أنه قال العين ورماها أما كان يصيب عينى ؟ ١٠

ابن المعتمر وامرأة

وتبع داود بن المعتمر امرأة ظنّها من الفواسد ، فقال لها : لولا مارأيتُ عليك من سيما الخير ما تبعتُك . فضحكت المرأة وقالت : إنما يعتصم مثلى من مثلك بسيما الخير . فأما إذا صارت سيما الخير من سيما الشر فاللهُ المستعان . ١٥

بينه وبين أخرى

ووقع داود هـذا بجارية ، فلما أمعن فى الفعل قال لها : أثيّبٌ أم بِكر ؟ فقالت له : سل المجرِّب !

بين غزوان وأمه

قالت أم غزوان الرقاشى لابنها ، وهو يقرأ فى المصحف : ياغزوان ، لعلك تجد فى هذا المصحف حمارا كان أبوك فى الجاهلية فَقَدَه ! فقال : ياأماه ، بل أجد فيه وعدا حسنا ووعيدا شديدا . ٢٠

رجل من النوكى وشيخ فى الحمام

ونظر رجل من النوكى إلى شيخ فى الحمام وعليه سُرّه كأنها مدهن عاج ، فقال له : ياشيخ ، دعنى أجعل ذكَرى فى سرّتك ! فقال له : يابن أخى ، وأين يكون استك حينئذ ؟

مجانين القصاص

لأبي دحية

قال أبو دحية القاص : ليس فىّ خير ولا فيكم ، فتبلّغوا بى حتى تجدوا خيرا منى .

وقال فى قصصه يوما : كان اسمُ الذئب الذى أكل يوسُفَ كذا ! قالوا :
٥ إن يوسف لم يأكله الذئب . قال : فهذا اسمُ الذئب الذى لم يأكل يوسف .

قاص ببغداد

وقال ثمامة بن أشرس ، سمعتُ قاصا ببغداد يقول : اللهم ارزُقنى الشهادة أنا وجميعَ المسلمين .

ووقع الذباب على وجهه ، فقال : مالكم ، كثّر الله بكم القبور .

قاص آخر

قال : ورأيت قاصا يحدّث الناس بقتل حمزة ، فقال : ولما بقرتْ هندٌ عن
١٠ كبد حمزة استخرجتها فعضتها ولاكتها ولم تزدردها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لو ازدردتها ما مسّتها النار ! ثم رفع القاص يديه إلى السماء وقال : اللهم أطعِمْنا من كبِدِ حمزة

باب نوكى الأشراف

ابن زيد مناة

من النوكى المتقدمين : مالك بن زيد مناة بن تميم ، لما دخل على آمرأته ناجية
١٥ مغضباً ، فلما رأت مابه من الجهل والجفاء قالت له : ضع شملتك . قال جسدى أحفظ لها ! قالت : آخلع نعليك . قال : رجلاى أحقُّ بهما ! فلما رأت ذلك قامت وجلست إليه ، فلما شم رائحةَ الطِّيب وثب عليها .

ابن لجيم

ومن النوكى : عجل بن لجيم ، قال أبو عبيدة : أرسل ابنٌ لعجل بن لجيم فرسا فى حلبة فجاء سابقا ، فقال لأبيه : كيف ترى أن أسمّيه يا أبت ؟ قال : افقأ إحدى
٢٠ عينيه و سمّه الأعور .

قال الشاعر :

رمتْنى بنو عِجْلٍ بداء أبيهمُ ۞ وأىُّ عبادِ الله أنْوَكُ من عِجْلِ؟

أليسَ أبُوهم عارَ عيْنَ جوادِه ۞ فأضْحت به الأمثالُ تضربُ فى الجهلِ؟

دغة

ومن بنى عجل : دُغَة التى يضرب بها المثل فى الُحمق، وقد ذكرنا نسبها وخبرها فى كتاب الأمثال .

عبيد الله بن مروان

ومن نوكى الأشراف : عبيد الله بن مروان عمّ الوليد بن عبد الملك ، بعث إلى الوليد قطيفة حمراء ، وكتب إليه : إنى قد بعثتُ إليك قطيفة حمراء . فكتب إليه : قد وصلت القطيفة وأنت والله يا عمّ أحمقُ أحمق . ٥

معاوية بن مروان

ومنهم معاوية بن مروان ، وقف على باب طحان ، فرأى حماراً يدور بالرحا وفى عنقه جلجل ، فقال للطحان : لم جعلت الجُلْجُل فى عُنق الحمار ؟ قال : ربما أدركتنى سآمة أو نعاس ، فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمت أنه وقف فصحت به فانبعث . قال : أفرأيت إن وقف وحرّك رأسه بالجلجل وقال هكذا وهكذا — وحرك رأسه — [فما عِلمُك أنه واقف] ؟ فقال له : ومن لى بحمار يكون عقله مثل عقل الأمير ؟ ١٠

وهو القائل وضاع له باز : أغلقوا أبواب المدينة لايخرج البازى !

وأقبل إليه قوم من جيرانه فقالوا : مات جارك أبو فلان ، فُمرْ له بكفن ! فقال : ماعندنا اليومَ شىء ، ولكن عودوا إلينا إذا نُبش .

وأقبل إليه رجلٌ أحمقُ منه ، فقال له : تعيرُنا أصلحك الله ثوبا نكفن فيه ميتا ؟ قال : أخشى أنه يُنجسه ، فلا تلبسه إياه حتى يغسل ويطهر ! ١٥

عيينة بن حصن

ومن النوكى الأشراف : عيينة بن حصن ، دخل على عثمان بغير إذن ، وكانت عنده ابنته ، فقال له عثمان : ألا استأذنت ! قال : ماظننت أن هنا من أحتاج أن استأذن عليه ؛ قال : ادنُ فتعشَّ . فقال : أنا صائم . قال : تصوم الليل وتفطر النهار ! وكان النبى صلى الله عليه وسلم يسميه السفيه المطاع. ٢٠

أبان بن عثمان

ومن حمق قريش : أبان بن عثمان بن عفان . قال الشعبى : قدم أبان على معاوية فقال : ياأمير المؤمنين ، زوّجنى ابنتك . قال : يا ابن أخى ، هما اثنتان : إحداهما عند ابن عامر ، والأخرى عند أخيك عمرو . قال : كنت أظن

أن لك ثالثة ! قال : يا ابن أخى ، تخطب إلىّ ولا تدرى لى بنت أم لا ! رحم الله أباك .

معاوية بن مروان أيضا

ومرّ معاوية بن مروان بحقل له فلم ير فيها ما يعجبه ؛ فقال : ما كذب من قال : كل حقل لاترى آست صاحبها لا تُفلح أبدا ، ثم نزل عن دابته وأحدث فيها ثم ركب . ٥

وهو الذى يقول لابى امرأته : ملأتنى البارحة ابنتُك دما ! قال : إنها من نسوة يخبأن ذلك لأزواجهن [وقال له أيضا يوماً آخر : لقد نكحت ابنتك بعصَبَةٍ ما رأت مثلها قط ! قال] : لو كنت خصيا ما زوّجناك، وعلى الذى غرّنا بك لعنة الله !

أبو العاج

١٠ وكان أبو العاج واليا بواسط ، فأتاه صاحب شرطته بقوادة ، فقال : ما هذه ؟ قال : قوادة ؛ قال : وما تصنع ؟ قال : تجمع بين الرجال والنساء ! قال : وإنما جئتنى بها لتعرّفها بدارى ؟ خلّ عنها لعنك الله ولعنها .

الربيع العامرى

وكان الربيع العامرى واليا باليمامة ، فأُتى بكلب قد عقَرَ كلبا ، فأقاده ؛ فقال فيه الشاعر :

١٥ شهِدتُ بأنّ الله حقٌّ لِقاؤهُ ﴿ وأنّ الربيعَ العامرِىّ رقيعُ
أقادَ لنا كلباً بكلْب فلم يَدَعْ ﴿ دِماءَ كلابِ المسلمينَ تضيعُ

وقال عوانة : استعمل معاوية رجلا من كلب ، فذكر يوما المجوس وعنده الناس ، فقال : لعن الله المجوس ينكحون أُمّهاتهم ، والله لو أعطيت مائة ألف درهم ما نكحتُ أمى [فبلغ ذلك معاوية ، فقال قبحه الله أترَوْنه لو زادوا ٢٠ فعَل ، وعزَله] .

ثلاثة إخوة من بنى عتاب

وكان بالبصرة ثلاثة إخوة من بنى عتاب بن أسيد ، كان أحدهم يحج عن حمزة ويقول : استشهد قبل أن يَحُج ! وكان الآخر يضحّى عن أبى بكر وعمر ، ويقول أخطآ السُّنة فى ترك الأُضحيـة ، وكان الثالث يُفطِرُ أيام التشريق عن عائشة ، ويقول : غلطت رحمها الله صومها أيام التشريق .

الرشيد ورجل من النوكى

ولعب رجل من النوكى بين يدى الرشيد بالشطرنج ، فلما رآه قد استجاد لعبه قال له : يا أمير المؤمنين ، ولّنى نهر بوق . فقال له : ويلك ! أولّيك نصفه ، اكتبوا عهده على بوق . قال : فولّنى أرمينية . قال : إذاً يبطئ على أمير المؤمنين خبرُك .

أهل العى والجهل المشبهون بالمجانين ٥

ابن أبى سود

خطب وكيع بن أبى سود وهو والى خراسان ، فقال فى خطبته : إن الله خلق السموات والأرض فى ستة أشهر ! فقالوا له : بل فى ستة أيام ! فقال : والله لقد قلتها وأنا أستقلها .

عدى بن زياد

وخطب عدى بن زياد الإيادى فقال فى خطبته : أقول لكم ما قال العبد الصالح لقومه : « ما أُريكم إلّا ما أرى وما أهدِيكم إلّا سبيل الرّشادِ » فقالوا له : ١٠ إن هذا ليس من قول العبد الصالح ، إنما هو من قول فرعون ! فقال : من قاله فقد أحسن !

ابن ورقاء

وخطب عتاب بن ورقاء الرياحى فقال : أقول لكم كما قال الله فى كتابه :

كُتِب القتْلُ والقتالُ علينا * وعلى الغانياتِ جَرُّ الذُّيولِ

وال باليمامة

وخطب والٍ باليمامة فقال فى خُطبته : إن الله تبارك وتعالى لا يعاون عباده ١٥ على المعاصى ، وقد أهلك أمة غظيمة على ناقة ما كانت تساوى مائتى درهم . فتُسمَّى مقوِّم الناقة .

ابن سنان

وبكى حول ابن سنان أولادُه وأهله حين ودّعوه وهو يريد مكة حاجا ؛ فقال : لا تبكوا ، فإنى أرجو أن أُضحِّىَ عندكم !

كردم السدوسى

ودخل قوم دارَ كردم السدوسى فقالوا له : أين القبلة فى دارك هذه ؟ فقال : ٢٠ إنما سكنّاها منذ ستة أشهر .

ودخل كردم السدوسى على رجل ، فدعاه إلى الغِذاء ؛ فقال : قد أكلت . قال : وما أكلت ؟ قال : قليل أرزٍ فأكثرت منه !

عناق

وقيل لأبي عبد الملك عناق : بأيّ شيء تزعمون أن أبا على الأسوارى أفضل من سلام أبي المنذر ؟ قال : لأنه لما مات سلام أبو المنذر مشى أبو عليّ فى جنازته ، فلما مات أبو عليّ لم يمش سلام فى جنازته !

كردم

ومرض كردم ، فقال له عمه : أيَّ شيء تشتهي ؟ فقال : رأس كبشين ! قال : لا يكون . قال : فرأسي كبش ! قال : لا يكون : فقال : لست أشتهي شيئا .

ابن طارق

وقال مسعدة بن طارق الذَّرّاع : إنا لوقوفٌ على حدود دار نقسمها ، إذ أقبل عيص سيدُ بنى تميم والمصلى على جنائزهم ، ونحن فى خصومة لنصلح بينهم ؛ فقال : خبرونى عن هذه الدار ، هل ضم بعضها إلى بعض أحدٌ ؟ ... فأنا منذ ستين سنة أفكِّر فى كلامه فما أدرك له معنى ولا مجازا .

وأقبل كردم السدوسى إلى قوم ليكسر لهم دورا ، فوجد دارا منها فيها زنقة فقال : ليست هذه الدارُ لكم . فقالوا : بلى ، والله ما نازعنا أحدٌ قط فيها . قال : فليست الزنقة لكم . قالوا : فكسر ما صح عندك أنه لنا ودع الزنقة . فكسر صحن الدار ، فقال : عشرون فى عشرين مائتان ! قالوا : من هذا المعنى لم تكن الزنقة عندك لنا ؛ عشرون فى عشرين مائتان .

فرضى

وسئل آخر كان ينظر فى الفرائض عن فريضة لم يعرفها ، فالتمسها فى كتابه فلم يجدها ؛ فقال لم يمت هذا الرجل بعد ، ولو مات لوجدت فريضته فى كتابي .

وعزى قوماً فقال : أجركم الله وأعظم أجورَكم وأجرَكم ، فقيل له فى ذلك ، فقال : مثل قول مروان بن الحكم : بارك الله فيكم وبارك لكم وبارك عليكم .

أبو إدريس السمان

وكان أبو إدريس السمان يكتب : فلا صحبك الله إلا بالعافية ، ولا حيا وجهك إلا بالكرامة !

زجل ووكيله

العتبي قال : بعث رجل وكيله إلى رجل من الوجوه يقتضيه ما عليه ، فرجع إليه مضروبا ؛ فقال : مالك ويلك ؟ قال : سبك فسببته فضربنى . قال : وبأى شيء

سبنى ؟ قال : [قال] : هن الحمار فى حِرِ أمّ الذى أرسلك ! قال له : دعنى من افترائه علىّ ؛ وأخبرْنى أنت كيف جعلت لأير الحمار من الحرمة ما لم تجعل لحر أمى ؟ هلا قلت : أيرُ الحمار فى هن أمّ من أرسلك !

أبو نواس ووراق — وقال أبو نواس : قلت لأحد الوراقين الذين يكتبون بباب البطونى : أيّما أسنّ أنت أم أخوك ؟ قال : إذا جاء رمضان استوينا !

المأمون وابن أشرس — قال ثمامة بن أشرس للمأمون : مررت فى غِبِّ مطر والأرض ندية والسماء متغيمة والريح شمال ، وإذا بشخص أصفر كأنه جرادة ، وقد قعد على قارعة الطريق ، وحجّامٌ يحجمه على كاهله وأخْدَعيْه بمحاجم كأنها قِعاب وقد مص دمه حتى كاد يستفرغه ، فقلت : يا شيخ ، لم تحتجم فى هذا البرد ؟ قال : لهذا الصّفار الذى بى .

أبو عتاب وبره بأمه — وقيل لأبى عتّاب : كيف برُّك بأمك ؟ قال : والله ما قرعتُها بسوط قط !

النوكى من نساء الأشراف

بعضهن — دغة العجلية ، وجَهيزة ، وشبولة ، وذَراعة ، وسارية الليل ، وريطة بنت كعب ، وهى التى نقضت غزلها أنكاثا ، وفيها يقال فى المثل : خرقاء وجدت صوفا .

حمقاء — وقال عمرو بن عثمان : شيعت القاضى عبد العزيز بن عبد المطّلب المخزومى قاضى مكة إلى منزله ، وبباب المسجد حمقاء تصفق بيديها وتقول :

* أرّقَ عينىَّ ضُراطُ القاضى *

فقال لى : يا أبا حفص ، أتراها تعنى قاضى مكة ؟

من حكم المجانين — وقد يأتى لهؤلاء المجانين كلام نادر محكم لا يُسمع بمثله ، كما قالوا : ربّ رمية من غير رامٍ .

قيل لدُغة : أى بنيكِ أحبّ إليك ؟ قالت : الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يُفيق ، والغائب حتى يرجع .

ومن أخبار أهل العى المشبهين بالمجانين

أبو طالب

دخل أبو طالب صاحب الحنطة على هاشمية جارية حمدونة بنت الرشيد ، ليشترى طعاما من طعامهم ؛ فقال لها : قد رأيت متاعك وقلبته ، قالت له : هلا قلتَ طعامكِ يا أبا طالب ! قال : قد أدخلت يدى فيه فوجدته قد حَمِىَ
٥ وصار مثل الجيفة ، قالت : يا أبا طالب ، ألست قد قلّبت الشعير فأعطنا به ما شئت وإن كان فاسدا .

رجلان من النوكى وعبد لهما

قال الأصمعى : كان بين رجلين من النَّوكى عبدٌ . فقام أحدهما يضربه ، فقال له شريكه : ما تصنع ؟ قال : أنا أضرب نصيبى منه ! قال : وأنا أضرب حصتى فيه ! وقام فضربه ؛ فكان من رأى العبد أن سَلَحَ عليهما وقال : اقتسما
١٠ هذه على قدر الحصص .

باكية على زوج

ومرّ بعضُهم بامرأة قاعدة على قبر وهى تبكى ، فقال لها : ما هذا الميِّتُ منك ؟ قالت : زوجى ! قال : وما كان عمله ؟ قالت : كان يحفر القبور ! قال : أبعَده الله ، أما علم أنه من حفر حفرة وقع فيها .

ابن أشرس ورجل من النوكى

وطلب رجل من النَّوكى من ثُمامة بن أشرس أن يُسلفه مالا ويؤخّره به ؛
١٥ قال : هاتان حاجتان ، وأنا أقضى لك إحداهما . قال : رضيت . قال : أنا أؤخرك ما شئتَ ولا أُسلفك .

امرأة أبى رافع وصيرفى

وكان أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وآلُ أبى رافع من فضلاء أهل المدينة وخيارهم ، مع بَلَه فيهم وعِىّ شديد ؛ فمن ذلك : أن امرأة أبى رافع رأته فى نومها بعد موته ، فقال لها : أتعرفين فلانا الصيرفى ؟ قالت له :
٢٠ نعم . قال : فإن لى عليه مائتى دينار .

فلما انتبهت غدتْ إلى الصيرفى فأخبرته الخبر ، وسألته عن المائتى دينار ؛ فقال : رحم الله أبا رافع ، والله ما جرتْ بينى وبينه معاملة قط ! فأقبلت إلى مسجد المدينة ، فوجدت مشايخ من آل أبى رافع ، كلهم مقبول القول ، جائز

الشهادة ؛ فقصّت عليهم الرؤيا ، وأخبرتهم خبرها مع الصيرفى وإنكارَه لما ادّعاه أبو رافع ؛ قالوا : ماكان أبو رافع ليكذب فى نوم ولا يقظة ! قرّبى صاحبك إلى السلطان ، ونحن نشهد لك عليه !

فلما علم الصيرفى عَزْم القوم على الشهادة لها ، وعلم أنهم إن شهدوا عليه لم يبرح حتى يؤدّيها ، قال لهم : إن رأيتم أن تصلحوا بينى وبين هذه المرأة على ما ترونه فافعلوا . قالوا : نعم والصلح خير ، ونِعْمَ الصلحُ الشطر ؛ فأدّ إليها مائة دينار من المائتين ! فقال لهم : أفعل ، ولكن اكتبوا بينى وبينها كتابا يكون وثيقة لى . قالوا : وكيف تكون هذه الوثيقة ؟ قال : تكتبون لى عليها أنها قبضت منى مائة دينار صلحاً عن المائتى دينار التى ادعاها أبو رافع علىّ فى نومها ، وأنها قد أبرأتنى منها ، وشرطتْ على نفسها أن لا ترى أبا رافع فى نومها مرة أخرى ، فيدعى علىّ بغير هذه المائتى دينار ، فتجىء بفلان وفلان يشهدان علىّ لها ! فلما سمعوا الوثيقة انتبه القوم لأنفسهم ، وقالوا : قبحك الله وقبح ما جئتَ به .

عامر بن عبد الله

ومنهم عامر بن عبد الله بن الزبير ، أُتى بعطائه وهو فى المسجد ، فقام ونسيه فى موضعه ؛ فلما أتى البيت ذكره ، فقال : يا غلام ، ائتنى بعطائى الذى نسيتُ فى المسجد ! قال : وأين يوجد وقد دخل المسجد بعدك جماعة ؟ وبقى أحد يأخذ ما ليس له ! ؟

وسُرقت نعله مرة ، فلم يلبس نعلا بعدها حتى مات ، وقال : أكره أن أتخذ نعلا يجىء من يسرقها فيأثم !

وفى هذا الضرب يقول أبو أيوب السختيانى : فى أصحابى من أرجو بركته ودعاءه ولا أقبلُ شهادتَه .

عابد فى بنى إسرائيل

قال الأصمعى : كان الشعبى يحدّث أنه كان فى بنى إسرائيل عابدٌ جاهل قد ترهّب فى صومعته ، وله حمار يرعى حول الصومعة ؛ فاطّلع عليه من الصومعة فرآه يرعى ، فرفع يده إلى السماء فقال : يارب ، لو كان لك حمار

كنت أرعاه مع حمارى وما كان يشق علىّ ! فهمّ به نبىٌّ كان فيهم فى ذلك الزمان ، فأوحى الله إليه : دَعهُ ، فإنما أثيب كل إنسان على قدر عقله .

ابن سيرين ومجنون

هشام بن حسان قال : أقبل رجل إلى محمد بن سيرين فقال : ما تقول فى رؤيا رأيتُها ؟ قال : وما رأيتَ ؟ قال كنت أرى أن لى غنما ، فكنت أُعطى بها ثمانيةَ دراهم ، فأبيت من البيع ففتحت عينى فلم أر شيئاً ، فأغلقتها ومددتُ يدى ؟ ٥ وقلت : هاتوا أربعة . فلم أُعطَ شيئا فقال له ابن سيرين : لعل القوم اطلعوا على عيب فى الغنم فكرهوها ! قال : يمكن الذى ذكرتَ :

شعراء المجانين

لبعضهم

منهم أبو ياسين الحاسب ، وجعيفران ، وجرنفش ، وأبو حية النميرى ، ١٠ وريسيموس ، وصالح بن شرزاد الكاتب .

أبو حية

وكان أبو حية أجَنَّ الناس وأشعرَ الناس ، وهو القائل :

ألاَ حيِّ أطلالَ الرسومِ البَوالِيا * لبِسنَ البِلَى ممـــا لبِسْنَ اللَّياليـا

إذا ما تقاضَى المرءَ يومٌ وليلةٌ * تقاضـــاهُ أمرٌ لايملُّ التّقاضِيا

وهو القائل أيضاً :

١٥ فلأبعثنّ مع الرِّياحِ قصيدةً * منى مُغلْغلةً إلى القَعْقـاع

تَرِد المنازِلَ لاتزالُ غَريبةً * فى القومِ بعد تمتُّع وسماع

وهو القائل أيضا :

فأبدتْ قِناعا دُونَه الشمسِ واتّقتْ

بأحسنِ مَوصولَيْنِ كَفٍّ ومِعصمِ

جعيفران

٢٠ وأما جعيفران الموسوس الشاعر ، وهو من مجانين الكوفة ، فإنه لقى رجلا فأعطاه درهما وقال له : قل شعراً على الجيم فقال :

عادنى الهمُّ فاعْتَلَجْ * كلُّ همٍّ الى فَـرَجْ

سلِّ عنك الهمومَ بالــكأسِ والراحِ تنفرِجْ

وهو القائل :

ما جعفرٌ لأبيــهِ * ولا له بشبيــهِ

أضحى لقوْمٍ كثيرٍ * فكلُّهمْ يدّعيــهِ

هٰــذا يقولُ بُنيِّي * وذا يُخاصِمُ فيــه ٥

والأمُّ تضحك مِنهم * لعلمِها بأبِيــه

قال أبو الحسن : استأذن جعيفران على بعض الملوك ، فأذن له ، وحضر غداؤه ، فتغذى معه ؛ فلما كان من الغد استأذن فحجبه ، ثم أتاه فى الثالثة فحجبه ، فنادى بأعلى صوته :

عليكَ إذنٌ فإنا قد تغذّينا * لسنا نعودُ ، وإن عُدنا تعدّينا ١٠

يا أُكْلَةً ذهَبتْ أبقت حرارتَها * داءً بقلبكَ ما صُمْنا وصلّينا !

أبو وائل

العتبي قال : قال أبو وائل لأبى : إن فىّ حماقة ، ولكن إن طلبتَ الشّعر وجدت عندى منه علماً . قال : وهل تقول منه شيئا ؟ قال : نعم ، أقول أجود من قولك ، وأنا الذى أقول :

لو أنّ جومَلَ كلّمتْنى بعدَ ما * نسِيَت جوانِحىَ البكاء وأُقبِرُ ١٥

لحسِبْتُ ميِّتَ أعظُمى سَيُجيبُها * أو أنّ باليهـا الرَّحيمِ سيُنشَرُ

قال له أبى : أما الشعر فحسن ، إلا أن اسم المرأة قبيح . قال : الآن اسم المرأة جُمل ، ولكننى ملحته بجومل ! فقال له : إن هذا من الحماقة التى برئ إلينا منها .

قال العتبي : قال أبى وأنشدنى أبو وائل :

ما أوجعَ البيْنَ من غريبٍ * فكيف إنْ كان من حَبيب ٢٠

يكادُ من شوقِه فُؤادِى * إذا تذكرْتُه يَموتُ

فقال له أبى : إن هـذا باء وهذا تاء . قال : لا تنقط أنت شيئا . قلت :

يا هذا إن البيت الأول مخفوض وهذا مرفوع . قال : أنا أقول لا تنقط : وهو يشكل !

ولما توفيت أم سليمان بن وهب الكاتب ، أخي الحسن بن وهب ، دخل عليه رجل من نوكى الكتاب يسمى صالح بن شيرزاد ، بشعر يرثيها فيه ، فأنشده :

لِأمِّ سُليمانٍ علينا مُصيبةٌ * مُغلْغلةٌ مثل الحُسامِ البواتِر

وكنتِ سِراجَ البيتِ يا أمَّ سالمٍ * فأمسى سراجُ البيتِ وسْط المقابرِ

فقال سليمان : ما نزل بأحد ما نزل بي : ماتت أمي ، ورُثيتُ بمثل هذا الشعر ونُقل اسمي من سليمان إلى سالم !

ومن قول صالح بن شيرزاد هذا :

لا تعدِلَنَّ دواءً بالنساء فإن * كان الضراط فذاك الآذريطوسُ[1]

ابو الواسع ومجنون

ودخل بعض شعراء المجانين على أبي الواسع وحوله بنوه ، فاستأذنه في الإنشاد فاستعفى ، فلم يزل به حتى أذن له ؛ فأنشده شعراً ، فلما انتهى فيه إلى قوله :

وكيفَ تُنفَى وأنتَ اليوم رأسُهمُ * وحولَكَ الغُرُّ من أبنائِكَ الصِّيد

قال له : ليتك تركتنا رأساً برأس .

ابن سيار ومجنون

وقيل : وفد أعرابي من شعراء المجانين إلى نصر بن سيار بشعر تغزل فيه بمائة بيت ، ومدحه ببيتين ؛ فقال له : والله ما تركت قافية لطيفة ولا معنى إلا شَغلت به نسيبَك دون مدحك . قال : سأقول غير هذا . فغدا عليه بشعر يقول فيه :

هل تَعرِفُ الدارَ لأمِّ الغمرِ * دع ذا وحَبِّرْ مِدحةً في نَصرِ

فقال له نصر : لا ذا ولا ذاك .

(١) الآذريطوس : دواء يوناني معرب .

وقال بعض العلماء : ما شبّهتُ تأويل الرافضة فى قبح مذهبهم إلا بتأويل رجل من مجانين أهل مكة للشعر ؛ فإنه قال : ما سمعت بأكذب من بنى تميم ؛ زعموا أن قول القائل :

بيتٌ زُرَارةُ مُحْتَبٍ بِفِنائِهِ * ومُجاشِعٌ وأبو الفوارِسِ نَهشَلُ

... زعموا أن هذه أسماء رجال منهم ! قال بعض أهل الأدب : قلت له : وما عندك أنت فيه ؟ قال : البيت بيت الله ، وزرارة الحجر ، ومجاشع زمزم جَشِعت بالماء ، وأبو الفوارس هو أبو قبيس جبل مكة ! قلت له : فنهشل ؟ قال نهشل ... ؟ وفكر فيه ساعة ، ثم قال : قد أصبته ؛ وهو مصباح الكعبة طويل أسود : فذلك النهشل !

من أخبار مجانين دير هزقل

قال المبرد محمد بن يزيد النحوى : خرجنا من بغداد نريد واسطا ، فملنا إلى دير هِزْقِل ننظر إلى المجانين ، فإذا المجانين كلهم قد رأونا ، ونظرنا إلى فتى منهم قد غسل ثوبه ونظفه وجلس ناحية عنهم ؛ فقلنا : إن كان فهذا فوقفنا به ، فسلمنا عليه فلم يردّ السلام ؛ فقلنا له : ما تجد ؟ فقال :

اللهُ يعـــلمُ أننى كَمِدُ * لا أستطيعُ أبُثُّ ما أجِدُ

نفسانِ لى نفسٌ تضمَّنها * بَلدٌ وأخرى حازَها بَلد

وأرى المُقيمةَ ليس يَنفَعها * صبرٌ وليس بَفوقُها جَلَدُ

وأظُنُّ غائِبَتِى كشاهِدَتِى * فكأنَّها تجدُ الذى أجد

فقلت له : أحسنتَ والله ! فأومأ إلى شىء ليرمينا به ، وقال : أمثلى يقال له أحسنت ! قال : فولّينا عنه هاربين . فقال : أسألكم بالله ألا ما رجعتم حتى أنشدكم فإن أحسنتُ قلتم لى أحسنت ، وإن أسأت قلتم لى أسأت . قال : فرجعنا ووقفنا ، وقلنا له : قل . فأنشأ يقول :

لما أناخوا قُبيلَ الصبحِ عِيسهُم * ورحّلوها وسارتْ بالدُّمَى الإبِلُ

وقلّبتْ من خلالِ السّجفِ ناظرَها * تَرنو إلىّ ودَمعُ العيْنِ مُنهمِل

ووَدَّعتْ ببَنانٍ عقْدَهُ عَنَمْ * ناديتُ: لا حَمَلتْ رِجلاكَ يا جَمَلُ
ويْلي منَ البيْنِ ! ماذا حَلَّ بي وبها * من نازِلِ البينِ؟ حلَّ البينُ وارتحلوا
يا راحِلَ العِيسِ عرّج كي أُودِّعهُم * يا راحِل العيسِ في تَرحالِكَ الأجل
إني على العهدِ لم أنقَض مودَّتَهم * ياليتَ شعري بطولِ العهدِ ما فَعلوا

٥ قال: فقلنا له: ماتوا! فصاح وقال: وأنا والله أموت! وتربع وتمدد فمات، فما برحنا حتى دفناه.

وقال محمد بن يزيد المبرِّد: دخلنا دير هِزْقل، فإذا بمجنون بيده حَجَر، وقد تفرق الناس عنه، وهو يقول: يامعشَر إخواني، اسمعوا مني. ثم أنشأ يقول:

وذي نَفَسٍ صاعدٍ * يَــئِن بِلا عائِدِ
١٠ يَكرُّ على جَحفَلٍ * ويضعُفُ عن واحِدِ

مان الموسوس

وأنشد أبو العباس لمـان الموسوس:

لهُ وَجَناتٌ في بياضٍ وحُمرةٍ * لحافاتُها بِيضٌ وأوساطُها حُمرُ
رِقاقٌ يجولُ المـاءُ فيها كأنها * زُجاجٌ أُريقت في جَوانِبِها الخمر

وقال محمد بن يزيد: أصابتنا سحابة جود، ثم أقلعت سريعا، فمر بي مان
١٥ الموسوس فقال:

لا تظنُّ الذي جرى * مطراً كان مُطرَا
إنمـا ذاكَ كلُّهُ * دمعُ عيني تَحدَّرا
وتوالت غُيومُهـــا * من هُمومي تَفَكّرا
هكذا حالُ من يَرى * من حبيبٍ تغيُّرا

٢٠ وقف مان الموسوس على أبي دلف، فأنشده:

كرَاتُ عينِكَ في العِدَا * تُغنيكَ عن سَلِّ السُّيوفِ

فقال أبو دلف: والله ما مُدحت قط بمثل هذا البيت! وأمر له بعشرة آلاف درهم، فأبى أن يقبضها وقال: نقنع من هذا بنصف درهم في هريسة.

ولمـان الموسوس :

من الظباء ظِبـاءٌ همُّها السُّخُبُ * وحَلْيُها الدُّرُّ والياقوتُ والذهبُ

ياحُسْنَ ماسرَقت عيْنى وما انْتهَبتْ * والعـينُ تسرِقُ أحياناً وتنتهب

إذا يدٌ سرقت فالحـدُّ يقطعهـا * والحدُّ فى سرقةِ العينين لا يَجب

أبو الجهم ومبرسم ٥ ومرّ علىّ بن الجهم بمبرسم قد اجتمع الناس عليه ، وتحلّقوا حوله ؛ فلما رآه المبرسم قصد نحوه ، وأخذ بعنانه ، ثم أنشأ يقول :

لا تَحلِفَنّ بمعشر الـ * ـهمج الذين أراهمُ

فوحقِّ مَن أبْلَى بهم * نفسى ومن عافاهم

لو قِيس موتاهم بهم * كانوا همُ موتاهم

١٠ ثم نظر حوله فرأى غلاما جميل الهيئة حسن الوجه ، فشق ثيابه وقال :

هـذا السعيدُ لديهِمُ * قد صار بى أشْقاهمُ

أبو لخمة قال أبو البحْترى الشاعر : كان يبلغنى أن ببغداد مجنونا يكنى أبا لخمة ، له بديهة حسنة ، فتعرضتُ له ، فأتيح لى لقاؤُه فى بعض سكك بغداد ؛ فقلت له : كيف أصبحت أبا لخمة ؟ فأنشأ يقول :

١٥ أصبحتُ منك على شَفا جُرُفٍ * متعرِّضـاً لِمَواردِ التَّلَفِ

وأراك نحوِى غـيرَ ملتفِتٍ * متحرِّفاً عن غيرِ مُنحرَف

يامَن أطال بهَجرِه كَلَفِى * أسفِى عليك أشـدُّ من كلفى

قال أبو البحترى : فأخرجت له قبصة نرجس كانت فى كُمِّى لحَيِّيته بها ، فجعل يشمها مليا ، ثم أنشأ يقول:

٢٠ لمَّا تزوجتِ الجَنوبُ بهاطِلٍ * جَوْنٍ هَتونٍ زِبْرجٍ دَلَّاج

أضحى يُلقِّحُها بوَسْمِى الصَّبا * فاستثقلت حَمْـلا بغيرِ نِكاج

حتى إذا حان المَخاضُ تفجّرتْ * فأتت بوِلدانٍ بِلا أرواح

حاكَ الربيعُ لهـا ثِياباً وُشِّيَت * بيـد النَّدَى وأناملِ الأرواح
من أصفرٍ فى أزهرٍ قد زانَهُ * تِبرٌ على ورقٍ من الأوضاح
رُكِّبْنَ فى عَمَدِ الزَّبَرْجدِ فاغتدَى * نحو الغـــزالة ناظراً بمِلاح

من شعر مانى

قال الحسن بن هانئ : لقيت مانياً الموسوس ، فأنشدنى :

٥ شِعْرُ حيٍّ أتاك من لفظِ ميْت * صار بين الحياةِ والموتِ وقْفَا
قد برَتْ جسمَه الحوادثُ حتى * كاد عن أعيُنِ البَرِيّةِ يَخفَى
لو تأمَّلتَـــنى لِتُبْصِرَ شخصى * لم تبِنْ من المحاسنِ حَرْفا

من شعر جعيفران

ثم مضيت فأتيت جعيفران الموسوس ، وهو شيخٌ من بنى هاشم أرتّ اللسان ، وعليه قيد من فضة ، وفى عنقه غل من ذهب ؛ فقال لى : من أين دبيت
١٠ ياحسن ؟ قلت : من بيت ما نويه . فقال : فى حِرِ أمِّ ما نويه . فدعا بدواة وقرطاس ، وقال لى : اكتب :

ما غرَّد الديكُ ليْـلا فى دُجُنّتِه * إلا حَثَثْت إليـك السيْرَ مجهودَا
ولا هَدَتْ كلُّ عيْنٍ لذّ راقدُها * بنـوْمةٍ فى لذيذِ العيشِ مَـْهودا
إلا آمتَطيتُ الدُّجا شوْقاً إليك ولو * أصبحتُ فى حِلَقِ الأقيادِ مصْفودا
١٥ أسعى مُخاطـرةً بالنَّفْسِ يا أملى * والليـلُ مُدَّرِعٌ أثوابَه السُّودا
فلم تَرِقَّ ولم تَرْثِى لمُكْتَئِبٍ * زوَّدْتَه حركاتِ القلبِ تزويدا
هيهاتَ لا غدرَ فى جنٍ ولا بشرٍ * من الخلائق إلا فيك موجودا

من شعر عدرد

ثم قال : خرق رقعة مانويه . فخرقتها ثم مضيت ، فلقيت عدرد المصاب وحوله الصبيان ، وهو يلطم وجهه ويبكى ، وينادى : أيها الناس ، الفراق مُرُّ
٢٠ المذاق ! فقلت له : أبا محمد ، من أين أقبلت ؟ قال : شيعتُ الحاج . قلت : وما الذى حملك علىّ تشييعهم ؟ فقال : لى فيهم سَكَن . قلت : فهل قلت فيهم شيئاً ؟ قال : نعم . وأنشدنى:

همُ رحلوا يومَ الخميس عشيّةً * فودّعتهم لـمّا آستقلوا وودّعوا

فلما تولَّوْا ولّتِ النفسُ معْهمُ * فقلتُ ارجِعى قالت إلى أين أرجع؟
إلى جسدٍ ما فيـــه لحمٌ ولا دمٌ * وما هو إلا أعـــظُمٌ تتقعقعُ
وعينان قد أعياهُما كثرَةَ البُـكا * وأُذنٌ عصَت عُذّالَها ليس تسمع

أديب ذاهب العقـل

أبو بكر الوراق قال : حدثنى صديقٌ لى ؛ قال : رأيت رجلا من أهل الأدب قد ذهب عقله بالمحبة ، وخلفه دابة له تدور معه ، فاستوقفتُه وقلت له : يا فلان ، ما حالك ؟ وأين النعمة ؟ قال : تغير قلبى فتغيرتِ النعمة ! قلت : بم تغيّر ؟ قال : بالحب ! ثم بكى وأنشأ يقول :

أرى التجمُّل شيئا لست أحْسِنَه * وكيف أُخْفِى الهوى والدَّمْعُ يُعْلِنُه
أم كيف صبْرُ مُحبّ قلبُه دَنِفٌ * الهجرُ يُنْحِـلُه والشّوْقُ يحزنه ؟
وإنه حـــين لا وصـلٌ يُساعِفُه * يَهوَى السُّلوَّ ، ولـكن ليس يُمْـكِنُه
وكيف يَنسى الهوى مَنْ أنت هِمَّتَه * وفترةُ اللّحْظِ من عينيك تَفْتِنُه ؟

فقلت : أحسنت والله ! فقال : قف قليلا ، فوالله لأطرحنّ فى أذنيك أثقلَ من الرصاص وأخف على الفؤاد من ريش الحواصل ! وأنشد :

للحبِّ نارٌ على عبْقّ مضْرَمَةٌ * لم تبلُغِ النارُ منها عُشرَ مِعْشارِ
المـاءُ ينبُعُ منها من مَحاجرِها * يا لَلرّجال لمـاءٍ فاض من نارِ!

ثم وقف وأنشد :

أعاد الصُّدودَ وأحيا العَليلا * وأبْدَى الجفاء فصبراً جميلا
ورَدّ الكـتابَ ولم يَقْرَهُ * لِئـلّا أردّ إليـه الرسولا
وأحسِبُ نفسى على ما ترى * ستَلقَى من الهَجر همًّا طويلا
وأحسِبُ قلبى على ما أرى * سيذهبُ منّى قليلا قليلا !

ثم ترك يدى ومضى

وحكى أبو العبـاس المبرد قال : دخل عمرو بن مسعدة على المـأمون وبين

يديه جام زجاج فيه سكر طبرزذ وملح جريش ؛ قال : فسلمتُ ، فرد وعرض عليّ الأكل ؛ فقلت : ما أُريد شيئا ، هنّأك اللهُ يا أمير المؤمنين ، فلقد باكرت بالغداء فإني بتُّ جائما . ثم أطرق ورفع رأسه وهو يقول :

اعرِضْ طعامَكَ وابْذُلْهُ لمنْ دخلا * واحلِفْ على مَن أبى، واشكرْ لمنْ أكلا

٥ فلا تكنْ سابرِيَّ العِرضِ مُحتشِما * من القليلِ ، فلستَ الدهرَ مُحتفلا

ودعا برطل ؛ ودخل رجل من أجلة الفقهاء ، فمد يده إليه ، فقال ؛ والله يا أمير المؤمنين ما شربتُها ناشئا ، فلا تسقنيها شيخا ! فردّ يده إلى عمرو بن مسعدة فأخذها منه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، اللهَ اللهَ ! إنى عاهدت الله فى الكعبة أن لا أشربها أبداً ! ففكر طويلا ؛ والكأس فى يد عمرو بن مسعدة ، حتى لقد ظن

١٠ أنه سيأمر فيها ؛ ثم قال :

رُدّا علىَّ الكأسَ إنّكما * لا تعلمانِ الكأسَ ما تُجْدِى
لو ذُقْتما ماذقتُ ما آمتزجت * إلا بدمعِكما منَ الوَجْدِ
خَوفتُماني آللهَ ربَّكما * وكخيفتيه رجاؤُهُ عندِى
إنْ كُنتما لا تَشربانِ معى * خَوْفَ العِقابِ شربتُها وحدِى!

ابن أوس ومان فى غلام

١٥ محمد بن يزيد الأسدى قال : حدثنى حبيب بن أوس قال : كنت فى غرفة لى على شاطئ دجلة فى وقت الخريف ، فإذا بغلام كنت أعرفه بجمال ، قد تجرد من ثيابه وألقى نفسه فى الدجلة يسبحُ فيها ، وقد احمرَّ جلدُه من برْد الماء ؛ وإذا مان الموسوس يرمقه ببصره ، فلما خرج من الماء قال :

خَمَشَ الماءُ جلدَهُ الرطبَ حتى * خِلْتُهُ لابِساً غِلالةَ خَمْرِ

٢٠ قلت له : لعنك الله يا مانى ! أبَعْدَ الجهاد والغزو تحبّ غلاماً قد بات مؤخراً فى الحانات ؟ فقال لى : ليس مثلك يُخاطَب يا أحمق ، وإنما يخاطب هذا وأشار إلى السماء ، وقال :

بكفَّيكَ تقليبُ القلوبِ وإننى * لَفِى تَرح ممّا ألاقى فما ذَنْبى ؟
خلقْتَ وجوهاً كالمصابيحِ فتنة * وقلتَ اهْجرو هاعزَّ ذلك منْ خطْبِ!

فإما أبحت الصبَّ ما قد خلقتهُ * وإما زجرتَ القلبَ عن لوعةِ الحبِّ !

أخذ هذا المعنى يزيد بن عثمان فقال :

أيارب تخلقُ ما تخلُقُ * وتنهى عبادَك أنْ يعشقوا ؟

إلهي،خلقتَ حسانَ الوجوهِ * فأيُّ عبادِك لا يَعشقُ

لأبي بكر الموسوس

وقال أبو بكر الموسوس فى نصرانى : ٥

أبصرتُ شخصَكَ فى نومِى يُعانقُنى * كما تُعانقُ لام الكاتبِ الألِفا

يامن إذا درَسَ الإنجيلَ ظلَّ لهُ * قلبُ الحنيفِ عن الإسلامِ منصرفا !

وله فيه :

زُنّارُهُ فى خصرِهِ معقُودُ * كأنه مِن كبدى مقدُودُ

أخبار البخلاء ١٠

بخل أهل مرو، ولابن أشرس فيهم

أجمع الناس على بخل أهل مرو ، ثم أهل خراسان .

قال ثمامة بن أشرس : مارأيت الديك قط فى بلدة إلا وهو يدعو الدجاج ويثير الحب إليها ويلطف بها ، إلا فى مرو ، فإنى رأيته يأكل وحده ، فعلمت أن لؤمهم فى المآكل .

ورأيت فى مرو طفلا صغيرا فى يده بيضة ، فقلت له : أعطنى هذه البيضة . ١٥ فقال : ليس تسعُ يدُك ! فعلمت أن اللؤم والمنع فيهم بالطبع المركب والجبلّة المفطورة .

مروزى اشتكى سعالا

واشتكى رجل مروزىٌّ ضررا من سعال ؛ فدلّوه على سويق اللوز ، فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع أخف عليه ؛ فلم يزل يماطل الأيام ويدافع الأوقات حتى أُتيح له بعض الموفقين ، فدله على ماء النخالة ، وقال له : إنه يجلو الصدر . ٢٠ فأمر بالنخالة فطبخت له وشرب ماءها ، فجُلا صدره .

ووجدهُ يعضهم ، فلما حضر غداؤه أمر به فرُفع إلى العشاء وقال لأم عياله

اطبخي لأهل بيتنا النخالة ، فإني وجدت ماءها يعصم ويجلى الصدر فقالت له زوجته : قد جمع الله لك فى هذا الدواء دواء وغذاء !

لابن صبيح في

وقال خاقان بن صبيح : دخلت على رجل ليلا من أهل خراسان فإذا هو قد أتى بمسرجة فيها فتيل رقيق ، وقد ألقى فى دهن المسرجة شيئا من ملح ، وقد ٥ علق فيها عودا بخيط معقود إلى المسرجة ، فإذا غشا المصباحُ أخرج به رأس الفتيل ؛ فقلت : ما بال هذا العود مربوطا ؟ فقال : هذا عود قد شرب الدهن ، فإذا لم نحفظه وضاع احتجنا إلى غيره فلا نجده إلا عطشان ، فإذا كان هذا دأبنا ضاع من دهننا فى الشهر بقدر كفايتنا ليلة .

قال : فبينا أنا أتعجب وأسأل الله العافية ، إذ دخل علينا شيخ من أهل مرو ١٠ ونظر إلى العود فقال : أبا فلان ، فررتَ من شيء ووقعتَ فيما هو شرٌ منه ؛ أما علمت أن الشمس والريح تأخذان من سائر الأشياء ؟ أو ليس [قد] كان البارحة هذا العودُ عند إطفاء السراج أروَى ؛ وهو عند إسراجك الليلة أعطَش ؟ قد كنت أنا جاهلا مثلك زمانا ، حتى وفقنى الله إلى ما [هو] أرشد ؛ اربط عافاك الله مكان العود إبرة كبيرة أو مسلة صغيرة ؛ فإن الحديد أبقى ، وهو مع ١٥ ذلك غير نشاف ؛ والعود والقصبة ربما تعلقت بهما العشرة من قطن الفتيلة فتشخص معها ؛ وربما كان ذلك سببا لانطفائها ! قال الخراسانى : ألا وإنك لا تعلم أنك من المسرفين حتى تعمل بأعمال المصلحين !

للجزامى

قال الأصمعى : قال لى أبو محمد الجزامى ، واسمه عبد الله بن كاسب ، ونحن فى العسكر ؛ إن للشيب سُهْكَة وبياض الشعر الأسود هو موته ، كما أن سواده ٢٠ حياتُه ، ألا ترى أن موضع دبَرةِ الحمار الأسود لا ينبت فيها إلا شعر أبيض ، والناس لا يرضون منا فى هذا العسكر إلا بالعناق والمشامّة والطيب غال ممتنع الجانب ، فلست أرى شيئا هو أحسن بنا من اتخاذ مشط صندل ؛ فإن ريحه طيّبة ، والشعر سريع القبول [منه] ؛ وأقل ما تصنع أن ماينفى سَهَك الشيب ؛ حتى يكون حالٌ لا لنا ولا علينا .

لابن أشرس

وكان ثمامة بن أشرس يقول : إياكم وأعداء الخبز أن تأتدموا بها ، واعلموا أن أعدى عدو له المملوك ، فلولا أن الله أعان عليه بالماء لأهلك الحرث والنسل !

وكان يقول : كلوا الباقلاء بقشره ، فإن الباقلاة تقول : من أكلنى بقشرى فقد أكلنى ، ومن أكلنى بغير قشرى فقد أكلته ! ٥

من بخل هشام ابن عبد الملك

ومن البخلاء هشام بن عبد الملك : قال خالد بن صفوان : دخلت على هشام فأطرفته وحدثته ، فقال : سل حاجتك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، تزيد فى عطائى عشرة دنانير . فأطرق حينا وقال : فيم ؟ ولم ؟ وبِمَ ؟ ألعبادة أحدثتَها أم لبلاء حسن أبليتَه فى أمير المؤمنين ؟ ألا لا يا ابن صفوان ، ولو كان لكَثُرَ السؤال ولم يحتمله بيت المال ! فقلت : وفقك الله يا أمير المؤمنين وسدد ؛ فأنت ١٠ والله كما قال أخو خزاعة :

إذا المالُ لم يوجبْ عليك عطاءهُ * صنيعةَ قُرْبَى أو صديقٌ توافقُهْ
مَنعت وبعضُ المنعِ حزمٌ وقوّةٌ * ولم يَستلِبْكَ المـالَ إلا حَقائقُهْ

قيل لخالد بن صفوان : ما حَملك على تزيين البخل له ؟ قال : أحببت أن يمنع غيرى فيكثُر من يلومه . ١٥

وخرج هشام بن عبد الملك متنزها ومعه الأبرش الكلبى ، فمر براهب فى دير ، فعدل إليه ، فأدخله الراهب بستانا له ، وجعل يجتنى له أطايبَ الفاكهة ؛ فقال له هشام : ياراهب ؛ بِعنى بستانَك ! فسكت عنه الراهب ، ثم أعاد عليه ، فسكت عنه ؛ فقال له : مالك لاتجيبنى ؟ فقال : وددت أن الناس كلهم ماتوا غيرَك ! قال : لماذا ويحك ؟ قال : لعلك أن تشبعَ ! فالتفت هشام إلى الأبرش ٢٠ فقال : أما سمعتَ ما قال هذا ؟ قال . والله إن لقِيَك حرٌّ غيرُه .

من بخل ابن الزبير

ومن البخلاء عبد الله بن الزبير ، وكانت تكفيه أكلةٌ لأيام ، ويقول : إنما بطنى شِبر فى شبر ، فما عسى أن تكفيه أكلة .

وقال فيه أبو وجرة مولى الزبير :

لو كان بطْنُكَ شِبراً قد شَبِعْتَ وقد ٭ أبقَيْتَ فضلًا كثيراً للمساكينِ
فإن تُصِبْكَ منَ الأيامِ جائحةٌ ٭ لمْ نبْكِ منك على دُنيا ولا دينِ
ما زلتَ فى سورةِ الأعرافِ تَدرُسُها ٭ حتى فؤادى كَمِثْلِ الخزِّ فى اللّينِ
٥ إنّ امْرَأً كنتُ مولاهُ فضيّعنى ٭ يَرْجُو الفَلَاحَ لَعبدٌ عَيْنُ مغبونِ

وابن الزبير هو الذى قال : أكلتم تمرى وعصيتم أمرى ! فقال فيه الشاعر :

رأيتُ أبا بكرٍ ، وربُّك غالبٌ ٭ على أمرِهِ ، يبغى الخلافة ُبالتَّمرِ !

وأقبل إليه أعرابىٌّ فقال : أعطنى وأقاتل عنك أهل الشام . فقال له :
١٠ اذهب فقاتل ، فإن أغنيتَ أعطيناك ! قال : أراك تجعلُ روحى نقدا ودراهمك نسيئة !

وأتاه أعرابى يسأله جملا ، ويذكر أن ناقته نقِبت ؛ فقال : آنعلها من النعال السبتية ، واخصفها بهُلْب ! قال له الأعرابى : إنما أتيتُك مستوصلا ولم آتِكَ مستوصفاً ؛ فلا حُملتْ ناقةٌ حملتنى إليك ! قال : إنّ وصاحبَها .

١٥ ومن رؤساء أهل البخل محمد بن الجهم ، وهو الذى قال : وددت أن عشرة من الفقهاء ، وعشرة من الشعراء ، وعشرة من الخطباء ، وعشرة من الأدباء — تواطئوا على ذمّى ، واستهلوا بشتمى ، حتى يُنشر ذلك عنهم فى الآفاق ، حتى لا يمتد إلىّ أمَلُ آمِلٍ ، ولا ينبسط نحوى رجاء راجٍ .

من بخل ابن الجهم

وقال له أصحابه : إنما نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شهوتك ، فلو جعلت
٢٠ لنا علامة نعرف بها وقت استحسانك لقيامنا ! قال : علامة ذلك أن أقول : يا غلام ، هاتِ الغداء .

وذكر ثمامةُ بن أشرس محمد بن الجهم فقال : لم يطمع أحدٌ قط فى ماله إلا شغَله عن الطمع فى غيره ، ولا شفع فى صديق ، ولا تكلم فى حاجة مُحْرِم ، إلا ليلقن

المسئول حُجّة المنع ، ويفتح على السائل باب الحرمان!

من بخل ابن أبى حفصة

ومن البخلاء اللئام مروان بن أبى حفصة الشاعر ؛ قال أبو عبيدة عن ابن الجهم قال : أتيت اليمامة فنزلت على مروان بن أبى حفصة ، فقدّم إلىّ تمرا ، وأرسل غلامَه بفلس وسكرُّجة يشترى زيتاً ، فأتى الغلام بالزيت ، فقال له : خنتَنى وسرقتنى ! قال : وفيم كنت أخونك وأسرقك فى فلس ؟ قال : أخذت الفلس لنفسك واستوهبت الزيت . ٥

من بخل الصيرفى

ومن البخلاء : زبيدة بن حُميد الصيرفى ؛ استلف من بقال على بابه درهمين وقيراطا ، فطاله بها ستة أشهر ، ثم قضاه درهمين وثلاث حبات [شعير] ؛ فاغتاظ البقال وقال : سبحان الله ! أنت صاحب مائة ألف دينار ، وأنا بقال لا أملك مائة فَلس ، وإنما أعيش بكدى ، وأستقضى الحبة فى بابك والحبتين ؛ صاحَ على ١٠ بابك حمال ، [والمالُ لم يحضُرْك] ولا يحضر تلك الساعة وَكيلُك ، فأعنْتك وأسلفتُك درهمين وأربع شعيرات ، فتقضينى بعد ستة أشهر درهمين وثلاث شعيرات ؟ فقال زبيدة : يا مجنون ، أسلفتنى فى الصيف وقضيتك فى الشتاء ، وثلاث شعيرات شتوية أوْزَنُ من أربع صيفية ؛ لأن هذه ندية وتلك يابسة ، وما أشك أن معك بعد هذا كله فضلا ! ١٥

الأصمعى فى بخيل

قال الأصمعى : كنت عند رجل من ألأم الناس وأبخلهم ، وكان عنده لبن كثير ، فسمع به رجل ظريف ، فقال : الموت أو أشرب من لبنه ! فأقبل مع صاحب له ، حتى إذا كان بباب صاحب اللبن ، تغاشَى وتماوت ، فقعد صاحبه عند رأسه يسترجع ، فخرج إليه صاحب اللبن ؛ فقال ما باله يا سيدى ؟ قال : هذا سيد بنى تميم ، أتاه أمر الله ههنا . وكان قال لى : اسقنى لبناً ! قال صاحب اللبن : ٢٠ هذا هين موجود ؛ ائتنى يا غلام بعلبة من لبن . فأتاه به فأسنده صاحبُه إلى صدره وسقاه ، حتى أتى عليها ، ثم تجشأ ، فقال صاحبه لصاحب اللبن : أترى هذه الجشأة راحة الموت ؟ قال : أماتك الله وإياه !

ومن أمثال العرب فى البخل قولهم : ماهو إلا أُبنة عصا أو عقدة رِشاء ؛

لأن عقدة الرِّشاء المبلول لا تكاد تنحل .

لمدنية

قيل لمدنية : ما الجرحُ الذى لا يندمل ؟ قالت : حاجةُ الكريم إلى اللئيم ثم يردّه ! قيل لها : فما الذل؟ قالت : وقوف الشريف بباب الدنىء ثم لا يؤذن له ! قيل لها : فما الشرف ؟ قالت : اتخاذ المِنن فى رقاب الرجال .

لبعض العرب

٥ والعرب تقول لمن لم يظفر بحاجته وجاء خائبا : جاء فلان على غُبيراء الظهر وجاء على حاجبه صوفة ، وجاء بخُفَّىْ حنين .

السندى فى ابن هبيرة

وقال أبو عطاء السندى ، فى يزيد بن عمر بن هبيرة :

ثلاثٌ حُكْتُهُنّ لقَرْم قيسٍ ٭ طلَبْتُ بها الأُخوّةَ والسَّناء
رجعْنَ على حواجبهن صُوفٌ ٭ وعنـدَ الله أحتَسِبُ الجزاء

١٠

طعام البخلاء

المروزى وزواره

قال الأصمعى : كان المروزىُّ يقول لزواره إذا أتوه : هل تغدَّيتم اليوم ؟ فإن قالوا : نعم . قال : والله لولا أنكم تغديتم لأطعمتكم لونا ما أكلتُم مثله ، ولكن ذهب أولُ الطعام بشهوتكم ! وإن قالوا : لا . قال : والله لولا أنكم لم تتغدوا لسقيتكم أقداحاً من نبيذ الزبيب ما شربتم مثله ! فلا يصير فى أيديهم ١٥ منه شىء .

من بخل ثمامة

وكان ثُمامة إذا دخل عليه أصحابه وقد تعشَّوا عنده قال لهم : كيف كان مبيتكم ومنامكم ؟ فإن قال أحدهم إنه نام ليلته فى هدوء وسكون ، قال : النفس إذا أخذت قوتَها اطمأنت ! وإذا قال أحدهم إنه لم ينم ليلته قال : إنه من إفراط الكِظّة والإسراف من البطنة ! ثم يقول : كيف كان شربُكم للماء ؟ فإن قال ٢٠ أحدهم : كثيراً . قال : التراب الكثير لا يبله إلا الماء الكثير وإن قال : قليلا . قال : ما تركت للماء مدخلا !

وكان إذا أطعم أصحابه استلق على قفاه ثم يتلو قوله تعالى : ﴿ إنما نُطعِمكم لوجهِ الله لا نُريدُ منكم جزاءً ولا شكوراً ﴾ .

ودخل عليه رجل وبين يديه طبق فراريج ، فغطى الطبق بذيله ، وأدخل رأسه فى جيبه ، وقال للرجل الداخل : أدخل فى البيت الآخر حتى أفرغ من بَخُورى .

أبو جعفر

وشُوِىَ لأبى جعفر الهاشمى دجاج ففقد فخذاً من دجاجة ، فأمر فنودى فى منزله : من هذا الذى تعاطى فعقَر ؟ والله لا أخبز فى التنور شهراً أو تُرَدّ ! فقال ابنه الأكبر : يا أبت ، لا تؤاخذنا بما فعَل السفهاء منا .

سهل بن هارون

وقال دعبل الشاعر : كنا يوماً عند سهل بن هرون ، فأطلنا الحديث حتى أضرَّ به الجوع ، فدعا بغدائه ، فإذا بصحفة عُدْمُلِيَّة فيها مرق لحم ديك قد هرِم ، لا تحز فيه السكين ، ولا تؤثر فيه الضرس ؛ فأخذ قطعة خبز فقلب بها جميع مافى الصحفة ، ففَقد الرأس ، فأطرق ساعة ، ثم رفع رأسه إلى الغلام ، وقال : أين الرأس ؟ قال : رميتُ به . قال : لِمَ ؟ قال : لم أظنك تأكله ولا تسأل عنه . قال : ولأى شىء ظننتَ ذلك ؟ فوالله إنى لأبغض من يرمى برجله فضلا عن رأسه ، والرأس رئيس الأعضاء ، وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصيح الديك ! وفيه العين التى يضرب بها المثل فى الصفاء ، فيقال : شراب مثل عين الديك ؛ ودماغه عجيب لوجع الكلية ، ولم يُرَ قط عظم أهش من عظم رأسه ، فإن كان بلغ من جهلك أن لا تأكله فعندنا من يأكله ، انظر أين هو ؟ قال : والله ماأدرى أين رميتُه . قال : لكنى والله أدرى ، رميتَ به فى بطنك !

زياد بن عبيد الله

وأهدى رجل من قريش لزياد بن عبيد الله وهو على المدينة طعاماً فثقل عليه ذلك ، فقال : اجمعوا المساكين وأطعموهم إياه ! فجمعوا ، وكشف عن الطعام ، فإذا طعام له بال ، فندم على الإرسال للمساكين ، وقال للغلام : انطلق إلى هؤلاء المساكين وقل لهم : إنكم تجتمعون فى المسجد فتفسون فيه فتؤذون الناس ! لا أعلم أنه اجتمع فيه منكم اثنان !

عبد الله بن يحيى

وقال : دخلت على عبد الله بن يحيى بن خالد بن أمية ، وقوم يأكلون عنده ، فمد يده إلى رغيف من الخوان فرفعه ، وجعل يَرطُله بيده ويقول : يزعمون

أن خبزى صغير ؟ فمن هذا الزانى ابن الزانية الذى يأكل نصف رغيف منه .

قال : ودخلت عليه يوماً والمائدة موضوعة ، والقوم يأكلون ، وقد رفع بعضهم يده ، فمددتُ يدى لآكل ، فقال : اجهز على الجرحى ، ولا تتعرض للأصحاء ! يقول : تعرّض للدجاجة التى قد نِيل منها ، والفرخ المأخوذ منه ؛ فأما الصحيح فلا تتعرض له . هذا معناه فى الجرحى [والأصحاء] .

جمين فى بخيل

وسأل يحيى بن خالد أبا الحارث جُمَّين عن طعام رجل ، فقال : أما مائدته فقبّية ، وأما صحافه فمخروطة من حب الخردل ، وبين الرغيف والرغيف فترة نبى . قال : فمن يحضرها ؟ قال : الكرامُ الكاتبون . قال : فمن يأكل معه ؟ قال : الذباب . قال له يحيى : وأرى ثوبك مخرقا ، أفلا يكسوك ثوباً وأنت فى صحبته ؟ قال : جُعلتُ فداك ، والله لو ملك بيتا من بغداد إلى الكوفة مملوءا إبرا ، وفى كل إبرة منها خيط ، وجاءه يعقوب يسأله إبرة منها يَخيط بها قميص يوسفَ ابنه الذى قُدَّ من دُبُر ، ومعه جبريل وميكائيل يضمنان عنده ، لم يفعل .

لابن مسلمة

أخذ هذا المعنى محمد بن مسلمة ، فقال يهجو ابن الأغلب :

لو أنّ قصرَك يا ابنَ أغلبَ كلَّهُ * إبرٌ يضيقُ بهن رحْبُ المنزلِ
وأتاكَ يوسفُ يَستعيرُكَ إبرةً * ليخيطَ قدَّ قميصِهِ لم تَفعلِ !

وقيل لجُمّين : أتغديت عند فلان ؟ قال : لا ، ولكننى مررت به يتغدى ! قيل : فكيف علمت أنه يتغدى ؟ قال رأيتُ غلمانه ببابه فى أيديهم قسى البندق يرمون الذباب فى الهواء !

وقال أبو الحارث جُمَّين : دخلتُ على فلان ، فوضع بين أيدينا مائدةً ـ كنا أشوقَ إلى الطعام إذ رفعت منا إليه إذ وُضعت ـ !

أعرابى على مائدة هشام

وحضر أعرابى سُفرة هشام بن عبد الملك ، فبينا هو يأكل إذ تعلقت شعرة فى لقمة الأعرابى ، فقال له هشام : عندك شعرة فى لقمتك يا أعرابى ! قال :

وإنك لتلاحظنى ملاحظة من يرى الشعرة فى لقمتى ! والله لا أكلت عندك أبدا !
وخرج وهو يقول :

وللموتُ خيرٌ من زيارةِ باخِلٍ * يُلاحِظ أطرافَ الأكيل على عَمْدِ

لبعض الشعراء وقال آخر :

ولو عليكَ اتّكالى فى الغداء إذاً * لكُنتُ أولَ مقتول من الجوعِ ٥
يَقولُ عِنــد دُعاء الضَّيفِ مُبتدِئاً * صوت ضعيفٌ وداعٍ غيرُ مَسموعِ

المغيرة وبخلة قال المدائنى : كان للمغيرة بن عبد الله الثقفى وهو والى الكوفة ، جدىٌ يوضع على مائدته بعد الطعام ، لا يمسه هو ولا أحد ممن يحضر ، فحضر مائدتَه أعرابىّ ، فبسط يده ، وأسرع فى الأكل ، فقال : يا أعرابى ، إنك لتأكل الجدى بحرد كأنّ أمه نطحتْك ، فقال له الأعرابى : أصلحك الله ، وأنت تُشفِق عليه كأنّ أمّه ١٠ أرضعتك ! ثم بسط الأعرابى يده إلى بيضة بين يده ، فقال : خذها فإنها بيضة العُقر ! فلم يحضر طعامه بعد ذلك.

أشعب ووالى المدينة ودخل أشعب على والى المدينة ، فحضر طعامه ، وكان له جدىٌ على مائدته يتحاماه كل من حضر ، فبدر إليه أشعب ففرقه ، فقال له : يا أشعب ، إن أهل السجن ليس لهم إمامٌ يصلى بهم ، فإن رأيت أن تكون لهم إماما تصلى بهم ، ١٥ فإن فى ذلك أجرا ! فقال : والله ما أحبُّ هذا الأجر ، ولكن زوجتى طالق إن أكلت لحم جَدْيٍ عندك حتى ألقى الله !

الكندى قال عمرو بن ميمون : تغدّيت يوما عند الكندى ، فدخل عليه رجل كان جاراً وصديقا لى ، فلم يَعرض عليه الطعام ، ونحن نأكل ، فاستحيت أنا منه ، فقلت : سبحان الله ، لو دنوتَ فأصبتَ معنا ! قال : قد والله فعلتُ . قال ٢٠ الكندى : ما بعد الله شىء ! قال : فكتفَه والله كِتافاً لو بسط يده لأكلٍ بعده لكان كافرا !

قال : ومررت ببعض طرق الكوفة ، فإذا أنا برجل يخاصم جاراً له ، فقلت :

ما بالكما ؟ فقال أحدهما : إن صديقا لى زارنى واشتهى علىّ رأسا ، فاشتريته له وتغدينا ، فأخذتُ عظامه فوضعتها عند باب دارى أتجمل بها عند جيرانى ، فجاء هذا وأخذها ووضعها على باب داره ، يوهم الناس أنه هو الذى أكل الرأس .

بخيل وولده — قال رجل من البخلاء لولده : اشتروا لى لحما ، فاشتروا له ، وأمر بطبخه حتى تهرّأ ، فأكل منه حتى انتهت نفسه [ولم يبق إلا العظم] ، وشرعت إليه عيون ولده ، فقال : ما أنا مطعمُه أحداً منكم إلا من أحسن صفة أكله ! فقال الأكبر : أتعرّقه يا أبت ، حتى لا أدع للذرّة فيه مقيلا ! قال : لست بصاحبه ! فقال الأوسط : أتعرّقه يا أبت حتى لا يُدرَى ألعامه هو أم لعامٍ أول ! قال : لست بصاحبه ! فقال الأصغر : أتعرّقه يا أبت ، ثم أدقه دقا ، وأسفه سفا ؟ قال : أنت صاحبُه ، وهو لك دونهم .

الثورى — وقال عمرو بن بحر الجاحظ : كان أبو عبد الرحمن الثورى يعجبه الرءوس ويصفها ، وكان يسمّى الرأس عرساً لما فيه من الألوان الطيبة ، وربما سماه الكامل والجامع ؛ ويقول : الرأس شىء واحد ، وهو ذو ألوان عجيبة وطعوم مختلفة ، والرأس فيه الدماغ ، وطعمه مفرد ، وفيه العينان ، وطعمهما مفرد ، والشحمة التى بين أصل الأذن ومؤخر العين ، وطعمها مفرد ، على أن هذه الشحمة خاصة أطيبُ من المخ ، وأرطب من الزبد ، وأدسم من السلاء ؛ وفى الرأس اللسان ، وطعمه مفرد ، والخيشوم ، والغضروف ، ولحم الخدين ، وكل شىء من هذه طعمه مفرد ؛ والرأس سيد البدن ، والدماغ هو معدنُ العقل ، وحاسة الحواس وبه قوام البدن ، وفيه يقول الشاعر .

إذا نزعوا رأسِى ، وفى الرأسِ أكثرى ٭ وغُودِرَ عند الملتَقى ثَمّ سائِرِى . . .

لأعرابى فى الرأس — وقيل لأعرابى : أتحسن أن تأكل الرأس ؟ قال : نعم ؛ أعض العينين ، وأفك لحييه ، وأنق خديه ، وأرمى بالدماغ إلى من هو أحق به منى ، وكانوا يكرهون أكل الدماغ ، ولذا يقول قائلهم .

٭ ولا أبتغى المُخّ الذى فى الجماجمِ ٭

نصيحة أبي عبد الرحمن لابنه

وكان أبو عبد الرحمن يجلس مع ابنه يوم الرأس ويقول له : إياك ونهم الصبيان وبغر السباع ، وأخلاق النوائح ، ونهش الأعراب ، وكل مما بين يديك ، فإنما حظك منه ما قابلك ، واعلم أنه إذا كان فى الطعام شىء طريف ، من لقمة كريمة ، أو مضغة شهية ، فإنما ذلك للشيخ المعظم ، والصبي المدلل ، ولست بواحد منهما ، وقد قالوا .
مُدمِنُ اللحم كمدمِن الخمر ؛ أى بنىّ ، لا تخضم خضم البراذين ، ولا تُدمِن الأكل إدمان النعاج ، ولا تلقم لقم الجمال ، ولا تنهش نهش السباع ، وعوِّدْ نفسك الأَثْرة ، ومجاهدةَ الهوى والشهوة ؛ فإن الله جعلك إنسانا فلا تجعل نفسك بهيمة ، واحذر سرعة الكظة وسرَف البطنة ، فقد قال بعض الحكماء : إذا كنت نَهِما فعدّ نفسك من الزَّمْنى ؛ واعلم أن الشِّبَع داعيةُ البشم ، والبشم داعية السقَم ، والسقَم داعية الموت . ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة ؛ لأنه قاتلُ نفسه ، وقاتل نفسه ألأمُ من قاتل غيره أى بنى ، والله ما أدى حق الركوع والسجود ذو كِظة ولا خشع لله ذو بطنة ، والصوم مصحة ؛ والوَجبات عيشُ الصالحين أى بنى ، لأمر ما طالت أعمارُ الرهبان ، وصحت أبدان الأعراب ؛ ولله درّ الحارث بن كلدة حيث زعم أن الدواء هو الأزْم ، وأن الداء كله هو من فضول الطعام ؛ فكيف لا ترغب فى شىء يجمعُ لك صحة البدن ، وذكاء الذهن ، وصلاح الدين والدنيا ، والقرب من عيش الملائكة ؟ أى بنىّ ، ما صار الضبُّ أطول شىء عمرا إلا أنه يَتبَلَّغ بالنسيم ؛ وما زعم الرسول أن الصوم وِجاء إلا أنه جعله حاجزاً دون الشهوات : فافهم تأديبَ الله وتأديبَ الرسول ؛ أى بنى ، قد بلغت تسعين عاما مانغض لى سنّ ، ولا انتشر لى عصب ، ولا عرفت وكف أنف ، ولا سيلان عين ، ولا سلس بول ؛ وما لذلك علة إلا التخفّف من الزاد ؛ فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيلُ الحياة ، وإن كنت تحب الموت فلا أبعد الله غيرَك .

أبو الأسود الدؤلى

ومن البخلاء : أبو الأسود الدؤلى : وقفت عليه امرأة وهو فى فسطاط وبين يديه طبق تمر ، فقالت : السلام عليك ! قال أبو الأسود : كلمة مقبولة .

ووقف عليه أعرابى ، وهو يأكل ، فقال الأعرابى : أَدخُلُ ؟ قال وراءك أوسعُ لك ! قال : الرمضاء أحرقتْ رجلىّ ! قال : بُل عليهما تبردان ! قال أتأذن لى

أن آكل معك؟ قال: سيأتيك ما قُدِّر لك! قال: تالله ما رأيت رجلا ألأم منك. قال: بلى قد رأيتَ إلا أنك نسيت! ثم أقبل أبو الأسود يأكل، حتى [إذا] لم يبق فى الطبق إلا تميرات يسيرة نبذها له، فوقعت تمرة منها، فأخذها الأعرابى ومسحها بكسائه، فقال أبو الأسود. يا هذا، إن الذى تمسحها به أقذر من الذى تمسحها له. قال: كرهتُ أن أدعها للشيطان! قال: لا والله، ولا لجبريل ٥ وميكائيل ما كنت لتدعَها.

الأصمعى قال: مرّ رجلٌ بأبى الأسود الدؤلى وهو يقول: من يعشّى الجائع؟ فقال أبو الأسود: علىّ به، فأتاه بعشاء كثير. وقال: كلْ حتى تشبع! فلما أكل ذهب ليخرج؛ قال: أين تريد؟ قال: أريد أهلى. قال: لا أدعك تؤذى ١٠ المسلمين الليلة بسؤالك! اطرحوه فى الأدهم! فبات عنده مكبولا حتى أصبح!

ابن أبى حفصة وضيف

قال الهيثم بن عدى: نزل بابن أبى حفصة ضيف باليمامة، فأخلى له المنزل ثم هرب عنه، مخافة أن يلزمه قِرَاه تلك الليلة؛ فخرج الضيف فاشترى ما يحتاجه، ثم رجع وكتب إليه.

يأيُّها الخارج من بيته * وهارباً من شِدّةِ الخوف

١٥ ضيفُك قد جاء بزادٍ له * فارجِعْ تكن ضيفاً على الضّيف!

وقال آخر:

بِتُّ ضيفاً لهِشامٍ * فى شَرابى وطعامى

وسِراجى الكوكبُ الدُّ * رّىُّ فى داجِى الظلامِ

لا حراما أجِدُ الخُ * بزَ ولا غير الحرام!

٢٠ وله:

بت ضيفا لهِشامٍ * فشكا الجوعَ! عدِمْتُهْ!

وبكى — لا صنَع اللهُ له — حتى رحِمْتُه

وكان شيخ من البخلاء يأتى ابن المقفع، فيلحُّ عليه أن يتغدّى عنده فى منزله،

فيمطله ابن المقفع ، فيقول : أترانى أتكلف لك شيئاً ؟ لا والله ، لا أقدم لك إلا ما عندى ، فلا تتثاقل علىّ ! فلم يزل به حتى أجابه ، وأتى به إلى منزله ، فإذا ليس عنده إلا كِسَرٌ يابسة وملح جريش ، فقدمه له ؛ ووقف سائل بالباب ، فقال له : بورِك فيك ! فألح فى السؤال ، فقال : والله لئن خرجت إليك لأدقّنّ ساقيك ! فقال ابن المقفع للسائل : أرِحْ نفسك وانجُ والله لو علمتَ من صدق وعيده ما علمتُ أنا من صدق وعده ما وقفتَ ساعة ولا راجعتَه كلمة .

وانتقل رجل من البخلاء إلى دار فابتاعها ، فلما حلها وقف سائلٌ ، فقال له : صنع الله لك ! ثم وقف ثان ، فقال له مثل ذلك ، ثم وقف ثالث ، فقال له مثل ذلك ؛ فقال لابنته : ما أكثر السؤالَ فى هـذا المكان ! فقالت له : يا أبتِ ، ما تمسكتَ لهم بهذا القول فما تبالى كثروا أم قلوا ؟

البرم — الأصمعى : تقول العرب : ما علمتك إلا بَرَماً قَروناً . البرم : الذى يأكل مع أصحابه ولا يجعل لهم شيئا ، والقَرون : الذى يأكل تمرتين تمرتين .

حميد الأرقط — وألأم اللئام وأبخل البخلاء حميد الأرقط ، الذى يقال له هجّاء الأضياف ؛ وهو القائل فى ضيف نزل به وآكله :

ما بين لُقمتِه الأولى إذا انحدرَتْ * وبين أُخرى تَليها قِيدُ أُظفورِ

وله :

تَجهَّز كفّاه ويحدُرُ حَلْقَه * إلى الزَّوْرِ ما ضمّتْ عليه الأناملُ
أتانا وما ساواه سَحبانُ وائلٍ * بياناً وعلماً بالذى هو قائل
فما زال عنه اللُّقْمُ حتى كأنه * من العِيِّ لما أن تكلم باقل

وله فى الأضياف :

لا مرحباً بوُجوهِ القوم إذ دخلوا * دسْمَ العمائم تَحكيها الشياطينُ
باتوا وَجُلّةُ تمرٍ حـلّ بينهم * كأنّ أيديَهم فيها السكاكين
فأصبحوا والنّوى عالى مُعَرَّسِهِم * وليسَ كلّ النّوى تلقَى المساكين

ما قالت الشعراء فى طعام البخلاء

لجرير فى بنى تغلب

فمن أهجى ماقيل فى طعام البخلاء قول جرير فى بنى تغلب :

والتغلبىُّ إذا تنحنح للقِـرَى * حكَّ آستَهُ وتمثَّـلَ الأمثالا

وقوله فيهم :

٥ قومٌ إذا أكلوا أخفَوْا كلامَهم * وآستوثقوا من رِتاج البابِ والدارِ

قومٌ إذا آستَنبحَ الأضيافُ كلبَهُمُ * قالوا لأُمِّهِـمُ بُولى على النـارْ

الراعى

وقال الراعى :

اللّاقِطِينَ النّوى تحت الشياهِ كما * نحت كرادمَ دهم فى مخاليها

فأين هؤلاء من قول الآخر :

١٠ أَبْلَجُ بين حاجبيْهِ نورُهُ * إذا تغدّى رُفعت سُتُورُهُ

لبعضهم

ولآخر :

أبو نوحٍ ، أتيْتُ إليه يوماً * فغَـدّانِى برائحةِ الطعامِ

وجاء بلحمٍ لا شىء سمـينٍ * فقدّمَه على طبَقِ الكلامِ

فلما أنْ رَفَعتُ يَدى سقانِى * كُئوساً حَشوُها ريحُ المُدام

١٥ فكنتُ كَمَنْ سقَى ظَمْآنَ آلًا * وكنت كمن تغدّى فى المَنام

ولآخر :

تَراهمْ خشيةَ الأضيافِ خُرْسًا * يُصلُّونَ الصلاةَ بِلا أذَانِ

ولحماد بن جعفر :

حديثُ أبى الصَّلْتِ ذو خِبرةٍ * بما يُصْلِحُ المِعدةَ الفاسِدهْ

٢٠ تخـوّفَ تُخمـةَ إخوانِهِ * فعوّدَهُمْ أكلةً واحـدهْ

ولآخر :

أتانا بخُـبْزٍ له حامِضٍ * كمِثـلِ الدراهِمِ فى رِقّتِهْ

إذا ماتنفَّسَ حولَ الخِوَانِ * تطايرَ فى البيت من خِفَّتِهْ
فنحنُ كظُومٌ له كلنا * نُرُدُّ التنفس من خَشيتِهْ
فيَكْلِمُهُ اللَّحظ من رقّه * ويأكُلُهُ الوهْمُ من قِلّتِهْ

لعربى فى جراد قدم له

نزل رجل من العرب ببخيل ، فقدَّم إليه جراداً ، فعافه وأمر برفعه ، وقال :

لحَا اللهُ بيتاً ضمَّنِى بعدَ هَجْعة * إليه دجوجِىٌّ من الليلِ مُظلِمُ ٥
فأبصرْتُ شيخا قاعِدا بفِنائه * هو العـيْرُ إلا أنه يتكلمُ
أتانا ببُرْقانِ الدَّبى فى إنائِهِ * ولم يَكُ بُرْقان الدَّبى لِى مَطْعَمُ
فقلت له غَيِّبْ إناءكَ واعتزِلْ * فهذا وهـذا لا أبَا لكَ مُسْلِمُ

القطامى وعجوز ضافها

ضاف القطامى الشاعر فى ليلةِ ريح ممطرة عجوزا من محارب ، فلم تَقْرِه شيئا ؛ فرحل عنها وقال : ١٠

تضيَّفْت فى بَرْدٍ وريحٍ تلُفُّنى * وفى طِرْمِساء غيرِ ذاتِ كواكِبِ
إلى حَيْزَبونٍ تُوقِدُ النارَ بعدَما * تلفَّعتِ الظَّلماء من كلّ جانب
تصلى بها بَرْدَ العِشاء ولم تكُنْ * تَخالُ وميضَ النار يبدو لراكِب
فما راعَها إلا بغَامُ مَطِيَّتى * تريحُ بمَحْسُورٍ من الصوْتِ لاغِبِ
لجنَّتْ جُنونًا من دِلَاثٍ مُناخةٍ * ومن رجلٍ عارِى الأشاجِعِ شاحِب ١٥
سَرَى فى جَليدِ الليلِ حتى كأنما * تَخَزَّمَ بالأطرافِ شوكُ العقارب
تقولُ وقد قرَّبْتُ كورِى وناقتى * إليكَ فلا تُذْعرْ علىَّ ركائبى
فسلَّمْتُ والتسليم ليس يَسُرُّها * ولكنه حقٌّ على كلّ جانب
فردَّتْ سلامًا كارِهًا ثم أعرَضتْ * كما انحاشتِ الأفعَى مخافة ضارب
فلما تنازَعْنا الحديثَ سألتُها * مَنِ الحىُّ ؟ قالت : معشرٌ من محارِبِ ٢٠
من المُشتوينَ القِدَّ فى كلّ شتْوة * وإن كان عامُ الناسِ ليس بناصب
فلما بَدا حِرْمانها الضيْفَ لم يكُنْ * علىَّ مَبيتُ السُّوء ضَرْبَةَ لازِب
وقمتُ إلى مُهْـرِيَّة قد تعودتْ * يداها ورِجْلاها حثيثَ المَواكِب

ألا إنها نيرانُ قيس إذا شتَوْا * لطارقِ ليلٍ مثل نارِ الحباحِبِ

الخليل

وقال الخليل بن أحمد :

كفّاهُ لم تُخْلَقا للندَى * ولم يكُ بخلُهما بدعهْ
فكفٌّ عن الخيرِ مقبوضةٌ * كما نقصَت مِائة سبعهْ
وكفٌّ ثلاثةُ آلافِها * وتِسعُ مئاتٍ لها شِرعهْ

٥

لبعضهم

وقال غيره :

وجيرةٍ لاترى فى الناس مثلَهم * إذا يكونُ لهم عيدٌ وإفطار
إنْ يوقِدوا يُوسِعونا منْ دُخانهم * وليس يَبلُغنا ما تُنضِجُ النارُ

لابن نعيم

وقال أحمد بن نعيم السلمى فى بنى حسان :

١٠

إذا احتفَلوا للضيْفِ لَهوَجَ قِدْرَهُم * جرادِيم أشباه النُّخاعة تُبلعُ
تبُلُّ جِبارَ الضيفِ حتى تَرُدَّهُ * وتصبحُ من عينِ آبْتِهِ تتطلّعُ
ويُقريكَمنْ أكرهتَه مِن سوادهمْ * قِرى الحىِّ أو أدنىْ لجوعٍ وأبشعُ
عِظاما وأرْواثا وبعْراً وإن يكُن * لدَى القومِ نارٌ يشْتَوى لك ضِفدعُ

لآخرين

ولآخر :

١٥

فبتنا كأنَّا بينَهم أهلُ مأتمٍ * على ميِّتٍ مُسْتَودَعٍ بطنَ ملحَدِ
يُحدِّثُ بعضٌ بعضَنا بمصابِه * ويأمُرُ بعضٌ بعضَنا بالتجلُّدِ

ولآخر :

ذهبَ الكِرامُ فلا كِرام * وبقِى الغطاريف اللِّئامُ
مَن لا يُقِيلُ ، ولا يُنيـ * لُ ، ولا يُشمُّ له طَعام

٢٠ ولآخر :

صدِّق أُلِيَّتَـهُ إن قال مجتَهداً * لاوالرغيفِ ، فذاكَ البِرُّ من قَسَمِهْ
فإن هَممتَ به فافتكْ بخُبزتِه * فإنَّ موقِعَها من لحمِه ودَمِهْ
قد كان يُعجبُنى لو أنَّ غيرتَهُ * على جرادِتِه كانت على حرمِهْ

ولآخر :

إنّ هـــذا الفتى يصونُ رغيفاً * ما إليـــه لناظرٍ من سبيلِ
هو فى سُفْرتينِ من أَدَمِ الطَّا * ئفِ فى سَلَّتينِ فى منـــديلِ
فى جرابٍ فى جَوْفِ تابوتِ موسى * والمفاتيحُ عنـــد ميكائيلِ

أبو نواس

٥

وقال أبو نواس فى فضل الرقاشى :

رأيتُ قدورَ الناسِ سُوداً من الطِّلا * وقِدرُ الرَّقاشِيّين زهْراءُ كالبدرِ
يَضيقُ بحيزُومِ البَعوضةِ صدرُها * ويخرجُ مافيهـا على قلمِ الظُّفْرِ
إذا ما تنادَوْا للرَّحيلِ سَعى بهـا * أمامهمُ الحوْلِيُّ من ولدِ الذَّرِّ

وقال فى إسماعيل الكاتب :

١٠

خُبز إسماعيلَ كالوشْـــيِ إذا ما آنشقَّ يُرْفا
عَجباً من أثرِ الصنْـــعةِ فيه كيف يخفَى
إن رفَّاءكَ هـذا * ألطفُ الأمّةِ كفا
فإذا قابل بالنِّصـــفِ من الجرْدقِ نصفاً
أحكمَ الصّنعةَ حتى * مايُرى مغرَزُ إشفَى

لبعضهم

١٥

ولآخر :

آرفعْ يمينَك من طعامِهْ * إنْ كنتَ ترغبُ فى كلامِهْ
سِيانِ كسْرُ رغيفِهْ * أو كسْرُ عظمٍ من عظامِهْ

ولآخر :

رأيتُ الخبزَ عزّ لديكَ حتى * حسِبتُ الخبزَ فى جوفِ السّحابِ
وما روَّحْتنا لتذُبَّ عنّـا * ولكن خِفتَ مَرْزِئةَ الذُّبابِ

٢٠

ولآخر :

يحذَرُ أنْ تُتخَمَ إخوانه * إنّ أذَى التخمةِ محذُورُ
ويَشتهي أنْ يُؤْجَروا عنده * بالصّومِ والصائمُ مأجورُ

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى نحوه :

لا يُفطِرُ الصائمُ من أكله * لكنه صـــومٌ لمنْ أفطرا
فى وجهِه من لُؤمِه شاهدٌ * يُكفى به الشاهدُ أن يُخبرا
لم يَعرفِ المعروف أفعالُه * قطُّ كما لم ينكِرِ المنكَرا

لبعضهم

٥ وقال آخر :

خليلَىّ من كعبٍ أعِينا أخاكُما * على دهرِه إن الكريم مُعِينُ
ولا تبخلا بُخلَ ابنِ قرعَةَ إنه * مخافةَ أنْ يُرجَى نداهُ حَزينُ
كأن عُبيد اللهِ لم يلْقِ ماجِداً * ولم يدرِ أنّ المكرُمات تكونُ
فقل لأبى يحيى متى تدرِكِ العلا * وفى كل معروفٍ عليك يَمِينُ
١٠ إذا جِئْتَهُ فى حاجةٍ سَدّ بابهُ * فـــلم تلقَه إلا وأنت كمِينُ

باب من أخبار البخلاء

بين بخيلين

الرياشى قال : صاحَب رجلٌ من البخلاء ، فقال له : احملنى ! فقال : ماكنت لأنزل وأحملك ! قال . ما أنت بحاتم حيث يقول :

أنخها فأردِفها ، فإنْ حملَتكما * فذاك؛ وإن كان العقابُ فعاقِبِ

١٥ قال : مافيها محمل ، ولأبى طاقة على المشى .

وقد قال شاعرهم حاتم :

أماوىّ إمّا مانعٌ فمُبيِّنٌ * وإماعطاءٌ لايُنَهْنِهُه الزجْر

لكثير

وقال كثير عزة :

مهينُ تلادِ المالِ فيما ينوبُه * منوعٌ إذا مامنعُهُ كان أحْزما

عبد الرحمن بن حسان

٢٠ سأل عبدُ الرحمن بن حسان بن ثابت من بعض الولاة حاجة ، فلم يقضها ، فتشفع إليه برجل فقضاها ؛ فقال :

ذممْتَ ولم تُحمدْ، وأدركت حاجتى * تولّى سِواكم أجْرَها واصْطناعَها

أبى لك كسْبَ المجدِ رأىٌ مُقَصِّرُ * ونفسٌ أضاقَ الله بالخيْرِ باعَها

إذا هى حثَّتْهُ على الخيْرِ مَرَّةً * عصاها ، وإن هَمَّتْ بشرٍّ أطاعها

أبو الأسود

احتاج أبو الأسود الدؤلى مرة ، فبعث إلى جار له موسر يستسلفه ، وكان حَسَن الظن به ، فاعتل عليه ورده ؛ فقال :

٥ لاتُشْعِرَنَّ النَّفْسَ يأساً فإنما * يعيش بجــدٍّ حازمٌ وبليدُ

ولا تطْمَعَنْ فى مالِ جارٍ لقُرْبِه * فكلُّ قريبٍ لا يُنالُ بعيــدُ

وكتب إلى آخر يستسلفه ، فكتب إليه : المؤنة كثيرة ، والفائدة قليلة ، والمـال مكذوبٌ عليه . فكتب إليه أبو الأسود : إن كنت كاذبا فجعلك الله صادقا ، وإن كنت صادقا فجعلك الله كاذبا !

لبعض الشعراء

١٠ وقال بعض الشعراء فى بخيل :

ميِّتٌ ماتَ وهْو فى كنفِ العيْـ * ـشِ ، مُقيمٌ فى ظلِّ عيْشٍ ظليلِ

فى عِدادِ الموْتَى ، وفى عامِرِ الدُّنْـ * ـيا أبو جعفر أخى وخليـــلِى

لم يَمُتْ ميتَةَ الحيـاةِ ولـكِنْ * ماتَ عن كلِّ صالحٍ وجميـلِ

ولآخر :

١٥ فأمّا قِراهُ كله فلِنفسـه * ومالُ يزيدٍ كلّه ليَزيدِ

ولآخر :

له يومانِ : يومُ ندًى ، ويومٌ * يَسُلُّ السيْفَ فيه مِنَ القِرابِ

فأمّا جودُهُ فعـلَى النَّصارَى * وأمّا بأسُه فعَـــلَى الكلاب

ولآخر :

٢٠ قدَحْتُ بأظفارى ، وأعمَلْتُ مِعْوَلِى * فصادفتُ جُلْموداً مِنَ الصَّخرِ أملَسا

تجهَّمَ لمَّا قُمتُ فى وجه حاجَتِى * وأطرَق حتى قلتُ : قد مات أو عسى

فأجمعْتُ أنْ أنعاهُ لمَّا رأيْتُه * يفوقُ فواقَ الموتِ حتى تنفَّسا

للجلودى

وأنشد أبو جعفر البغدادى للجُلوديّ :

جاء بدينارَيْنِ لى صالحٌ * أصْلَحه ٱللّهُ وأخزاهما
أدناهما تحمِــلُه ذرّةٌ * وتلعبُ الريحُ بأقواهُما
بل لو وزنّا لك ظِلَّيْهما * ثم عَمــدْنا فوزَنّاهما
٥ لكان لا كانا ولا أفلحا * عليْهما يَرجحُ ظِلّاهُما

لجاد عجرد

ولحماد عجرد :

أوْرِقْ بخيْرك نُؤملْ للجزيل، فما * تُرْجَى الثّمارُ إذا لم يورِقِ العودُ
وللبخيلِ على أمواله عِلَلٌ * زُرْقُ العيونِ عليها أوْجُهٌ سودُ
إنّ الكريمَ تُرى فى الناسِ عِفّتُه * حتى يُقال غنىٌّ وهْو مجهودُ

١٠ وأنشد :

جادَ ٱبنُ مُوسى من دنانيره * لنــا بدينارَيْنِ إسرارَا
كِلاهما فى الكفِّ من خِفّةٍ * لو نُفِخا من فرْسخٍ طارا
قلتُ، وقلبى لهما مُنْكِرٌ : * أدِّهما للخُبْز قَسْطارا
فكان هذا عندهُ بهْرجاً * وكان هذا عِنْــدَه بارا
١٥ ثم وزنّا واحِداً منهما * كان له القَسطارُ مختارَا
فكان فى كِفّةِ ميزانه * ينقُصُ قيراطاً ودينارا

باب ما قيل فى البخلاء

لأبى العتاهية

سمع رجل أبا العتاهية ينشد :

فارْمِ بطرْفِك حيثُ شئْـ * ـت فلَنْ ترى إلّا بخيلا

٢٠ فقال له : بخّلتَ الناس كلّهم ! قال : فأرنى واحدا سمحاً !

لابن أبى حازم

وقال ابن أبى حازم :

وقالوا لو مدَحْت فتى كريمًا ! * فقلتُ وأينَ لى بفَتًى كريمٍ ؟

بلَوْتُ ومَرّ بي خمسونَ عاماً * وحسْبُكَ بالمجرّبِ من عليمِ
فلا أحدٌ يُعَدُّ ليوْمِ خيْرٍ * ولا أحدٌ يعودُ على عديمِ

لبعضهم ولآخر :

لمّا رآنا فـرّ بوابُه * وارتدّ من غيرِ يدٍ بابُه
كلْبٌ له من بغْضِه حاجبٌ * يحْجُبُه إن غاب حُجّابه ٥

لابن عبد ربه ومن قولنا :

جعلَ ٱللهُ رزقَ كلّ عدُوّ * لي بكفّ لبعضِ مَن لا أسمّي
كفٌّ من لا يهُزُّ عِطْفَيْهِ يوماً * لِمَديحٍ ، ولا يُنالُ بِذمّ
يتلقّى الرجاء منه بوجه * راشحِ الخدّ والجبينِ بسمّ
جئْتُه زائرًا، فما زال يشكو * لي حتى حسِبْتُه سيُدَمّي ١٠
ألِفَ اللّومَ فيه من كلّ طرْفٍ * مُعْرِقاً فيه بين خالٍ وعمّ
قد نهاني النّصيحُ عنه مرارًا * بأبي أنت من نصيحٍ وأمّي

ومن قولنا :

بَراعةٌ غرّني منها وميضُ سَنا * حتى مدَدْتُ إليه الكفّ مُقْتبِسَا
نصادَفتْ حجَرًا لو كنتَ تضرِبُه * من لؤمِه بعصا مُوسى لما انبَجسا ١٥
كأنما صِيغ من بُخلٍ ومن كذِبٍ * فكان ذاكَ له روحاً وذا نفَسَا
كلْبٌ يهِرُّ إذا ما جاء زائِره * حتى إذا جاء مُهْدِي تحْفَةٍ نبَسَا

ومن قولنا :

صحيفــةٌ طابَعُها اللّومُ * عُنْوانُها بالبخـلِ مختُومُ
أهداكَها والخُلفُ في طيّها * والمطْلُ والتّسويفُ واللومُ ٢٠
من وجهُهُ نحسٌ، ومَن قرْبُه * رِجسٌ، ومَن عِرْفانه شومُ
لاتهتضِمْ إن كنت ضيْفاً له * نُخبزُه في الجوْف هاضومُ
تكْلِمُهُ الألحاظُ من رِقّةٍ * فهْوَ بلَحْظِ العينِ مكلومُ

لا تأتَدِمْ شيئاً على أكلِه * فإنه بالجـــوع مأدُومُ

احتجاج البخلاء

لأبي الأسود

الأصمعي قال : قال أبو الأسود الدؤلي : لو أطعمنا المساكين أموالنا لكنا أسوأ حالا منهم !

٥ وقال لبنيه : لاتطيعوا المساكين في أموالكم ، فإنهم لايقنعون منكم حتى يروكم مثلهم !

وقال لهم أيضاً : لا تجاوِدوا الله ، فإنه لو شاء أن يغني الناس كلهم لفعل ، ولكنه علم أن قوما لايصلحهم الغنى ولا يصلح لهم إلا الفقر ، وقوما لايصلحهم الفقر ولا يصلح لهم إلا الغنى !

لابن هارون

١٠ وقال سهل بن هارون : لو قسمتُ في الناس مائة ألف لكان الأكثر لائمي .

ونحوه قول ابن الجهم : منعُ الجميع أرضَى للجميع .

كندي وتغلبي

وقال رجل من تغلب : أتيت رجلا من كندة أسأله ، فقال : ياأخا بني تغلب إني لن أصِلك حتى أحرم من هو أقرب إليّ منك ، وإني والله لو مكنت من داري لنقضوها طوبة طوبة ، والله ياأخا بني تغلب ما بقي بيدي من مالي وأهلي

١٥ وعِرضي إلا ما منعتُه من الناس .

وقال آخر : من أعطى في الفضول قصّرَ عن الحقوق .

ابن هارون وسائل

وقال رجل لسهل بن هارون : هبني مالا مرْزِئةَ عليك فيه ، قال : وما ذاك ياابن أخي ؟ قال : درهم واحد ! قال : يا ابن أخي لقد هَوّنتَ الدرهم وهو طائع الله في أرضه الذي لا يُعصى ، والدرهم ويحك عشر العشرة ، والعشرة عشر

٢٠ المائة ، والمائة عشر الألف ، والألف دية المسلم ؛ ألا ترى ياابن أخي إلى أين انتهاء الدرهم الذي هوّنتَه ؟ وهل بيوت المال إلا درهم على درهم .

من وصية لقمان لابنه

ورُوِي عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه : يا بنيّ ، أوصيك باثنتين ما تزال بخير ما تمسكت بهما : درهمك لمعاشك ، ودينَك لمعادك .

لأبى الأسود

وقال أبو الأسود : إمساكك ما بيدك ، خيرٌ من طلبك ما بيد غيرك . وأنشد فى المعنى :

يَلومُونَنى فى البُخلِ جهلا وضَلّةً * وَلَلبُخلُ خيرٌ من سُؤالِ بَخيلِ

للمتلمس

ونظيره قول المتلمس :

وحبسُ المالِ خيرٌ من نَفادٍ * وضربٍ فى البلادِ بِغيرِ زادِ ٥

وإصلاحُ القليلِ يَزيدُ فيه * ولا يَبقى الكثيرُ مع الفسادِ

لابن صفوان

وقيل لخالد بن صفوان : مالك لا تنفق فإن مالك عريض ؟ قال : الدهر أعرض منه ! قيل له : كأنك تؤمل أن تعيش الدهر كله ! قال : لا ، ولكن أخاف أن لا أموت فى أوله !

الجاحظ والحزامى

وقال الجاحظ للحزامى : أترضى أن يقال لك بخيل ؟ قال : لا أعدمنى الله ١٠ هذا الاسم ؛ لأنه لا يقال لى بخيل إلا وأنا ذو مال ، فسلِّم لِىَ المال وسَمِّنى بأى اسم شئت !

فقال : جمع الله لاسمِ السخاء المالَ والحمد ، وجمع لاسم البخلِ المالَ والذم . قال : بينهما فرق عجيب وبون بعيد : إن فى قولهم بخيل ، سبباً لمكث المال ؛ وفى قولهم سخى ، سبباً لخروج المال عن ملكى ؛ واسم البخيل فيه حفظ وذم ، ١٥ واسم السخى فيه تضييع وحمد ، والمال ناض نافع ، ومكرم لأهله ، والحمد ريح وسخرية ، ومسمعة وطَرمذة [1] ؛ وما أقل غَناء الحمد عنه إذا جاع بطنه ، وعرى ظهره ، ، ضاع عياله ، وشمت به عدوه !

لابن الجهم

وقال محمد بن الجهم : من شأن من استغنى عنك أن لا يقيم عليك ، ومن احتاج إليك أن لا يزول عنك ؛ فمن حبك لصديقك وضنك بمودته أن لا تبذل له ٢٠ ما يغنيه عنك ، وأن تتلطف له فيما يحوجه إليك وقد قيل فى مثل هذا : أَجِعْ كلبك يَتْبَعْك ، وسَمِّنه يأكلك ؛ فمن أغنى صديقه فقد أعانه على الغدر ، وقطع

(١) الطرمذة : المفاخرة والصلب .

أسبابه من الشكر ؛ والمعين على الغدر شريكُ الغادر ، كما أن مزَيِّنَ الفجور شريكَ الفاجر .

من وصية الأسدى لبنيه

وقال يزيد بن عمر الأسدى لبنيه : يا بنىّ ، تعلموا الرد ؛ فإنه أشد من العطاء ولأن تعلم بنو تميم أن عند أحدكم مائة ألف درهم ، أعظمُ له فى أعينهم من أن ٥ يقسمها عليهم ؛ ولأن يقال لأحدكم بخيل وهو غنى ، خير له من أن يقال سخىٌّ وهو فقير .

الحزامى

وقال الحزامى : يقولون : ثوبك على صاحبك أحسن منه عليك ؛ فما ظنك إن كان أقصر منى ، أليس يتخيّل فى قميصى ؟ وإن كان أطول منى ، أليس يصير آية للسابلين ، فمن أسوأ أثراً على صديقه ممن جعله ضُحْكة ؟ فما ينبغى لى أن ١٠ أكسُوهُ حتى أعلمَ أنه فيه مثلى ؛ ومتى يتفق هذا ؟

أبو نواس وفقيه

وقال أبو نواس : كان معنا فى السفينة ونحن نريد بغداد ، رجل من أهل خراسان ، وكان من فقهائهم وعقلائهم ، وكان يأكل وحده ، فقلت له : لم تأكل وحدك ؟ فقال : ليس علىّ فى هذا مسألة ؛ إنما المسألة على من أكل مع الجماعة لأنه يتكلف ، وأكلى وحدى هو الأصل ، وأكلى مع الجماعة تكلُّفُ ١٥ ماليس علىّ .

لابن مزاحم فى درهم

ووقع درهم بيد سليمان بن مزاحم ، فجعل يقلبه ويقول . فى شِق : لا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ وفى شق آخر : قل هو الله أحد ؛ ما ينبغى لهذا أن يكون إلا تعويذةً ورُقية ! ورمى به فى الصندوق .

لأبى عيسى

وكان أبو عيسى بخيلا ، وكان إذا وقع الدرهم بيده طنّه بظفره وقال : يا درهم ٢٠ كم من مدينة دخلتها ؟ وأيدٍ دوّختها ؟ فالآن استقر بك القرار ، واطمأنت بك الدار ! ثم رمى به فى الصندوق .

ابن أشرس وسائل

وقال رجل لثمامة بن أشرس : إن لى إليك حاجة ... قال : وأنا لى إليك حاجة ! قال : وما حاجتك إلىّ ؟ قال : لا أذكرها حتى تضمنَ قضاءها ! قال : قد فعلتُ .

قال : فإن حاجتى لك أن لا تسألنى حاجة ! فانصرف الرجل عنه .

وله فى الحرص

وكان ثمامة يقول : ما بالُ أحدِكم إذا قال له الرجل اسقنى ، أتى بإناء على قدر اليد أو أصغر ، وإذا قال أطعمنى ، أتاه من الخبز بما يفضل عن الجماعة ، والطعام والشراب أخوان ! أما إنه لولا رِخَصُ الماء وغلاء الخبز ما كلبوا على الخبز وزهدوا فى الماء ؛ الناس أرغب شىء فى المأكول إذا كثر ثمنه ، أو كان قليلا فى منبته ؛ ألا ترى الباقلّا الأخضر أطيب من الكمثرى ، والباذنجان أطيب من الكمأة ؛ ولكن أهل التحصيل والنظر قليل ، وإنما يشتهون قدر الثمن !

وكان يقول : إياكم وأعداء الخبز أن تأتدموا بها ، وأعدى عدو له المالح ، فلولا أن الله أعان عليه بالماء لأهلك الحرث والنسل .

وكان يقول : كلوا الباقلّا بقشره ، فإن الباقلّا يقول : من أكلنى بقشرى فقد أكلنى ، ومن أكلنى بغير قشرى فقد أكلتُه ؛ فما حاجتكم أن تصيروا طعاما لطعامكم ؟

ابن هبيرة وعقيلى

الأصمعى قال قد جاء رجل من بنى عُقيل إلى عمر بن هبيرة ، فمتّ إليه بقرابة وسأله أن يعطيَه ، فلم يعطه شيئا ؛ ثم عاد إليه بعد أيام فقال : أنا العقيلى الذى سألتك منذ أيام ! فقال له ابن هبيرة : وأنا الفزارى الذى منعك منذ أيام ! فقال معذرة إليك ، إنى سألتك وأنا أظنك يزيد بن هبيرة المحاربى ! قال : ذلك الأم لك عندى ، وأهون بك علىّ ؛ نشأ فى قومك مثلى فلم تعرفه ، ومات مثل يزيد ولم تعلم به ! ياحرسىّ ، اسفع بيده !

من أشعار البخلاء

ومن أشعار البخلاء التى يتمثلون بها :

وزهّدنى فى كلّ خيرٍ صنعتُه ٭ إلى الناسِ ما جرّبتُ من قِلةِ الشكرِ

ولآخر :

ارقع قميصَكَ ما اهتديتَ لجيبِه ٭ فإذا أضلّكَ جيبُه فاستبدِلِ

لابن هرمة

ولابن هرمة :

قد يُدرِكُ الشَّرَفَ الفتى ورِداؤه ٭ خَلَقٌ وجيْبُ قميصه مَرْقوعُ

من أمثالهم

ومن أمثالهم فى البخل وخلف الوعد قولهم : تختلف الأقوال إذا اختلفت الإخوان ؛ وقولهم :

٥ ٭ كلامُ الليلِ يمحوهُ النهارُ ٭

وقولهم :

٭ بُروقُ الصيفِ كاذبةُ الوعودِ ٭

رسالة سهل بن هارون فى البخل

بسم الله الرحمن الرحيم ، أصلح الله أمركم ، وجمع شَمْلكم ، وعلمكم الخير وجعلكم من أهله ؛ قال الأحنف بن قيس : يامعشر بنى تميم ، لا تسرعوا إلى الفتنة فإن أسرع الناس إلى القتال أقلهم حياء من الفرار . وقد كانوا يقولون : إذا أردت أن ترى العيوب جمة فتأمل عيَّابا ، فإنه إنما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب ، ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب ، وقبيح أن تنهى مرشداً وأن تغرِىَ بمشفق .

١٥ وما أردنا بمـا قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم ، وإصلاح فاسدِكم ، وإبقاء النعمة عليكم ، ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم فما أخطأنا سبيل حُسن النية فيما بيننا وبينكم ؛ وقد تعلمون أنا ما أوصيناكم إلا بمـا اخترناه لكم ، ولأنفسنا قبلكم وشُهرنا به فى الآفاق دونكم ؛ ثم نقول فى ذلك ما قال العبد الصالح لقومه : «وما أريدُ أن أخالِفَكم إلى ما أنهـاكم عنه ، إن أريدُ إلا الإصلاح ما استطعتُ وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلتُ وإليه أُنيبُ» ؛ فما كان أحقنا بكم فى حرمتنا بكم أن ترعَوْا حقَّ قصدنا بذلك إليكم على ما رعيناه من واجب حقكم ، فلا العذرَ المبسوط بلغتم ولا بواجب الحرمة قمتم ، ولو كان ذكر العيوب بِرّا وفخراً لرأينا فى أنفسنا عن ذلك شُغُلا .

عبتمونى بقولى لخادمى : أجيدى العجين ، فهو أطيبُ لطَعمه ، وأزيد فى ريعه ؛ وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أملكوا العجين ، فإنه أحدُ الريعين .

وعبتمونى حين ختمت على سدٍّ عظيم ، وفيه شىء ثمين من فاكهة رطبة نفيسة ؛ ومن رطبة غريبة ، على عبدٍ نهم ، وصبيٍّ جشع ، وأمَة لكعاء ، وزوجة مضيعة ؛ وليس من أصل الأدب ، ولا فى ترتيب الحكم ، ولا فى عادة القادة ، ولا فى تدبير السادة ، أن يستوى فى نفيس المأكول ، وغريب المشروب ، وثمين الملبوس ، وخطير المركوب ـ التابعُ والمتبوع ، والسيدُ والمسود ؛ كما لا تستوى مواضعهم فى المجالس ، ومواقع أسمائهم فى العنوان ؛ ومن شاء أطعم كلبَه الدجاج السمين ، وعَلَفَ حمارَه السمسم المقشّر !

فعبتمونى بالختم ، وقد ختم بعض الأئمة على مِزْوَدِ سَوِيق ، وعلى كيس فارغ ، وقال : طينة خيرٌ من ظِنّة ؛ فأمسكتم عمن ختم على لا شىء ، وعبتم مَنْ ختم على شىء !

وعبتمونى أن قلت للغلام : إذا زدت فى المرق فزِدْ فى الإنضاج ، ليجتمع مع التأدم باللحم طيب المَرَق ؛ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا طبخ أحدكم لحماً فليزد من الماء ، فمن لم يصب لحماً أصاب مرقاً » .

وعبتمونى بخصف النعل ، وبتصدير القميص ، وحين زعمتُ أن المخصوفة من النعل أبقى وأقوى وأشبه بالنُّسُك ، وأن الترقيع من الحزم ، والتفرُّقَ مع التضييع ؛ والاجتماع مع الحفظ . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ، ويرقَعُ ثوبه ؛ ويلعق أصابعه ، ويقول : « لو أُهْدِىَ إلىّ ذراع لقبلت ، ولو دعيتُ إلى كراع لأجَبْت » . وقال عليه الصلاة والسلام « من لم يستحيِ من الحلال خَفَّتْ مئونته ، وقل كِبْرُه » ؛ وقالت الحكماء : لا جديد لمن لم يلبس الخَلَق . وبعث زياد رجلا يرتاد له محدِّثاً ، واشترط عليه أن يكون عاقلا ، فأتاه به موافقاً ، فقال له : أكنت به ذا معرفة ؟ قال : لا ، ولكنى رأيته فى يوم قائظ

يلبس خَلَقا ويَلبَسُ الناسُ جديداً ؛ فتفرّست فيه العقل والأدب ، وقد علمت أن الخلق فى موضعه مثل الجديد فى موضعه ؛ وقد جعل الله لكل شىء قدرا وسما به موضعاً ؛ كما جعل لكل زمان رجالا ، ولكل مقام مقالا ؛ وقد أحيا الله بالسم ، وأمات بالدواء ، وأغصّ بالماء ؛ وقد زعموا أن الإصلاح أحد الكَسْبَيْن ، كما زعموا أن قلة العيال أحد اليَسارين ؛ وقد جبر الأحنف بن قيس يدَ عنز ، وأمر مالك بن أنس بفرك النعل ؛ وقال عمر بن الخطاب : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة ؛ ولَبِس سالم بن عبد الله جلد أُضحية ؛ وقال رجل لبعض الحكماء : أريد أن أهدى إليك دجاجة . فقال : إن كان لا بد فاجعلها بَيُوضا .

وعبتمونى حين قلت : من لم يعرف مواضع السرَف فى الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد فى الممتنع الغالى ؛ فلقد أُتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية وأشفّ من الكفاية ؛ فلما صرتُ إلى تفريق أجزائه على الأعضاء ، وإلى التوفير عليها من وظيفة الماء ، وجدت فى الأعضاء فضلا على الماء ؛ فعلمتُ أنْ لو كنتُ سلكتُ الاقتصاد فى أوائله لخرج آخره على كفاية أوله ، ولكان نصيبُ [العضو] الأول كنصيب الآخِرِ ؛ فعبتمونى بذلك وشنعتم علىّ ؛ وقد قال الحسن وذكر السّرَف : أما إنه ليكون فى الماء والكلأ ؛ فلم يرض بذكر الماء حتى أردفه بالكلأ .

وعبتمونى أن قلت : لا يغترّنّ أحدكم بطول عُمُره ، وتقوُّسِ ظهره ، ورقة عظمه ، ووهن قوته ، وأن يرى نحوه أكثر ذريته ؛ فيدعوه ذلك إلى إخراج ماله من يده ، وتحويله إلى مِلْكِ غيره ، وإلى تحكيم السرف فيه ، وتسليط الشهوات عليه ؛ فلعله أن يكون معمراً ؛ وهو لا يدرى ؛ وممدوداً له فى السن وهو لا يشعر ؛ ولعله أن يرزق الولدَ على اليأس ، أو يحدث عليه من آفات الدهر مالا يخطر على بال ولايدركه عقل ، فيسترده ممن لا يرده ، ويظهر الشكوى إلى من لا يرحمه ؛ أصعبَ ما كان عليه الطلب ، وأقبح ما كان به أن يطلب ؛ فعبتمونى بذلك وقد قال عمرو بن العاص : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ،

واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .

وعبتمونى بأن قلت بأن السرف والتبذير إلى مال المواريث وأموال الملوك [أسرَع] وأن الحفظ للمال المكتسب ، والغنى المجتلب ، وإلى ما يعرض فيه لذهاب الدين ، واهتضام العرض ، ونَصب البدن ، واهتمام القلب ـ أسرع ؛ ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله ، ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع الأصل ، ومن ٥ لم يعرف للغِنى قدره فقد أذن بالفقر ، وطاب نفساً بالذل .

وعبتمونى بأن قلت : إن كسب الحلال يضمن الإنفاق فى الحلال ، وأن الخبيث ينزع إلى الخبيث ، وأن الطيب يدعو إلى الطيب ، وأن الإنفاق فى الهوى حجازٌ دون الحقوق ؛ فعبتم علىّ هذا القول ؛ وقد قال معاوية : لم أر تبذيراً قط إلا وإلى جنبه تضييع . وقد قال الحسن : إن أردتم أن تعرفوا من أين أصاب ١٠ الرجلُ ماله ، فانظروا فيما ذا ينفقه ، فإن الخبيثَ إنما يُنْفَق فى السرف .

وقلت لكم بالشفقة عليكم وحسن النظر منى لكم : أنتم فى دار الآفات ، والجوائح غير مأمونات ؛ فإن أحاطت بمال أحدكم آفة لم يرجع إلى بقيّة ، فاحْذروا النقم واختلاف الأمكنة ؛ فإن البلية لا تجرى فى الجميع إلا بموت الجميع ؛ و [قد] قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى العبد والأمة والشاة والبعير : فرّقوا بين ١٥ المنايا واجعلوا الرأس رأسين . وقال ابن سيرين [لبعض البَحْريّين] : كيف تصنعون بأموالكم ؟ قالوا : نفرّقها فى السفن ، فإن عطِب بعض سَلِمَ بعض ، ولولا أن السلامة أكثرُ ؛ ما حَمَلْنا أموالنا فى البحر . قال ابن سيرين : تحسبها خَرقاء وهى صَنَاع .

وعبتمونى بأن قلت لكم عند إشفاقى عليكم : إن للغِنى لَسُكراً ، وللمال ٢٠ لَنَزْوة ؛ فمن لم يحفظ الغنى من سكره فقد أضاعه ، ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد أهمله ؛ فعبتمونى بذلك ؛ وقد قال زيد بن جبَلة : ليس أحد أقصر عقلا من غنىّ أمِنَ الفقر . وسُكر الغنى أكثر من سكر الخمر .

وقال الشاعر فى يحيى بن خالد بن برمك :

وهُوب تِلاد المالِ فيما ينوبُهُ * منُوعٌ إذا مامنْعُه كان أحزما

وعبتمونى حين زعمتُ أنى أقدِّم المال على العلم ؛ لأن المال به يفاد العلم ، وبه تقوم النفس قبل أن يُعرف فضلُ العلم فهو أصل ، والأصلُ أحق بالتفضيل
٥ من الفرع ؛ فقلتم : كيف هذا ؟ وقد قيل لرئيس الحكماء : آلأغنياء أفضلُ أم العلماء ؟ قال : العلماء ، قيل له : فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتى الأغنياء أبواب العلماء ؟ قال : ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال ، وجهلِ الأغنياء بحقِّ العلم ؛ فقلت : حالهما هى القاضية بينهما ، وكيف يستوى شىء حاجةُ العامة إليه ، وشىء يغنى فيه بعضهم عن بعض ؛ وكان النبى صلى الله عليه وسلم يأمر
١٠ الأغنياء باتخاذ الغنم ، والفقراء باتخاذ الدجاج ؛ وقال أبو بكر رضى الله عنه : إنى لأُبغِض أهل بيت ينفقون نفقة الأيام فى اليوم الواحد ، وكان أبو الأسود الدؤلى يقول لولده : إذا بسط اللهُ لك الرزق فابسط ، وإذا قبض فاقبض .

وعبتمونى حين قلت : [إن] فضل الغنى على القوت إنما هو كفضل الآلة تكون فى البيت ، إن احتيج إليها استعملت ، وإن استُغنى عنها كانت عُدّة ، وقد
١٥ قال الحضين بن المنذر : وددت أن لى مثلَ أُحدٍ ذهباً لا أنتفع منه بشىء ! قيل له : فما كنت تصنع به ؟ قال : لكثرة من كان يخدمنى عليه ، لأن المال مخدوم ؛ وقد قال بعض الحكماء : عليكَ بطلب الغنى ، فلو لم يكن [لك] فيه إلا أنه عزٌّ فى قلبك ، وذُلٌّ فى قلب عدوّك ، لكان الحظ فيه جسيما ، والنفعُ فيه عظيما .

٢٠ ولسنا ندع سيرة الأنبياء ، وتعليمَ الخلفاء ، وتأديب الحكماء لأصحاب اللهو ؛ ولستم علىّ تردّون ، ولا رأيى تُفنِّدون ، فقدّموا النظر قبل العزم ، وادّكِرُوا ماعليكم قبل أن تدركوا مالكم ، والسلام عليكم .

* * *

التطفيل

ومن اللؤم : التطفيل ، وهو التعرّض للطعام من غير أن يُدْعى إليه .

أخبار الطفيليين

طفيل العرائس

أولهم طفيل العرائس ، وإليه نسب الطفيليون . وقال لأصحابه : إذا دخل أحدكم عرساً فلا يتلفَّت تلفتَ المُريب ، وليتخير المجالس ؛ وإن كان العرس كثير الزحام فليمض ولا ينظر فى عيون الناس ، ليظنّ أهل المرأة أنه من أهل الرجل ؛ ويظن أهل الرجل أنه من أهل المرأة ؛ فإن كان البواب غليظاً وَقَاحاً فتبدأ به وتأمره وتنهاه ، من غير أن تعنف عليه ، ولكن بين النصيحة والإدلال . ٥

قال : يقول الطفيليون : ليس فى الأرض عودٌ أكرمَ من ثلاثة أعواد : عصا موسى ، وخشب منبر الخليفة ، وخوانُ الطعام !

أبو العرقين

وكان أبو العرقين الطفيلى قد نقش فى خاتمه : « اللؤم شؤم » ، فقيل له : هذا رأس التطفيل ! ١٠

طفيلى بالبصرة

أحمد بن على الحاسب قال : مرّ طفيلىٌّ بسكة النخع بالبصرة على قوم وعندهم وليمة ، فاقتحم عليهم وأخذ مجلسه مع من دُعِيَ ، فأنكره صاحبُ المجلس فقالوا له : لو تأنيتَ أو وقفت حتى يُؤذن لكَ أو يبعث إليك ! قال : إنما اتُّخذت البيوتُ ليُدخَلَ فيها ، ووُضِعتِ الموائدُ ليؤكلَ عليها ، وما وجهت بهدية فأتوقَّع الدعوة ، والحشمة قطيعة ، وطرحُها صلة ؛ وقد جاء فى الأثر : صِلْ مَنْ قطعَك ، وأعط من حَرَمَك ؛ وأنشد : ١٥

كلَّ يومٍ أدورُ فى عَرَصَةِ الدا * رِ أشمُّ القُتـارَ شمَّ الذُّبابِ
فإذا ما رأيتُ آثار عُرسٍ * أو دُخانٍ أو دعوةً لصحابِ
لم أُعَرِّجْ دونَ التقحُّمِ لا أر * هَبُ طعناً أو لَكْزَةَ البواب ٢٠
مستَهيناً بمن دخلتُ عليهمْ * غير مستأذِن ولا هيَّابِ
فترانِى ألفُّ بالرغمِ منهمْ * كلَّ ما قدمُوهُ لَفَّ العُقابِ

ومنهم أشعب الطماع ؛ قيل له : ما بلغ من طمعك ؟ قال : لم أنظر إلى

اثنين يتسارّان إلا ظننتهما يأمران لى بشىء ! وفيه يقال : « أطمع من أشعب » .

أشعب الطماع

وقف أشعب إلى رجل يعمل طبقاً ، فقال له : أسألك بالله ألا مازدتَ فى سَعته طوقاً أو طوقين ! فقال له : وما معناك فى ذلك ؟ قال : لعلّ يُهدَى إلىّ فيه شىء !

٥

ساوم أشعبُ رجلا فى قوس عربية ، فسأله ديناراً فقال له : والله لو أنها إذا رُمىَ بها طائرٌ فى جو السماء وقع مشويا بين رغيفين ، ما أعطيتك بها ديناراً !

وبينا قوم جلوس عند رجل من أهل المدينة يأكلون عنده حيتانا ، إذ استأذن عليهم أشعب ؛ فقال أحدهم : إن من شأن أشعب البسطَ إلى أجل الطعام فاجعلوا كبار هذه الحيتان فى قصعة بناحية ، ويأكل معنا الصغار . ففعلوا وأذن له ، فقالوا له : كيف رأيُك فى الحيتان ؟ فقال : والله إن لى عليها لحرداً شديدا وحنقا ، لأن أبى مات فى البحر وأكلته الحيتان ! قالوا له : فدونك خذ بثأر أبيك ! ! فجلس ومد يده إلى حوت منها صغير ، ثم وضعه عند أذنه ـ وقد نظر إلى القصعة التى فيها الحيتان فى زاوية المجلس ـ فقال : أتدرون مايقول لى هذا الحوت ؟ قالوا : لا . قال : إنه يقول : إنه لم يحضر موتَ أبى ولم يُدْرِكه ؛ لأن سنه يصغر عن ذلك ، ولكن قال لى : عليك بتلك الكبار التى فى زاوية البيت ، فهى أدركت أباك وأكلته !

١٠

١٥

أمير وطفيلى

وكان رجل من الأمراء يستظرف طفيليا يحضر طعامه وشرابه ، وكان الطفيلى أكولا شروبا ، فلما رأى الأمير كثرةَ أكلِه وشربه اطّرحه وجفاه ، فكتب إليه الطفيلى :

٢٠

قد قلّ أكلى وقلّ شربى * وصرتُ مِن بابة الأميرِ
فليدْعُ بى وهو فى أمانٍ * أنْ أشْرَبَ الراح بالكبيرِ

طفيلى فى صنيع

وأقبل طفيلى إلى صنيع ، فوجد بابا قد أُرتج ولا سبيل إلى الوصول ؛

فسأل عن صاحب الصنيع إن كان له ولد غائب أو شريك فى سفر ؟ فأخبر عنه أن له ولد ببلد كذا . فأخذ رقا أبيض وطواه وطبع عليه ، ثم أقبل متدللا فقعقع الباب قعقعة شديدة واستفتح ، وذكر أنه رسول من عند ولد الرجل ؛ ففُتح له الباب ، وتلقاه الرجل فَرِحا فقال : كيف فارقت ولدى ؟ قال : له بأحسن حال ، وما أقدر أن أكلمك من الجوع ! فأمر بالطعام فقدم إليه ، وجعل يأكل ؛ ثم قال له الرجل : ما كتب كتابا معك ؟ قال : نعم . ودفع إليه الكتاب ، فوجد الطين طريا ، فقال له : أرى الطين طريا ! قال : نعم وأزيدُك إنه من الكدّ ما كتب فيه شيئا ! فقال : أطفيلى أنت ؟ قال : نعم أصلحك الله ! قال : كلْ لاهنأك الله !

أشعب على ثريدة

وقيل لأشعب : ماتقول فى ثُرْدة مغمورة بالزبد مشققة باللحم ؟ قال فأُضْرَبُ كم ؟ قيل له : بل تأكلها من غير ضرب . قال : هذا ما لايكون ، ولكن كم الضرب فأتقدم على بصيرة ! ١٠

مزبد المدينى

وقيل لمزبّد المدينى ، وقد أكل طعاما كظَّه : قِئْ ! قال : أقِىء نَقًا ولحم جدى ! امرأتى طالق لو وجدتُهما قيئاً لأكلتهما !

لطفيلى

وقيل لطفيلى : ما أبغضُ الطعامِ إليك ؟ قال : القريض . قيل له : ولمذا ؟ قال : لأنه يؤخر إلى يوم آخر . ١٥

طفيلى وكتبة

ومر طفيلى بقوم من الكتبة فى مشربة لهم ، فسلم ثم وضع يده يأكلُ معهم ؛ قالوا : أعرفت فينا أحدا ؟ قال : نعم ، عرفت هذا . وأشار إلى الطعام ! فقالوا : قولوا بنا فيه شعراً .

فقال الأول : ٢٠

* لم أرَ مثلَ سَرْطِه ومطِّه *

وقال الثانى :

* ولَفِّهِ دَجاجَهُ بِبَطِّه *

وقال الثالث :

* كأنَّ جالِينوسَ تحت إبْطِه *

فقال الاثنان للثالث : أما الذى وصفناه من فعله فمفهوم ، فما يصنع جالينوس تحت إبطه ؟ قال : يُلْقِمُه الجوارش كلما خاف عليه التخمة ؛ يهضم بها طعامه !

الجماز وطفيلى

ومرّ طُفيلى على الجماز ؛ فقال له ماتأكل ؟ قال : [قَىء] كلبٍ فى قحف خنزير !

ودخل طُفيلى على قوم يأكلون فقال : ماتأكلون ؟ فقالوا من بغضه : سُمًّا ! فأدخل يده وقال : الحياةُ حرامٌ بعدكم !

ومرّ طفيلى على قوم كانوا يأكلون وقد أغلقوا الباب دونه ، فتَسوّر عليهم من الجدار وقال : منعتمونى من الأرض لجئتكم من السماء !

لطفيلى

وقيل لطفيلى : كم اثنان فى اثنين ؟ قال : أربعة أرغفة .

وقيل لآخر : كم كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ؟ قال : كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر درهما .

طفيلى وزنادقة حلوا للمأمون

قال محمد بن أحمد الكوفى : حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن أبيه قال : أمر المأمون أن يُحمل إليه عشرة من الزنادقة سُمُّوا له بالبصرة ؛ فجُمِعوا ، وأبصرهم طُفَيلى ، فقال : ما اجتمع هؤلاء إلا لصنيع ! فانسلّ فدخل وسطهم ، ومضى بهم المتوكلون حتى انتهوا بهم إلى زورق قد أُعِدّ لهم ، فدخلوا الزورق ، فقال الطفيلى : هي نزهة ! فدخل معهم ، فلم يكن بأسرع من أن قُيِّدوا وقُيِّدَ معهم الطفيلى ، ثم سِير بهم إلى بغداد ، فأدخِلوا على المأمون ، فجعل يدعو بأسمائهم رجلا رجلا ، فيأمر بضرب رقابهم ، حتى وصل إلى الطفيلى وقد استوفى العِدّة ، فقال للموكلين : ماهذا ؟ قالوا : والله ماندرى ، غير أنا وجدناه مع القوم ، فجئنا به . فقال له المأمون : ما قصتُك ويلك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، امرأته طالق إن كان يعرف من أحوالهم شيئا ، ولا مما يدينون الله به ؛ إنما أنا رجلٌ

طفيلى رأيتُهم مجتمعين فظننتهم ذاهبين لدعوة ! فضحك المأمون وقال : يؤدَّب !
وكان إبراهيم بن المهدى قائمـا على رأس المأمون ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
هب لى ذنبه ، وأحدّثك عن حديث عجيب عن نفسى . قال : قل يا إبراهيم ،
قال : خرجتُ يا أمير المؤمنين من عندك يوما ؛ فطفتُ فى سكك بغداد متطرّبا ،
فانتهيت إلى موضع ، فشممتُ روائح أبازير قدورٍ قد فاح طيبُها ، فتاقت نفسى ٥
إليها وإلى طيب ريحها ، فوقفت على خياط فقلت : لمن هذه الدار ؟ قال : لرجل
من التجار من البزازين . قلت : ما اسمه ؟ قال : فلان ابن فلان . فنظرت إلى
الدار ، فإذا بشباك فيها مطلّ ، فنظرت إلى كف قد خرجت من الشباك قابضة على
عضد ومعصم ، فشغلنى يا أمير المؤمنين حُسْنُ الكفّ والمِعْصَم عن رائحة القدور ،
وبقيت باهتا ساعة ؛ ثم أدركنى ذهنى ، فقلت للخياط : أهو ممن يشرب ؟ قال : ١٠
نعم ، وأحسب أن عنده اليوم دعوة ، وليس ينادمه إلا تجار عملةٌ مستورون .
فبينا أنا كذلك إذ أقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب ، فقال الخياط :
هؤلاء منادِموه . فقلت : ما اسماهما وما كناهما ؟ قال : فلان وفلان . فحركتُ
دابتى وداخلتُهما ، وقلت : جُعِلتُ فداكما ، قد استبطأكما أبو فلان أعزه الله .
وسايرتُهما حتى بلغا الباب ، فأدخلانى وقدّمانى ، فدخلنا ؛ فلما رآنى صاحب المنزل ١٥
لم يشك أنى منهما بسبيل ، أو قادم قدمتُ عليهما من موضع ؛ فرحّب بى ،
وأُجلِسْتُ فى أفضل المواضع ؛ فجىء بالمائدة وعليها خبز نظيف ، وأُتينا بتلك
الألوان ، فكان طعمُهما أطيبَ من ريحها ؛ فقلت فى نفسى : هذه الألوان قد
أكلتها ، وبقى الكفُّ والمِعصم ، كيف أصِّل إلى صاحبتهما ؟ ثم رُفِع الطعام ،
وجاءونا بوضوء ، فتوضأنا وصرنا إلى بيت المنادمة ، فإذا أشكلُ بيت ياأمير المؤمنين ، ٢٠
وجعل صاحبُ المنزل يلاطف بى ويميل علىّ بالحديث ، وجعلوا لا يشكون أن ذلك
منه على معرفة متقدمة ؛ حتى إذا شربنا أقداحا ، خرجت علينا جارية كأنها بانٌ ،
تنثنى كالخيزران فأقبلت فسلمتْ غير خجِلة ، وثنِيَت لها وسادة فجلست ، وأُتِىَ
بالعود فوضع فى حِجرِها فجسّته ، فاستبنْتُ فى جسّها حِذقها ، ثم اندفعت تغنى :

توهّمها طرْفى فأصبح خدّها * وفيه مكان الوهْم من نظرى أثرْ
وصافحها كفّى فآلم كفَّها * فمِن مسّ كفى فى أناملها عَقرْ

فجعلتْ يا أمير المؤمنين بلابلى تطرب لحسن شعرها ، ثم اندفعت تغنى :

أشرتُ إليها : هل عرفت مودّتى ؟ * فردّت بطرف العين : إنى على العهْدِ
لحِدْتُ عن الإظهار عمداً لسرِّها * وحادتْ عن الإظهار أيضاً على عمْد

فصحت : يا سلام ! وجاءنى من الطرب ما لا أملك نفسى معه ؛ ثم اندفعتْ فغنت الثالث :

أليس عجيباً أن بيتاً يضُمُّنى * وإياك لا نخلو ولا نتكلمُ ؟
سوى أعيُنٍ تشكو الهوى بجفونِها * وتقطيعِ أنفاسٍ على النار تضرَم
إشارة أفواهٍ وغمزُ حواجب * وتكسيرُ أجفان وكف يسلِّم

فحسدتها يا أمير المؤمنين على حذقها ومعرفتها بالغناء ، وإصابتها لمعنى الشعر ، وأنها لم تخرج من الفنّ الذى ابتدأتْ به ؛ فقلت : بقِى عليك يا جارية !

فضربتْ بعودها الأرض وقالت : متى كنتم تُحضِرونَ مجالسكم البغضاء !

فندمتُ على ما كان منى ، ورأيت القوم كأنهم تغيروا لى ؛ فقلت : أما عندكم عود غير هذا ؟

قالوا : بلى .

فأتيت بعود ، فأصلحت من شأنه ، ثم غنيت :

ما للمنازلِ لا يُجِبْنَ حَزينا * أصُمِمْنَ أم قدُم المدَى فبلِينا
راحوا العشيّةَ روْحةً منكورةً * إن مِتنَ مِتْنا أو حَيين حيينا

فما أتممته حتى قامت الجارية فأكبّت على رجلى تقبلها ، وقالت : معذرةً إليك ! فوالله ما سمعت أحداً يغنى هذا الصوت غِناءك ! وقام مولاها وأهل المجلس ففعلوا كفعلها ، وطرب القوم والله واستحثوا الشراب ، فشربوا بالكاسات والطاسات ؛ ثم اندفعتُ أغنى :

أَبَى اللهُ أن تُمسى ولا تَذكريننى * وقد سفَحتْ عيناىَ من ذِكرك الدّما
فردّى مُصابَ القلب أنتِ قتلته * ولا تتركيه ذاهلَ العقل مغرَما
إلى الله أشكو بُخلَها وسماحَتى * لها عَسلٌ منى وتبــذُلُ علقَما
إلى الله أشكو أنها مادريّة * وإنى لها بالودّ ماعشتُ مُكرِما

فطرب القوم حتى خرجوا من عقولهم ، فأمسكتُ عنهم ساعة حتى تراجعوا ٥
ثم اندفعت أغنى الثالث :

هذا مُحبُّكِ مطوىٌّ على كَمَدِهْ * حرَى مدامعُه تجرى على جسدهْ
له يدٌ تسألُ الرحمنَ راحته * مما جَنَى ، ويدٌ أخرى على كبده

فجعلت الجارية تصيح : هذا الغناء والله ياسيدى لا ما كنا فيه !

وسكر القوم ، وكان صاحبُ المنزل حسَن الشرب صحيح العقل ، فأمر غلمانه ١٠
أن يخرجوهم ويحفظوهم إلى منازلهم ، وخلوتُ معه ؛ فلما شربنا أقداحا قال : ياهذا ،
ذهب ما مضى من أيامى ضياعا إذ كنتُ لا أعرفك ؛ فمن أنت يا مولاى ؟

ولم يزل يلحُّ حتى أخبرته الخبر ، فقام وقبّل رأسى وقال : وأنا أعجب ياسيدى
أن يكون هذا الأدب إلا لمثلك ، وأنّى لى أجالس الخلفاء ولا أشعر ؟

ثم سألنى عن قصتى فأخبرته ، حتى بلغت خبَر الكف والمعصم ؛ فقال للجارية : ١٥
قومى فقولى لفلانة تنزل ...

ثم لم يزل يُنزِل جواريَه واحدة بعد أخرى ، وأنظر إلى كفها ومعصمها
وأقول : ليست هى ! حتى قال : والله ما بقى غير زوجتى وأختى ، ووالله
لأنزلنّهما إليك .

فعجبت من كرمه وسَعة صدره ، فقلت : جُعلتُ فداءك ، آبدأ بالأخت قبل ٢٠
الزوجة ، فعساها هى .

فبرزت ، فلما رأيت كفَّها ومعصمها قلت : هى هذه ! فأمر غلمانه فمضوا إلى
عشرة مشايخ من جلة جيرانه ، فأقبلوا بهم ؛ وأمر ببدرتين فيهما عشرون ألف

درهم ، فقال للمشايخ : هذه أختى فلانة ، أشهدكم أنى قد زوجتُها من سيدى إبراهيم ابن المهدى ، وأمهرتُها عنه عشرين ألفا ! فرضيت النكاح ، فدفع إليها البدرة ، وفرق الأخرى على المشايخ ، وقال لهم : انصرفوا . ثم قال : يا سيدى أمهد لك بعض البيوت فتنام مع أهلك ! فاحتشمنى ما رأيت من كرمه ، فقلت : بل أُحضِرُ عمارية وأحملها إلى منزلى . قال : ما شئت . فأحضرت عمارية وحملتُها إلى منزلى ؛ فوالله يا أمير المؤمنين ، لقد أتبَعَها من الجهاز ما ضاق عنه بعضُ بيوتنا ؛ فأولدتها هذا القائم على رأس أمير المؤمنين .

فعجب المأمون من كرم الرجل ، وأطلق الطفيليّ وأجازه ، وألحق الرجل فى أهل خاصته .

طفيلى وقوم يتغدون

ومرَّ طُفيليّ بقوم يتغدون ، فقال : سلام عليكم معشر اللئام ! فقالوا : لا والله ، بل كرام . فثنى رجله وجلس ، وقال : اللهم اجعلهم من الصادقين واجعلنى من الكاذبين !

الفضل بن يحيى وطفيلى

ودخل طفيليّ من أهل المدينة على الفضل بن يحيى وبيده تفاحة ، فألقاها إليه وقال : حيَّاك الله يا مدنى ! فلزمها وأكلها ، فقال له : شؤم عليك يا مدنى ، أتأكل التحيات ؟ قال : أى والله ، والزاكياتِ الطيبات كنت آكلها !

إبراهيم الموصلى وطفيلى

وقال إبراهيم الموصلى فى طفيلى كان يصحبه :

نِعمَ النَّديمُ نديمٌ لا يُكلِّفُنى * ذَبحَ الدَّجاج ولا ذبحَ الفراريجِ
يكفيهِ لَوْنان من كشكٍ ومن عدَسٍ * وإن يشأ فزيتونٌ بِطَسُّوجِ

لطفيلى فى نفسه

وقال طفيليّ فى نفسه :

نحنُ قومٌ إذا دُعِينا أَجَبنا * ومتى نُنْسَ يَدْعُنا التَّطفيلُ
ونقولُ : علَّنا دُعينا فغِبْنا * وأتانا فلم يَجِدْنا الرسولُ !

وقال آخر وأتى طعاماً لم يُدع إليه، فقيل له: من دعاك؟ فأنشأ:

دعوتُ نفسى حينَ لم تُدْعَنى * فالحمدُ لى لا لَكَ فى الدعوَهْ

وكان ذا أحسَن من مَوْعِد * مُخْلفُه يدعو إلى الجفوهْ

ودخل طُفيلىّ فى صنيع رجل من القِبْط، فقال له: من أرسل إليك؟ فأنشأ: ٥

أزورُكم لا أكافيكم بجفوتِكم * إنّ المحبَّ إذا مالم يُزَرْ زارا

فقال القبطى: زورْزارا! ليس ندرى من هو؟ أخرُجْ من بيتى!

طفيلى وزنادقة

ونظر رجل من الطفيليين إلى قوم من الزنادقة يُسارُ بهم إلى القتل: فرأى لهم هيئة حسنة وثياباً نقية، فظنهم يُدْعَوْن إلى وليمة، فتلطف حتى دخل فى لفيفهم وصار واحداً منهم، فلما بلغ صاحبُ الشرطة قال: أصلحك الله، لستُ ١٠ والله منهم، وإنما أنا طفيلى ظننتهم يُدْعَوْن إلى صنيع فدخلت فى جملتهم! فقال: ليس هذا مما يُنجيك منى، اضربوا عنقه! فقال: أصلحك الله، إن كنت ولا بدّ فاعلا فأمُرِ السياف أن يضرب بطنى بالسيف، فإنه هو الذى ورّطنى هذه الورطة! فضحك صاحب الشرطة، وكشف عنه، فأخبروه أنه طفيلى معروف، فخلّى سبيله. ١٥

لطفيلى

وقال طفيلى:

ألا ليتَ لى خُبْزاً تسرْبَل رائباً * وخيلا من البرْنىّ فُرْسانها الزُّبْدُ

فأطلُب فيما بيْنهُنّ شهادةً * بموْتٍ كريمٍ لا يُشَقُّ له لحدُ

وكان أشعب يختلف إلى قينة بالمدينة يطارحها الغناء، فلما أراد الخروج إلى مكة قال لها: ناولينى هذا الخاتم الذى فى أصبُعِكِ لأذكرك ٢٠ به! قالت: إنه ذهب، وأخاف أن تذهب؛ ولكن خذ هذا العود، لعلك تعود.

شيخ وحدث

اصطحب شيخٌ وحدَثٌ من الأعراب، فكان لهما قرص فى كل يوم،

وكان الشيخ متخلع الأضراس بطىء الأكل ، فكان الحدث يَبْطِش بالقرص ثم يقعد يشتكى العشق ، ويتضور الشيخ جوعا ، وكان اسم الحدث جعفراً ، فقال الشيخ فيه :

لقد رابَنى من جعفرٍ أنّ جعفراً * يطيشُ بقُرْصِى ثم يبكى على جُمْلِ

٥ فقلتُ له لو مسّكَ الحبُّ لم تبِتْ * سميناً وأنساكَ الهوى شِدّةَ الأكلِ

وقال الحدث :

إذا كان فى بطْنِى طعامٌ ذكرْتُها * وإن جُعْتُ يوماً لم تكن لى على ذِكرِ

ويزدادُ حُبّى إنْ شبِعْتُ تجدُّداً * وإنْ جُعْتُ غابت عن فؤادى وعن فِكرى !

وكان أشعب يختلف إلى جارية فى المدينة ، ويُظْهِرُ لها التعاشق ، إلى أن أشعب وجارية

١٠ سألته سلفة نصف درهم ، فانقطع عنها ، وكان إذا لقيها فى طريق سلك طريقا أخرى ، فصنعت له نشوقا وأقبلت به إليه ، فقال لها : ما هذا ؟ قالت : نشوق عملتُه لك لهذا الفزع الذى بك ! فقال : اشربيه أنت للطمع [الذى بكِ] ؛ فلو انقطع طمَعُك انقطع فزعى ! وأنشأ يقول :

أخلِفِى ماشئتِ وعدى * وامنَحينى كلَّ صدٍّ

١٥ قد سلا بعدَكِ قلبى * فاعْشِقِى مَن شئتِ بعدى

إنَّنِى آليتُ لا أعْشِقُ مَن يعشِقُ نقْدِى !

وقيل لأشعب : ما أحسنُ الغناء ؟ قال : نشيش المقلى ! قيل له . فما أطيب لأشعب فى الغناء الزمان ؟ قال : إذا كان عندك ما تنفق !

وكان أشعب يغنى :

٢٠ ألا أُخبِرْتُ أخبارا * أتت فى زمَنِ الشِّدهْ :

وكان الحبُّ فى القلْبِ * فصار الحبُّ فى المِعْدَهْ

وقال آخر فى طُفيلى من أهل الكوفة : لبعضهم فى طفيلى

زرعنا ، فلما تمّمَ اللهُ زرْعنا * وأوفى عليه مِنْجَل بحصادِ

بُلينا بكوْفيّ حليف مجاعةٍ * أضرّ بزرْع من دَبًى وجرادِ

هشام

وقال هشام أخو ذى الرُّمة لرجل أراد سفرا : إن لكل رفْقة كلبا يشركهم فى فضلة الزاد ، فإن استطعت أن لا تكون كلب الرفاق فافعل .

أبو نواس وشطار

وخرج أبو نواس متنزها مع شُطار من أصحابه ، فنزلوا روضة ووضعوا شرابا ، فمر بهم طفيلىّ ، فتطارح عليهم ؛ فقال له أبو نُواس . ما اسمك ؟ قال : ٥ أبو الخير . فرحب به وقعد معهم ؛ ثم مرت بهم جارية فسلمت ، فردّ عليها ، وقال لها : ما اسمك ؟ قالت : زانة . قال أبو نواس لأصحابه : اسرقوا الياء من أبى الخير ، فأعطوها زانة ، فتكون زانية ، ويكون أبو الخير أبا الخر كما هو ففعلوا ... ...

الجاحظ وغيره فى صنيع

الجاحظ قال : دعا أبو عبد الله الواسطى إلى صنيع ، فدعانى ، فدعوت ١٠ أبا الفَلَوْسكىّ ، فلما كان من الغد صبح الفلَوسكى الجاحظ فقال له : أما تذهب بنا هناك يا أبا عثمان ؟ قال : نعم . قال فذهبنا حتى أتينا دار صاحب الصنيع ، ولم يكن علينا كسوة رائعة ولا تحتنا دواب فتدخل تجاهنا ، فوجدنا البواب ذا غِلَظٍ وجفاء ، فمنعنا ، فانحدرنا فى جانب الإيوان ننتظر أحدا يُعْلِمُ أبا عبد الله الواسطى بحالنا ؛ فمكثنا حينا حتى أتى من نعرفه ، فسألناه أن يُعْلم أبا عبد الله ١٥ الواسطى بنا ؛ فلما أُخبر خرج إلينا يتلقانا ، فتقدمنى الفلوسكى وتقدمه حتى أتى صدر المجلس ؛ فقعد فيه ؛ ثم قال لى : ههنا عندنا يا أبا عثمان ! فلما خلونا ثلاثتنا قلت للفلوسكى : كيف تسمى العرب من أمالت إلى أنفسها ؟ قال الفلوسكى : تسميه ضيفا . فقال له الجاحظ : وكيف تسمى من أماله الضيف ؟ قال : تسميه ضيفناً . قال الجاحظ : وكيف تسمى من أماله الضيفن ؟ قال : ما لمثل هذا عند ٢٠ العرب تسمية . قال الجاحظ : فقلت : قد رضيتَ أن تكون فى منزلة من التطفيل لم تجد لها العرب اسما ، ثم تتحكم تحكُّمَ صاحبِ البيت .

باب من أخبار المحارفين الظرفاء

أبو الشمقمق

منهم أبو الشمقمق الشاعر، وكان أديبا ظريفا محارفا، وكان صعلوكا متبرما بالناس، وقد لزم بيته فى أطمار مسحوقة، وكان إذا استفتح عليه أحدٌ بابه، خرج فينظر من فروج الباب، فإن أعجبه الواقف فتح له وإلا سكت عنه؛ فأقبل إليه ٥ يوما بعض إخوانه الملطفين له، فدخل عليه فلما رأى سوء حاله قال له: أبشر أبا الشمقمق، فإنا روينا فى بعض الحديث: «إن العارين فى الدنيا هم الكاسون يوم القيامة». فقال: إن صح والله هذا الحديث كنت أنا فى ذلك اليوم بَزّازا! ثم أنشأ يقول.

أنا فى حالٍ تعالى اللهُ ربِّى أىَّ حالِ
١٠ ليس لى شىءٌ إذا قيل لمنْ ذا قلتُ ذا لى
ولقد أُهزِلتُ حتى ٭ محتِ الشمْسُ خيالى
ولقد أفلسْتُ حتى ٭ حَلَّ أكلى لِعيالى

وله:

أترانى أرى من الدهرِ يوماً ٭ لِىَ فيه مَطيةٌ غيرُ رِجْلِى؟
١٥ كلما كنتُ فى جَميعٍ فقالوا ٭ قرِّبوا للرَّحيلِ، قرَّبتُ نعلى!
حيثما كنتُ لا أُخلِّفُ رحْلا ٭ مَن رآنى فقد رآنى ورَحْلى!

وقال أبو الشمقمق أيضا:

[لو] قدرأيتَ سَريرى كنتَ ترحَمُنى ٭ الله يعلمُ مالِى فيه تَلبيسُ
والله يعلمُ مالى فيه شابِئة ٭ إلا الحصيرةُ والأطمارُ والدِّيس

٢٠ وقال أيضا:

برزْتُ من المنازِلِ والقبابِ ٭ فلم يَعسُرْ على أحدٍ حِجابى
فمنزِلِىَ الفضاءُ، وسَقفُ بيتى ٭ سماءُ اللهِ أو قِطعُ السَّحابِ

فأنتَ إذا أردتَ دخلتَ بيتى * علىّ مُسَلّماً من غيرِ بابِ
لأنى لم أجِـــد مِصراعَ بابٍ * يكون منَ السحابِ إلى التراب
ولا انشقّ الثّرى عن عودِ نحتٍ * أُؤمّلُ أن أشاريَه ببابى
ولا خِفتُ الإباقَ على عبيدِى * ولا خِفتُ الهلاكَ على دوابى
ولا حاسَبتُ يوماً قهــرَمانا * محاســبة فأغلِطَ فى حسابى ٥
وفى ذا راحــــة وفراغُ بالٍ * فدأبُ الدّهر ذا أبداً ودابى

وقال أيضا :

لو ركبتُ البحارَ صارتْ فِجاجا * لا ترى فى مُتونِهـــا أمواجا
فلو آنّى وضعتُ ياقُوتةً حَمْــــراء فى راحَتى لصارتْ زُجاجا
ولو آنّى ورَدتُ عَذْباً فُراتاً * عادَ لا شكّ فيه مِلحاً أُجاجا ١٠
فإلى الله أشتَكى وإلى الفضــــل فقد أصبحَتْ بُزاتِى دَجاجا

لابن المدبر وقال عمر بن المدبر :

وقفتُ ، فلا أدرى إلى أينَ أذهبُ * وأىّ أُمورِى بالعزيمةِ أركبُ
عَجِبتُ لأقـــدارٍ علىّ تتابَعتْ * بنحْسٍ فأفنَى طُولَ دهرى التعجُّبُ
ولما الْتَمستُ الرِّزقَ فانحلّ حَبلُه * ولم يَصفُ لى من بحرِهِ العذْبِ مَشرَبُ ١٥
خطبتُ إلى الإعدامِ إحدى بناتِه * لِدفْعِ الغِنى إيّاىَ إذْ جِئتُ أخطُبُ
فزوّجَنيهـــا ثمّ جاء جِهازُها * وفيه منَ الحِرمانِ تَختٌ ومِشجَبُ
فأوْلدْتُها الحُزنَ النّقِىّ ، فما لهُ * على الأرضِ غيرى والِدٌ حين يُنسَبُ
فلو تِهتُ فى البيْداءِ والليلُ مُسبِلٌ * علىّ دَياجيهِ لما لاحَ كوكبُ
ولو خفتُ شرّا فاستَترتُ بظُلمة * لأقبلَ ضوءُ الشمسِ من حيثُ تغرُبُ ٢٠
ولو جادَ إنســـانٌ علىّ بدِرهمٍ * لرُحتُ إلى رَحلى وفى الكف عقرَبُ
ولو يُمطَرُ الناسُ الدنانيرَ لم يكنْ * بشىءٍ سوى الحصباءِ رأسِىَ يُحصَبُ

ولو لمَستْ كفَّاىَ عِقداً مُنظّماً * من الدُّرّ أضحى وهُو ودْعٌ مُثقّبُ

وإن يقترِفْ ذنباً ببرقةَ مُذنِبٌ * فإنّ برأسى ذلك الذنبَ يَعْصب

وإن أرَ خيراً فى المنامِ فنازحٌ * وإن أر شرًّا فهو منى مُقرّب

ولم أغْـــدُ فى أمرٍ أريدُ نجاحَهُ * فقابَلَنى إلا غُـــرابٌ وأرنَب

٥ أمامِى منَ الحرمانِ جَيشٌ عَرَمْرَمٌ * ومنهُ ورائى جَحفَلٌ حين أركب !

وقال آخر : لبعضهم

ليس إغْلاقى لبابِى أنّ لِى * فيه ما أخشَى عليهِ السَّرَقا

إنما أغلقْتُه كى لا يَرى * سُوءَ حالى مَن يمرُّ الطُّرُقا

منزلٌ أوطنهُ الفقْرُ فلو * يدخُلُ السارقُ فيه سُرِقا !

١٠ وقال الحسن بن هانىء فى هذا المعنى : لابن هانىء

الحمـد لله ليسَ لى نشَبُ * خفَّ ظهرى وقلّ زُوّارى

من نَظرتْ عينُهُ إلىّ فقد * أحاطَ علماً بما حَوتْ دارى

جَمْرِىَ فى البيتِ كامنٌ وعلى * مَدرَجَةِ الرائحينَ أسرارى

وقال بعض المحارفين :

١٥ لزمتنى حرْفة ما تنقَضِى * أبداً حتى أُوارَى فى الجدثْ

كلزومِ الطوْق إلا أنها * تَسحِجُ الدهرَ والطوقُ يَرِثْ

كتاب الزبرجدة الثانية

فى بيان طبائع الإنسان وسائر الحيوان

لابن عبد ربه

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله : قد مضى قولنا فى المتنبئين، والممرورين والبخلاء، والطفيليين .

ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى طبائع الإنسان وسائر الحيوان ، وتفاضل البلدان ، والنعمة والسرور ؛ إذ لم يكن مدارُ الدنيا إلا عليها ، ولا قِوامُ الأبدان إلا بها ؛ وإذ هى نمو الفراسة ، وتركيب الغريزة ، واختلاف الهمم ، وطيب الشيم وتفاضل الطعوم .

وقد تكلم الناس فى النعمة والسرور ، على تباين أحوالهم ، واختلاف هممهم وتفاوت عقولهم ، وما يجانس كل رجل منهم فى طبعه ، ويؤالفه فى نفسه ، ويميل إليه فى وهمه ؛ وإنما اختلف الناس فى هذا المذهب لاختلاف أنفسهم ، فنهم من نفسه غضبية ، فإنما همه منافسة الأكفاء ، ومغالبة الأقران ، ومكاثرة العشيرة ومنهم من نفسه ملكية ، فإنما همه اليقين فى العلوم ، وإدراك الحقائق ، والنظر فى العواقب ؛ ومنهم مَن نفسُه بهيمية ، فإنما همه طلبُ الراحة ، وانهماك النفس على الشهوة من الطعام والشراب والنكاح ؛ وعلى هذه الطبيعة البهيمية قَسمَت الفرس دهرَها كلَّه ، فقالوا : يوم المطر للشرب ، ويوم الريح للنوم ، ويوم الدَّجن للصيد ، ويوم الصحو للجلوس . وهى أغلب الطبائع على الإنسان ، لأخذها بمجامع هواه ، وإيثار الراحة وقلة العمل ؛ فنه قولهم : الرأى نائم والهوى يقظان ؛ وقولهم : الهوى إلهٌ معبود ؛ وقولهم : ربيعُ القلب ما اشتهى ، وقولهم : لا عيشَ كطيبِ النفس .

النفس الملكية

قيل لضرار بن عمرو : ما السرور ؟ قال : إقامة الحجة وإدحاضُ الشبهة . لضرار

وقيل لآخر : ما السرور ؟ قال : إحياء السنة وإماتة البدعة .

وقيل لآخر : ما السرور ؟ قال : إدراكُ الحقيقة ، واستنباطُ الدقيقة .

٥ وقال الحجاج بن يوسف لخريم الناعم : ما النعمة ؟ قال : الأمنُ ، فإنى رأيت الخائف لا ينتفع بعيش . قال له زدنى . قال : فالصحة فأنى رأيت المريض لا ينتفع بعيش . قال له : زدنى . قال له : الغنى ، فإنى رأيت الفقير لا ينتفع [بعيش] . قال له : زدنى . قال : فالشباب ، فإنى رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش . قال له : زدنى ، قال : ما أجد مزيدا . الحجاج وخريم

وقيل لأعرابى : ما السرور ؟ قال : الأمنُ والعافية . لأعرابى

١٠ النفس الغضبية

قيل لحضين بن المنذر : ما السرور ؟ قال لواء منشور ، والجلوس على السرير ، والسلام عليك أيها الأمير . لحضين

وقيل للحسن بن سهل : ما السرور ؟ قال : توقيعٌ جائز ، وأمرٌ نافذ . لابن سهل

وقيل لعبد الله بن الأهتم : ما السرور ؟ قال : رفع الأولياء ، ووضع الأعداء ، ١٥ وطول البقاء ، مع الصحة والنماء . لابن الأهتم

وقيل لزياد : ما السرور ؟ قال : من طال عمره ، ورأى فى عدوه ما يسرُّه . لزياد

وقيل لأبى مسلم صاحب الدعوة : ما السرور ؟ قال : ركوب الهماجة ، وقتل الجبابرة . وقيل له : ما اللذة ؟ قال إقبال الزمان ، وعز السلطان .

النفس البهيمية

٢٠ قيل لامرئ القيس : ما السرور ؟ قال : بيضاء رعبوبة ، بالطِّيبِ مشبوبة ، باللحم مكروبة . وكان مفتونا بالنساء . لامرئ القيس

لأعشى بكر — وقيل لأعشى بكر : ما السرور ؟ قال : صهباء صافية ، تمزجها ساقية ، من صوب غادية . وكان مغرماً بالشراب .

لطرفة — وقيل لطرفة : ما السرور ؟ فقال : مطعم هنىّ ، ومشرب روىّ ، وملبس دفىّ ، ومركب وطىّ . وكان يؤثر الخفض والدعة .

٥ وقال طرفة :

فلولا ثلاثٌ هُنَّ من عيشةِ الفتى ٭ وربِّك لم أحفِلْ متى قام عُوَّدِى
فمنهُنَّ سبْقِى العاذِلاتِ بشَرْبةٍ ٭ كُمَيْتٍ متى ما تُعْلَ بالماء تَزْبِدِ
وكرِّى إذا نادَى المُضافُ مُجنَّباً ٭ كسِيد الغَضا فى الطَّخية المُتَورِّد
وتقصيرُ يومِ الدَّجْنِ،والدَّجْنُ مُعْجِبٌ ٭ ببَهْكنةٍ تحت الخِباءِ المُمَدَّد

١٠ وسمع هذه الأبيات عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، فقال : وأنا والله لولا ثلاث لم أحفل متى قام عودى ، لولا أن أعدلَ فى الرعية ، وأقسِمَ بالسوية ، وأنفِر فى السرية .

لابن نهيك — وقال عبد الله بن نهيك :

فلولا ثلاثٌ هُنَّ من عيشةِ الفتى ٭ وربِّك لم أحفِل متى قام رامِسُ
١٥ فمنهن سبْقُ العاذِلاتِ بشَرْبةٍ ٭ كأن أخاها مطلعُ الشمسِ ناعسُ
ومنهنّ تقريطُ الجَوادِ عِنانَهُ ٭ إذا ابتَدر الشخصَ الكمِىَّ الفوارسُ
ومنهنّ تجريدُ الكواعبِ كالدُّمى ٭ إذا ابتزَّ عَنْ أكفالهنّ الملابس

لابن مزيد — وقيل ليزيد بن مزيد : ما السرور ؟ قال : قبلة على غفلة . وكان صاحب وصائف .

وقيل لحُرقة بنت النعمان : ما كانت لذة أبيك ؟ قالت : شرب الجِريال ،
٢٠ ومحادثة الرجال .

لحضين — وقيل لحضين بن المنذر : ما السرور ؟ قال : دار قوراء ، وجارية جوراء ، وفرس مرتبط بالفناء .

لابن هانئ

وقيل للحسن بن هانئ : ما السرور ؟ قال : مجالسة الفتيان ، فى بيوت القيان ، ومنادمة الإخوان ، على قضب الريحان ، وأنشأ يقول :

قلتُ بالعين لموسَى ۞ وندامایَ نِيــامُ
يا رضيعِى ثَدْى أُمّ ۞ ليس لى عنه فِطام
إنمـا العيشُ سمـاعٌ ۞ ومُـــدامٌ ونِدام ٥
فإذا فاتكَ هـــذا ۞ فعلى الدنيا السـلام

معاوية وابن جعفر

وقال معاوية لعبد الله بن جعفر : ما أطيبُ العيش ؟ قال : ليس هـذا من مسائلك يا أمير المؤمنين ! قال : عزمت عليـك لتقولنّ . قال : هتكُ الحيا ، واتباعُ الهوى .

معاوية وابن العاص

١٠ وقال معاوية لعمرو بن العاص : ما العيش ؟ قال ليخرج مَن هنا من الأحداث ! فخرجوا ، فقال : العيش كله فى إسقاط المروءة !

لهشام

وقال هشام بن عبد الملك : ألذُّ الأشـياء كلها جليس مساعد يسقط عنى مئونة التحفظ .

لأعرابى

وقيل لأعرابى : ما السرور ؟ قال لبسُ البالى فى الصيف ، والجديد فى الشتاء

١٥ وقيل لآخر : ما النعيم ؟ قال : المـاء الحارُّ فى الشتاء ، والبارد فى الصيف .

البنيان

النبى صلى الله عليه وسلم

قال النبى صلى الله عليه وسلم : «من بَنى بُنيانا فليُتْقِنْهُ» .

وقالت الحكماء : لذة الطعام والشراب ساعة ، ولذة الثوب يوم ، ولذة المرأة شهر ، ولذة البنيان دهر ، كلما نظرتَ إليه تجددت لذته فى قلبك ، ، وحسنُه ٢٠ فى عينك .

وقالوا : دار الرجل جنتُه فى الدنيا .

وقالوا : ينبغى للدار أن تكون أولَ ما يُبتاع وآخر ما يُباع .

يحيى وابنه جعفر

وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر بن يحيى حين اختط داره ليبنيها : هى قيصك

إن شئت فضيق وإن شئت فوسع .

الرشيد وعبد الملك

وقال هارون الرشيد لعبد الملك بن صالح : كيف منزلك بمَنْبِج ؟ قال دون منازل أهلي ، وفوق منازل أهلها . قال : وكيف ذلك وقدرُك فوق أقدارهم ؟ قال : ذلك خُلُقُ أمير المؤمنين أحتذى مثاله .

الرشيد وابن صالح

ولما دخل هارون منبجا قال لعبد الملك بن صالح : هذا منزلك ؟ قال : هو لأمير المؤمنين ولى به ! قال : كيف ماؤُهُ ؟ قال : أطيبُ ماء . قال : كيف هواؤه ؟ قال : أفسحُ هواء .

وذُكر عند جعفر بن يحيى الدارُ الفسيحة الجوّ الطيبة النسيم ، فقال رجل عنده : لقد دخلتُ الطائف فكأنى كنت أبشر ، وكان قلبى ينضح بالسرور ، ولا أجد لذلك علة إلا طيبَ نسيمها وانفساح هوائها .

للحسن بن سهل

وقيل للحسن بن سهل : كيف نزلت الأطراف ؟ قال : لأنها منازل الأشراف ، ينالون فيها ما أرادوا بالقدرة ؛ وينالهم فيها من أرادهم بالحاجة .

قولهم فى الدار الضيقة

لبعضهم

ماهى إلا قرارُ حافر ؛ وما هى إلا وِجارُ ضَبُع ، وما هى إلا قترة قانص ؛ وما هى إلا مَفْحَص قطاة .

وقالوا : ماهى إلا حملة يعسوب برأس سنان .

ومن مات فى دار ضيقة قيل فيه : خرج من قبر إلى قبر .

من كره البنيان

لابن الخطاب

كتب سعد بن أبى وقاص إلى عمر بن الخطاب يستأذنه فى بناء بيته ، فقال : ابن ما يُكنك عن الهواجر وأذى المطر .

وكتب عامل لعمر بن عبد العزيز يستأذنه فى بناء مدينة ، فكتب إليه : ابنها

بالعدل ، ونقّ طرقها من الظلم .

لابن الخطا ومر عمر بن الخطاب ببناء يُبنى بآجُر وجص ؛ فقال : لمن هذا ؟ فقيل : لعامل من عمالك . فقال : أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها ! وأرسل إليه من يشاطره ماله .

٥ لابن المها وقيل ليزيد بن المهلب : مالك لاتبنى ؟ قال : منزلى دار الإمارة أو الحبس !

ومر رجلٌ من الخوارج بدار تُبنى فقال : من هذا الذى يقيم كفيلا ؟ والخوارج تقول : كل مال لا يخرج بخروجك ويرجع برجوعك فإنما هو كفيل بك .

لعبدالله بن ولما بنى أبو جعفر داره بالأنبار ، دخلها مع عبد الله بن الحسن ، فجعل ١٠ يريه بنيانه فيها وما شيد من المصانع والقصور ؛ فتمثل عبد الله بن الحسن بهذه الأبيات :

ألم تر حَوْشَباً أضحى يَبَنِّى * قصوراً نَفْعُها لِبنى بُقَيْلَهْ ؟

يُؤَمِّلُ أن يُعَمَّرَ عُمْرَ نوحٍ * وأمْرُ اللهِ يحدُثُ كلَّ ليْله !

وقالوا في الحجاج بن يوسف إذ بنى مدينة واسط : بناها فى غير بلده ، ١٥ وأورثها غير ولده .

اللباس

لباسه صلى عليه و. إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه ، قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران : رداء وعمامة .

محمد بن ا. على ابن عاصم عن أبي إسحاق الشيباني قال : مررت بمحمد بن الحنفية واقفا ٢٠ بعرفات ، على بِرْذَوْنٍ ، وعليه مطرف خزٍّ أصفرُ .

ابن عباس الشيباني عن ابن جُريج أن ابن عباس كان يرتدى رداء بألف .

أبو حاتم عن الأصمعى أن ابن عون اشترى برنسا ، فمر على معاذة العدوية فقالت : مثلك يَلبَس هذا ؟ قال : فذكرتُ ذلك لابن سيرين فقال : ألا أخبرتها

أن تميما الدارىّ اشترى حلة بألف يصلى فيها :

أيوب السختيانى

وقال معمر : رأيتُ قميص أيوب السختيانى يكاد يمس الأرض ، فسألته عن ذلكَ ، فقال : إن الشهرة كانت فيما مضى فى تذييل القميص ، وإنها اليوم فى تشميره .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل فى خلقين

وفى موطأ مالك بن أنس رضى الله عنه ، أن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أنمار ، فبينا أنا نازل تحت شجرة إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : هَلُمَّ يارسول الله إلى الظل . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال جابر : وعندنا صاحبٌ له نجهزه يذهب يرعى ظهرَنا ، قال : فجهزته ، ثم أدبر يذهب إلى الظَّهر ، وعليه ثوبان ، قد أخلقا فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ماله ثوبان غيرُ هذين ؟ قلت : بلى يارسول الله ، له ثوبان فى العيد كسوته إياهما . قال : فادعُه فمُرْهُ فليلبَسهما . قال : فدعوته فلبسهما ثم ولى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماله ، ضرب الله عنقه ! أليس هذا خيراً له ؟ فسمعه الرجل ، فقال : فى سبيل الله يارسول الله ! فقُتل الرجل فى سبيل الله .

الربيع بن زياد وعلى

العتبي قال : أصابت الربيع بن زياد الحارثى نشابة على جبينه ، فكانت تنتقض عليه فى كل عام ، فأتاه علىٌّ بن أبى طالب عائداً ، فقال : كيف تجدك يا أبا عبد الرحمن قال : أجدنى لو كان لا يُذهب مابى إلا ذهابُ بصرى لتمنيتُ ذهابَه ! قال له : وما قيمة بصرك عندك ؟ قال : لو كانت لى الدنيا فديتُه بها ! قال : لاجرم ، ليعطينَّك الله على قدرِ ذلك إن شاء الله ، إن الله يعطى على قدر الألم والمصيبة ، وعنده بعدُ تضعيف كثير !

قال له الربيع : ياأمير المؤمنين ، ألا أشكو إليك عاصم بن زياد ؟ قال : وماله ؟ قال : لبس العباء ، وترك الملاء ، وغمّ أهله ، وأحزن ولده ! فقال : علىّ عاصما ! فلما أتاه عبس فى وجهه ، وقال : ويلك ياعاصم ، أترى الله أباح لك اللذات

وهو يكره أخذك منها ؟ لأنت أهونُ على الله من ذلك ؛ أو ماسمعته يقول : ﴿ مرجَ البَحْرَيْنِ يلتقيانِ بينَهما بَرزَخٌ لا يبغِيانِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ يَخْرُجُ منهُما اللُّؤْلُؤُ والمَرْجانُ ﴾ ؛ وقولَه : ﴿ ومن كُلٍّ تأكلونَ لحماً طَرِيًّا وتَسْتخرجُونَ حِلْيةً تلْبَسُونَها ﴾ ؟ أما والله إن ابتذال نعم الله بالفعال ، أحبُّ إليه من ابتذالها بالمقال

٥ وقد سمعتَه عز وجل يقول : ﴿ وأمّا بِنعْمَةِ ربِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ ، ويقول : ﴿ قُلْ مَن حرّمَ زِينةَ اللهِ التى أَخْرَجَ لِعبادِهِ والطَّيباتِ من الرِّزْقِ ﴾ ؛ وإن الله عز وجل خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين ، فقال : ﴿ ياأَيُّها الذينَ آمنوا كلوا مِن طيِّباتِ مارَزَقنَاكُم ﴾ ، وقال : ﴿ ياأيُّها الرُّسُلُ كلوا مِنَ الطيِّباتِ واعْمَلوا صالحاً إنى بما تعمَلونَ عَليمٌ ﴾ . فقال عاصم : فعلام اقتصرتَ أنت ياأميرَ المؤمنين

١٠ على لبس الخشن وأكل الجَشِب ؟ قال : إن الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بالعوام لئلا يشنع على الفقير فقرُه ، قال : فما برح حتى لبس الملاء ونبذ العباء .

لباس الصوف

حماد وفرقد — قدم حماد بن سلمة البصرة فجاء فرقد السبخى وعليه ثياب صوف ، فقال له حماد :

١٥ ضع عنك نصرانيَّتك هذه ، فلقد رأيتُنا ننتظر إبراهيم ، فيخرج علينا وعليه معصفرة ، ونحن نرى أن الميتة قد حلت له !

ابن واسع وقتيبة — قال أبو الحسن المدائنى : دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم والي خراسان وعليه مِدْرعة صوف ، فقال له قتيبة : [مايدعوك إلى لبس هذه ؟ فسكت ؛ فقال له قتيبة] : أكلمك فلا تجيبنى ! قال : أكره أن أقول زُهداً فأُزكى نفسى ،

٢٠ أو أقول فقراً فأشكو ربى .

وقال ابن السماك لأصحاب الصوف : والله لئن كان لباسكم وفْقاً لسرائركم لقد أحببتم أن يطلع الناس عليها ، ولئن كان مخالفاً لها لقد هلكتم .

وكان القاسم بن محمد يلبس الخز ، وسالم بن عبد الله يلبس الصوف ،

ومقعدُهما واحد فى مسجد المدينة . فلا ينكر بعضهما على بعض شيئا .

الوراق

وقال محمود الوراق فى أصحاب الصوف :

تصوّفَ كى يقالَ له أمينٌ ٭ وما يعنِى التصوُّفَ والأمانة؟

ولم يُرِدِ الإلهَ به ولكنْ ٭ أرادَ به الطريقَ إلى الخيانه

التزين والتطيب

٥

ابن المنكدر

دخل رجل على محمد بن المنكدر يسأله عن التزين والطيب فوجده قاعداً على حشايا مصبغة ، وجارية تغلفه بالغالية ؛ فقال له : يرحمك الله ، جئت أسألك عن شىء فوجدتك فيه !

قال : على هكذا أدركتُ الناس .

عن النبى صلى الله عليه وسلم

١٠

وفى حديث : أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال « إياكم والشعَث ، حتى لو لم يجد أحدكم إلا زيتونة فليعْصرها وليدّهن بها » .

وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة « مالى أراكِ شعثاء ، مرْهاء ، سلتاء ؟ » .

قالت : يارسول الله ، أو لسْنا من العرب ؟ .

قال « بلى ، ربما أُنسِيَتِ العربُ الكلمة فيعلمُنيها جبريل » .

١٥

الشعثاء : التى لا تدهن . والمرهاء : التى لا تكتحل . والسلتاء : التى لا تختضب .

وقال صلى الله عليه وسلم « ما نلت من دنياكم إلا النساء والطيب » .

وروى مالك عن يحى بن سعيد ، أن أبا قتادة الأنصارى قال : يارسول الله ، إن لى جُمّة ، أفأُرَجّلها يارسول الله ؟ .

قال « نعم ، وأكرمْها » .

٢٠

قال : فكان أبو قتادة ربما دهنها فى اليوم مرتين .

وروى مالك عن زيد بن أسلم ، أن عطاء بن يسار أخبره قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، فدخل رجل ثائر الرأس واللحية ؛

فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اخرج فأصلح رأسك ولحيتك ! ففعل ، ثم رجع ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس هذا خيراً من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان ؟

للنابغة

وقد تمادحت العرب بحسن الهيئة وطيب الرائحة ، فقال النابغة :

٥ رِقاقُ النِّعالِ طيِّبٌ حُجُزاتهم * يُحيَّوْنَ بالرَّيحان يومَ السَّباسِبِ

يُحيِّيهمُ بيضُ الولائدِ بينهم * وأكسِيةُ الإضريجِ بين المساجِبِ

يصونونَ أجساداً قديماً نعيمُها * بخالصة الأرْدانِ خُضرِ المناكبِ

للفرزدق

وقال الفرزدق :

بنو دارِمٍ قومى ترى حُجزاتهم * عتاقاً حواشيها رِقاقاً نعالُها

١٠ يجرّون هُدّابَ اليمانِ كأنهم * سيوفٌ جلا الأطباعَ عنها صِقالُها

لطرفة

وقال طرفة :

أُسْدُ غِيلٍ فإذا ما شربوا * وهَبوا كلَّ أمُونٍ وطِمِرّ

ثم راحوا عَبَقُ المسْكِ بهم * يلحَفون الأرضَ هُدّابَ الأُزُر

لكثير

وقال كثيِّر عزة :

١٥ أشمُّ من الغادين فى كلِّ حُلّةٍ * يميسون فى صِبْغ من العصْب مُتْقَنِ

لهم أُزُرٌ حُمْرُ الحواشى يَطونَها * بأقدامهم فى الحضْرَمىِّ الملسّنِ

لبعضهم

وقال آخر :

من النَّفَر الشُّمِّ الذين إذا اعتَزَوْا * وهابَ الرجالُ حلْقةَ الباب قَعْقَعوا

جَلا الإذفَرُ الأحوى من المسْكِ فَرْقَه * وطِيبُ الدِّهانِ رأسَه فهو أنزع

٢٠ إذا النَّفَرُ السُّودُ اليَمانونَ حاوَلوا * له حوْكَ بُرْدَيْه أرَقُّوا وأوْسَعوا

وقال آخر :

يُشبَّهونَ ملوكا فى مَحلّتهم * وطول أنضِية الأعناق واللِّمَمِ

إذا غدَا المسكُ يجرى فى مَفارقهم * راحوا كأنهمُ مَرْضَى من الكرم

وقال آخر فى علىّ بن داود الهاشمى :

أمّا أبوكَ فذاك الجودُ نعرفه * وأنت أشبه خلق الله بالجودِ
كأن ديباجتَىْ خدّيه من ذهبٍ * إذا تعصّبَ فى أثوابه السُّود

الرحلة والركوب

عمرو بن العاص ورجل

سمع عمرو بن العاص رجلا يقول : الرحلة قطعة من العذاب . فقال له : لم تحسن ، بل العذاب قطعة من الرحلة . ٥

هارون وزبيدة فى طريقها إلى مكة

ولما مشى هارون إلى مكة ومشت معه زبيدة ، كانت تُبْسَط الدرانك أمامهم وتُطوَى خلفهم ؛ فلما أعيا ، دعا بخادم له فألقى ذراعه عليه وتأوّه ، وقال : والله لركوب حمار منهوس خير من المشى على الدرانك .

قال الشاعر : ١٠

وما عن رضًى صار الحمارُ مطيّتى * ولكنّ مَن يمشى سيرضَى بما ركبْ

لأعرابى

وقال أعرابى :

ياليت لى نعلين من جلد الضبُعْ * كلّ الحذاء يَحتذى الحافى الوقِعْ

الخيـــل

قد مضى من قولنا فى وصف الخيل وفضائلها فى كتاب الحروب ماكفى من إعادتها هنا . ١٥

البغال

لمسلمة

قال مسلمة بن عبد الملك : ما ركب الناس مثل بغلة طويلة العنان ، قصيرة العذار ، سفواء العرف ، حصاء الذنب ، سوطها عنانها ، وهمها أمامها .

الفضل وهاشمى

وعاتب الفضل بن الربيع بعضَ الهاشميين فى ركوب بغلة ، فقال : هذا مركب ٢٠ تصاغر عن خُيَلاء الفَرس وارتفع عن ذلة الحمار ، وخيرُ الأمور أوساطها .

الحمير

الرقاشى — قيل للفضل الرقاشى : إنك لتُؤْثِرُ الحمير على سائر الدواب ! قال : لأنها أرفق وأوفق . قلت : ولم ذلك ؟ قال : لا يستدل بالمكان على طول الزمان ؛ ثم هى أقل داء ، وأيسر دواء ، وأخفض مهوى ، وأسلم صريعا ، وأقل جماحا ؛ وأشهر فارها ، وأقل تطيرا ؛ يزهى راكبه وقد تواضع بركوبه ، ويعد مقتصداً وقد أسرف فى ثمنه .

لجرير — وقال جرير بن عبد الله : لا تركبْ حمارا ؛ إن كان حديداً أتعبَ يديك ، وإن كان بليداً أتعبَ رجليك !

طباع الإنسان وسائر الحيوان

لعلماء الطب — زعم علماء الطب أن فى الجسد من الطبائع الأربع اثنى عشر رطلا : فللدم منها ستة أرطال ، وللمرّة الصفراء والسوداء والبلغم ستة أرطال ؛ فإن غلب الدم الثلاث طبائع تغير منه الوجه وورم ، ويخرج ذلك إلى الجذام ؛ وإن غلب الثلاث طبائع الدم أنبث المد ، فإذا خاف الإنسان غلبة هذه الطبائع بعضها بعضاً فليعدل جسده بالاقتصاد ، وينقيه بالمشى ؛ فإن لم يفعل اعتراه ما وصفنا ؟ إمّا جذام وإما مدّ . أسأل الله العافية .

ولا بأس بعلاج الجسد فى جميع الأزمان ، إلا فى النصف من تموز إلى النصف من آب ؛ فذلك ثلاثون يوما لا يصلح فيها علاج ، إلا أن ينزل مرضٌ لا بدّ من مداواته .

لجعفر بن محمد — جعفر بن محمد بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم قال : الغلام يشب كل سنة أربع أصابع .

فى التوراة — حدّثنى عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه ، أنه قرأ فى التوراة أن الله عز وجل حين خلق آدم ركب جسده من أربعة أشياء ،

ثم جعلها وراثة فى ولده تنمى فى أجسادهم وينمون عليها إلى يوم القيامة : رطب ويابس ، وسخن ، وبارد ؛ قال : وذلك أنى خلقتُه من تراب وماء ، وجعلت فيه نفسا [ورُوحا] ؛ فيُبُوسة كل جسد من قِبل التراب ، ورطوبتُه من قِبل الماء ، وحرارته من قبل النفس ، وبرودته من قبل الروح ؛ ثم خلقت للجسد بعد هذا الخلقِ الأولِ أربعةَ أنواع أخر ، وهى مِلاك الجسد وقوامُه بإذنى ، لا يقوم الجسد ٥
إلا بهن ، ولا تقوم واحـده إلا بالأخرى : المرّة السوداء ، والمرة الصفراء ، والدم الرطب الحار ، والبلغم البارد ؛ ثم أسكنتُ بعض هـذا الخلق فى بعض ، فجعلت مسكن اليبوسة فى المرة السوداء ، ومسكن الرطوبة فى الدم ، ومسكن البرودة فى البلغم ، ومسكن الحرارة فى المرة الصفراء ؛ فأيمـا جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع وكانت كل واحدة فيه وفقا لا تزيد ولا تنقص ، كملت صحته ، ١٠
واعتدلت بنيته ؛ وإن زادت واحـدة منهن غلبتهن وقهرتهن ومالت بهن ، ودخل على أخواتها السقم من ناحيتها بقدر ما زادت ؛ وإن كانت ناقصة عنهن ؛ مِلْن بها وعَلَوْنها وأدخلن عليها السقم من نواحيهن ، لقلتها عنهن حتى تضعف عن طاقتهن وتعجز عن مقاومتهن .

لابن منبه — قال وهب بن منبه : وجعل عقله فى دماغه ، وشرهه فى كليته ، وغضبه فى ١٥
كبده ، وصرامته فى قلبه ، ورعبه فى رئته ، وضحكه فى طحاله ، وحزنه وفرحه فى وجهه ؛ وجعل فيه ثلثمائة وستين مَفصلا .

للأصمعى — الأصمعى : من لم يخفّ شعره قبل الثلاثين لم يصلح أبدا ومن لم يحمل اللحم قبل الثلاثين لم يحمله أبدا .

للنبى صلى الله عليه وسلم — حدث زيد بن أخزم قال : حدثنى بشر بن عمر عن أبى الزناد [عن أبيه] عن ٢٠
الأعرج عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : «كل ابن آدم تأكل الأرضُ إلا عَجْبَ الذنب ، ومنه خُلق ومنه يُركّب» .

وقالت الحكماء : الخنث يعترى الأعراب والأكراد والزنج والمجانين وكل

صنف ، إلا الخصيان ؛ فإنه لا يكون خصى مخنثا .

وقالوا : كل ذى ريح منتنة وذفر كالتيس وما أشبهه ، إذا خصى نقص ريحه وذهب صُنانه ، غير الإنسان ، فإنه إذا خصى زاد نتنه واشتد صنانه وخبث عرقه وريحه .

٥ قالوا : وكل شىء من الحيوان يخصّى فإن عظمه يرق ، وإذا رق عظمه استرخى لحمه ، إلا الإنسان ؛ فإنه إذا خُصى طال عظمه وعرُض .

وقالوا : الخصى والمرأة لا يَصلعان أبدا ، والخصى تطول قدمه وتعظم .

وبلغنى أنه كان لمحمد بن الجهم برذون رقيق الحافر ، فخصاه ؛ فجاد حافره وحسُن .

١٠ قالوا : والخصى تلين معاقد عصبه وتسترخى ، ويعتريه الاعوجاج والفدَع فى أصابعه ، وتسرع دمْعَتُه ، ويتخدّد جلده ، ويسرع غضبه ورضاه ، ويضيق صدره عن كتمان السر .

وزعم قوم أن أعمارَهم تطول لترك الجماع كما تطول أعمارُ البغال .

وقالوا : إن قلة أعمار العصافير من كثرة الجماع .

١٥ وقالوا : فى الغلمان من لا يحتلم أبدا ، وفى النساء من لا تحيض أبدا ؛ وذلك عيب .

ومن الناس من لا يسقط ثَغْرُهُ ولا يستبدل منه ، منهم عبد الصمد بن على ، ذكروا أنه دخل قبره برَواضعه !

وقالوا الضبُّ والخنزير لا يلقيان من أسنانهما أبدا .

٢٠ وقالت الحكماء : إنه ليس شىء من الحيوان يستطيع أن ينظر إلى أديم السماء غير الإنسان ، كرمه الله بذلك .

وقالوا : إن الجنين يغتذى بدم الحيض يسيل إليه من قبل السرة ؛ ولذلك

لا تحيض الحوامل إلا القليل . وقد رأينا من الحوامل من تحيض ؛ وذلك لكثرة الدم . وتقول العرب : حملت المرأة سهوا ؛ إذا حاضت عليه . وقال الهذلى :

ومُبَرَّإٍ من كلّ غُبَّر حَيْضَة * وفسادِ مُرْضِعةٍ وداءِ مُغْيِل

يعنى أنها لم تر عليه دمَ حيض فى حملها به . ٥

قالوا : فإذا خرج الولد من الرحم دفعت الطبيعة ذلك الدم الذى كان الجنين يغتذيه إلى الثديين ؛ وهما عضوان ناهدان عصبيان يصيّرانه لبنا خالصا سائغا للشاربين .

وقالوا : يعيش الإنسان حيث تعيش النار ، ويتلف حيث لاتبقى النار

وأصحاب المعادن والحفائر إذا هجموا على نفَقٍ فى بطن الأرض أو مغارة ١٠ قدموا شمعة فى طرف قَناة ، فإن عاشت النار وثبتت دخلوا فى طلبها ، وإلا أمسكوا .

العرب — والعرب تتشاءم ببِكر ولدِ الرجل إذا كان ذكرا . وكان قيس بن زهير أزرقَ بِكرا ابن بكرين .

لعبد الله بن حارث — وحدث محمد بن عائشة عن حماد عن قتادة عن عبد الله بن حارث بن نوفل، ١٥ قال : بكرُ البِكرين شيطان مخلَّد لا يموت إلى يوم القيامة . يعنى من الشياطين .

لبعضهم — قالوا : وابن المذكَّرة من النساء والمؤنثِ من الرجال أخبثُ ما يكون ، لأنه يأخذ بأخبث خصال أبيه وخصال أمه .

لعمرو بن معديكرب — والعرب تَذْكُرُ أن الغَيرى لا تُنْجِبُ : وقال عمرو بن معديكرب :

ألستَ تصيرُ إذا ما نُسبْ * ـتَ بين المُغارةِ والأحمقِ ٢٠

للحكماء — قالت الحكماء : كل امرأة أو دابة تبطئ عن الحمل ، إن واقعها الفحل فى الأيام التى يجرى فيها الماء فى العود فإنها تحمل بإذن الله .

وقالت الحكماء : الزنج شِرار الخلق وأردؤهم تركيبا ، لأن بلادهم سخنت

جدا فأحرقتهم فى الأرحام ، وكذلك من بردت بلاده فلم تُنضِجْه الرحم ؛ وإنما فضل أهل بابل لعلة الاعتدال ؛ والشمس هى التى شَيَّطت شعور الزنج فقبّضتها ؛ والشعر إن أدنيته من النار تقبّض ، فإن زدته شيئا تفلفل ، فإن زدته احترق . .

٥ وقالوا : أطيب الأمم أفواها الزنج وإن لم تستنّ ، وذلك لرطوبة أفواهها وكثرة الريق فيها ؛ وكذلك الكلاب من سائر الحيوان أطيبها أفواها ، لكثرة الماء فيها ، وخلُوفُ فمِ الصائم يكون لقلة الريق ، وكذلك الخلوف فى آخر الليل .

وقالت الحكماء أيضا : كل الحيوان إذا ألقى فى الماء سبَحَ ، إلا الإنسان والقرد والفرس الأعسر ، فإن هذه تغرق ولا تسبح .

١٠ قالوا : وليس فى الأرض هارب من حرب أو غيرها يستعمل الحُضر إلا أخذ على يساره ؛ ولذلك قالوا : : فمال على وحشيِّه ، وأنحى على شؤمى يديه .

وقالوا : كل ذى عين من ذوات الأربع ، السباع والبهائم الوحشية والإنسية فإنما الأشفار منها بجفنها الأعلى ، إلا الإنسان ، فإن الأشفار - يعنى الهدب - بجفنيه معا : الأعلى والأسفل .

١٥ وقالوا : كل جلد ينسلخ إلا [جلد] الإنسان ، فإن جلده لا ينسلخ .

عمر بين رجلين فى غلام

وحدث أبو حاتم عن الأصمعى قال : اختصم رجلان إلى عمر رضى الله عنه فى غلام ، كلاهما يدّعيه ؛ فسأل عمر أمّه ؛ فقالت : غشينى أحدهما ثم هرَقْتُ دما ثم غشينى الآخر . فدعا عمر بالرجلين فسألهما ، فقال أحدهما : أعْلَنْ أم أسرّ ؟ قال : أسِرّ . قال : اشتركا فيه ! فضربه عمر حتى اضطجع : ثم سأل الآخر ،

٢٠ فقال مثل ذلك ؛ فقال عمر : ماكنت أرى مثل هذا يكون ، ولقد علمتُ أن الكلبةَ يَسفدُها الكلابُ ؛ فتؤدى إلى كل كلب نجله .

ورُكَب الناس فى أرجلهم ، وركب ذوات الأربع فى أيديها ؛ وكل طائر كفه [فى] رجله .

عن ابن عجلان

الليث بن سعد عن ابن عجلان ، أن امرأته حملت [له مرة] ، فأقامت حاملا خمس سنين ثم ولدت ، وحملت له مرة أخرى فأقامت حاملا ثلاث سنين ثم ولدت

ولد الضحاك

وولد الضحّاك بن مزاحم وهو ابن ثلاثة عشرة شهرا .

٥ وقال جُوَيبر : وُلد الضحاك لسنتين ، [وولِد] شعبة لسنتين .

ما نقص من خلقة الحيوان

حدث أبو حاتم عن أبى عبيدة والأصمعى وأبو زيد قالوا : الفرس لا طِحال له ، والبعير لا مرارة له ، والظليم لا مخ له .

لزهير

وقال زهير :

١٠ [كأن الرَّحلَ منها فوق صَعْلٍ] * من الظِّلْمـان جُؤجُؤه هواء

وكذلك طير الماء والحيتان لا ألسنة لها ، ولا أدمغة لها ؛ وصَفن البعير لا بيضة فيه ، والسمكة لا رئة لها ، و [لذلك] لا تتنفس ، وكل ذى رئة يتنفس .

المشتركات من الحيوان

١٥ الراعى بين الورَشان والحمامة . والجوامز من الإبل بين السِراب والفوالج . والحمير الأخدرية من الأخدر ـ فرس كان لأردشير كسرى ، توحش واجتمع بعانات حمير فضرب فيها ـ وأعمارها كأعمار الخيل . والزرافة بين الناقة من نوق الحبش وبين البقرة الوحشية وبين الضِّبعان ، واسمها أشْتُرْ كاوْبَلَنْكَ ، [أى بين الجمل والكركند] ، وذلك أن الضِّبعان ببلاد ٢٠ الحبشة يَسْفِد الناقة فتجىء بولد خَلقه بين خلق الناقة والضبعان ، فإن كان ولدُ الناقة ذكراً عرَض للمَهاة فألقحها زَرافة ، وسُميت زرافة لأنها جماعة وهى واحدة كأنها جمل وبقرة وضبع ؛ والزرافة فى كلام العرب : الجماعة . وقال

صاحب المنطق : الكلاب تسفدها الذئاب فى أرض سَلوق ، فيكون منها الكلاب السَّلوقية .

الأنعام

للنبى صلى الله عليه وسلم

حدّث يزيد بن عمرو عن عبد العزيز الباهلى عن الأسود بن عبد الرحمن عن
٥ أبيه عن جدّه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما خَلق الله دابة أكرم من النعجة . وذلك أنه ستر حَياها دون حيا غيرها .

لأبان بن عمر

وحدّث أبو حاتم عن الأصمعى عن أبان بن عمر قال : كان لنا جمل يعرف كشح الحامل من غير أن يشمّها .

لابنة الخس

وقيل لابنة الُخسّ : ما تقولين فى مائة من المعز ؟ قالت : قِنى . قيل : فمائة
١٠ من الضأن ؟ قالت : غِنى ؟ قيل : فمائة من الإبل ؟ قالت : مُنى .

والعرب تضرب المثل فى الصّرد بالمعزى ، فتقول : أصْرد من عنز جَرباء .

لدغفل فى بنى مخزوم

سئل دَغفل العلامة عن بنى مخزوم ، فقال : مِعزى مَطيرة ، عليها قُشعريرة ، إلا بنى المغيرة ؛ فإن فيهم تشادُق الكلام ، ومصاهرة الكرام .

ومما تقوله الأعراب على ألسنة البهائم : تقول المعزى : الاستُ جَهْوَى ،
١٥ والذنَب ألوَى ، والجلد رُقاق ، والشعر دُقاق .

والضأن تضع مرة فى السنة ، وتُفرِد ولا تتئم ، والماعز قد تلد مرتين فى السنة وتضع الثلاثة وأكثر وأقل .

والنماء والعدد والبركة فى الضأن ؛ ونحو هذا الخنازير ؛ ربما تضع الأنثى عشرين خنزيرا ، ولا نماء فيها ولا بركة .

٢٠ ويقال : الجواميس ضأن البقر ، والبُخت ضأن الإبل ، والبراذين ضأن الخيل ، والجرذان ضأن الفأر ، والدُّلدُل ضأن القنافذ ، والنمل ضأن الذّر .

للأطباء

وتقول الأطباء فى لحم المعز : إنه يورث الهم ، ويحرّك السوداء ، ويورث

النسيان ، ويخبّل الأولاد ، ويفسد الدم ؛ ولحم الضأن يضرُّ بمن يُصرَع من المرة إضراراً شديدا ، حتى يصرعهم فى غير أوان الصرع : [وأوان الصرع] الأهلّة وأنصاف الشهور ؛ وهذان الوقتان هما وقت مدّ البحر وزيادة الماء ؛ ولزيادة القمر إلى أن يصير بدراً أثر بيّن فى زيادة الدماغ والدم وجميع الرطوبات ؛ قال الشاعر : ٥

كأن القومَ عُشُّوا لحمَ ضأنٍ ٭ فهم يَعجُونَ قد مالت طُلاهُمْ

وفى الماعز أيضا : إنها ترضع من خِلفها وهى محفَّلة حتى تأتى على كل ما فى ضرعها ؛ وقال ابن أحمر :

إنى وجدتُ بنى أعْيا وجامِلَهم ٭ كالعنز تعطِف روْقَيْها فترتضِعُ

١٠ وإذا رعت الماعزة فى فضل نبت ما تأكله الضائنة ، ولم ينبت ما تأكله الماعزة ، لأن الضائنة تقرضه بأسنانها والماعزة تقلعه وتجذبه من أصله . وإذا حملت الماعزة أنزلت اللبن فى أوّل الحمل إلى الضرع ، والضائنة لا تُنزل اللبن إلا عند الولادة ؛ ولذلك تقول العرب : رمَّدَت المعزى فرنّق رنّق ؛ ورمَّدت الضأن فربِّق ربِّق .

١٥ وذكور كل شىء أحسن من إناثه ، إلا التيوس ؛ فإن الصَّفايا أحسن منها .

وأصواتُ ذكور كلّ شىء أجهر وأغلظ ، إلا إناث البقر ؛ فإنها أجهر أصواتاً من ذكورها .

الروم وقرأت فى كتاب للروم : إذا أردت أن تعرف ما لون جنين النعجة ، فانظر إلى لسانها ، فإن الجنين يكون على لونه .

٢٠ وقرأت فيه : إن الإبل تتحامى أمهاتِها [وأخواتها] فلا تسفدها .

وقالوا : كل ثور أفطس ، وكل بعير أعلم ، وكل ذباب أقرح .

وقالوا : البعير إذا صعب وخافوه استعانوا عليه حتى يبرك ويُعقل ، ثم يركبه فحل آخر فيذل ؛ وقد يُفعل ذلك بالثور .

لبعض القصاص وقال بعض القُصاص : مما فضل الله به الكبش أن جعله مستور العورة من قُبل ومن دُبر ، ومما أهان به التيس أن جعله مهتوك الستر مكشوفَ القُبل والدبر .

وفى مناجاة عزير : اللهم إنك اخترت من الأنعام الضائنة ، ومن الطير الحمامة ، ومن النبات الحبة ، ومن البيوت مكة وإيلياء ، ومن إيلياء بيت المقدس .

وفى الحديث : « إن الغنم إذا أقبلت أقبلت ، وإذا أدبرت أقبلت ؛ والإبل إذا أدبرت أدبرت ، وإذا أقبلت أدبرت ، ولا يأتى نفعها إلا من جانبها الأشأم » .

والأقط قد يكون من المعزى . قال آمرؤ القيس :

لنا غَنَمٌ نُسوِّقها غِزار * كأن قرون جِلَّتها عِصِىُّ
فتملأُ بيتَنا أقطا وسمْنا * وحسبُك من غِنًى شِبَعٌ ورِىُّ

النعام

قالوا فى الظليم : إن الصيف إذا أقبل وابتدأ البُسر بالحمرة ابتدأ لون وظيفيْه [بالحمرة ، ولا يزالان يتلوّنان ويزدادان حمرة] إلى أن تنتهى حمرة البُسرة ولذلك قيل له : خاضب ؛ وللنعام : خواضب .

وفى الظليم : إن كل ذى رجلين إذا انكسرت إحدى رجليه نهض على الأخرى ، والظليم إذا انكسرت إحدى رجليه جَثَم ؛ ولذا قال الشاعر فى نفسه وأخيه :

[فإنى وإياه كرِجْلَىْ نعامةٍ * على ما بِنا من ذى غِنًى وفقيرِ

يقول : لا غِنى بواحدٍ منا عن الآخر .

وقال آخر] :

إذا انكسرتْ رجلُ النعامة لم تجد * على أُختها نَهضاً ولا دونَها صبرا

قالوا : وعلة ذلك أنه لا مخ فى عظمه ، وكل عظم كُسر يُجبر ، إلا عظما لا مخ فيه .

والظليم يغتذى المَرْوَ والصخر فتذيبه قانصتُه بطبعها حتى يصير كالماء .

وفى النعامة : إنها أخذت من البعير المنسمَ والوظيف والعنق والخِزامة ، ومن الطير الريشَ والجناحين والمِنقار ؛ فهى لا بعير ولا طائر . ٥

لأحيمر السعدى

وقال الأحيمر السعدى : كنت ممن خلعنى قومى وأطلّ السلطان دمى وهربت وتردّدت فى البوادى ، حتى ظننتُ أنى قد جزت نخلَ وبار أوقريب منه ، وذلك أنى كنت أرى النوى فى رجْع الذئاب ، وكنت أغشى الذئاب وغيرها من بهائم الوحش ولا تنفر منى ، لأنها لم تر أحداً قبلى ، وكنت أمشى إلى الظبى السمين فآخذه [وعلى ذلك رأيتُ جميع تلك الوحوش] إلا النعام ، فإنى لم أره قط إلا نافراً فزِعا . ١٠

الطـــير

من دعاء داود عليه السلام

بلغنى عن مكحول أنه قال : كان من دعاء داود النبى عليه السلام : يا رازق النّعّاب فى عُشه . وذلك أن الغراب إذا فقس عن فراخه خرجت بيضاء ، فإذا رآها كذلك نفر عنها ؛ وتفتح أفواهها فيرسل الله ذبابا يدخل فى أفواهها فيكون ذلك غذاءها حتى تسود ، فإذا اسودّت عاد الغراب إليها فغذاها ورفع الله الذباب عنها ! ١٥

الرياشى

وقال الرياشى : ليس شىء تغيب أذناه من جميع الحيوان إلا وهو يبيض ، وليس شىء تظهر أذناه إلا وهو يلد . قال : وهذا يروَى عن علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه . ٢٠

للنبى صلى الله عليه وسلم

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أربعة من الطير : الصُرَد ، والهدهد ، والذرّة ، والنحلة .

لبعضهم وقالوا : الطير ثلاثة أضرب : بهائم الطير ، وهو مالقط الحبوب والبزور ؛ وسباع الطير ، وهى التى تتغذى باللحم ؛ والمشترك ، وهو مثل العصفور ؛ يشارك بهائم الطير فى أنه ليس بذى مخلب ولا منسر ، وإذا سقط العصفور على عود قدم أصابعه الثلاثَ وأخّر الدابرة ، وسباع الطير تقدم أُصبعين وتؤخر أصبعين
٥ ويشارك سباع الطير بأنه يُلقِم فراخه ولا يزقّها ، وأنه يأكل اللحم ويصطاد الجراد والنمل .

قالوا : والعصفور شديد الوطء ، والفيل خفيف الوطء .

لصاحب الفلاحة وقال صاحب الفلاحة : العُقاب والحدأة يتبدّلان ، فيصير العقاب حدأة والحدأة عقابا ؛ والأرانب تتبدل فتصير الأنثى ذكراً والذكر أنثى ؛ وذكر الغربان
١٠ لايحضن ، وكذلك ذكر الإوز وذكر الدجاج .

لكعب الأحبار وقال كعب الأحبار : ماذهب طائر فى السماء قط أكثر من اثنى عشر ميلا .

ومن حديث سفيان الثورى عن أنس بن مالك ، قال : عمر الذباب أربعون يوما ، والبعوضة ثلاثة أيام ، والبرغوث خمسة أيام .

قال : والحمام تعجب بالكُمُّون وتألف الموضع الذى يكون فيه ، وكذلك
١٥ العدس ، ولا سيما إذا نقع فى عصير حلو ، ومما يصلحن عليه ويكثرن أن تدخّن بيوتُهن بالعِلك ؛ وأيمن مواضعها وأصلحها أن يُبنى لها بيت على أساطين خشب ويُجعَل فيه ثلاثُ كُوًى : كوة فى سمك البيت ، وكوة من قبل المغرب ، وكوة من قِبل المشرق ، وباب من قبل الجنوب .

قال : والسذاب إذا أُلقى فى اللبن تحامته السنانير البرية .

٢٠ هشام بن محمد قال : حدثنى ابن الكلبى قال : أسماء نساء بنى نوح صلى الله عليه وسلم إذا كُتبن فى زوايا بيت البرج سلمت الفراخ ونمت وسلمت من الآفات قال هشام : جربته أنا وغيرى فوجدناه كما قال . واسم امرأة سام بن نوح : محلت محم ، واسم امرأة حام : نف نسا ، واسم امرأة يافث : فالو .

والطير الذى يخرج من وكره بالليل ، البومة والصدى والهامة والضوَع

والوطواط والخفاش وغراب الليل .

قالوا : وإذا خرج فرخ الحمامة نفخ أبواه فى حلقه ، لتتسع الحوصلة بعد التحامها وتنفتق ؛ فإذا اتسعت زَقّاه عند ذلك اللعاب ، [ثم زقاه صاروج صروح الحيطان ليدبغا به الحوصلة] ، ثم زقاه بعد ذلك الحب .

المثنى بن زهير

قال المثنى بن زهير : لم أر شيئاً قط فى رجل أو امرأة إلا رأيته فى الحمام : ٥ رأيت حمامة لا تريد إلا ذكرها ، وذكرا لا يريد إلا أنثاه ، إلا أن يهلك أحدهما أو يفقد ؛ ورأيت حمامة لا تمنع شيئا من الذكور ، ورأيت حمامة لا تُقمَط إلا بعد شدة الطلب ، ورأيت حمامة تتزين للذكر ساعةَ يريدها ، ورأيت حمامة تَقمط الذكر ، ورأيت ذكرا يقمط كل ما لقى ولا يزاوج ، ورأيت ذكرا له أنثيان يحضن مع هذه وهذه . [ويزُقّ مع هذه وهذه] ١٠

قالوا : ومن عجائب الخفاش أنه لا يبصر فى الضوء الشديد ولا فى الظلمة الشديدة وتحبل [الأنثى] وتلد وتحيض وترضع ، وتطير بلا ريش ، وتحمل ولدها تحت جناحها ، وربما قبضت عليه بفيها ، وربما ولدت وهى تطير ؛ ولها أذنان وأسنان وجناحان متصلان برجليها .

قالوا : والخطاف يتبع الربيع حيث كان ، و تقلَع إحدى عينيه فترجع . ١٥

البيض

قالوا : والبيض يكون من أربعة أشياء : منه ما يكون من السفاد ، ومنه ما يكون من التراب ، ومنه ما يكون من نسيم ريح يصل إلى أرحامها ، ومنه شىء يعترى الحَجَلَ وما شاكله فى الطبيعة : فربما كانت الأنثى [منه] على سُفالة الريح التى تهب [من شِق الذكَر] فى بعض الزمان فتحتشى لذلك بيضا ، وكذلك ٢٠ النخلة التى تكون [بجنب] الفحّال وتحت ريحه فتلقم تلك الرائحة وتكتفى بذلك ؛ والدجاجة إذا هرمت لم يكن لبيضها مُحٌّ وإذا لم يكن لها مُح لم يكن لبيضها فرخ ، لأن الفرخ يخلق من بياض البيض وغذاؤه الصفرة .

السباع

يقال : إنه ليس فى السباع أطيبُ أفواها من الكلاب ، ولا فى الوحش أطيب أفواها من الظباء . ويقال : ليس [شىء] أشد بخراً من الأسد والصقر ، ولا فى السباع أسبح من كلب ؛ وليس فى الأرض فحل من سائر الحيوان لذكره حجم إلا الإنسان والكلب ؛ والأسد لا يأكل الحاذق ولا الحامض ، ولا يدنو من النار ؛ وكذلك أكثر السباع .

وتقول الروم : الأسد يُذعَر لصوت الذئب ؛ ولا يدنو من المرأة الطامث والأسد إذا بال شغر كما يشغر الكلب وهو قليل الشرب ونجْوُه كنجو الكلب ؛ ودواء عضته كدواء عضة الكلب .

قالوا : والعيون التى تضىء بالليل : عيون الأُسْد والنمور والأفاعى والسنانير وقالوا : ثلاثة من الحيوان ترجع فى قيئها : الأسد والكلب والسِّنَّور .

وقالوا : تمام حمل الكلبة ستون يوما ، فإن وضعت قبل ذلك لم تكد أولادها تعيش ؛ وإناث الكلاب تحيض كل سبعة أيام يوما ، وعلامة ذلك أن يَرِمَ ثفر الكلبة ، ولا تريد السفاد فى ذلك الوقت ، وذكور السلوقية تعيش عشرين سنة ، وتعيش إناثها اثنتى عشرة سنة ؛ وليس يُلقى الكلب من أسنانه إلا النابين ؛ والذئاب تسفد والكلاب فى أرض سلوق ، فتكون منها الكلاب السلوقية ؛ والكلب من الحيوان يحتلم كما يحتلم الإنسان .

وقالوا فى طبع الذئب محبة الدم : ويبلغ بطبعه أن يرى ذئبا مثله قد دمى ، فيثب عليه فيمزقه ؛ قال الشاعر :

وكُنتَ كذِئبِ السوء لَمَّا رأى دَماً * بصاحِبِهِ يوْماً أحالَ على الدَّمِ

ويقولون : ربما ينام الذئب بإحدى عينيه ويفتح الأخرى ؛ قال حُميد ابن ثور :

يَنامُ بإحْدَى مُقلتَيْهِ ويَتَّقى * بأخرَى الأعادى فهْو يَقْظانُ نائمُ

قالوا : والذئب أشد السباع مطالبة ، وإذا عجز عوى عواء استغاثة فتسامعت به الذئاب فأقبلت حتى تجتمع على الإنسان أو غيره فتأكله ؛ وليس شئ من السباع يفعل ذلك غيرها .

وقضيب الذكر من الأرانب [ربما كان] من عظم ، وكذلك قضيب الثعلب والأرنب تنام مفتوحة العين . ٥

وليس لشيء من ذكر الحيوان ثدى فى صدره إلا الإنسان والفيل ، ولسان الفيل مقلوب طرفه إلى داخل ، وزعمت الهند أن نابى الفيل [هما] قرناه ؛ يخرجان مستبطنين حتى يخرقا الحنك ويخرجان منكسين .

وقال صاحب المنطق : ظهر فيل عاش أربعمائة سنة . وحدثنى شيخ لنا عن الزيادى قال : رأيت فيلا أيام أبى جعفر قيل إنه سجد لسابور ذى الأكتاف ولأبى جعفر . والفيلة تضع فى سبع سنين . ١٠

الحيوان الذى لا يصلح إلا بأمير

الناس والفأر والغرانيق والكراكى والنحل والحشرات .

من ابن عمر — قتادة عن ابن عمر قال : الفأرة يهودية ، ولو سقيتها ألبان الإبل ماشربتها ، والفأر أصناف : منها الزَّباب ، وهو أصم لا يسمع ؛ والخلد ، وهو أعمى ؛ وتقول العرب هو أسرقُ من زَبابة وفأرة البيش ، والبيشُ سم قاتل ؛ ويقال : هو قرون السُّنْبُل ؛ وله فأرة تغتذيه لا تأكل غيره ؛ وفأرة المسك من غير هذا ، وفارة الإبل : أرواحها إذا عرقت . ١٥

قالوا : والأفعى إذا نفثت فى فيها حُمَّاض الأترج وأطبقت لحييها الأعلى على الأسفل لم تقتل بعضتها أياما . ٢٠

قالوا : الثوم والملح وبعر الغنم نافع جدا إذا وضع على موضع لسعة الحية .

والحيات تُقتل بريح السذاب والشيح ، وتعجب باللفاح والبسباس والبطيخ

والخردل والحرف واللبن والخمر .

وليس فى الأرض حيوان أصبر على الجوع من الحية ، ثم الضب بعدها ؛ وإذا هرمت الحية صغُر بدَنها ، وقنعت بالنسيم .

قالوا : وكل شىء يأكل فهو يحرك فكه الأسفل ، ماعدا التمساح ؛ فإنه يحرك ٥ فكه الأعلى .

وبمصر سمكة يقال لها الرعاد ، من اصطادها لم تزل يده ترعد مادامت فى شبكته .

والجُعَل إذا دفنته فى الورد سكنت حركته حتى تحسبه ميتا ، فإذا دفنته فى الروث تحركت ورجعت نفسه !

١٠ والبعير إذا ابتلع خنفساء قتلته إذا وصلت [إلى] جوفه حية .

والضب يُذبح ثم يمكث ليلة ، ثم يقرَّب من النار فيتحرك .

والأفعى تذبح فتبقى أياما تتحرك ، وإذا وطئها أحد نهشته ، ويقطع ثلثها الأسفل فتعيش وينبت ذلك المقطوع .

قالوا : وللضب ذكران ، وللضبة حِرَّان ، حكاه أبو حاتم عن الأصمعى ؛ ١٥ ويقال لذكره : النِّزك ، وأنشد :

سِبَحْلٌ له نِزكانِ كانا فضيلةً * على كل حافٍ فى البلادِ وناعِلِ

وسامٌّ أبرص لايدخل بيتا فيه زعفران .

ومن عضه كلبٌ كَلِب احتاج أن يستر وجهه من الذباب لئلا يسقط عليه .

وخرطوم الذباب يده ومنه يغَنى ، وفيه يجرى الصوت كما يجرى الزامر الصوت ٢٠ فى القصبة بالنفخ !

والسلحفاة إذا أكلت أفعى أكلت سَعْتَرا جبليا .

وابن عرس إذا قاتل الحية أكل السذاب .

والكلاب إذا كان فى أجوافها داء أكلت سنبل القمح .

والأيلُ إذا نهشته الحية أكل السراطين قال ابن ماسويه : فلذلك يظن أن السراطين صالحة لمن نهشته الحية .

قال صاحب المنطق : الحية إذا اشتكت كبدها من وقع الأرانب والثعالب تعالجت بأكل الكمأة حتى تبرأ .

وبعض الناس يعملون من الأوزاغ سما أنفذ من البيش ومن ريق الأفاعى . ٥

وإذا زرع فى نواحى الزرع خردل يجتنبه دَبَى الجراد .

وإذا أخذ المرداسَنج وخلط بعجين ثم طرح للفأر وأكل منه مات وكذلك برادة الحديد .

وإذا أخذ الأفيون والشونيز والبارزذ وقرون الأيل وبابونج وظلف من أظلاف العنز ، فخلط ذلك جميعا ، ثم يدق وينخل نخلا جيداً ويعجن بخل عتيق ١٠ ثم يقطع قطعا ، فيدخَّن بقطعة منه هربت الحيات والهوام والنمل والعقارب من ريحه .

والبعوض تهرب من دخان الكبريت والعلك .

وقالت الحكماء : لحم ابن عرس نافع من الصرع ، ولحم القنفذ نافع من الجذام والسل والشنج ووجع الكلى ؛ يجفف ويشوى ويطعمه العليل مطبوخا ويُضمد به المتشنج . ١٥

وعين الأفعى وعين الجراد لاتدوران .

وإنما تنسج من العناكب الأنثى من ساعة تولد .

والقمل يخلق فى الرءوس على لون الشعر إن كان أسود أو أبيض أو مصبوغا .

وأم حُبين لا تقيم بمكان تكون فيه السرفة ، وهى دويبَّة يضرب بها المثل فى ٢٠ الصنعة ، فيقال : أصنع من سُرْفة .

أبو حاتم عن الأصمعى قال : قال أبو بكر الهجرى : مامن شىء يضر إلا وفيه منفعة .

وقيل لبعض الأطباء إن فلانا يقول : إنما أنا مثل العقرب ، أضر ولا أنفع
فقال : ما أقل علمه بها ، إنها لتنفع إذا شق بطنها ووضعت على مكان اللدغة ،
وقد تجعل فى جوف فخار مسدود الرأس مطيّن الجوانب ، ثم يوضع الفخار فى
تنور ، فإذا صارت العقرب رماداً سُقى مِن ذلك الرماد مثل نصف دانق مَنْ
٥ به حصاة فتّتها من غير أن يضر سائر الأعضاء ، وقد تَلسع من به حُمى عتيقة
فتقلع عنه ، وقد تلسع المفلوج فيذهب عنه الفالج ، وقد تُلقى العقرب فى الدهن
وتترك فيه حتى يأخذ الدهن منها ويجتذب قواها ، فيكون ذلك الدهن مُفرّقا
للأورام الغليظة .

وقال المأمون : قال لى بختيشوع وسلمويه وابن ماسويه : إن الذباب إذا
١٠ دُلِكَ على [موضع] لسعة الزنبور سكنَ ألمها ؛ فلسعنى زنبور ، فحككت على
موضع لسعته عشرين ذبابة ؛ فما سكن إلا فى قدر الحين الذى يسكن فيه من غير
علاج ! فلم يبق فى يدى منهم إلا أن قالوا : كان هذا الزنبور حَتْفا ، ولولا هذا
العلاج له لقتلك .

وقال محمد بن الجهم : لا تتهاونوا بكثير مما ترون من علاج العجائز ، فإن
١٥ كثيرا منه وقع إليهن من قدماء الأطباء ؛ كالذباب يلقى فى الإثمد فيسحق معه ،
فيزيد فى نور البصر ، ويشد مراكز شعر الأجفان فى حافات الجفون .

قالوا : وللسع الأفاعى والحيات ينفع ورق الآس الرطب ، يُعصر ويسقى
من مائه قدر نصف رطل .

مصايد الطير

٢٠ قال صاحب الفلاحة : من أراد أن يحتال للطير والدجاج حتى يتحيرن
ويغشى عليهن فيصيدهن ، عمد إلى الحِلتيت . أذِبْه بالماء ثم اجعل فيه شيئا
من عسل ، وأنقع فيه بُرّاً يوما وليلة ، ثم ألقه إلى الطير ، فإذا لقطه تحير

وغشىَ عليه ، فلا يقدر على الطيران إلا أن يُسقى لبنا خالطه سمن . قال : وإن عُمد إلى طحين برّ غير منخول فعُجن بخمر ثم طُرح للطير والحجل فأكلن منه تحيرن وأخذنَ .

ومما يُصاد به الكراكىّ وغيرها من الطير ، أن يوضع لهنّ فى مواقعهن إناء فيه خمر ، ويجعل فيه خَربق أسود ، ويُنقع فيه شعير ، ثم يلقَى لهنّ ، فإذا أكلن منه أخذهنّ الصائد كيف شاء .

وقال غيره : تصاد العصافير بأيسر حيلة : تؤخذ شبكة فى صورة المحبرة [اليهودية المنكوسة] ، ويجعل فى جوفها عصفور ، فتنقضّ عليه العصافير وتدخل عليه ، فما دخل لم يقدر على الخروج ، فيصيد الرجل منها فى يومه ما شاء وهو وادع .

وقال : ويصاد طيرُ الماء الساكن بالقرعة ، وذلك أن تؤخذ قرعة يابسة صحيحة فيُرمى بها فى الماء ، فإنها تتحرك بتحرك ذلك الماء ، فإذا أبصرها الطير تتحرك فزع ، فإذا كثر ذلك عليه أنسَ حتى ربما سقط عليها ، ثم تؤخذ قرعة مثلها فيقطع رأسها ، ويفتق فيها موضع عينين ثم يدخل الصائد رأسه فيها ، ويدخل الماء ويمشى رويدا ، وكلما دنا من الطائر مد يده تحت الماء حتى يقبض عليه ويغمس يده به تحت الماء ويكسر جناحيه ، ويخلّيه فيبقى طافياً على الماء يسبح برجليه ولا يطيق الطيران ، وسائر الطير لا تنكر انغماسه فى الماء ، فإذا فرغ من صيد ما يريد رمى بالقرعة ثم التقطه وحمله .

مصايد السباع

السباع العاديَة تصاد بالزُّبَى والمغويات ، وهى آبار تحفر فى أنشاز الأرض ، ولذلك يقال : قد بلغ السيل الزبَى .

قال صاحب الفلاحة : ومما تصاد به السباع العادية ، أن يؤخذ سمك من سمك البحر الكبار السمان ، فتُقطع قطعا ، ثم تشرح وتكتل كتلا ، ثم توجج

نارٌ فى غائط من الأرض تقرب منه السباع ، ثم تُقذف تلك الكتل فيها واحدة بعد أخرى ، حتى ينتشر دخان تلك النار ، وقُتارُ تلك الكتل فى تلك الأرض ؛ ثم تُطرح حول تلك النار قطعٌ من لحم قد جُعل فيه الخربق الأسود والأفيون ، وتكون تلك النار فى موضع لا تُرى فيه حتى تُقبل تلك السباع ٥ لريح القتار وهى آمنة ، فتأكل من قطع ذلك اللحم ، ويُغشى عليها ، فيصيدها الكامنون لها كيف شاءوا .

تفاضل البلدان

لقتادة الأصمعى يرفعه إلى قتادة قال : الدنيا كلها أربعة وعشرون ألف فرسخ ، فبلد السودان منها أثنا عشر ألف فرسخ ، وبلد الروم ثمانية آلاف فرسخ ، وبلد ١٠ الفرس ثلاثة آلاف فرسخ ، وبلد العرب ألف .

للأصمعى الأصمعى قال : جزيرة العرب ما بين نجران إلى العُذيب .

وقال غيره : أرض العرب ما بين بحر القُلزم وبحر الهند .

قالوا : وسواد البصرة : الأهواز ، وفارس ؛ وسواد الكوفة : كسكر إلى الزاب إلى عمل حلوان إلى القادسية ؛ وهذه كلها من عمل العراق ؛ وعمل العراق ١٥ من هِيت إلى الصين والهند والسند ، ثم كذلك إلى الرى ، وخراسان كلها إلى بلد الديلم والجبال ؛ وأصفَهان سُرة العراق ، افتتحها أبو موسى الأشعرى ؛ والجزيرة ليست من عمل العراق ، وهى ما بين الدجلة والفرات ، والموصل من الجزيرة ، ومكة والمدينة [1] ومصر ليست من عمل العراق .

الأصمعى قال : البصرة كلها عثمانية ، والكوفة كلها علَوية ، والشام كلها ٢٠ أموية ، والجزيرة خارجية ، والحجاز سُنية ، وإنما صارت البصرة عثمانية من يوم الجمل ؛ إذ قاموا مع عائشة وطلحة والزبير ؛ فقتلهم على بن أبى طالب رضى الله عنه .

(١) فى عيون الأخبار : « ومكة من المدينة ومصر لا تدخل فى عمل العراق » .

وقيل لرجل من أهل البصرة : أتحب عليا ؟ قال : كيف أحبُّ رجلا قَتل من قومى من لدن كانت الشمس هكذا ... إلى أن صارت هكذا ... ثلاثين ألفا .

والكوفة علوية ، لأنها وطن على رضى الله عنه وداره .

والشام أموية ، لأنها مركز مُلك بنى أمية وبَيضتهم .

والجزيرة خارجية ، لأنها مسكن ربيعة ، وهى رأس كل فتنة ، وأكثرها نصارى وخوارج ، ومنازلهم الخابور ، وهو واد بالجزيرة .

لعلى بن أبى طالب

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لبنى تغلب : يا خنازيرَ العرب ! والله لئن صار هذا الأمر إلىّ لأضعنّ عليكم الجزية !

للرشيد

وقال هارون الرشيد ليزيد بن مزيد : ما أكثرَ الخلفاء فى ربيعة ! قال : بلى ، ولكنّ منابرَهم الجذوع !

لابن الخطاب

الأعمش عن سليم قال : ذكر عمر بن الخطاب الكوفة فقال : جمجمة العرب ، وكنز الإيمان ، ورمح الله فى الأرض ، ومادة الأمصار .

لعلى المدينى

على بن محمد المدينى قال : الكوفة جارية حسناء تصنَّعُ لزوجها ، فكلما رآها سَرته .

لمحمد بن عمير

وقال محمد بن عمير بن عطارد : الكوفة سفلت عن الشام ورُباها ، وارتفعت عن البصرة وعمقها ، فهى مريئة مَريعة ، عذبة ندية [1] ؛ وإذا أتتنا الشمال هبت على مسيرة شهر على مثل رَضراض الكافور ، وإذا هبت الجنوب جاءت بريح السواد ووره وياسمينه وأترُجّه ؛ فماؤها عذب ، وعيشها خصب .

لابن عياش

قال ابن عياش الهمدانى لأبى بكر الهذلى [يوم فاخره] عند أبى العباس ـ وذُكرت عنده الكوفة والبصرة ـ فقال : إنما مَثل الكوفة مثل اللهاة من البدن ، يأتيها الماء ببرْده وعذوبته ؛ ومثل البصرة مثل المثانة يأتيها الماء

(١) فى بعض الأصول : « مرية عذية برية » .

بعد تغيُّر وفساد .

الحجاج — وقال الحجاج : الكوفة بِكرٌ حسناء ، والبصرة عجوز بَخْراء أوتيتْ من كل حَلْي وزينة .

لجعفر بن سليمان — وقال جعفر بن سليمان : العراق عين الدنيا ، والبصرة عينُ العراق ، والمربد عين البصرة ، ودارِىُ عين المربد .

للأصمعي — وقال الأصمعي : تذاكروا عند زياد الكوفة والبصرة ، فقال زياد : لو أضللتُ البصرة لجعلت الكوفة لمن دلني عليها !

لحذيفة — وقال حذيفة : أهل البصرة لا يفتحون بابَ هُدًى ، ولا يُغْلِقون باب ضلالة ، وقد رُفع الطاعونُ عن جميع أهل الأرض إلا عن أهل البصرة !

أهل الكوفة — ومما نُقم على أهل الكوفة أنهم أغدر الناس : طعنوا الحسن بن على وانتهكوا عسكره ، وخذلوا الحسين بن على بعد أن استدعَوه حتى قُتل ، وشكوا سعد بن أبى وقاص إلى عمر بن الخطاب وزعموا أنه لا يحسن أن يصلى ، فدعا عليهم أن لا يرضيَهم اللهُ عن وال ولا يرضىَ والياً عنهم ، وقد دعا عليهم علىُّ بن أبى طالب فقال : اللهم آرِهِم بالغلام الثقفى - يعنى الحجاج ابن يوسف ، وشكوا عمار بن ياسر والمغيرةَ بن شعبة ، وطردوا سعيد بن العاص ، وخذلوا زيد بن علىّ ، وادعى النبوّة منهم غيرُ واحد ، منهم المختار بن أبى عبيد . وكتب المختار إلى الأحنف بلغنى أنكم تكذبونى وتكذبون رسلى ، وقد كذّبت الأنبياء من قبلى ، ولست بخير من كثير منهم !

لعبد الله بن عمر فى المختار — وقيل لعبد الله بن عمر : إن المختار يزعم أنه يُوحَى إليه ! قال : صدق ؛ الشياطين يوحون إلى أوليائهم .

سكينة وأهل الكوفة — ولما أرادت سكينة بنت الحسين بن على رضى الله عنهم الرحيلَ من الكوفة إلى المدينة بعد قتل زوجها المصعَب ، حف بها أهل الكوفة وقالوا : أحسن الله صحابتك يا ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقالت : لا جزاكم اللهُ خيراً من قوم ، ولا أحسن الخلافة عليكم ؛ قتلتمْ أبى ، وجدّى ، وأخى ، وعمى ،

وزوجي؛ أيتمتُموني صغيرة، وأيّمتموني كبيرة!

عبد الملك وأهل الكوفة

ولما دخل عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل المصعب، أقبل إليه جماعة فقال: مَن هؤلاء؟ قالوا أمراؤك أهل الكوفة. قال: قتلةُ عثمان! قالوا: نعم، وقتلة عليّ! قال: هذه بهذه.

ابن الكواء ومعاوية

قدم عبد الله بن الكواء على معاوية، فقال: أخبرني عن أهل البصرة. قال: يُقبِلون ويُدبِرون شتى. قال: فأخبِرني عن أهل الكوفة. قال: أنظَرُ الناس في صغيرة وأوقفُهم في كبيرة. قال: فأخبرني عن أهل المدينة. قال: أحرَصُ الناس على الفتنة وأعجزُهم عنها! قال فأخبرني عن أهل مصر. قال: لقمةُ آكل. قال: فأخبرني عن أهل الجزيرة. قال: كناسة بين حشّين، قال: فأخبرني عن أهل الشام. قال: جند أمير المؤمنين، ولا أقول فيهم شيئا! قال: لتقولن. قال: أطوع خلقِ الله لمخلوق، وأعصاهم للخالق، ولا يخشوْنَ في السماء ساكنا.

لقتادة

قتادة قال: قيست البصرة في زمن خالد بن عبد الله القسري، فوجدوا طولها فرسخين وعرضها فرسخين.

لابن شهاب

الأصمعي قال: قال ابن شهاب الزهري: من قدم أرضا فأخذ من ترابها فجعله في مائها ثم شربه، عوفي من وبائها.

للأصمعي

الأصمعي قال: دخلت الطائف فكأني كنت أبشر، وكأن قلبي ينضح بالسرور؛ وما أجد لذلك علة إلا انفساحَ جوها وطيب نسيمها.

لسليمان بن عبد الملك

ودخل سليمان بن عبد الملك الطائف فنظر إلى بيادر الزبيب، فقال: ما تلك الجرار السود؟ قيل له: ليست بجرار يا أمير المؤمنين، ولكنها بيادر الزبيب. قال: لله درُّ قسِيّ، في أي عش أودَعَ فراخه! يريد بقَسِيٍّ ثقيفا؛ كذلك كان اسمه.

الأصمعي قال: من أمثال العامة يقولون: حُمّى خيبر، وطِحال البحرين، ودماميل الجزيرة، وطواعين الشام.

الأصمعى قال : ذكروا أن على باب سمرقند مكتوب : بين هذه المدينة وبين صنعاء ألف فرسخ . قال الأصمعى : بين بغداد وأفريقية ألف فرسخ ، وبين البصرة والكوفة ثمانون فرسخا ، وواسط بينهما متوسطة ، فلذلك سميت واسط .

الشامات

٥

أول حد الشام من طريق مصر أج ، ثم غزة ، ثم الرملة رملة فلسطين ، ومدينتها العظمى فلسطين . وعسقلان ، وبها بيت المقدس ، وفلسطين هى الشام الأولى .

ثم الشام الثانية وهى الأردُنّ ، ومدينتها العظمى طَبَرِيّة ، وهى التى على شاطئ البحيرة ، والغَور واليرموك ، وبَيسان ، فيما بين فلسطين والأردن .

١٠

ثم الشام الثالثة الغُوطة ، ومدينتها العظمى دمشق ، ومن سواحلها طرابْلس

ثم الشام الرابعة ، وهى أرض حمص .

ثم الشام الخامسة وهى قِنّسرين ، ومدينتها العظمى حيث السلطان : حلب ، وبين قنسرين وحلب أربعة فراسخ ، وساحلها أنطاكية ، مدينة عظيمة على شاطئ البحر ، فى داخلها البساتين والأنهار والمزارع ، وهى مدينة حبيب النجار ، الذى جاء من أقصى المدينة يسعى ، وبها مسجد ينسب إلى حبيب النجار .

١٥

ومن ثغور الشام الخامسة : المَصّيصة ، وطرسوس ، ونهرا جَيحان وسَيحان .

الجزيرة

ثم الجزيرة ، وهى ما بين دجلة والفرات ، وبها نهران يقال لهما الخابور والبليخ ومخرجهما من رأس العين ، [وهى] مدينة عظيمة بالجزيرة فى داخلها عين هى عنصر الخابور والبليخ ، وعلى الخابور منازل ربيعة ، وأكثرها نصارى وخوارج ونصيبين من الجزيرة ، وهى مدينة عظيمة مطلة على جبل الجودِىّ . والموصل من

٢٠

الجزيرة أيضا . والرقة وحران من الجزيرة أيضا .

ومن ثغور الجزيرة فى جهة عمورية من أرض الروم : بطرة وملطية . وفى جوف الفرات جزائر فيها مدن يقال لها عانة وعانات ؛ وعلى شط الفرات مما يلى الجزيرة قرقيسيا ، ومما يلى الشام : الرّحبة ، رحبة مالك بن طوق .

العراقان

هما البصرة والكوفة ، وقد تقدم ذكرهما واختلاف الناس فيهما .

وفيها أحدثت خلفاء بنى هاشم بالعراق : الأنبار ، وهى مدينة أبى العباس ، أول من ولى الخلافة من بنى هشام ، ابتناها واتخذها دار خلافته ؛ ثم ولى أخوه أبو جعفر المنصور ، فانتقل إلى بغداد ، وهى مدينة السلام . وابتنى بها الكرخ فى جوف بغداد ، وهى دار خلافة بنى هاشم ، حتى قام المعتصم محمد بن هارون ، فانتقل منها إلى سامرّا ، وتفسير سامرا أن سام بن نوح عليه السلام بناها ، وإنما هو بالسريانية ، وهى دار الخلافة إلى الآن .

فارس

منها الأهواز ، مدينة عظيمة ، وبلدها واسع جدا ، وهى من سواد البصرة ؛ وتستر مدينة يعمل فيها التسترى ، وهى ملاحف ؛ ومدينة يقال لها جُور ، وإليها ينسب ماء الورد الجورى ؛ ومدينة يقال لها إصطخر ، بها تعمل الأكسية الإصطخرية الجياد السود ؛ ومدينة يقال لها السوس ، بها تعمل الثياب السوسية من الخز وغيره ؛ ومدينة يقال لها العسكر ، وإليها تنسب الثياب العسكرية ؛ ومدينة يقال لها الأفساهار ، وبها تعمل الأكسية الأفساهارية الجياد ؛ ومدينة يقال لها دستوا ، وبها تعمل الثياب الدستوائية ؛ ومدينة يقال لها الدسكرة ، دسكرة الملك كانت لكسرى ؛ ومدينة يقال لها حُلوان ، وهى أول الجبال من خراسان وآخر العراق .

خراسان

أول مدنها الرى ، وهى آخر الجبال من خراسان ، وإليها ينسب من الرجال الرازى ، ومن خراسان مرو ، وهى دار خلافة المأمون ، ومنها خرج أبو مسلم صاحب الدعوة ، ومَن ينسب إليها من الرجال ، يقال له مروزى ، ومن الثياب مروى ؛ ومدينة يقال لها قومَس ، وإليها تنسب الطيقان القومسية ؛ ومدينة يقال لها سابور ، بها ملك بنى طاهر ؛ ومدينة يقال لها هراة ، إليها ينسب الهرَوى من الرجال والمتاع ؛ ومدينة يقال لها بلخ ، وإليها ينسب البلخى ، وبها معادن البجادى العتيق ، وهو جنس من الفصوص تسميه العامة البزادى ؛ ومدينة يقال لها خوارزم ، وإليها ينسب الخوارزمى ، وهى على شط البحر المحيط ؛ وبلخ على شط النهر العظيم ، الذى يقال له جيحون بخراسان ، ثم جرجان ، وهى مدينة عظيمة على شط البحر المحيط ، وإليها ينسب الوشى الجرجانى والمتاع ، ثم قوهى ، وهى مدينة عظيمة إليها ينسب القوهى من الثياب : ثم كابُل ، وهى مدينة يؤتى منها بالإهليلج الكابُلىّ ، ثم سمرقند ، وهى مدينة عظيمة ، إليها ينسب السمرقندى من الثياب ، وبين بغداد وبينهما مسيرة ستة أشهر ، وهى مما يلى كرمان ، وهى على بطائح السند . وبلاد السند من آخر خراسان ، ما بين المغرب والمشرق من جهة القبلة ؛ وآخر مدن خراسان مدينة يقال لها تُبَّت ، وهى من أرض الترك وبها مجمع المسك ؛ ومدينة يقال لها فرمانة ، وأهلها جنس من العجم يقال لهم الصُّغد ، وهم الذين يقطعون آذانهم من الحزن إذا مات لهم كبير .

ومن المدن التى فى صدر خراسان على الجبال ، مدينة يقال لها قرْميسين ، ثم الدِّينَوَر ، وإليها ينسب الدينورى ؛ ومدينة همذان ، مدينة عظيمة ؛ وطبرستان مدينة عظيمة ، فيها تعمل الأكسية الطبرية ؛ ثم قُمّ ، وهى مدينة عظيمة ، منها يؤتى بالزعفران ؛ ثم أصبهان ، وهى مدينة عظيمة ؛ ثم طوس ، وهى من ثغور الجبال .

مصر

من ناحية الشام : الفسطاط ، وهى مدينة بها منبران ومسجدان ، يجمع فيهما العسكر حيث السلطان ؛ وعين شمس ، بها منبر ، وكانت مدينة فرعون ، وفيها بنيانه قائم ؛ والفرمان ، لها منبر ؛ والعريش الذى يقال له عريش مصر ، له منبر ، وهى آخر مصر وأول الشام .

ومن أسفل الأرض : بوصير ، لها منبر ؛ وتنيس ، لها منبر ، وإليها تنسب الثياب التنيسية ، وبها طراز للخليفة ؛ وشطا ، لها منبر ، وإليها ينسب الشطوى ؛ ودَبيق ، لها منبر ، وإليها ينسب الدبيقى من الثياب ؛ والإسكندرية ، لها منبر .

ومن ناحية الحجاز ، القُلزم ، لها منبر ؛ وأيلة ، لها منبر .

ومن ناحية الصعيد : القَيس [1] وإليها ينسب القيسى من الثياب ؛ والصَّفَن ، وإليها تنسب الأكسية الصفنية الحمر ؛ ودَلاَص ، لها منبر ، وهى مجمع سحرة مصر ؛ والفيوم ، مدينة لها منبر ، تؤدّى كل يوم ألف دينار ؛ وخلف ذلك قوص [2] وبها تكون معادن الذهب والجوهر والزبرجد .

صفة المسجد الحرام

صحنه كبير واسع ، ذرعُه طولا من باب بنى جمح إلى باب بنى هاشم الذى يقابل دار العباس بن عبد المطلب ، أربعمائة ذراع وأربع أذرع ؛ وذرعه عرضاً من باب الصفا إلى دار الندوة لاصقاً بوجه الكعبة الشرقى ، ثلثمائة ذراع وأربع أذرع ؛ وله ثلاث بلاطات محدقة به من جهاته كلها منتظم بعضها ببعض ، وهى داخلة فى الذرع الذى ذكرْت ، فوقها سماواتُها مُذْهبة ، وحافاتها على عمد رخام بيض ، عددها فى طوله من الشرق إلى الغرب مع وجه الصحن ؛ خمسون عمودا ، وفى عرضه ثلاثون عمودا ، بين كل عمودين مثل عشر أذرع ،

(١) فى بعض الأصول : « القس » .
(٢) فى بعض الأصول : « بوق » .

وجملة عمد المسجد أربعمائة وأربعة وثلاثون عموداً ، طولُ كل عمود منهما عشر أذرع ، ودَوره ثلاث أذرع ، والمذَهبة من رؤس العمد ثلثمائة وعشرون رأساً وسور المسجد كله من داخله مزخرف بالفسيفساء ، وأبوابه على عمد رخام مابين الأربعة إلى الثلاثة إلى الاثنين ، وهى ثلاثة وعشرون باباً لاغَلَق عليها ، يُصعد ٥ عليها فى عدةٍ من دَرج .

صفة الكعبة

وبيت الله الحرام بوسط المسجد ، كان ارتفاعه فى عهد إبراهيم عليه السلام فيما يقال — والله أعلم — تسع أذرع ، وطوله فى الأرض ثلاثون ذراعا وعرضه اثنتان وعشرون ذراعا ؛ وكان له ثلاثة سقوف ؛ ثم بنتْه قريش فى ١٠ الجاهلية فاقتصرت على قواعد إبراهيم ، ورفعته ثمانى عشرة ذراعاً ، ونقصت من طوله فى الأرض ستَّ أذرع وشبراً تركتْه فى الحجر ، فلما هدمه ابن الزبير ردَّه على قواعد إبراهيم ورفعه سبعاً وعشرين ذراعا ، وفتح له بابين : بابا إلى الشرق ، وبابا إلى الغرب ، يدخل على الشرقى ويخرج على الغربى ، فكان كذلك حتى قُتل ، فلما تغلب الحجاج على مكة استأذن عبدَ الملك بن مروان فى هدم ١٥ ماكان ابن الزبير زاده من الحجر فى الكعبة ، فأذن له ، فردّه على قواعد قريش وسدّ الباب الغربى ولم ينقص من ارتفاعه شيئا .

فذرْع وجهِه القبلى اليوم من الركن الأسود إلى الركن اليمانى ، عشرون ذراعاً ؛ ووجهه الجنوبى من الركن العراقى إلى الركن الشامى — وهو الذى يلى الحجر — إحدى وعشرون ذراعا ؛ ووجهه الشرقى من الركن العراقى إلى الركن ٢٠ الذى فيه الحجر الأسود ، خمس وعشرون ذراعا ؛ ووجهه الغربى من الركن اليمانى إلى الركن الشامى ، خمس وعشرون ذراعا

وحول البيت — كله إلا موضعَ الركن الأسود — درجة مجصصة يكون ارتفاعها عظم الذراع فى عرض مثله ، وقاية للبيت من السيل ؛ وباب البيت فى

وجهه الشرقى على قدر القامة من الأرض ، طوله ست أذرع وعشر أصابع ، وعرضه ثلاث أذرع وثمان عشرة إصبعا ، والباب من ساج ، غِلظ كل باب ثلاثُ أصابع ، ظاهرها مُلبس بالذهب ، وباطنها بالفضة ، فى كل باب ستُّ عوارض ، ولها عروتان يضرب فيهما قُفلٌ من ذهب .

وحواجبه كلها مذهبة ماعدا الحاجب الأيمن ؛ فإن العلَوىَّ الثائر لما تغلب على مكة قلع ذهبه فتُرك على حاله ؛ وتحت العتبة العليا عتبة مذهبة ، والبابان من ورائهما ، والعتبة السفلى مستورة بالديباج إلى الأرض ، وبين الركن الأسود والباب خمس أذرع أو نحوها ، وهو الملتَزَم فيما يُذكر عن ابن عباس . ٥

والحجر الأسود على رأس صخرتين من وجه الأرض ، قد نُحت من الصخر مقدارُ ماأُدخل فيه الحجر ، وأشفت الصخرة الثالثة عليهما مثل أصبعين والحجر أملس مجزَّع حالك السواد فى قدر الكف المحنيّة قد لُزّ منْ جوانبه بمسامير الفضة ، وفيه صدوع ، وفى جانب منه صفيحة فضة ، حسبتُها شظيةً منه شُظيت فجُبرت بها ، وصخر الركن الأسود أحرش ، أكبر من صخرنا قليلا . ١٠

وللبيت سقفان : سقف دون سقف ، وفيهما أربع رَوازِن ينفذ بعضها إلى بعض للضوء ، وللسقف الأسفل ثلاث جوائز من ساج منقشة مذهبة ١٥

وفى داخل البيت فى الحائط الغربى قبالة الباب ، الجزعة على ست أذرع من قاع البيت ، وهى سوداء مخططة ببياض ، طولها اثنتا عشرة إصبعا فى مثل ذلك وحولها طوق من ذهب عرضه ثلاث أصابع ، ذُكر أن النبى صلى الله عليه وسلم جعلها على حاجبه الأيمن حين صلى فى البيت .

والحِجر بجوف البيت محجور من الركن العراقى الشامى تحجيراً محنيا غير مرتفع ، قد انقطع طرفاه دون الركنين اللذين يليانه بمثل ذراعين ، للدخول والخروج ، يكون مابين مُوسطةُ جنبي التحجير والبيت كما بين الركنين ، وارتفاع التحجير نصف قامة ، وهو ملبس بالرخام من داخله وخارجه وأعلاه ، وجُعل بين كل رخامتين عمود من رصاص ؛ وقاع الحجر كله مفروش بالرخام ، ومصب ٢٠

الميزاب فيه ، وقبلتها إليه ، والميزاب مُوسطة أعلى جدار الكعبة ، وخارجا عنه مثل أربعة أذرع فى سعته ، وارتفاع حيطانه ثمان أصابع ، ملبس ظاهره وباطنه بصفائح الذهب ، والصفائح مسمرة بمسامير مروّسة من ذهب .

والبيت كله مستور إلا الركن الأسود ، فإن الأستار تَفرج عنه مثل القامة ونصف ، وإذا دنا وقت الموسم كُسى القباطىّ ، وهى ديباج أبيض خراسانى ، فيكون بتلك الكسوة ماكان الناس مُحرمين ، فإذا أحلّ الناسُ ، وذلك يوم النحر حلّ البيت فكَسي الديباج الأحمر الخراسانى ، وفيه دارات مكتوب فيها حمدُ الله وتسبيحه وتكبيره وتعظيمه ، فيكون كذلك إلى العام القابل ، ثم يكسى أيضا على حال ماوصفت ، فإذا كثرت الكسوة وخُشِيَ على البيت من ثقلها خُفف منها ، فأخذ ذلك سدنةُ البيت ، وهم بنو شيبة .

وذكر بعض المصريين أنه حضر كشف البيت سنة خمس وستين ، فرأى ملاطه الزعفران واللُّوبان .

وذُكِر أيضا عن بعض المكيين حديثٌ يرفعونه إلى مشايخهم أنهم نظروا إلى الحجر الأسود إذ هدم ابنُ الزبير البيتَ وزاد فيه ، فقدّروا طوله ثلاث أذرع ، وهو ناصع البياض ـ فيماذكروا ـ إلا وجهه الظاهر ؛ واسوداده فيما ذكروه ـ والله أعلم ـ لاستلام الجاهلية إياه ولطخه بالدم .

والمقام بشرقى البيت علىْ سبع وعشرين ذراعا منه ، وجه المصلّى خلفه مستقبلَ البيت إلى الغرب ، والركن العراقى على يمينه ، والباب والركن الأسود على يساره وهو فيما ذَكَرَ مَنْ رآه حجرٌ غيرُ مربوع يكون ذراعا فى ذراع ، وفيه أثرُ قدم إبراهيم عليه السلام ، وطول القدم مثلُ عَظْم الذراع ، والحجر موضوع على منبر لئلا يمرّ به السيل ، فإذا كان وقت الموسم وضع عليه تابوت حديد مثقب لئلا تناله الأيدى .

وحول البيت كله سوارٍ ستٌّ غلاظ مربعة من حديد مذهبة ، ورءوسها

مذهبة أيضا ، يوقد عليها بالليل للطائفين ، بين كل عمود منها والبيتِ نحو مابين المقام والبيت .

وزمزم بشرق الركن الأسود ، بينهما مثل الثلاثين ذراعا ، وهى بئر واسعة ، تَنُّورها من حجر مطوّق أعلاه بالخشب ، وسقفها قبوٌ مزخرف بالفسيفساء على أربعة أركان تحت كل ركن منهما عمودان من رخام متلاصقان ، وقد سد ما بين كل ركنين منهما بشرجب خشب ، ورد إلى باب من جهة المشرق ، وحول القبو كله مثل البُرْطُلة ، وبشرق زمزم بيت مقدر ، سقفه مزخرف بالفسيفساء أيضا مقفل عليه ، وشرق هذا البيت بيت كبير مربع له ثلاثة أقباء ، وفى كل وجه منه باب .

وحَمام المسجد كثير أنيس ، يكاد الإنسان أن يطأه بقدمه ، لأُنسه بالناس ؛ وهو فى لون حمام الأبرجة عندنا ، إلا أنه أقدر منه ، وليس منه حمامة تجلس على البيت ولا تطير عليه ، ولقد همنى ذلك ، فرأيتُها حين تكاد أن تحاذى البيت وهى مستعلية فى طيرانها ذلك ، غطست حتّى تصير دونه ، وأخذت عن يمينه أو يساره ، وذَرْقها ظاهر بارز على البيوت التى فى المسجد ، إلا بيت الله الحرام فانه نقى ليس فيه ولا عليه أثر ، فسبحان مُعَظِّمه ومُقدِّسه ومُطهِّره ، وتعالى علوا كبيرا !

وبين باب الصفا — وهو بقبلى البيت — والصفا ، الشارع ، وهو ببطن الوادى ؛ وبعد الشارع فِناءٌ كبير فيه الباعة ، ثم الصفا فى أصل جبل أبى قُبيس ، قد أحدق به البناء إلا من الوجه الذى يُرقى إليها منه ، والرقى إليها على ثلاث درج مبنية بالصخر ، والواقف على الصفا مستقبل الجوف ينظر إلى البيت من باب الصفا .

والمروة بشرق المسجد ، وهى من الصفا بين المشرق والمغرب ، قد أحدق بها البناء أيضا إلا من وجه المصعد إليها ، وهو من أعلى القصور ، بينها وبين المسجد الحرام الزقاق الضيق ، فالواقف على المروة مستقبِلَ البيت تجاه الفرجة يرى الميزاب وما اتصل به من البيت ، وبين الصفا والمروة شبيه بما بين باب السقاية والمسجد

الجامع ، والساعى بينهما إذا هبط من الصفا يريد المروة سلك فى الشارع وهو بطن الوادى ، عن يمينه القصور ، وعن يساره المسجد ؛ ويعترضه بطن واد إذا انصب فيه أرقل حتى يخرج عن آخره ، وله علمان أخضران فى جانبى الوادى ، أحدهما وهو الأوّل خلف باب الصفا لاصقٌ بالسور ، والثانى أمامه بائن ، عن
٥ السور جُعلا ليُفهم بهما حدُّ الوادى الذى يرمل فيه .

ومِنى قرية بشرقى مكة ، تنحو إلى القبلة قليلا خارجة عن الحرم ، على نحو الفرسخ منها ؛ وفيها بنيان وسقايات ، وأول ما يلق منها الخارج من مكة إليها ، جمرةَ العقبة ، بعد يوم النحر ، أيام التشريق ؛ وبها مسجد أكبر من جامع قرطبة ، وهو مسجد الخَيف ، له مما يلى المحراب أربع بلاطات معترضة ،
١٠ سقفها من جرائد النخل ، وعمدها مجصّصة ، والمنبر على يسار المحراب ، والباب الذى يخرج منه الإمام عن يمينه ، وفى وسط صحن المسجد منارة ، وفى كل جانب منها سقيفة .

والمزدلفة ، وهى ٱلمشعر الحرام ، بين منى وعرفة ، وهى من منى على نحو الفرسخين[1] ، ولها مسجد مجصَّص لا بناء فيه إلا الحائط الذى فيه المحراب ،
١٥ والبابُ الذى يخرج منه الإمام عن يمينه ، وفى الوسط صحن المسجد ؛ وليس فيها ساكن .

وعرفة بشرق منى على نحو الفرسخين منها ، ليس بها ساكن ولا بناء ، إلا سقايات وقنَوات يجرى فيها الماء ، وليس بمسجدها بنيان إلا الحائط الذى فيه المحراب ؛ وموقف الناس يوم عرفة بعرفة فى الجبل وما يليه مما تحته ؛ والجبل
٢٠ بين المشرق والجوف من مسجدها ، وفى الموضع الذى يقف فيه الإمام ماء جارٍ . ومحراب منى وعرفة والمزدلفة إلى نحو المغرب .

(١) فى بعض الأصول : « على نحو الميلين » .

صفة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم

بلاطاته في قبلته معترضة من الشرق إلى الغرب ، في كل صف من صفوف عمدها سبعة عشر عمودا ، ما بين كل عمودين منها فجوة كبيرة واسعة ، والعُمُد التي في البلاطات القبلية بيض مجصصة شاطّة جدا ، وسائر عمد المسجد رخام ؛ والعمد المجصصة على قواعدَ عظيمةٍ مربعة ، ورءوسها مُذهبة عليها نجف منقشة مذهبة ، ثم السماوات على النجف ، وهي أيضاً منقشة مذهبة ؛ وقبالة المحراب مُوَسّطة البلاطات ، بلاط مذهب ، كله شقت به البلاطات من الصحن إلى أن ينتهي إلى البلاط الذي بالمحراب ولا يشقه ، وفي البلاط الذي يلي المحراب تذهيبٌ كثير ، وفي وسطه سماء كالترس المقدر مجوف كالمحار ، مذهب ؛ وقد أخذ وجه السور القبلي من داخل المسجد بإزار رخام من أساسه إلى قدر القامة منه ، ولف على الإزار بطوق رخام في غلظ الأصبع ، ثم من فوقه إزار دونه في العرض مخلّق بالخَلوق ، ثم فوقه إزار مثلُ الأول فيه أربعة عشر بابا في صف من الشرق إلى الغرب في تقدير كُوَى المسجد الجامع بقرطبة ، منقشة مذهبة ، ثم فوقه إزار رخام أيضا ؛ فيه صنيفة سماوية فيها خمسة سطور مكتوبة بالذهب بكتاب ثخين غلظه قدر أصبع ، من سُوَر قِصار المفصّل ، ثم فوقه إزار رخام مثل الأول الأسفل ، فيه ترسة من ذهب منقشة ، وبين كل ترسين منها عمود أخضر في حافاته قضبان من ذهب ، ثم فوقه إزار رخام فيه صنيفة منقشة ، عرضها مثل عظم الذراع ، لها قضبان وأوراق من ذهب ، ثم فوقه إزار فسيفساء عريض ، ثم السماوات عليه ؛ والمحراب في مُوسطة السور القبلي ، على قوسه قَصّة من ذهب ناتئة غليظة ، في وسطها مرآة مربعة ذكر أنها كانت لعائشة رضي الله عنها .

وقبو المحراب مقدّر جدّا ، وفيه دارات بعضها مذهبة وبعضها حُمرٌ وسود ، وتحت القبو صنيفة ذهب منقشة ، تحتها صفائح ذهب مثمنة ، فيها جزعة مثل

جمجمة الصبي الصغير مسمرة ؛ ثم تحتها إلى الأرض إزار رخام مخلّق بالخَلوق ، فيه الوتد الذى كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوكأ عليه فى المحراب الأول عند قيامه من السجود فيما ذُكر ، والله أعلم .

وعن يمين المحراب باب يدخل منه الإمام ويخرج ، وعن يساره باب صغير مشطرج [1] ، قد سُدَّ بعوارض من حديد ، وبين هذين البابين والمحراب ممشى مسطح لطيف .

والمقصورة من السور الغربى لاصقة بالباب إلى الفصيل اللاصق بالسور الشرقى ، ومن هذا الفصيل يُصعد إلى ظهر المسجد ، وهى قديمة مختصرة العمل ، لها شرفات وأربعة أبواب ، وخارج المقصورة قريب منها عن يسار المحراب سَرَبٌ فى الأرض يُهبط فيه على درج يُفضى منها إلى دار عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

والمنبر عن يمين المحراب فى أول البلاط الثالث من المحراب فى روضة مفروشة من الرخام محجوز حولها به ، وله درج ، وسمر فى أعلاه لوح لئلا يجلس أحد على الدرجة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس عليها ، وهو مختصر ، ليس فيه من النقوش ودقة العمل ما فى منابر زماننا الآن ، والجذع أمام المنبر ، وشرقى المنبر تابوت يُستر به مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقبره صلوات الله عليه وسلامه بشرقى المسجد فى آخر مسقّفه القبلى مما يلى الصحن ، بينه وبين السور الشرقى مثل عشر أذرع ، قد حُظر حوله بحائط بينه وبين السقف مثل ثلاث أذرع ، وله ستة أركان ، ولُبّس بإزار رخام أكثر من قامة ، وما فوق القامة مخلق بالخلوق .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض

(١) فى بعض الأصول « شطرنجى » .

الجنة ؛ ومنبرى على ترعة من ترع الجنة .

وعلى ظهر المسجد حذاء القبر حجر محجور لئلا يمشى عليه ، والبلاطات الجنوبية والغربية أربع ، منتظم بعضها فوق بعض فى طولها مع وجه الصحن من القبلة إلى الجوف ثمانية عشر عمودا ، وحنايا المسجد كلها مما يلى الصحن مشدودة من جهاتها الأربع إلى مناكب العمد بخشب منقش . ٥

وللمسجد ثلاث منارات : اثنتان للجنوب وواحدة للشرق ؛ وحيطان المسجد كلها من داخله مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء ، أولها وآخرها ، وله ثمانية عشر بابا ، عتبها مذهبة ، وهى أبواب عظيمة لا غلق عليها ، أربعة منها فى الجنوب ، وسبعة فى الشرق ، وسبعة فى الغرب .

وقاع المسجد كله مفروش بالحصى وليس له حصر ، ووجه سور المسجد كله من خارج منقش بالكذّان ، وكذلك الشرفات . ١٠

فينبغى للداخل فى المسجد أن يأتى الروضة التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنها روضة من رياض الجنة » ، فيصلى فيها ركعتين ، ثم يأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه ، فيستدبر القبلة ويستقبل القبر ، ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم ، وعلى أبى بكر وعمر ، رضى الله عنهما ، ولا يَلصَق بالقبر ، فإنه من فعل الجهال ، وقد كُرِه ذلك ، فإذا فعل ماذُكر استقبل القبلة ودعا بما أمكنه بعد الصلاة على النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وعرّفنا به ، ورزقنا شفاعته برحمته ، آمين ! ١٥

صفة مسجد بيت المقدس

وما فيه من آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ٢٠

طول المسجد سبعمائة ذراع وأربع وثمانون ذراعا ، وعرضه أربعمائة ذراع وخمس وخمسون ذراعا بذراع الإمام ، ويُسرَج فى المسجد ألفٌ وخمسمائة قنديل ، وعدّة ما فيه من الخشب ستة آلاف خشبة وتسعمائة خشبة ، وعدد

مافيه من الأبواب خمسون بابا ، وعدد مافيه من العمد ستمائة وأربعة وثمانون عمودا ، والعمد التى داخل الصخرة ثلاثون عموداً ، والعمد التى خارج الصخرة ثمانية عشر عمودا ، وفيه الصخرة الملبسة صفائح الرصاص ، عليها ثلاثة آلاف صفيحة ، وثلثمائة واثنتان وتسعون صفيحة ، ومن فوق ذلك صفائح النحاس مطلية بالذهب ، يكون عليها عشرة آلاف صفيحة ، ومائتان وعشر صفائح ؛ وجميع ما يُسرَج فى الصخرة من القناديل أربعمائة قنديل وأربعة وستون قنديلا ، بمعاليق النحاس وسلاسل النحاس ؛ وكان طول صخرة بيت المقدس فى السماء اثنى عشر ميلا ، وكان أهل أريحاء يستظلون بظلها ، وأهل عَمواس مثل ذلك ؛ وكان عليها ياقوتة حمراء تضىء لأهل البلقاء ، وكان يَغزل فى ضوئها أهلُ البلقاء .

وفى المسجد ثلاث مقاصير للنساء ، طول كل مقصورة ثمانون ذراعا فى عرض خمسين ذراعا ، وفيه من السلاسل لتعليق القناديل ستمائة سلسلة ، طول كل سلسلة ثمان عشرة ذراعا ، وفيه من غرابيل النحاس سبعون غربالا ، وفيه من الصنوبر التى للقناديل سبع صنوبرات ، وفيه من المصاحف الجامعة سبعون مصحفا ، وفيه من الكبار التى فى الورقة منها جلد ، ستة مصاحف على كراسى تجعل فيها ؛ وفيه من المحاريب عشرة ، ومن القباب خمس عشرة قبة ، وفيه أربعة وعشرون جبا للماء ، وفيه أربع مناور للمؤذّنين ، وجميع سطوح المسجد والقباب والمنارات ملبّسة صفائح مذهبة ، وله من الخدم بعيالاتهم مائتا مملوك وثلاثون مملوكا ، يقبضون الرزق من بيت مال المسلمين ؛ ووظيفته فى كل شهر من الزيت سبعمائة قسط بالإبراهيمى ، وزْن القسط رطل ونصف بالكبير ؛ ووظيفته فى كل عام من الحصر ثمانية آلاف ، ووظيفته فى كل عام من الشُّرافة لفتائل القناديل اثنا عشر دينارا ولزجاج القناديل ثلاثة وثلاثون دينارا ، ولصُناع يعملون فى سطوح المسجد فى كل عام خمسة عشر دينار .

آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

ببيت المقدس

مربط البراق الذى ركبه النبي صلى الله عليه وسلم ، تحت ركن المسجد ؛ وفى المسجد باب داود عليه الصلاة والسلام وباب سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وباب حِطة التى ذكرها الله تعالى فى قوله تعالى : ﴿ وقولوا حطّةٌ ﴾ ، وهى قول لا إله إلا الله ؛ فقالوا : حنطة ، وهم يسخرون ، فلعنهم الله بكفرهم ؛ وبابُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، وبابُ التوبة الذى تاب الله فيه على داود ، وباب الرحمة التى ذكرها الله تعالى فى كتابه : ﴿ له بابٌ باطِنُهُ فيه الرَّحمةُ وظاهِرُهُ من قبَلِهِ العذابُ ﴾ يعنى واد جهنم الذى بشرقى بيت المقدس ، وأبواب الأسباط أسباط بنى إسرائيل وهى ستة أبواب ؛ وباب الوليد ، وباب الهاشمى ، وباب الخضر ، وباب السكينة وفيه محراب مريم ابنة عمران رضى الله عنهـا ، الذى كانت الملائكة تأتيها فيه بفاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء ؛ ومحراب زكريا الذى بشرته فيه الملائكة بيحيي وهو قائم يصلى فى المحراب ، ومحراب يعقوب ، وكرسى سليمان صلوات الله عليه ، الذى كان يدعو الله عليه ، ومغارة إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام التى كان يتخلى فيها للعبادة ، والقبة التى عرج النبى صلى الله عليه وسلم منها إلى السماء ، والقبة التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم بالنبيين ، والقبة التى كانت السلسلة تهبط فيها زمان بنى إسرائيل للقضاء بينهم ، ومصلى جبريل عليه السلام ، ومصلى الخضر عليه السلام .

فإذا دخلت الصخرة فصلِّ فى ثلاثة أركانها ، وصلِّ على البلاطة التى تُسامت الصخرة ، فإنها على باب من أبواب الجنة .

ومولد عيسى ابن مريم على ثلاثة أميال من المسجد ، ومسجد إبراهيم عليه السلام وقبره على ثمانية عشر ميلا من المدينة ، ومحراب المسجد بغربيه .

فضائل بيت المقدس

ينصب الصراط ببيت المقدس ، ويؤتى بجهنم - نعوذ بالله منها - إلى بيت المقدس وتُزف الجنةُ يوم القيامة مثل العروس إلى بيت المقدس ، وتزف الكعبة بحاجّها بها إلى بيت المقدس ، ويقال لها مرحبا بالزائرة والمَزُورة ؛ ويزف الحجر الأسود
٥ إلى بيت المقدس ، والحجر يومئذ أعظمُ من جبل أبي قبيس

ومن فضائل بيت المقدس أن الله رفع نبيه صلى الله عليه وسلم إلى السماء من بيت المقدس ، ورفع عيسى ابن مريم عليه السلام إلى السماء من بيت المقدس ويَغلب المسيحُ الدجالُ على الأرض كلّها إلا بيت المقدس ، وحرم الله على يأجوج ومأجوج أن يدخلوا بيت المقدس ، والأنبياء كلهم من بيت المقدس ، والأبدال
١٠ كلهم من بيت المقدس ، وأوصى آدمُ وموسى ويوسف وجميع أنبياء بني إسرائيل صلوات الله عليهم أن يُدفنوا ببيت المقدس [١] .

نتف من الأخبار

لابن المغيرة في المرزباني

فرج بن سلام قال : حدثني سليمان بن المغيرة قال : كنت أجد من أبي أيوب المرزباني رائحة طيبة ، ليست برائحة شراب ولا رائحة طيب ؛ فقلت له : أخبرني
١٥ عن هذه الرائحة . فقال : عفص آمر به فيُدق وينخل ، فألتّه بقطران شامي ، ثم آخذ منه كل غداة على إصبعي فأدلك به أسناني وعُمورَها ، فتطيب نكهتها وتشتد لثتها وعُمورها .

للرياشي

الرياشي قال : كانوا إذا أرادوا جارية ، مضغت نصف جوزة وأكلتها ؛ فلا تزال طيبة النكهة سائر ليلتها .

٢٠ (١) يلاحظ أن ذلك الفصل مقحم بين جزأي موضوع واحد ، يتصل الكلام قبله بما بعده ؛ ويرى الأستاذ جبرائيل سليمان جبور صاحب كتاب « ابن عبد ربه وعقده » أن هذا الفصل مزيد على الكتاب بعد موت مؤلفه ، وقد استند في ذلك إلى دلائل حقيقة بالنظر .

لابن عبد العزيز في ساحرة

عبد الصمد بن همام قال: كتب عامل عمان إلى عمر بن عبد العزيز. إنا أُتينا بساحرة، فألقيناها في الماء فطفَت على الماء فكتب إليه: لسنا من الماء في شيء، إن قامت عليها بينة وإلا فَخَلِّ عنها!

بين الحسن ورجل

وقال رجل للحسن: أبا سعيد، الملائكة خيرٌ أم الأنبياء؟ فقال: قال الله جل ثناؤه: ﴿ قلْ لا أقولُ لكمْ عِندِي خَزائنُ اللهِ ولا أَعْلمُ الغَيْبَ ولا أقولُ لكمْ إني مَلَكٌ ﴾، وقال: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ المسيحُ أنْ يكُونَ عَبْدًا للهِ ولا الملائكةُ المُقَرَّبُونَ﴾، وقال: ﴿ ما نَهاكُما ربُّكما عن هٰذِهِ الشَّجَرةِ إلا أنْ تكونا ملَكيْنِ أو تكونَا مِنَ الخالِدِينَ ﴾.

للضحاك

العتبي قال: حدثني أبو النصر عن جرير عن الضحاك قال: من سمع الأذان في بيته فقام فصلى فقد أجاب.

عن العتبي

أبو حاتم عن العتبي قال: سُمي المحرم [مُحرّما]، لأنه جُعل حراما؛ وصَفَرُ لإصفار مكة من أهلها؛ والربيعان؛ للخصب فيهما، والجُمَادِيان، لجمود الماء فيهما من شدة البرد، ورجب، لترجيب العرب أسنتها؛ وشعبان، لأنه شعب بين رجب ورمضان؛ ورمضان لإرماض الأرض من الحر؛ وشوال، لأن الإبل شالت بأذنابها فيه لحملها؛ وذو القعدة، لقعودهم فيه عن الغزو من أجل الحج؛ وذو الحجة، للحج.

يونس ورؤبة

الرياشي عن محمد بن سلام عن يونس النحوي قال: قال لي رؤبة وأنا أسأله عن الغريب: حتى متى تسألني عن هذه الأباطيل وأزوّقها لك؟ أما ترى الشيب قد أخذ في عارضيك ولحيتك؟

للخليل

وقال الخليل بن أحمد: إنك لا تعرف خطأ معلمك حتى تجلس عند غيره.

الرياشي عن الأصمعي قال: لا تكون حُطَمة حتى يكون قبلها بُريق تأتي فتحطم.

ومن حديث أبي رافع، عن أبي ذرّ قال: قلت يا رسول الله صلى الله عليك

كم عدد النبيين ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا .

لقتادة

أبو بكر بن عياش عن العجلى عن قتادة قال : طول الدنيا مائة ألف وأربعة وعسرون ألف فرسخ .

لابن عمر

ومن حديث عبد الله بن عمر قال : العرش مطوّق بحية ، والوحى ينزل في السلاسل . ٥

في العباس

ومن حديث ابن أبي شيبة : أن العباس بن عبد المطلب ، كان أقرب شحمة أذن إلى السماء ، وكان إذا طاف بالبيت يشبه الفسطاط العظيم ، وإذا مشى بين قوم تحسبه راكبا .

للنبي صلى الله عليه وسلم

ومن حديث عروة بن الزبير عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ١٠ خلق الله الملائكةَ من نور ، والجانَّ من نار ، وآدم من تراب .

وسأل أعرابيٌّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : متى القيامة ؟

فقال له : وما أعددتَ لها ؟

قال : لا شيء والله ، غير أنى أحبُّ اللهَ ورسوله .

قال : المرء مع من أحب .

١٥ زياد عن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إياكم والشركَ الأصغر .

قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟

قال : الرياء !

لمالك

زياد عن مالك قال : إذا لم يكن فى الرجل خير لنفسه لم يكن فيه خير لغيره ، وإذا رأيت الرجل يستحل مال عدوه فلا تأمنه على مال صديقه .

لحذيفة

٢٠ وقال بعضهم : سمعت حذيفة يحلف لعثمان فى شيء بلغه عنه ، ما قاله ، ولقد سمعته يقوله ؛ فسألته عن ذلك ، فقال : يابن أخي ، أشترى ديني بعضَه ببعض لئلا يذهب كله !

ترقيع الدنيا بالدين

أخذه الشاعر فقال :

نرقّعُ دُنيانا بتمزيق دِيننا ٭ فلا دِينُنا يبقى ولا ما نرقّعُ

للنبي صلى الله عليه وسلم

زياد عن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الغيْرة من الإيمان ، والمِراء من النفاق .

لعلي

الأصمعي قال : سأل عليٌّ بن أبي طالب الحسنَ ابنه رضوان الله عليهما : كم بين الإيمان واليقين ؟ ٥

قال : أربع أصابع .

قال : وكيف ذلك ؟

قال : الإيمان كلُّ ما سمعتْه أذناك وصدّقه قلبُك ، واليقين ما رأتْه عيناك فأيقنَ به قلبك ؛ وليس بين العين والأذنين إلا أربع أصابع . ١٠

الرياشي قال : ضرب عليٌّ كرّم الله وجهه بيده زانيا فأوجعه إيجاعا شديدا ، فقال له عمُّ المضروب : بعْضَ هذا الضرب فقد قتلته !

فقال علي رضي الله عنه : إنه وَتَرَ مَن ولدَها مِن قِبل أبيها وأمها من النبيين والصالحين إلى آدم !

قال الرياشي : فكنت أعجب من شنْعة حدّ الرجم ، فلما سمعت شنعة الذنب هان عليّ الحدّ ! ١٥

من أبي عمرو

الأصمعي عن أبي عمرو قال : دم الحيض غذاء المولود .

للنبي صلى الله عليه وسلم

أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم [في المسجد] يَنشد ضالةً له ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لا وجدتَها ! إنما المساجد لما بُنيت له !

لأبي عمرو

الأصمعي عن أبي عمرو قال : أعرق الناس في الخلافة : عاتكة بنت يزيد ابن معاوية ؛ أبوها خليفة ، وجدُّها خليفة ، وأخوها معاوية بن يزيد خليفة ، وزوجها عبد الملك بن مروان خليفة ، وولدها يزيد بن عبد الملك خليفة ، وأربّاؤها الوليد وسليمان وهشام ، خلفاء . ٢٠

النبي صلى الله عليه وسلم فى فتح مكة

قتادة عن أنس بن مالك قال : أمّن النبي صلى الله عليه وسلم الناسَ يوم فتح مكة إلا أربعة ، فإنه قال : اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة ؛ وهم : عبد العزى بن يزيد بن خطل ، ومِقْيس بن صُبابة الكندى ، وعبد الله [بن سعد] بن أبى سرح وسارة ؛ فأما عبد العزى فإنه قتل وهو متعلق بأستار الكعبة ، وأما عبد الله [بن سعد] بن أبى سرح : فإنه كان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة ، فأتى به النبيّ صلى الله عليه وسلم فبايعه وشفع له عنده ، وأما مِقْيس ؛ فإنه كان له أخ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقُتل خطأ ، فبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى فهر ، ليأخذ له عقْله من الأنصار ، فلما اجتمع له العقل أخذه وانصرف مع الفهرى ، فنام الفهرى فى بعض الطريق ، فوثب عليه مقيس فقتله ، ثم أقبل وهو يقول :

شفَى النفسَ مَن قد مات بالقاع مُسنَدًا * يُضَرِّجُ ثوبَيْـه دماءُ الأخادع

قتلتُ به فِهْراً ، وأغْرَمْتُ عقله * سَراةَ بنى النجّار أربابَ فارع

حَللتُ به نذرى وأدركتُ ثُؤْرَتى * وكنتُ إلى الأوثان أول راجع !

وأما سارة فإنها كانت مولاة لقريش ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتكت إليه الحاجة ، فأعطاها شيئا ؛ ثم أتاها رجل فبعث معها كتاباً إلى أهل مكة يتقرب به إليهم ليُحفظ فى عياله . وكان عياله بمكة ، فأخبرَ جبريلُ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فبعث النبيُّ صلى الله عليه وسلم فى أثرها عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب ، فلحقاها ، ففتشاها فلم يقْدرا على شىء ، فأقبلا راجعيْن ، ثم قال أحدهما لصاحبه : والله ما كذَبنا ولا كُذِبنا ، ارجع بنا إليها !

فرجعا إليها ، فسلا سيفيهما ، ثم قالا : لتدفعِنّ إلينا الكتاب أو لنذيقنك الموت !

فأنكرته ، ثم قالت : أدفعه إليكما على أن لا تردّانى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقبلا منها ذلك ، فحلّت عِقاص رأسها وأخرجت الكتاب من قرن من قرونها ؛ فرجعا بالكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فدفعاه إليه ؛ فدعا الرجلَ وقال له : ما هذا الكتاب ؟

فقال له : أخبرك يارسول الله ، إنه ليس ممن معك أحد إلا وله بمكة من يحفظه فى عياله غيرى ؛ فكتبتُ بهذا الكتاب ليكافئونى فى عيالى ! فأنزل الله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّى وعدوّكم أولياء تُلقون إليهم بالمودّة ﴾ .

المصعب وقتل مرة

أمر المصعب بن الزبير رجلا من بنى أسد بن خزيمة بقتل مرة بن محكان السعدى ، فقال مرة :

بنى أَسَدٍ إن تقتلونى تحاربوا * تميما إذا الحربُ العَوان اشمعلّتِ
ولستُ وإن كانت إلىّ حبيبةً * بباكٍ على الدنيا إذا ماتولّتِ

جرير فى ابن سعد الأسدى

كان ابن سعد الأسدى قد تولى صدقات الأعراب لعمر بن عبد العزيز وأعطياتهم ، فقال فيه جرير يشكوه إلى عمر :

حرمْت عيالا لا فواكهَ عندهم * وعند ابن سعد سكّرٌ وزبيبُ
وقد كان ظنى بابن سعدٍ سعادةً * وما الظنّ إلا مخطئٌ ومُصيب
فإن تَرجعوا رزقى إلىّ فإنه * متاع ليالٍ والأداء قريب
تُحَنّيا العظامُ الراجعاتُ من البِلى * وليس لداء الركبتين طبيب

الرسول صلى الله عليه وسلم

لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، كان أبو خيثمة فيمن تخلف عنه . فأقبل ، وكانت له امرأتان ، وقد أعدت كل واحدة منهما من طيّب ثمر بستانها ، ومهدت له فى ظل حائط ؛ فقال : ظِل ممدود ، وثمرة رطبة طيبة ، وماء بارد ، وامرأة حسناء ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضّحّ والريح ، ما هذا بخير !

ثم ركب ناقته ومضى فى أثره ؛ فقالوا : يارسول الله ، نرى رجلا يرفعه الآل .

فقال : كن أبا خيثمة ! فكانه .

الضح : الشمس ، تقول العرب فى أمثالها : جاء فلان بالضح والريح ، إذا أقبل بخير كثير .

نتف من الطب

٥ قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا تزالون أصحاء ما نزعتم ونزوتم . لعمر
يريد : ما نزعتم عن القسىّ ، ونزوتم على ظهور الخيل ؛ وإنما أراد الحركة ، والله أعلم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : سافروا تصحوا .

وقال بعض الحكماء : لا ينبغى للعاقل أن يخلى نفسه من ثلاث فى غير إفراط : الأكل ، والمشى ، والجماع ؛ فأما الأكل ، فإن الأمعاء تضيق ١٠ لتركه ؛ وأما المشى ، فإن من لم يتعاهده أوشك أن يطلبه فلا يجده ؛ وأما الجماع ، فإنه كالبئر ، إن نُزِحت جَمّت ، وإن تركت يَخْثر ماؤها . وحق هذا كله القصد فيه . لبعض الحكماء

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «من استقل برأيه فلا يتداوى ؛ فربّ دواء يورث الداء» . النبي صلى الله عليه وسلم

١٥ وقالت الحكماء : إياك وشربَ الدواء ما حملتك الصحة . للحكماء

وقالوا : مثَل الدواء فى البدن مثل الصابون فى الثوب : ينقيه ويُخلقه .

الأصمعى عن رجل عن عمه ، قال : لقيتُ طبيبَ كسرى شيخاً كبيراً قد شدّ حاجبيه بخرقة ، فسألته عن دواء المشى ، فقال : سهم يُرمى به فى جوفك أصاب أم أخطأ . لطبيب كسرى

٢٠ وفى كتاب التفصيل للهند : الدواء من فوق ، والدواء من تحت ، والدواء لا من فوق ولا من تحت . من كتاب الهند

تفسيره : من كان داؤه فوق سرته سقى الدواء ، ومن كان داؤه تحت

سرته حقن بالدواء ، ومن لم يكن له داء لا من فوق ولا من تحت لم يُسق الدواء ولم يحقن به .

النبي صلى الله عليه وسلم فى السنا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت عميس : بِمَ كنت تستمشين فى الجاهلية ؟ قالت : بالشبرم . قال : حار حار . ثم قالت : استمشيت بالسنا . قال : لو أن شيئا يرد القدر لردّه السنا . ٥

ومن حديث أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم يتذاكرون الكمأة ويقولون فيها : جدرى الأرض . فقال : إن الكمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين ، وهى شفاء من السم .

وأهدى تميم الدارى إلى النبي صلى الله عليه وسلم زبيبا ، فلما وضعه بين يديه قال لأصحابه : كلوا ؛ فنعم الطعام الزبيب ، يُذهب النصب ، ويَشد العصب ، ويطفئ الغضب ، ويصفى اللون ، ويطيب النكهة ، ويرضى الرب . ١٠

وقال طلحة بن عبيد الله : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس فى جماعة من أصحابه ، وفى يده سفرجلة يقلبها ، فلما جلست إليه دحرج بها نحوى ، وقال : دونَكها أبا محمد ، فإنها تشد القلب ، وتطيب النفس ، وتذهب بطَخاء الصدر . ١٥

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أربع من النُّشَر : شرب العسل نُشرة ، والنظر إلى الماء نشرة ، والنظر إلى الخضرة نشرة ، والنظر إلى الوجه الحسن نشرة »

وقال عثمان بن عفان : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : من بلغ الخمسين أمِن الأدواء الثلاث : الجنون ، والجذام ، والبرص .

ومن حديث زيد بن أسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء ، علِمه من علمه وجَهِلَه من جهله . ٢٠

ومن حديث أبى سعيد الخدرى : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنزل الدواء الذى أنزلَ الداء .

ومن حديث زيد بن أسلم أن رجلا أصابه جرح فى بعض مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا له رجلين من بنى أنمار ، فقال : أيكما أطبُّ ؟ فقال له رجل من أصحابه : فى الطب خيرٌ ؟ قال : إن الذى أنزل الداء أنزل الدواء .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : عليكم بهـذا العود الهندى ، فإن فيه سبعة أشفية ، يُسعَط به من العذرة ، ويُلَدُّ به من ذات الجنب .

يريد القُسط الهندى ، وهو الذى تسميه العامة : الكست .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : عليكم بهذه الحبة السوداء ، فإن فيهـا دواء من كل داء إلا السام .

يعنى الشونيز .

وفى مسند ابن أبى شيبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : عليكم بالإثمِدِ عند النوم ، فإنه يُحِدُّ البصر ، وينبت الشعر .

لابن مسعود
وفيه أن عبد الله بن مسعود قال : عليكم بالشفاءين : القرآن ، والعسل .

للأصمعى
الأصمعى قال : ثلاث ربما صرعَتْ أهلَ البيت عن آخرهم : الجرادُ ، ولحومُ الإبل ، والفُطْر . وهو الفَقع .

لأهل الطب
ويقول أهل الطب : إن أردأ الفطر ما ينبت فى ظلال الشجر ، ولا سيما فى ظلال الزيتون ، فإنه قتّال .

لابن منبه
وقال وهب بن منبه : إذا صام الرجل زاغ بصره ، فإذا أفطر على الحلوى رجع إليه بصره .

للنبي صلى الله عليه وسلم
وأقبل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، إنى كنت فى الجاهلية ذا فطنة وذا ذهن ، وأنكرت نفسى فى الإسلام ! فقال له : أكنت تنام فى القائلة ؟ قال : نعم . قال : فعد إلى ما كنت عليه من نوم القائلة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : عليكم بالشجرة التى كلم الله منها موسى بن عمران ؛ زيت الزيتون فادّهنوا به ، فإن فيه شفاء من الباسور .

وقال : فى الزيتونة يقول الله : ﴿ وشجرةً تخرُجُ مِنْ طورِ سَيْناء تنبُتُ بالدُّهْنِ وصِبْغٍ للآكِلينَ ﴾ .

للأطباء — وتقول الأطباء : إذا خرج الطعام من قبل ست ساعات فهو من ضرر ، وإذا أقام فى الجوف أكثر من أربع وعشرين ساعة فهو من ضرر .

معاوية والمغيرة — دخل المغيرة بن شعبة على معاوية فقال له معاوية : أنكرتُ من نفسى خصلتين : قلّ طُعمى ، ورقّ عظمى ؛ فإن تدثرتُ بالثقيل أثقلنى ، وإن تدثرتُ بالخفيف أصابنى البرد . قال : نم يا أمير المؤمنين بين جاريتين سمينتين ، يُدفئانك بشحومهما ، ويحملان عنك ثقل الدثار بمناكبهما ، وأكثِرْ من الألوان ، وكلْ من كلّ لون ولو لقمة ؛ فإن ذلك إذا اجتمع كثيرُه نَفَعَ . فدخل عليه بعد ذلك فقال له معاوية : يا أعور ، قد جرّبنا ما قلتَ فوجدناه موافقا .

التعويذ والرقى

لابن المسيب — أبو بكر بن أبى شيبة عن عقبة عن شعبة عن أبى عصمة قال : سألت سعيد ابن المسيّب عن تعليق التعويذ ، قال : لا بأس به .

مجاهد — وكان مجاهد يكتب للصبيان التعويذ ويعلقه عليهم .

النبى صلى الله عليه وسلم — وقال النبى صلى الله عليه وسلم : من قال إذا أصبح : أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل عين لامة ، ومن كل شيطان وهامة ؛ لم يضره عين ولا حية ولا عقرب .

وفى مسند ابن أبى شيبة أن خالدَ بنَ الوليد كان يفزع فى نومه ، فشكا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أخبرَنى جبريل أن عفريتا من الجن يكيدك ، فقل : أعوذ بكلمات الله التامات المباركات التى لايجاوزهن بَرّ ولا فاجر ، من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ فى الأرض وما يخرج منها ، ومن شر كلّ ذى شر . فقالهن خالد ، فذهب ذلك عنه .

وفى مسند ابن أبى شيبة أن النبى صلى الله عليه وسلم بينا هو يصلى ذات ليلة ، إذ وضع يده على الأرض فلدغته عقرب ، فتناول نعلَه فقتلها ؛ فلما انصرف

قال : لعن الله العقرب ، ماتدع نبيا ولا غيره ! ثم دعا بماء وملح فجعله فى إناء ، ثم صب على إصبعه منه ، ومسحها وعوذها بالمعوذتين .

وفى مسند ابن أبى شيبة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا رقية إلا من عين أو حُمَة . والحمة : السم .

٥ سفيان بن عيينة قال : بينا عبد الله بن مسعود جالسا تعرض عليه المصاحف ، إذ أقبلت أعرابية فقالت : أبا فلان — لرجل جالس إليه — لقد لَدِغ مُهْرُك ، وتركته كأنه يدور فى فَلك ، فقم فاسترْق له . فقال له ابن مسعود : لاتسترق له ، واذهب فانفث فى منخره الأيمن أربعا ، وفى الأيسر ثلاثا ، وقل : أذهِب الباس يارب الناس ، فإنه لا يذهبه إلا أنت . ففعل ، فلم يبرح حتى أكل وشرب

١٠ وبال وراث .

أبو بكر ورقية

دخل أبو بكر على عائشة وهى تشكو ويهودية ترقيها ، فقال لها : ارقيها بكتاب الله .

الحجامة والكىّ

قال عبد الله بن عباس : احتجم النبى صلى الله عليه وسلم فى رأسه من

١٥ أذًى كان به .

وفى مسند ابن أبى شيبة : أن عيينة بن حصن دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم فى فأس رأسه ، فقال : ماهذا ؟ قال : هذا خير ماتداويتم به .

وفى مسند ابن أبى شيبة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : خير ماتداويتم به

٢٠ الحجامة والقُسط العربى ، ولا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العُذرة .

وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : خير يوم تحتجمون فيه ، سبعة عشر ، وتسعة عشر ؛ وأحد وعشرون .

وفيه أنه قال : إن كان فى شىء مما تعالجون به خير ففى شرطة من محجم ،

أو لذعة من نار توافق الداء ، أو شربة من عسل ؛ وما أحب أن أكتوى .

السم والسحر

النبي صلى الله عليه وسلم والشاة المسمومة

فى مسند ابن أبى شيبة : أن يهود خيبر أهدَوْا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجمعوا لى مَن ههنا من اليهود . فجمعوا له ، فقال لهم : هل جعلتم فى هذه الشاة سما ؟ قالوا : نعم ! قال : ماحملكم على ذلك ؟ قالوا : أردنا إن كنت كاذبا أن نستريح منك ، وإن كنت نبيا لم يضرك السم .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مازالت أكلة خيبر تعاودنى ، فهذا أوان قطَعتْ أبهرى » .

أبو بكر وابن كلدة

الليث بن سعد عن الزهرى قال : أُهدِىَ لأبى بكر طعام ، وعنده الحارث ابن كلدة طبيب العرب ؛ فأكلا منه ، فقال الحارث لأبى بكر : لقد أكلنا والله فى هذا الطعام سُم سَنة ، وإنى وإياك لميتان عند رأس الحول ، فماتا جميعا عند انقضاء السنة .

النبي صلى الله عليه وسلم ويهودى ساحر

وفى مسند ابن أبى شيبة : أن رجلا من اليهود سَحَرَ النبى صلى الله عليه وسلم فاشتكى لذلك أياما ؛ فأتاه جبريل فقال له : إن رجلا من اليهود سحرك ، عقد لك عقدا وجعلها فى مكان كذا . فأرسل عليا رضى الله عنه فاستخرجها وجاء بها فجعل يحلها ، فكلما حل عقدة وجد رسول الله صلى عليه وسلم خِفة ؛ ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما أُنشط من عقال .

وفى مسند ابن أبى شيبة عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أنه قال : طُبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم — والطب : السحر — فبعث إلى رجل فرقاه .

العين

للعرب

تقول العرب : رجل مَعين ، إذا أُخذ بالعين .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو سبق القدر شىء لسبقته العين !

وتقول العرب : إن العين تسرع بالإبل إلى أوصامها ، وبالرجال إلى أسقامها .

ابن حنيف

ونظر عامر بن أبي ربيعة إلى سهل بن حنيف يستحم ، فقال : ما رأيت كاليوم ولا جِلد مخبأة ! قال : فلُبط به ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عامرَ ابن أبي ٥ ربيعة أن يتوضأ له ثم يطهره بمائه ، ففعل ، فقام سهل بن حنيف كأنما أنشط من عقال .

أبيات فى الطب وجدناها فى كتاب فرج بن سلام

الناجُّاء بشَيْرَجٍ ملْتوتٍ * فيه شِفاءٌ للرياحِ مُميتُ
يغلى لذلك حلْبةً فى مائها * يُسقاهُ مُصطَبِحاً وحينَ يبيتُ

١٠ وقال :

ليسَ شيءٌ أنقَى عن الجِسْم للـــريح منَ الأنجدان والمَحْرُوث

وقال :

فى الحُرفِ سَبْعُونَ دواءً وفى الـــكمُّونِ فيما قيل سِـــتُّونا
قد قالهُ هُرْمُسُ فى كُتبِهِ * فلا تَدعْ حُـــرفاً وكمُّونا

١٥ وقال :

بسعتر بَرٍّ داوِ كل مُبَلغَمٍ * وذا المِرّةِ الصَّفراء بالرازيانِق
وذو المِرّةِ السَّوْداء ذاكَ علاجُهُ * تعاهُدُ فصْدِ العِرقِ من كفّ حاذق
وذو الدّمِ فليُكثِر لِذاكَ حِجامَةً * فما غيرُها شيءٌ له بموافق

وقال :

٢٠ لا تكنْ عندَ أكلِ سُخْنٍ وبهرٍ * ودُخولِ الحمامِ تشرَبُ ماء
فإذا ما اجتنبتَ ذلكَ منهُ * لم تخف ما حييتَ في الجوفِ داء

وقال :

إنأردتَ الرُّقادَ فى الليلِ فاجعلْ * قُطْنَةً عندَه على الأذُنَيْنِ
فيهِ تظهرُ السلامَةُ لِلأذُ * نينِ مما يَضُرُّ بالعَيْنَيْن

وقال :

لا تشْرَبِ الماء بعدَ النَّومِ من ظمَإٍ * ولا تَبِتْ أبداً من غير منتفض ٥
لجوْفُ مَن باتَ من ماءٍ ومن ثِقَلٍ * ومن رِياحٍ دَعا كلاً إلى مرضِ

وقال :

أحسُ فى الحمامِ ماءٍ مُسخَناً * وليَكُنْ ذلكَ فى البيتِ السّخنْ
يسلَمُ البطْنُ منَ الدّاءِ ولا * يعتَرِيهِ وجعٌ طولَ الزّمَنْ

وقال : ١٠

إن دخلتَ الحمامَ فاضرب على رأ * سِكَ بالماءِ السُّخْن سبْعَ مِرارِ
فيه تَظهَرُ السلامةُ من كلِّ صُداعٍ بِقدرَةِ الجبار

وقال :

لا تجامع ، ولا تَمطى ، ولا تَدْ * خل - إذا ما شَبِعْتَ - فى الحمامِ
فهُو دفعٌ لكلِّ مايتَّقيهِ ال * سَمَرْءُ من فالجٍ وكلِّ سقام ١٥

وقال :

ما كان فى الرأسِ أخرِجْهُ بغَرْغَرةٍ * والقَيْءُ يُخرِجُ ما فى الصدر من عَفَنِ
وكلُّ ما كان فى صلب فذلِكَ لا * يسيلُ إلا بأخلاط مِنَ الحقَنِ

وقال :

على الريقِ فى البردِ أحسُ ماءً مُسخّناً * وفى الصيفِ ماء بارِداً حين تصبحُ ٢٠
وذلك فيما قيل فيه مَصَحّةٌ * وذاكَ على إدمانِه الجسمُ يَصلح

وقال :

إنّ من باكرَ الغَداء وبَعدَ الـ ۞ عصرِ منه تعاهُـــدٌ للعشاء
فبإذنِ الإلهِ يبقى صحيحاً ۞ سالما فى الحياةِ من كلِّ داء

وقال :

٥ إنّ رأسَ الطّبِّ أن تد ۞ لكَ بالزِّئبَقِ دَلْكا . . .
. . . باطِنِ الرِّجلَيْنِ عندَ النومِ يَنفى السّـــقْمَ عَنْكا

وقال :

شجرُ البَراغيثِ الكَريهُ مَشمُّه ۞ يُبرى بإذنِ الله من داءِ الحبَن

وقال :

١٠ إنّ السِّواكَ ليُستَحبُّ لِسنّة ۞ ولأنه مما يَطيبُ به الفَمُ
لم تخشَ من حَفَر إذا أدمَنْتَهُ ۞ وبه يسيلُ من اللّهاةِ البلغَم

وقال :

أحتَجِمْ بين كلِّ شهرينِ ولْتُلْـ ۞ ـفِ على أثرةِ من الأيامِ
سبْعةً منكَ للزّبيبِ بلا عجـ ۞ ـمٍ تُبَدّيهِ قبـــلَ كلِّ طعام
١٥ فهْو للعينِ واللّهاةِ وللحَلـ ۞ ـقِ أمانٌ لهـــا منَ الأسقام

وقال :

ولا تَغط الرأسَ فى وقتِ ما ۞ تخرُجْ من الحمامِ وآخشَ الضَرَرْ
إنّ بُخارَ الرأسِ فى وقتِ ما ۞ وصَفْتهُ داءٌ يُصيبُ البصَرْ

وقال :

٢٠ إنّ الجماعَ على الحمامِ مَصَحّةٌ ۞ ولذاذَةٌ تاهت على اللذّاتِ

وقال :

السمَكُ المـالِحُ إن لم يكنْ ۞ بُدٌّ من الأكلِ له فانعِمِ . . .

... بالطَّبخ أكثرْ زيْتَهُ ثم كُلِ * من قبلُ مأدُوماً مِنَ المطعَمِ

وقال :

أطلِ منكَ الشّعْرَ كلَّ أربعاء لا يدورْ

ولْيكنْ غسْلُك بالْبا * ردِ منهُ والطّهُور

إنه يَزْعَرُ منـــهُ * شَعَرُ الجسمِ الكثير ٥

إنى طَبٌّ بمـا يَجـ * ـهَلهُ الناسُ خبير

وحدّث محمد بن إبراهيم الورّاق قال : حدثنى محمد بن عبيد الله بن الحارث ابن إسحاق بمصر قال : حدثنا محمد داود بن ناجية قال : حدثنا زياد بن يونس الحضرمى عن محمد بن هلاك المدنى عن أبيه عن أبى هريرة قال :

الرسول صلى الله عليه وسلم وشاكية من زوجها

جاءت امرأةٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشتكى زوجها ، فقال : إنها تذكر كثرة الجماع ؛ قال : يارسول الله ، أفأزنى ! قال لا ، ولكن إذا جاءنا سَبْىٌ فتعال حتى نُعطيَك جارية . فقدم عليه سبىٌ ؛ فجاء إليه فقال له : يارسول الله ، وعِـدى . فقال له : اختر ! فقال له : اختر لى . فقال : خذ هذه ، فإنى أراها زرقاء ، فلعلها . . . قال : فما لبثنا أن جاءت المرأة فقالت : يارسـول الله ، مازاده الأمر إلا تجدُّدا . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : ما هذا ؟ فقال : يارسول الله ، أفأزنى ! قال : لا . ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسـلم : لعلك تكثر الاطّلاء . قال : نعم . قال : فأقل طلاءك يقلّ جماعُك . ١٠ ١٥

لابن ناجية

قال محمد : قال لى ابن ناجية : وأنا كما ترانى شيخ كبير ، قد أتى علىّ ثمـانون سنة ، إذا أحببت الوطء اطّليت فى كل خمس عشرة ليلة .

الهـــدايا ٢٠

لسعيد بن حميد

كتب سعيد بن حميد إلى بعض أهل السلطان فى يوم النيروز :

« أيهـا السيد الشريف ، عشتَ أطوال الأعمـار بزيادة من العمر موصولة

بقرائنها من الشكر ، لا ينقضى حق نعمة حتى يجدد لك أخرى ، ولا يمر بك يوم إلا كان مقصراً عما بعده ، موفياً عما قبله . إنى تصفحت أحوال الأتباع الذين تجب عليهم الهدايا إلى السادة [فى مثل هذا اليوم] ، فالتمست التأسّى بهم فى الإهداء ، وإن قصرت بى الحال عن الواجب ، [فرأيت] أنى إن أهديت
٥ نفسى فهى ملكٌ لك ، لا حظ فيها لغيرك ؛ ورميت بطرْفى إلى كرائم مالى ، فوجدتها منك ، فكنت إن أهديت منها شيئا كالمهدى مالك إليك ؛ وفزعتُ إلى مودتى فوجدتها خالصة لك قديمة غير مستحدثة ، فرأيتنى إن جعلتها هديتى لم أجدد لهذا اليوم الجديد بِرًّا ولا لطفاً ؛ ولم أميز منزلة من الشكر بمنزلة من نعمتك ، إلا كان الشكرُ مقصراً عن الحق ، والنعمة زائدة على ما تبلغه الطاقة ؛ فجعلت الاعتراف
١٠ بالتقصير عن حقك هدية إليك ، والإقرار بما يجب لك برًّا أتوصل به إليك ؛ وقلت فى ذلك :

إن أُهدِ مالا فهْو واهِبه * وهْو الحقيقُ عليهِ بالشكرِ

أوأُهدِ شكْرى فهْو مُرْتهنٌ * بجميلِ فعلِكَ آخر الدهر

والشمْسُ تستَغْنِى إذاطلعَتْ * أنْ تَستضِىء بِسُنّةِ البدرِ

١٥ وكتب بعض الكتاب إلى بعض الملوك : — لبعض الكتاب

النفسُ لك ، والمال منك ، والرجاء موقوفٌ عليك ، والأمل مصروف نحوك ؛ فما عسى أن أُهدى إليك فى هذا اليوم ، وهو يوم سهلت فيه العادة ، سبيل الهدايا للسادة ؛ وكرهت أن نخليه من سنته ، فنكون من المقصرين ؛ أو أن ندعى أن فى وسعنا ما يفى بحقك علينا ، فنكون من الكاذبين ؛
٢٠ فاقتصرنا على هدية تقتضى بعضَ الحق ، وتنْفى بعض الجفوة وتقومُ عندك مقامَ أجلِ البر ؛ ولا زلت أيها الأمير دائمَ السرور والغبطة ، فى أتم أحوال العافية ، وأعلى منازل الكرامة ، تمرُّ بك الأعياد الصالحة والأيام المفرحة ، فتُخْلِقها وأنت جديد تستقبل أمثالها ، فتلقاك ببهائها وجمالها ؛ وقد بعثت

الرسول بالسكّر لطيبه وحلاوته ، وتركت السفرجل لفأله ، والدرهم لبغائه على كل من ملكه[1] ؛ ولا زلتَ حلوَ المذاق على أوليائك ، مُرًّا على أعدائك ، متقدما عند خلفاء الله الذين تليق بهم خدمتُك ، وتحسن أفنيتُهم بمثلك .

وقد جمعنا فى هذه القصيدة ثناء ومسرّة واعتذاراً وتهنئة وهى :

عاطِ فى المهرجان كأسا شَمولا * وأطعْنى ولا تُطيعنْ عَذولا ٥

فهو يومٌ قدكان آباؤك الغُ * رُّ يُحِلُّونه محلًّا جليـــلا

إن للصيف دولةً قد تقضّت * وأراك الشتاء وجهاً جميلا

وتجلّت لك الرياضُ عن النَّو * ر فكانت عن كل شىء بَديلا

فتمتّع باللهو ، لا زلتَ جذْلا * نَ وطرف الزمان عنك كليلا

لم أجدْ لى هديّة حين حصّلْـ * ـتُ كثيراً ملَكْتُه وقليلا ١٠

يَعدل الشكرَ والثناء ، وإن لم * يكُ شكرى لِما أتيتَ عديلا

فجعلتُ الذى أطيقُ من الشكـ * ـر على ما عجزتُ عنه دليلا

يا لهـا من هديّة تُقنِـع المُهـ * ـدَى إليه ولا تُمنّى الرسولا

لبعض الشعراء

وكتب بعض الشعراء إلى بعض أهل السلطان فى المهرجان :

هذه أيام جرت فيها العادة ، بإلطاف العبيد للسادة ، وإن كانت البضاعة تقصُر عما تبلغه الهمة ، فكرهت أن أهدىَ فلا أبلغ مقدار الواجب : فجعلت هديتى هذه الأبيات ، وهى : ١٥

ولمّا أن رأيتُ ذوى التصافى * تبـاروْا فى هدايا المِهرجانِ

جعلتُ هديّتى ودًّا مُقيما * على مرِّ الـ[حو]ادث والزمان

وعبـداً حين تـكرِمُه ذليلا * ولـكنْ لا يَقرُّ على الهوان ٢٠

يَزيدك حين تُعطيه خُضوعا * ويَرضَى من نَوالك بالأمانى !

---

(١) فى بعض الأصول : « لبقائه عند كل من ملكه » .

لأبي العتاهية

وأهدى أبو العتاهية إلى بعض الملوك نعلا وكتب معها :

نعلٌ بعثتُ بهـا لتلْبسها * رجلٌ بها تسعى إلى المجد

لو كان يصلحُ أن أُشرِّكها * خدّى جعلتُ شِراكها خدّى

لعلى بن الجهم

وأهدى علىّ بن الجهم كلبا ، وكتب :

٥ آستوصِ خيراً به ، فإن له * عندى يَداً لا أزال أحمَدُها

يدلُّ ضيفى علىَّ فى غَسَق الليـ * ـل إذا النار نام مُوقدها

لأحمد بن يوسف

أهدى أحمد بن يوسف ملحاً مطيّباً إلى إبراهيم بن المهدى ، وكتب إليه :

الثقة بك سهّلت السبيلَ إليك ، فأهديتُ هدية من لا يحتشم ، إلى من لا يغتنم .

لابن المهدى

١٠ وأهدى إبراهيم بن المهدى إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلى جراب ملح وجراب أشنان ، وكتب إليه :

لو لا أن القلة قصّرت عن بلوغ الهمة لأتعبت السابقين إلى برِّك ، ولـكن البضاعة قعدت بالهمة ، وكرهتُ أن تُطوَى صحيفة البر ، وليس لى فيهـا ذكر ؛ فبعثت بالمبتـدإ به ليُمْنه وبركته ، والمختوم به لطيبه ونظافته ؛

١٥ وأمّا ما سوى ذلك فالمعبِّر عنا فيه كتاب الله تعالى إذ يقول : ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضَى ولا على الذين لا يَجدون ما يُنفقون حرجٌ . . . ﴾ إلى آخر الآية .

وكتب إبراهيم بن المهدى إلى صديق له :

لو كانت التحفة على حسب ما يوجبه حقُّك ، لأجحف بنا أدنى حقوقِك ؛

٢٠ ولـكنه على قدر ما يُخرج الوحشة ويُوجب الأنس ، وقد بعثتُ بكذا وكذا .

من رجل إلى المتوكل

وكتب رجل إلى المتوكل على الله وقد أهدى إليه قارورة من دهن الأترج :

إن الهدية يا أمير المؤمنين ، إذا كانت من الصغير إلى الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن ، وإذا كانت من الكبير إلى الصغير فكلما عظمت

وجلّت كانت أنفعَ وأوقع ؛ وأرجو أن لا تكون قصُرتْ بى همةٌ أصارتْنى إليك ، ولا أخّرنى رشادٌ دلنى عليك ، وأقول :

ما قصَّرتْ همةٌ بلغتُ بها * بابك يا ذا الندَى وذا الكرمِ
حسْبى بوُدِّيك إن ظفرتُ به * ذخراً وعزًّا يا واحد الأمم

لحبيب أهدى حبيب بن أوس الطائى إلى الحسن بن وهب قلما ، وكتب معه إليه هذه الأبيات : ٥

قد بَعثنا إليك أكرمك اللهُ بشىء فكن له ذا قَبولِ
لا تَقسْه إلى نَدا كفِّك الغَمْـــر ولا نيْلك الكثير الجزيل
فاســـتَجزْ قلّةَ الهديّة منى * فقليل المُقلّ غير قليـــل

لابن عبد ربه ومن قولنا فى هذا المعنى وقد أهديتُ سلة عنب ومعها : ١٠

أهديْتُ بِيضاً وسُوداً فى تلوُّنها * كأنها من بنات الروم والحبَشِ
عذ اءُ تُؤكَل أحياناً وتُشرب أحْ * ياناً فتَعصم من جوعٍ ومن عطش

وأهديت حُوتين وكتبت معهما :

أهديتُ أزرقَ مقروناً بزرقاء * كالماء لم يغذُها شىء سوى الماء
ذَكاتها الأخذ، ما تنفكّ طاهرةً * بالبرِّ والبحر أمواتاً كأحياء ١٥

وأهديتُ طبقَ وردٍ ومعه :

رياحينُ أهديها لريحانة المُنَى * جنتْها يد التّخجيل من حُمرة الخدِّ
وورْدٌ به حيّيتُ غُرّة ماجـــدٍ * شمائله أذكى نسيما من الورد
ووشْىُ ربيعٍ مشرق اللون ناضر * يَلوح عليه ثوب وشى من الحمد
بعَثْتُ بها زهراء من فوق زهرةٍ * كتركيب معشوقيْن خدًّا على خد ٢٠

وكتبت على كأس :

أشربْ على منظرٍ أنيقِ * وامْزُج بريق الحبيب ريقى

وٱحلُلْ وشاحَ الكَعابِ رِفْقاً * وٱحذرْ على خَصرِها الرقيق
وقل لمن لام فى التّصابى * إليك ! خلِّ عن الطريق

لابن أبى طاهر

وأنشد أحمد بن أبى طاهر فى هذا المعنى :

ما تَرى فى هديَّة من فقير * حِيل ما بينه وبين اليسار
تَرك المـالَ والهدايا إلى النا * س، وأهدَى غرائبَ الأشعار
مُحكَمات كأنهـا قِطع الرو * ض تحلّت أنواره بالنَّهار

المهلبى

وأنشد ابن يزيد المهلبى فى المعتمد .

سيَبقى فيك ما يُهدِى لسانى * إذا فَنِيَت هدايا المهرجانِ
قصائد تَملأ الآفاقَ مما * أحلَّ اللهُ من سحر البيان

لبعضهم

١٠ وقال آخر :

جُعلتُ فداك ، للنيْروز حقٌّ * وأنت علىّ أوجب منه حقّا
ولو أهديتُ فيه جميع مِلكى * لكان جميعه لك مُستَرَقا
وأهديتُ الثناء بنظم شعر * وكنتَ لذاك منى مستحقا
لأن هديةَ الألطاف تفنَى * وإن هدية الأشعار تبقى

لحبيب

١٥ وقال حبيب :

فو اللهِ لا أنفكُّ أُهدِى شوارداً * إليك يُحمّلنَ الثناء المنخَّلا
ألذَّ من السلوى وأطيبَ نفحةً * من المسك مفتوقا وأيسر مَحْملا

لمروان بن أبى حفصة

وقال مروان بن أبى حفصة :

بدولةِ جعفر حُمِدَ الزمان * لنا بك كلَّ يومٍ مهرجان
٢٠ جعلتُ هديتى لك فيه وشْياً * وخير الوشْى ما نَسَج اللسان

لابن أبى طاهر

وقال أحمد بن أبى طاهر :

مِن سُنّة الأملاك فيما مضى * من سالف الدهر وإقباله

هدية العبـــد إلى ربّه * فى جِدّة الدهر وأحوالهْ

فقلتُ ماأُهدى إلى سيدى ؟ * حالى وما خُوّلتُ من حاله

إن أهدِ نفسى فهى من نفسه * أو أهد مالى فهو من ماله

فليس إلا الحمدُ والشكر والْـ * ـمدح الذى يبقَى لأمثاله

الحمدونى وقال الحمدونى وأهدى إليه سعيد بن حُميد أضحيّة مهزولة : ٥

لِسعيد شُـوَيهةٌ * نالها الضرّ والعَجَفْ

فتغنّت وأبصرتْ * رجلا حاملا علَف :

« بأبى مَن بكفّه * بُرْءُ دائى من الدّنَف »

فأتاها مطمّعــا * فأتتــه لتعتلِف

ثم ولّى فأقبلتْ * تتغنّى من الأسَف : ١٠

« ليْته لم يكن وقفْ * عذّبَ القلبَ وانصرف »

وقال الحمدونى : كتبتُ إلى الحسن بن إبراهيم ، وكان كل سنة يبعث إلىّ بأضحية ، فتأخرت عنى سنة ، فكتبتُ إليه :

سيّدى أعرَض عنى * وتناسَى الوُدّ منى

مرّ بى أضحًى وأضحًى * أخلَفانى فيه ظنى ١٥

لا يَرانى فيهما أهْـ * ـلا لظِلْفٍ ولقَرن

فتغـذّيتُ بيأسٍ * ثم ضحّيتُ بجِنّى

واصطَبحتُ الراحَ يوما * ثم أنشـدتُ أغنّى :

لا لجُرْمٍ صدّ عنى * صــدّ عنى بالتجنّى

[هد]ية للمأمون أهدت جارية من جوارى المأمون تُفاحة له ، وكتبت إليه : ٢٠

إنى يا أمير المؤمنين لما رأيت تنافُس الرعية فى الهدايا إليك ، وتواتُر ألطافهم عليك ، فكرت فى هدية تخف مؤونتها ، وتهون كلفتها ، ويَعظم خطرها ،

ويجلُ موقعُها ؛ فلم أجد ما يجتمع فيه هـذا النعت ، ويكْمُل فيه هذا الوصف ، إلا التفاح ؛ فأهديت إليك منها واجدة فى العَدد ، كثيرة فى التصرُّف ؛ وأحببت يا أمير المؤمنين أن أُعرب لك عن فضلها ، وأكشف لك عن محاسنها ، وأشرح لك لطيف معانيها ، وما قالت الأطباء فيها ، وتفنُّن الشعراء فى أوصافها ، حتى ترمقَها بعين الجلالة ، وتلحظَها بمقلة الصيانة ؛ فقد قال أبوك الرشيد رضى الله عنه : أحسنُ الفاكهة التفاح ، اجتمع فيه الصفرة الدُّرِّية ، والحمرة الخَمْرية ، والشُّقْرَة الذهبية ، وبياض الفضة ، ولون التبر ؛ يَلذ بهـا من الحواس : العينُ ببهجتها ، والأنفُ بريحها ، والفمُ بطعمها . وقال أرسطاطاليس الفيلسوف عند حضوره الوفاة ، واجتمع إليه تلاميذه : التمسوا لى تفاحة أعتصم بريحها ، وأقضى وطرى من النظر إليها . وقال إبراهيم بن هانئ : ما عُلِّلَ المريض المبتلَى ، ولا سكنت حرارة الثكلى ، ولا رُدَّت شهوة الحبلى ، ولا جُمعت فكرة الحيران ، ولا سكنت حنْقة الغضبان [1] ، ولا تَحيَّتِ الفتيان فى بيوت القيان ، بمثل التفاح . والتفاحة يا أمير المؤمنين ، إن حلتَها لم تُؤْذِكَ ، وإن رُميتَ بها لم تُؤْلمك ؛ وقد اجتمع فيها ألوان قوس قزح ، من الخضرة والحمرة والصفرة ؛ وقال فيها الشاعر :

حُمْرةُ التُّفّاحِ مـــع خُضرتِه * أقربُ الأشياء من قوْسِ قَزَحْ

فعلَى التفاحِ فاشربْ قهوةً * وآسقِنيها بنشاطٍ وفـــرح

ثم غنِّـــنى لِـكَىْ تطرِبَنى * طرْفُك الفتّانُ قلبى قد جَرَح

فإذا وصلتْ إليك يا أمير المؤمنين ، فتناولها بيمينك ، وآصرِفْ إليها بغيتك ، وتأمل حسنَها بطرفك ، ولا تخدشها بظفرك ، ولا تبعدها عن عينك ، ولا تَبذلها لخَدمك ؛ فإذا طال لُبثُها عندَك ، ومُقامُها بين يديك ، وخفتَ أن يرميها الدهر بسهمه ، ويَقصِدها بصرفه ، فتذهبَ بهجتُها ، وتحيل نضرتها ، فكُلْها :

* هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مُخامِرِ *

(١) فى بعض الأصول : « ولا سلت حسيفة الغضبان » .

والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

للعباس الهمدانى

وكتب العباس الهمدانى إلى المأمون فى يوم نيروز :

أَهْدَى لك النـاسُ المَرا * كِبَ والوَصائفَ والذَّهَبْ

وهديّتى حُــلْوُ القَصا * ئدِ والمَــدائح والخُطب

فاسلَمْ سلِمْتَ على الزما * نِ منَ الحوادثِ والعَطَب

فقال المأمون : احملوا إليه كلّ ما أُهدِىَ لنا فى هذا اليوم !

تم الجزء السابع

ويليه إن شاء الله الجزء الثامن ، وهو الأخير

وأوله : كتاب الفريدة الثانية فى الطعام والشراب

فهرس الجزء السابع : من العقد الفريد

صحيفة

صحيفة

تمّ الفهرس

العقد الفريد

تأليف

الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

بتحقيق

محمد سعيد العريان

الجزء الثامن

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى

جميع حقوق الطبع محفوظة

[الطبعة الثانية]

مطبعة الاستقامة بالقاهرة

١٣٧٢ — ١٩٥٣

كتاب الفريدة الثانية

فى الطعام والشراب

لابن عبد ربه قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى بيان طبائع الإنسان وسائر الحيوان والنتف .

ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الطعام والشراب اللذين بهما تنمو الفراسة وهما قوام الأبدان ، وعليهما بقاء الأرواح .

قال المسيح عليه الصلاة والسلام فى الماء : هذا أبى . وفى الخبز : هذا أمى . يريد أنهما يغذيان الأبدان كما يغذيها الأبوان .

وهذا الكتاب جزآن : جزء فى الطعام ، وجزء فى الشراب .

فالذى فى الطعام منهما متقصٍّ جميعَ ما يتم ويتصرف به أغذية الطعام من المنافع والمضار ، وتعاهُد الأبدان بما يصلحها من ذلك فى أوقاته وضروب حالاته ، واختلاف الأغذية مع اختلاف الأزمنة بما لا يخلى المعدة وما لا يكظُّها ، فقد جعل الله لكل شيء قدرا .

والذى فى الشراب منهما مشتملٌ على صنوف الأشربة ، وما اختلف الناس فيه من الأنبذة ، ومحمود ذلك ومذمومه ؛ فإنا نجد النبيذ قد أجازه قوم صالحون ، وقد وضعنا لكل شيء من ذلك بابا فيحتاط كل رجل لنفسه بمبلغ تحصيله ، ومنتهى نظره ؛ فإن الرائد لا يكذب أهلَه .

أطعمة العرب

الوشيقة من اللحم : وهو أن يغلى إغلاءة ثم يرفع ؛ يقال منه : وشَقت

أشقُ وشقا . قال الحسن بن هانئ :

حتى رفعْنا قِدْرَنا بضِرامِها * واللحمُ بين مُوَذَّمٍ ومُوَشَّقِ

والصفيف مثله ، ويقال هو القديد ، يقال : صَفَفْتُه أصُفه صفًّا .

والرَّبيكة : شيء يطبخ من بُرّ وتمر ، ويقال منه : ربَكته أربُكه ربكا .

٥ والبَسيسة : كلُّ شيء خلطتَه بغيره ، مثل السويق بالأقِط ، ثم تلتّه بالسمن أو بالزيت ؛ أو مثل الشعير بالنوى للإبل ، يقال : بسستُه أبُسُّه بَسًّا .

والعَبيثة (بالعين غير معجمة) طعامٌ يطبخ ويجعل فيه جراد ؛ وهو الغثيمة أيضا .

والبَغيث والغليث : الطعام المخلوط بالشعير ؛ فإذا كان فيه الزُّؤان فهو المغلوث .

١٠ والبكيلة ، والبَكالة جميعاً : وهى الدقيق يخلط بالسويق ثم يبل بماء أو سمن أو زيت ، يقال : بكَلته أبكُله بكلا .

والفريقة : شيء يعمل من اللبن .

فإذا قطعت اللحم صغارا قلت : كتّفته تكتيفا .

أبو زيد قال : إذا جعلت اللحم على الجمر قلت : حسحسته ، وهو أن تَقَشِّرَ ١٥ عنه الرماد بعد أن يخرج من الجمر ؛ فإذا أدخلته النار ولم تبالغ فى طبخه قلت : ضهّبْته وهو مُضَهّب .

والمَضيرة : سميت بذلك لأنها طبخت باللبن الماضر ، وهو الحامض . والهريسة ، لأنها تهرس . والعصيدة ، لأنها تعصد . واللفيتة لأنها تلفت .

والفالوذ ـ وهو السِّرِطراط ، ومن أسماء الفالوذ أيضا : السريط ـ لأنه ٢٠ يُسترط ، مثل يُزدرد ؛ ويقال : لا تكن حلوا فتُسترط ، ولا مُرًّا فتُعقِى . يقال : أعق الشيء : اشتدت مرارته .

الرغيدة : اللبن الحليب يُغلى ثم يذَرّ عليه الدقيق حتى يختلط فيُلعَق لعقا .

الحريرة : الحساء من الدسم والدقيق .

والسخينة : حساء كانت تعمله قريش فى الجاهلية فسميت به ، قال حسان :

زعمتْ سخينة أن ستغْلِب رَبَّها * وليُغلبَن مُغالب الغـلَّابِ

والعَـكيس : الدقيق يُصب عليه المـاء ثم يُشرب . قال منظور الأسدى :

ولمـا سقَيْناها العَـكيسَ تَمَذَّحت * خواصرُها وآزداد رشحًا وريدها

أسماء الطعام

٥

الوليمة : طعام العرس . والنَّقيعة : طعام الإملاك . والإعذار : طعام الختان والخُرس : طعام الولادة . والعقيقة : طعام سابع الولادة . والنقيعة : طعام يصنع عند قدوم الرجل من سفره ، ويقال : أنقعت إنقاعا . والوكيرة : طعام يُصنع عند البناء يبنيه الرجل فى داره . والمـأدبة : كل طعام يصنع لدعوة ، يقال : آدبت أُودب إيدابا ، وأَدَبْت أدبا ؛ قال طرفة : ١٠

نحن فى المَشْتاة نَدعو الجفْلى * لا ترى الآدِبَ فينا يَنتقِرْ

الآدِب : صاحب المـأدبة . والجفلى : دعوة العامة . والنَّقَرَى : دعوة الخاصة . والسُّلفة : طعام يُعلل به قبل الغداء .

والقَفِىّ : الطعام الذى يكرَّم به الرجل ، يقال منه : قفوته فأنا أقفوه قفوا ؛ والقَفاوة : ما يُرفع من المرق للإنسان ، قال الشاعر : ١٥

ونُقفِى وليد الحىِّ إن كان جائعا * ونُحْسِبُه إن كان ليس بجائع

صفة الطعام وفضله

للنبي صلى الله عليه وسلم - قال النبي صلى الله عليه وسلم : «أكرموا الخبز ، فإن الله سخر له السموات والأرض ، وكلوا سَقَط المـائدة» .

للحسن البصرى وقال الحسن البصرى : ليس فى الطعام سرَفٌ . وتلا قوله تعالى : ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصَّالحاتِ جُناحٌ فيما طَعِموا ﴾ . ٢٠

للأصمعى وقال الأصمعى : الكبادات أربع : الصيدة ، والهريسة ، والحيس ، والسَّميذ .

لأبى حاتم

أبو حاتم : والسويق طعام المسافر ، والعجلان ، والمريض ، والنُّفساء ، وطعام من لا يشتهى الطعام .

لأبى صوارة

أبو خالد عن الأصمعى قال : قال أبو صوارة : الأرز الأبيض بالسمن المسلى والسكر الطَّبرْزذ ، ليس من طعام أهل الدنيا !

لربيعة بن أبى عبد الرحمن

٥ وقال مالك بن أنس عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن : أكل الخبيص يزيد فى الدماغ .

الحسن وفرقد

وقال الحسن لفرقد : بلغنى أنك لا تأكل الفالوذج . قال : يا أبا سعد ، أخاف أن لا أؤدى شكره ! قال : يالُكَع ! وهل تؤدى شكر الماء البارد فى الصيف والحار فى الشتاء ؟ أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا ١٠ من طيبات ما رزَقْناكم ﴾ .

للحسن

وسمع الحسن رجلا يعيب الفالوذج ، فقال : لُباب البُرّ بلعاب النحل بخالص السمن ؛ ما عاب هذا مسلم !

لرجل فى مجلس الأحنف

وقال رجل فى مجلس الأحنف : ما شىء أبغض إلىّ من الزُّبد والكمأة . فقال الأحنف : رُبَّ مَلومٍ لا ذنب له ،

لشريح

١٥ وقيل لشريح القاضى : أيهما أطيب . اللوزينق أو الجوزينق ؟ فقال : لا أحكم على غائب .

ولد لعبد الرحمن بن أبى ليلى مولود فصنع الأجبصة ، ودعا الناس ، وفيهم مُساور الورّاق ، فلما أكلوا قال مساور الورّاق :

مَن لم يُدسِّمْ بالثريد سِبالَنا * بعد الخبيص فلا هَناهُ الفارسُ

ابن مصقلة

٢٠ الرقاشى قال : أخبرنا أبو هفان أن رقبة بن مصقلة طرح نفسه بقرب حماد الراوية فى المسجد ، فقال له حماد : مالك ؟ قال صريع فالوذج . قال له حماد : عند من ؟ فطالما كنت صريع سمك مملوح خبيث ! قال : عند من حكم فى الفُرقة وفصل فى الجماعة . قال : وما أكلت عنده ؟ قال : أتانا بالأبيض المنضود ، والملوّز

المعقود ، والذليل الرعديد ، والماضي المودود .

طعام عبد الأعلى

محمد بن سلام الجمحي قال : قال بلال بن أبي بردة وهو أمير على البصرة للجارود بن أبي سَبُرة الهذلي : أتحضر طعام هذا الشيخ ؟ يعني عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ؟ قال : نعم . قال : فصفه لي . قال : نأتيه فنجده مُتصبّحا — يعني نائما — فنجلس حتى يستيقظ ، فيأذن لنا فنساقطه الحديث ؛ فإن حدثْناه أحسن الاستماع ، وإن حدثنا أحسن الحديث ؛ ثم يدعو بمائدته ، وقد تقدم إلى جواريه وأمهات أولاده أن لا تلطفه واحدة منهن إلا إذا وُضعت مائدته ؛ ثم يقبل خبازه فيمثل بين يديه ، فيقول : ما عندك اليوم ؟ فيقول : عندي كذا ، عندي كذا ... فيعدد كل ما عنده ، ويصفه ؛ يريد بذلك أن يحبس كلُّ رجل نفسه وشهوته على ما يريد من الطعام ، وتقبل الألطاف من ههنا وههنا ، وتوضع على المائدة ؛ ثم يؤتى بثريدة شهباء من الفلفل ، رقطاء من الحمص ، ذات حِفافين من العُراق ؛ فنأكل معه ، حتى إذا ظن أن القوم قد كادوا يمتلئون ، جثا على ركبتيه ثم استأنف الأكل معهم . فقال [ابن] أبي بردة : لله درُّ عبد الأعلى ، ما أربط جأشه على وقع الأضراس .

وحضر أعرابيٌّ طعام عبد الأعلى ، فلما وقف الخباز بين يديه ووصف ما عنده قال : أصلحك الله ، أتأمر غلامك يسقيني ماء ، فقد شبعت من وصف هذا الخباز !

وقال له عبد الأعلى يوما : ما تقول يا أعرابي ، لو أمرت الطباخ فعمل لون كذا ، ولون كذا ؟ قال : أصلحك الله ، لو كانت هذه الصفة في القرآن لكانت موضع سجود .

الفرزدق وابن الحصين

أبو عبيدة قال : مر الفرزدق بيحيى [بن الحصين] بن المنذر الرقاشي فقال له : هل لك أبا فراس في جدْي رضيع ، ونبيذ من شراب الزبيب ؟ قال : وهل يأبى هذا إلا ابن المراغة .

الأحوص وجرير

وقال الأحوص لجرير لما قدم المدينة : ماذا ترى أن نُعِدَّ لك ؟ قال : شواء وطلاء وغناء . قال : قد أُعِدّ لك .

لمساور

وقال مساور الورّاق فى وصف الطعام :

آسمع بنَعْتِى للملوك ولا تكن * فيما سمعتَ كميّتِ الأحياء
٥ إنّ الملوك لهم طعامٌ طيّبٌ * يستأثرون به على الفقراء
إنى نعَتُّ لذيذَ عيشى كلَّه * والعيْش ليس لذيذُهُ بسواء
ثم اختصَصْت من اللذيذ وعيْشه * صفة الطعامِ لشهوةِ الحلواء
فبدأتُ بالعسلِ الشديد بياضُه * شهْدٌ تَباكَرُه بماء سماء
إنى سمعت لقوْل ربك فيهما * لجَمَعْت بين مُباركٍ وشفاء
١٠ أيامَ أنت هناك بين عِصابةٍ * حضروا ليومِ تنعُّمٍ أكفاء
لا ينطِقون إذا جلسْت إليهم * فيما يكون بلفظةٍ عَوراء
مُتَنَسِّمين رياح كلِّ هبوبة * بين النخيل بغُرْفة فَيْحاء
فقعَدْتُ ثم دعوتُ لى بمَبذرقٍ * مُتشمِّر يسعى بغير رِداء
قد لَفّ كُمَّيْه على عضلاتِه * قلِص القميصِ مُشمِّرٍ سَعَّاء
١٥ فأتى بخُبْز كالمُلاء مُنقَّط * فبناه فوق أخاوِنِ الشِّيزاء
حتى مَلاها ثم تَرْجَم عندها * بالفارسيّة داعيا بوَحاء
فإذا القِصَاعُ من الخَلَنْج لديهم * تبدو جوانبُها مع الوُصَفاء
آرفع وضعْ وهنا وهاك وهٰهنا * قَصْف الملوك ونَهمةَ القرّاء
يُؤتوْن ثمّ بِلَونِ كلِّ طريفةٍ * قد خالفَتْه موائد الخلفاء
٢٠ من كلِّ فَرْنِيٍّ[1] وجَدْيٍ راضع * ودجاجةٍ مَرْبُوبة عَشْواء
ومَصُوصِ دُرّاجٍ كثير طيّب * ونواهِض يؤْتَى بهن شِواء

(١) فى بعض الأصول : « من كل ذى قرن ».

وثَريدةٍ ملبومة قد سُقِّفتْ * من فوقها بأطايب الأعضاء
وتزيّنت بتوابل معـــلومة * وخُبيِّصات كالجُمان نقاء
هذا الثَّريد وما سواه تعلُّلٌ * ذهب الثريد بنَهْمتى وهوائى
ولقد كلِفتُ بنعتِ جَدْى راضع * قد صُنْتُه شهرين بين رِعاء
قد نال من لبن كثير طيِّب * حتى تفتَّق من رضاع الشّاء ٥
من كلّ أحمرَ لا يَقَرُّ إذاآرتوى * من بين رقص دائم ونُزاء
مُتعكِّنِ الجَنبيْن صافٍ لونه * عَبْلِ القوائم من غذاء رَخاء
فإذا مرِضت فداوِنى بلحومها * إنى وجدت لحومهُنّ دوائى
ودَعِ الطبيب ولا تثق بدوائه * ما حالفَتْك رواضع الأجداء
إنّ الطبيبَ إذا حَباك بشربة * تركَتْك بين مخافة ورجاء ١٠
وإذا تنطّع فى دواء صديقِه * لم يعْـــدُ ما فى جُونةِ الرَّقّاء
نعَتَ الطبيبُ هَليلَجاً وبليلجاً * ونعتُّ غيرهما من الأدْواء
رُطب المُشان مُجزَّعاً يُؤتى بها * والرازقىّ فماهما بســـواء
وبَنانياً زُرْقاً كأنّ بُطونَها * قطَع الثُّلوج نقيّة الأمعاء
ليست بآكلةِ الحشيش ولاالتى * يَبتاعُها الخنّاق فى الظلْماء ١٥

باب آداب الأكل والطعام

النبى صلى الله عليه وسلم

قال النبى صلى الله عليه وسلم : «الأكل فى السوق دَناءة» .

وقال صلى الله عليه وسلم : «إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه ويشرب بيمينه ، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله» .

وقال صلى الله عليه وسلم : «سَمّوا إذا أكلتم ، واَحمَدوا إذا فرَغتم» . وكان يلعق أصابعه بعد الطعام . ٢٠

وقال صلى الله عليه وسلم : «الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر ، وبعدالطعام ينفى اللمم» .

ومن الأدب فى الوضوء أن يبدأ صاحبُ البيت فيغسلَ يده قبل الطعام ويتقدّم أصحابَه إلى الطعام .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «طعام الاثنين كافى الثلاثة ، وطعام الثلاثة كافى الأربعة» .

٥ وقال صلى الله عليه وسلم : «أملكوا العجين فإنه أحد الرَّيعين» .

فرقد — وكان فرقد يقول لأصحابه : إذا أكلتم فشدُّوا الأُزُرَ على أوساطكم ، وصغّروا اللقم ، وشدِّدُوا المضغ ، ومصوا الماء [مَصًّا] ، ولا يَحل أحدُكم إزارَه فيتسع مِعاه ، وليأكل كلٌّ واحد من بين يديه .

لابن هبيرة — وقالوا : كان ابن هبيرة يباكر الغداء ؛ فسئل عن ذلك ، فقال : إن فيه ثلاثَ ١٠ خصال : أما الواحدة فإنه ينشف المِرَّة ، والثانية أنه يطيِّب النكهة والثالثة : أنه يعين على المروءة . قيل : وكيف يعين على المروءة ؟ قال : إذا خرجت من بيتى وقد تغديت لم أتطلع إلى طعامِ أحدٍ من الناس .

البطنة وقولهم فيها

لبعضهم — قالوا : البِطنة تُذْهب الفطنة .

١٥ لمسلمة — وقال مسلمة بن عبد الملك لملك الروم : ما تعُدُّون الأحمق فيكم ؟ قال الذى يملأ بطنه من كل ماوجد .

معاوية وأبو بكرة — وحضر أبو بكرة سفرةَ معاوية ، ومعه ولده عبد الرحمن ، فرآه يلتقم لَقما شديداً ؛ فلما كان بالعشى راح إليه أبو بكرة ، فقال له معاوية : ما فعل آبنك التلقامة ؟ قال : آعتل ، قال : مثله لا يعدم العلة .

٢٠ أبو الأسود ورجل شره — ورأى أبو الأسود الدؤلى رجلا يلقم لقما منكرا ، فقال [له] : كيف اسمك ؟ قال : لقمان . قال : صدق الذى سماك !

أعرابى وسمين — ورأى أعرابىٌّ رجلا سمينا ، فقال له : أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك !

وقعد أعرابى على مائدة المغيرة ، فجعل ينهش ويتعرّق ، فقال المغيرة : يا غلام

ناوله سكينا ، قال الأعرابى : كل امرئ سكينه فى رأسه .

لأعرابى

قال أعرابىٌّ : كنت أشتهى ثريدة دكناء من الفلفل ، رقطاء من الحمص ، ذات حِفافين [من اللحم ، لها جناحان] من العُراق ؛ فأضربُ فيها كما يضرب ولىُّ السوء فى مال اليتيم !

٥ وقال أعرابى :

ألا ليتَ لى خُبزاً تَسربَلَ رائباً * وخَيْلاً من البَرْنِىِّ فُرْسانُها الزُّبْدُ

فأطلُبَ فيما بينَهُنَّ شَهـــادةً * بموتِ كريمٍ لا يُعدُّ له لَحْدُ

واصطحب شيخ وحدثٌ من الأعراب فى سفر ، وكان لهما قرص فى كل يوم وكان الشيخ مخلع الأضراس ، وكان الحدَثُ يبطش بالقرص ويقعد يشكو العشق ، والشيخ يتضوّرُ جوعا ؛ وكان الحدَث يسمى جعفرا ، ١٠ فقال الشيخ فيه :

لقد رابَنى من جعفرٍ أنّ جَعْفَراً * يَطيشُ بقُرْصِى ثمّ يَبكى على جُمْلِ

فقلْتُ له لو مَسَّكَ الحُبُّ لم تبِتْ * بَطيناً ونسّاك الهوى شِدَّةَ الأكلِ

للأصمعى

الأصمعى قال : تقول العرب فى الرجل الأكول : إنه بَرَمٌ قرُون .

١٥ البرم : الذى يأكل مع الجماعة ولا يجعل شيئا . والقَرون : الذى يأكل تمرتين تمرتين ويأكل أصحابه تمرة تمرة . وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن القِرَان .

عبد الله بن الزبير

وكان عبد الله بن الزبير : إذا قدم التمر إلى أصحابه [قال] : قال عبد الله بن عمر : إياكم والقران ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه .

المسيرة

٢٠ وقيل لميسرة الأكول : كم تأكل كلَّ يوم ؟ قال : من مالى أو من مال غيرى ؟ قيل له : من مالك . قال : مكُّوك . قيل : فمن مال غيرك ؟ قال : اخبزوا واطرحوا !

لعراق فى قينة

وقال رجل من العراق فى قينة حفص الكاتب :

قَيْنَةُ حفصٍ ويلَها * فيها خِصالٌ عشَرَهْ

أوّلها أنّ لهـــا * وجْها قبيحَ المنْظَرَهْ

ودارُها فى وهْـدَةٍ * أوْسَعُ منها القنْطرهْ

تأكلُ فى قعدَتِهـا * ثوْراً وتَخرى بقَرَهْ

قال تأبّط شرًّا : ما أحببت شيئا قطّ حبي ثلاثة : أكل اللحم ، وركوب اللحم ،

٥ وحكّ اللحم باللحم

هلال بن الأسعر

وقال أبو اليقظان : كان هلال بن الأسعر التميمى أكولا ، فيزعمون أنه أكل فصيلا وأكلت امرأته فصيلا ؛ فلما أراد أن يجامعها لم يصل إليهـا ، فقالت له : وكيف تصل إلىّ وبينى وبينك بعيران !

الواثق

وكان الواثق ، واسمه هارون بن محمد بن هارون ، أكولا ، وكان مفتونا بحب

١٠ الباذنجان ، وكان يأكل فى أكلة واحدة أربعين باذنجانة ؛ فأوصى إليه أبوه ، وكان ولىّ عهده : ويلك ! متى رأيتَ خليفة أعمى ؟ فقال للرسول : أعْلِم أمير المؤمنين أنى تصدقت بعينىّ جميعا على الباذنجان !

نهم سليمان بن عبد الملك

وكان سليمان بن عبد الملك من الأكلة ، حدث عنه العتبى عن أبيه عن الشمرد وكيل عمرو بن العاص قال : لمـا قدم سليمان الطائف ، دخل هو وعمر

١٥ ابن عبد العزيز وأيوبُ ابنه بستانا لعمرو بن العاص ، فجال فيه ساعة ، ثم قال : ناهيكم بمـالكم هذا مالا ! ثم ألقى صدره على غُصن ، وقال : ويلك ياشمردل ! ماعندك شىء تطعِمُنى ؟ قال : بلى ، إن عندى جديا كانت تغدو عليه بقرة وتروح أخرى . قال : عجل به . فأتيتُه به كأنه عُكة سمن ، فأكله وما دعا عُمَرَ ولا ابنَه ، حتى إذا بقى الفخذ قال : هلم أبا حفص . قال : إنى صائم . فأتى عليه ، ثم قال :

٢٠ ويلك ياشمردل ! ماعندك شىء تطعمنى ؟ قال : بلى والله ، عندى خمس دجاجات هنديات كأنهنّ رِئلانُ النعام . قال : فأتيته بهن ، فكان يأخذ برجلى الدجاجة فيلقى عظامها نقية ، حتى أتى عليهن ؛ ثم قال : ياشمردل ، ما عندك شىء تطعمنى ؟ قلت : بلى والله ، إن عندى حريرة كأنها قراضة الذهب . فقال : عجل بها . فأتيته

بِعُسٍّ يشيب فيه الرأس ، فجعل يلاقيها بيده ويشرب ؛ فلما فرغ تجشأ ، فكأنما صاح فى جُب ، ثم قال : يا غلام ، أفرغت من غدائى ؟ قال : نعم قال : وماهو ؟ قال : ثمانون قدرا . قال : ائتنى بها قِدرا قدرا . قال : فأكثرُ ما أكل من كل قدر ثلاثُ لقم ، وأقلُّ ما أكل لقمة ؛ ثم مسح يده واستلقى على فراشه ، ثم أذن للناس ووضعت المائدة وقعد فأكل مع الناس ، فما أنكرتُ من أكله شيئا . ٥

نهم مزرد — وقال الأصمعى : كنت يوما عند هارون الرشيد ، فقُدمت إليه فالوذجة ، فقال : يا أصمعى ، قلت : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : حدّثنى بحديث مُزَرِّد أخى الشماخ . قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، إن مزردا كان رجلا جَشِعا نَهِما ، وكانت أمه تؤثر عيالها بالزاد عليه ؛ وكان ذلك مما يَضُرُّ به ويُحفِظه ؛ فذهبت يوما فى بعض حقوق أهلها ، وخلفت مزردا فى بيتها ورحلها ، فدخل الخيمة ، فأخذ صاعين ١٠ من دقيق ، وصاعا من عجوة ، وصاعا من سمن ؛ فضرب بعضه ببعض فأكله ، ثم أنشأ يقول :

ولما مضتْ أُمى تزورُ عِيالها * أغَرتُ على العِكمِ الذى كان يُمنع

خلطتُ بصاعَىْ حِنْطةٍ صاعَ عجوةٍ * إلى صاعِ سمنٍ فوقهُ يتريَّع

ودَبَّلتُ أمثالَ الأثافى كأنها * رُءوسُ رِخالٍ[1] قُطِّعتْ لاتجمَّع ١٥

وقلتُ لبطنى : أبشِرِ اليوم إنه * حِمى أُمِّنا مما تُفيدُ وتَجْمَع

فإن كنتَ مصفوراً فهذا دواؤُه * وإن كنتَ غرثانا فذا يومَ تشبعُ

قال : فاستضحك هارون حتى أمسك بطنه واستلقى على ظهره ، ثم قعد فمدّ يده وقال : خذ ، فذا يوم تشبع يا أصمعى !

حميد الأرقط — وقال حميد الأرقط ـ وهو الذى هجا الأضياف ـ يصف أكلَ الضيف : ٢٠

ما بينَ لقْمتهِ الأولَى إذا انحَدَرتْ * وبين أُخرى تَليها قِيدُ أُظفور

(١) فى بعض الأصول : « رءوس نقاد » .

وقال أيضا :

تجهّز كفّاه ويحدر حلقه * إلى الزّوْر ما ضمّت عليه الأناملُ
أتانا وما ساواه سَحْبانُ وائلٍ * بياناً وعِلما بالذى هو قائل
فما زال عنه اللّقمُ حتى كأنه * من العِىّ لمّا أن تكلّم باقل

٥ وقال :

لا أُبغض الضيفَ ما بى جُلّ مأكله * إلا تنفُّجَه حولى إذا قعـــدا
مازال ينفخُ جنبيـــه وحبْوتَه * حتى أقول لعلّ الضيفَ قد وَلدا

وقال :

لا مرحباً بوجوه القوم إذ نزلوا * دُسْمَ العمائم تحكيها الشياطينُ
١٠ ألقيْتُ جُلّتنا شـطرين بينهمُ * كأن أظفارَهم فيها السكاكين
فأصبَحوا والنّوى عالى مُعرّسهمْ * وليس كلُّ النوَى تُلقِى المساكين

موت سليمان بن عبد الملك — أبو الحسن المدائنى قال : أقبل نصرانى إلى سليمان بن عبد الملك ، وهو بدابق ، بسلّين ، أحدهما مملوء بيضا ، والآخر مملوء تينا ، فقال : أقشروا . فجعل يأكل بيضة وتينة حتى فرغ من السلين ؛ ثم أتوه بقصعة مملوءة مُخًّا بسكر ؛ ١٥ فأكله ، فأتخم ومرض فمات .

عيب الحمية — والأكَلة كلهم يعيبون الحِمية ، ويقولون ، الحمية إحدى العلتين .

وقالوا : من احتمى فهو على يقين من المكروه وهو فى شك من العافية !

وقالوا : الحمية للصحيح ضارّة وللعليل نافعة .

الحمية وقولهم فيها

لبقراط — ٢٠ قيل لبقراط : مالك تُقل الأكلَ جدا ؟

قال : إنى إنما آكل لأحيا ، وغيرى يحيا ليأكل !

للأطباء — وأجمعت الأطباء على أن رأس الداء كلّه إدخال الطعام على الطعام .

وقالوا : احذروا إدخال اللحم على اللحم ؛ فإنه ربما قتل السباع فى القفر .
وأكثر العلل كلها إنما يتولد من فضول الطعام .

النبى صلى الله عليه وسلم

والحمية مأخوذة عن النبى صلى الله عليه وسلم : رأى صهيباً يأكل تمراً وبه رمد ، فقال « أتأكل تمراً وأنت أرمد ؟ » .

ودخل علىّ على رضى الله عنه وهو عليل ، وبيده عنقود عنب ، فنزعه من يده .

وقال عليه الصلاة والسلام « لا تُكرِهوا مرضاكم على الطعام والشراب ، فإن الله يطعمهم ويسقيهم » .

لابن كلدة

وقيل للحارث بن كلدة طبيب العرب : ما أفضل الدواء ؟

قال : الأزْم .

يريد قلة الأكل ، ومنه قيل للحمية : الأزمة ، وللكثير أزمات .

لبعضهم

وقيل لآخر : ما أفضل الدواء ؟

قال : أن ترفع يدك عن الطعام وأنت تشتهيه .

لابن جندب

أبو الأشهب عن أبى الحسن قال : قيل لسُمرة بن جندب : إن ابنك [1] إذا أكل طعاما كظّه حتى كاد أن يقتله .

قال : لو مات ما صليتُ عليه !

عبد الملك ومدعو إلى غدائه

ودعا عبد الملك بن مروان رجلا إلى الغداء ، فقال . ما فىَّ فضلٌ يا أمير المؤمنين .

قال : لا خير فى الرجل يأكل حتى لا يكون فيه فضل !

فقال : يا أمير المؤمنين ، عندى مستزاد ، ولكن أكره أن أصير إلى الحال التى استقبحها أمير المؤمنين .

---

(١) فى بعض الأصول : « قيل للمنذر بن جندب » وفى بعضها : « قيل لسمرة ... إن أباك » .

الأحنف

وقال الأحنف بن قيس : جنّبوا مجالسنا ذكرَ النساء والطعام ، فإنى أُبغض الرجل يكون وصّافا لبطنه وفرْجه .

لبعض الحكماء

وقيل لبعض الحكماء : أى الطعام أطيب ؟

قال : الجوع ؛ ما ألقيتَ إليه من شىء قَبِله .

شامى ومدنى

٥ وقال رجل من أهل الشام لرجل من أهل المدينة : عجبتُ منكم أن فقهاءكم أظرف من فقهائنا ، ومجانينكم أظرف من مجانيننا !

قال : أو تدرى من أين ذلك ؟

قال : لا أدرى .

قال : من الجوع ، ألا ترى أن العود إنما صفا صوته لمّا خلا جوفه !

الثورى فى ابنه

١٠ وقال الجاحظ : كان أبو عثمان الثورى يُجلس ابنه معه ويقول له : إياك يا بنىّ ونهم الصبيان ، وأخلاق النوائح ، ونهش الأعراب ؛ وكُلْ مما يَليك ، واعلم أنه إذا كان فى الطعام لقمةٌ كريمة ، أو مضغةٌ شهيّة ، أو شىء مستطرف ، فإنما ذلك للشيخ المعظّم ، أو للصبى المدلّل ، ولستَ بواحد منهما ، وقد قالوا : مُدمن اللحم كمدمن الخمر .

١٥ أى بنىّ ، عوّد نفسك الأثرة ، ومجاهدة الهوى والشهوة ، ولا تنهش نهش السباع ، ولا تخضم خضم البراذين ، ولا تُدمن الأكل إدمان النعاج ، ولا تلقَم لقْم الجمال ؛ فإن الله جعلك إنساناً فلا تجعل نفسك بهيمة ، واحذر سرعة الكِظة ؛ وسَرَف البِطنة ؛ فقد قال بعض الحكماء : إذا كنت نَهما فعُدّ نفسك من الزَّمْنى ؛ واعلم أن الشِّبَع داعية البَشَم ، والبشم داعية السقم ، والسقم داعية ٢٠ الموت ؛ ومن مات هذه المِيتة فقد مات مِيتة لئيمة ، لأنه قاتل نفسه ، وقاتل نفسه ألأم من قاتل غيره .

أى بنىّ ، والله ما أدّى حقّ الركوع والسجود ذو كِظة ، ولا خشع لله ذو بِطنة ، والصوم مَصَحّة ، والوَجَبات عيش الصالحين .

أى بنىّ ، لأمر ما طالت أعمارُ الهند ، وصحتْ أبدان العرب ؛ ولله درّ الحارث بن كلدة إذ زعم أن الدواء هو الأزْم ، فالداء كله من فضول الطعام ؛ فكيف لا ترغب فى شىء يجمع لك صحة البدن ، وذكاء الذهن ، وصلاح الدين والدنيا ، والقرب من عيش الملائكة !

٥ أى بنى ، لِمَ صار الضب أطول عمرا ؟ إلا لأنه يتبلّغ بالنسيم ؛ ولِمَ قال الرسول عليه الصلاة والسلام : إن الصوم وِجاء ؟ إلا لأنه جعله حجابا دون الشهوات ؛ فافهم تأديب الله عز وجل ، وتأديب رسوله عليه الصلاة والسلام .

أى بنى ، قد بلغتُ تسعين عاما ما نغضتْ لى سنّ ، ولا انتشر لى عصب ، ولا عرفت ذَنين أنف ، ولا سيلان عين ، ولا سَلس بول ؛ ما لذلك علة

١٠ إلا التخفيف من الزاد ؛ فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة ، وإن كنت تحب الموت فلا أبعد الله غيرك !

سياسة الأبدان بما يصلحها

الحجاج وطبيبه

قال الحجاج بن يوسف للباذون طبيبه : صف لى صفة آخذ بها فى نفسى ولا أعدوها .

١٥ قال له : لا تتزوج من النساء إلا شابة ، ولا تأكل من اللحم إلا فتيّا ، ولا تأكله حتى يُنعِمَ طبخه ، ولا تشرب دواء إلا من علة ، ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجَها ، ولا تأكل طعاما إلا أجدْت مضغه ، وكلْ ما أحببت من الطعام واشرب عليه ، فإذا شربت فلا تأكل ولا تحبس الغائط ولا البول ، وإذا أكلت بالنهار فنَم ، وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة .

٢٠ وسُئل يهود خيبر : بم صَحَحْتم على وباء خيبر ؟

قالوا : بأكل الثوم ، وشرب الخمر ، وسُكنى اليفاع ، وتجنّب بطون الأودية والخروج من خيبر عند طلوع النجم وعند سقوطه .

وقال قيصر لقسّ بن ساعدة : صف لى مقدار الأطعمة .

فقال : الإمساك عن غاية الإكثار ، والبُقْيا على البدن عند الشهوة . قال : فما أفضل الحكمة ؟ قال : معرفة الإنسان قدره . قال : فما أفضل العقل ؟ قال : وقوف الإنسان عند علمه .

عبد الملك وأبو الزعيزعة

وسأل عبد الملك بن مروان أبا المفوز (١) : هل أُتخِمْتَ قط ؟ قال : لا . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنا إذا طبخنا أنضجنا ، وإذا مضغنا دققنا ، ولا نَكِظّ المعدة ولا نُخليها .

لبزرجمهر

وقيل لبزرجمهر : أي وقت فيه الطعام أصلَح ؟ قال : أما لِمَنْ قدر فإذا جاع ، و [أما] لمن لم يقدر فإذا وَجد !

وقال : أربع تهدم العمر وربما قتلن : الحمّام على البِطنة . والمجامعة على الامتلاء ، وأكلُ القديد الجافّ ، وشربُ الماء البارد على الريق .

لإبرهيم النظام

وقال إبراهيم النظام : ثلاثة أشياء تُفْسد العقل : طولُ النظر فى المرآة ، والاستغراق فى الضحك ، ودوام النظر فى البحر .

هارون والأطباء

الأصمعى قال : جمع هارون من الأطباء أربعة : عراقيا ، ورو‌ميا ، وهنديا ، ويونانيا ؛ فقال : ليصفْ لى كلُّ واحد منكم الدواء الذى لا داء معه . فقال العراقى : الدواء الذى لا داء معه حبُّ الرشاد الأبيض . وقال الهندى : الهليلج الأسود . وقال الرومى : الماء الحارّ ، وقال اليونانى وكان أطبَّهم : حب الرشاد الأبيض يولد الرطوبة ، والماء الحارّ يرخى المعدة ، والهليلج الأسود يُرِقّ المعدة ؛ لكن الدواء الذى لا داء معه : أن تقعد على الطعام وأنت تشتهيه .

تدبير الصحة

ثم نذكر بعد هذا من وصف الطعام وحالاته ، ومايدخل على الناس من

(١) كذا بالأصل ، وفى عيون الأخبار : أبا الزعيرة ، وروى ناشره عن الطبرى . أبا الزعيزعة ، وعن ابن الأثير : أبا الزعيرية ، فلا ندرى أى ذلك الصواب !

ضروب آفاته ، بابا فى تدبير الصحة الذى لا تقوم الأبدان إلا به ، ولا تَتَمَّى النفوسُ إلا عليه . وقد قال الشافعى : العلم علمان : علم الأديان ، وعلم الأبدان ؛ ولم نجد بدًّا — إذ كانت جملة هذه المطاعم التى بهـا نمو الغراسة ، وعليها مدار الأغذية تضرُّ فى حالة وتنفع فى أخرى — من ذكر ما ينفع منها ومقدارِ نفعه ، وما يضرُّ منها ومبلغ ضرِّه ؛ وأن نحكم على كل ضرب منها بالأغلب عليه ٥ من طبائعه .

وقلما نجد شيئا ينفع فى حالة إلا وهو ضار فى الأخرى ؛ ألا ترى أن الغيث الذى جعله الله رحمة لخلقه ، وحياةً لأرضه ، قد يكون منـه السيول المهلكة ، والخراب المخيف ؟ وأن الرياح التى سخرها الله مبشراتٍ بين يدى رحمته ، قد أهلك بها قوما وانتقم من قوم ؟ وفى هذا المعنى قال حبيب الطائى : ١٠

ولم تَرَ نفعاً عند مَن ليس ضائِراً ٭ ولم تر ضرًّا عند مَن ليس يَنفعُ

قال خالد بن صفوان [يوماً] لخادمه : أطعِمنا جُبْنا ، فإنه يشهِّى الطعام ، ويَهيج المعدة ، وهو حمض العرب . قال : ما عنـدنا منه شىء . فقال : لا بأس عليك ، فإنه يقدح الأسنان ، ويشد البطن .

ولمـا كانت أبدان الناس دائبة التحلل ، لمـا فيها من الحرارة الغريزية من ١٥ داخل ، وحرارة الهواء المحيط بهـا من خارج ـ احتاجت إلى أن يُخلَف عليها ما تحلل ، واضطرت لذلك إلى الأطعمة والأشربة ، وجُعلت فيها قوةُ الشهوة ليُعلَم بها وقتُ الحاجة منها إليها ، ومقدارُ ما يُتناول منها ، والنوع الذى يُحتاج إليه ؛ ولأنه لا يَخلف الشىء الذى يتحلل ولا يقوم مقامه إلا مثلُه ، وليس تستطيع القوةُ التى تُحيل الطعامَ والشراب فى بدن الإنسان أن تحيل إلا ما شاكل البدنَ ٢٠ وقاربه ؛ فإذا كان هـذا هكذا فلا بد لمن أراد حفظ الصحة أن يقصد لوجهين : أحدهما أن يُدخل على البدن الأغذية الموافقة لمـا يتحلل منه ، والأخرى أن ينفى عنه ما يتولد فيه من فضول الأغذية .

ما يصلح لكل طبيعة من الأغذية

وينبغى لك أن تعرف اختلاف طبائع الأبدان وحالاتها ، لتعرف بذلك موافقة كلّ نوع من الأطعمة لكل صنف من الناس ؛ وذلك أن الأغذية مختلفة ؛ منها معتدلة ، كالتى يتولد منها الدم الخالص النقىّ ؛ ومنها غير معتدلة ، كالتى يتولد منها البلغم والمِرّة الصفراء والسوداء والرياح الغليظة ؛ ومنها لطيفة ومنها غليظة ؛ ومنها ما يتولد عنه كَيموس لزج وكيموس غير لزج ؛ ومنها ماله خاصة منفعة أو مضرة فى بعض الأعضاء دون بعض .

وكذلك الأبدان أيضاً ، منها معتدل مستولٍ عليه فى طبيعته الدمُ الخالص النقى ، ومنها غير معتدل يغلب عليه البلغم أو إحدى المرّتين ، ومنها متخلخل سريع التحلل ، ومنها مستحصف عسر التحلل ، ومنها ما يكون فى بعض أعضائها دون بعض ؛ فقد يجب متى كان المستولى على البدن الدم النقى أن تكون أغذيته قصداً فى قَدْرها ، معتدلة فى طبائعها ؛ ومتى كان الغالب عليه البلغم ، فيجب أن تكون مُسخنة ، أو يغتذى بما يزيد فى الحرارة ويقمع فى الرطوبة ؛ ومتى كان الغالب عليه المِرّةُ السوداء فينبغى له أن يغتذى بالأغذية الحارة الرطبة ؛ ومتى كان الغالب عليه المرة الصفراء فيغتذى بالأغذية الباردة الرطبة ، ومتى كان بدنه مستحصفاً ، عسر التحلل فينبغى أن يغتذى بأغذية يسيرة لطيفة جافة ، ومتى كان متخلخلا فينبغى له أن يغتذى بأغذية لزجة ، لكثرة ما يتحلل من البدن .

فهذا التدبير ينبغى أن يُلتزم ، ما لم يكن فى بعض أعضاء البدن ألم ، فينبغى أن يُستعمل النظرُ فى الأغذية الموافقة للعضو الآلِم ؛ لأنا ربما اضطررنا إلى استعمال ما يوافق العضو الألم ، وإن كان مخالفا لسائر البدن ؛ كما أنه لو كانت الكبد باردة ضيقة المجارى ، احتجنا إلى استعمال الأغذية اللطيفة وتجنُّب الأغذية الغليظة ، وإن كان سائرُ البدن غير محتاج إليها لضَعف أو نحافة ؛ لئلا تُحدث الغليظة فى الكبد سددا ؛ وربما كانت الكبد حارة ، فتحذر الأغذية الحلوة وإن احتاج إليها

[البدن] لسرعة استحالتها إلى المرة الصفراء ، وربما كانت المعدة ضعيفة ، فتحتاج إلى مايقويها من الأغذية ؛ وربما كان يولد الطعام فيها بلغما ، فتحتاج إلى مايجلوه ويقطعه ؛ وربما كان يتولد فيها المرة الصفراء سريعا ، فتحتاج إلى مايقمع الصفراء وإلى تجنب الأشياء المولدة لها ؛ وربما كان الطعام يبقى على رأس المعدة طافيا ، فيستعمل الأغذية الغليظة الراسبة ، ليثقل بثقلها إلى أسفل المعدة ؛ وتأمره بحركة يسيرة بعد الطعام ، لينحط الطعام عن رأس المعدة . وربما كان فضل الطعام بطيء الانحدار عن المعدة والأمعاء ، فتحتاج إلى مايحدره ويلين البطن ؛ وربما كان رأس المعدة حارا قابلا للحار ، فيتجنب الأغذية الحارة وإن احتاج إليها سائر البدن .

الحركة والنوم مع الطعام

وينبغى ألا تقتصر على ماذكرنا دون النظر فى مقدار الحركة قبل الطعام ، والنوم بعده ؛ فمتى كانت الحركة قبل الطعام كثيرة غذيناه بأغذية غليظة لزجة إلى اليبس عما هى بطيئة التحلل ، ولم نأمره بالحمية لقلة الحاجة إليها ، ومتى لم تكن قبل الطعام حركة ، أو كانت يسيرة ، فينبغى أن لا يقتصر على الحمية بقلة الطعام ولطافته ، دون أن يستعين على تخفيف ما يتولد فى البدن من الفضول باستفراغ الأدوية المسهلة ، وبالحمام ، وبإخراج الدم ؛ ومتى كانت الحركة كافية استعملنا الأغذية المعتدلة فى كثرتها ، وقدر لطافتها وغلظها ؛ ومتى كان النوم بعد الطعام كثيرا احتجنا إلى استعمال أغذية كثيرة غزيرة بالغذاء ، لطول الليل وكثرة النوم ؛ ومتى كان النوم قليلا احتجنا إلى الطعام القليل الخفيف اللطيف ، كالذى يغتذى به فى الصيف ، لقصر الليل وقلة النوم .

تقدير الطعام وما يقدم منه وما يؤخر

ويجب فى الطعام أن يقدر فيه أربعة أنحاء :

أولها : ملاءمة الطعام لبدن المغتذى به فى الوقت الذى يغتذى به فيه ،

كما ذكرنا أيضاً أنه متى كان الغالب على البدن الحرارة احتاج إلى الأغذية الباردة ، ومتى كان الغالب عليه البرد احتاج إلى الأغذية الحارة ، ومتى كان معتدلا احتاج إلى الأغذية المعتدله المشاكلة له .

والنحو الثانى : تقدير الطعام ، بأن يكون على مقدار قوة الهضم ؛ لأنه وإن كان فى نفسه محمودا ، وكان ملائما للبدن ، وكان أكثر من قدر احتمال قوة الهضم ، ولم يستحكم هضمه ، تولّد منه غذاء ردىء .

والنحو الثالث : تقديم ما ينبغى أن يقدّم من الطعام ، وتأخير ما ينبغى أن يؤخر منه ؛ ومثل ذلك أنه ربما جمع الإنسان فى أكلة واحدة طعاما يُلين البطن وطعاما يحبسه ، فإن هو قدم الملين وأتبعه الآخر ، سهل انحدار الطعام منه : ومتى قدم الطعام الحابس وأتبعه الملين ، لم ينحدر وفسدا جميعا . وذلك أن الملين حال فيما بينه وبين نزول الطعام الحابس ، فبقى فى المعدة بعد انهضامه ، ففسد به الطعام الآخر . ومتى كان الطعام الملين قبل الحابس انحدر الملين بعد انهضامه ، وسهل الطريق لانحدار الحابس . وكذلك أيضا لو جمع أحد فى أكلة واحدة طعاما سريع الانهضام وآخر بطىء الانهضام ، فينبغى له أن يقدّم البطىء الانهضام ويُتبعه السريع الانهضام ، ليصير البطىء الانهضام فى قعر المعدة . لأن قعر المعدة أسخن ، وهو أقوى على الهضم ، لكثرة ما فيه من أجزاء اللحم المخالطة له ، وأعلى المعدة عصبى بارد لطيف ضعيف الهضم ، ولذلك إذا طفا الطعام على رأس المعدة لم ينهضم .

والنحو الرابع : أن يتناول الطعام الثانى بعد انحدار الأول وقد قدم قبله حركة كافية وأتبعه بنوم كاف ، استمراءه ؛ ومن أخذ الطعام وقد بقى فى معدته أو أمعائه بقية من الطعام الأول غير منهضمة ، فسد الطعام الثانى ببقية الأول .

باب الحركة والنوم مع الطعام

ومن أكل الطعام بعد حركة كافية وأخذه على حاجة من البدن إليه ، وافى الطعام الحركة الغريزية قد اشتعلت . ومن تناول طعاما من غير حركة وأخذه مع غير حاجة من البدن إليه ، وافى الطعام الحركة الغريزية خامدة بمنزلة النار الكامنة فى الزناد . ومن أتبع الطعام بنوم ، بطنت الحرارة الغريزية فيه فاجتمعت فى باطن البدن فهضمت طعامه . ومن أتبع الطعام بحركة ، انحدر عن معدته غير منهضم وانبث فى العروق غير مستحكم ، فأحدث سدداً وعللا فى الكبد والكلى وسائر الأعضاء .

وربما كانت الأطعمة لضعف المعدة تطفو فيها وتصير فى أعلاها ، فلاتأمره بالنوم حتى ينحدر الطعام عن المعدة بعض الانحدار ويصير فى قعر المعدة . وربما أمرنا بحركة يسيرة كما ذكرنا آنفا ، لانحدار الطعام عن المعدة بعض الانحدار .

وإن أكثرَ الشرابَ منع الطعام من الانهضام ، لأنه يحول فيما بين جرم المعدة وبين الطعام ، وإذا لم تلق المعدة الطعام لم تحِلْه إلى مشاكلة البدن وموافقته ، فيبقى فيها غير منهضم . فيجب لذلك على من أخذ الطعام أن يتناول معه من الشراب ما يسكن به حرّ العطش ويصبر على قدر احتماله من العطش ، ويصبر حتى ينهضم ، ثم يتناول بعد ذلك من الشراب ما أحب ، فإنه بعد ذلك يعين على انحدار الطعام وترقيقه لتنفيذه فى المجارى الدّقاق .

ويجب أيضاً أن يكون أخذه للطعام فى وقت حركة الشهوة ؛ وذلك أنه إذا تحركت الشهوة ولم يبادر بأخذ الطعام ، اجتذبت المعدة من فضول البدن ما إذا صار فى المعدة أبطل الشهوة ، وأفسد الطعام إذا خالطه .

الأوقات التى يصلح فيها الطعام

أجود الأوقات كلها للطعام الأوقات الباردة . لجمعها الحرارة فى باطن البدن

فأما الأوقات الحارة فينبغى أن يجتنب أخذ الطعام فيها ، لأن حرارة الهواء تجذب الحرارة الباطنة الغريزية إلى ظاهر البدن ويخلو منها باطنه ، فتضعف الحرارة فى باطنه عن هضمه . فلذلك كانت القدماء تفضل العشاء على الغداء لمّا يلحق العشاء من اجتماع الحرارة على باطن البدن ، لبرد الليل والنوم ، ولأن الحرارة فى النوم تبطئ ، ويسخن باطن البدن ويبرد ظاهره . واليقظة على خلاف ذلك ، لأن الحرارة تنتشر فى ظاهر البدن وتضعف فى باطنه . والذى يحتاج إلى كثرة الغذاء من الناس من كان الغالب على بدنه الحرارة ، وكانت معدته لحرارتها سريعة الانهضام ، وكانت كبده لحرارتها سريعة التوليد للمرة الصفراء ؛ فلذلك يحتاج إلى الأطعمة الغليظة البطيئة الانهضام ويستمرئها ، ويستمرئ لحم البقر ولا يستمرئ لحم الدجاج وما أشبهه من الأطعمة الخفيفة .

ولا يصلح شيء من هذه إلا فى وقت تحرّك الشهوة ، فإنه أفضل وقت يؤخذ فيه الطعام ؛ وللعادة فى هذا حظ عظيم . ألا ترى أنه من اعتاد الغداء فتركه واقتصر على العشاء عَظُم ضرر ذلك عليه ؟ ومن كانت عادته أكلة واحدة فجعلها أكلتين لم يستمرئ طعامه ، ومن كانت عادته أن يجعل طعامه فى وقت من الأوقات فنقله إلى غير ذلك الوقت أضر ذلك به ، وإن كان قد نقله إلى وقت محمود ؛ فيجب لذلك أن يتبع العادة إذا تقادمت فطالت ، وإن كانت ليست بصواب ، إذا لم يجد شيئاً اضطره إلى نقله ؛ لأن العادة طبيعة ثانية كما ذكر الحكيم أبقراط ، فإن حدث شيء يدعوه إلى الانتقال عنها فأوفق الأمور فى ذلك أن ينقل عنها قليلا قليلا .

وللشهوة أيضا فى استمراء الطعام أعظم الحظ ؛ لأنها دليل على الموافقة والملاءمة ، فمتى كان طعامان متساويان فى الجودة ، وكانت شهوة المحتاج إليهما إلى أحدهما أميل ، رأينا إيثار المشتهى على الآخر ، لأنه أوفق للطبيعة ، وأسهل عليها فى الاستمراء . ومتى كان أحدهما أجود من الآخر ، وكانت شهوة المحتاج إليهما أميل إلى أردئهما . اخترناه على الأجود إذا لم نخف منه ضررا لكثير ما ينال

منه من المنفعة ، لقبول المعدة له واستمرائها إياه .

فقد بان أنه يُحتاج فى حال الأغذية وجَودة تخير الأطعمة إلى معرفة اختلاف الطبائع وحالاتها ؛ فقد بينت اختلاف طبائع الأبدان وحالاتها ، وما يجب على كل واحدة منها من أنواع الأطعمة والأشربة ؛ وبقى أن نبين اختلاف قوى الأطعمة والأشربة . وأن أصف أنواع الأغذية وأسمّى ما فى كل صنف منها ٥
إن شاء الله تعالى .

الأطعمة اللطيفة

هى التى يتولد منها دم لطيف ، فنها لباب خبز الحنطة ، والحب المقشور ، ولحم الفراريج ، ولحم الدُّراج والطِّيهوج والحجَل ، وفراخ الحجل ، وأجنحة الطيور ، وما لان لحمه من صغار السمك ولم تكن فيه لزوجة ، والقرع ، ١٠
والماش ؛ وما أشبه .

وهذا الجنس من الأطعمة نافع لمن ليست له حركة وكانت الحرارة الغريزية فى بدنه ضعيفة ولم يأمن أن يتولد فى بدنه كَيموس غليظ ، أو يتولد فى كبده أو طحاله سدد ، أو فى كلاه ، أو فى صدره ، أو فى دماغه ، أو فى شىء من مفاصله من البلغم . ١٥

الاطعمة اللطيفة فى نفسها الملطفة لغيرها

هى التى يكون ما يتولد منها لطيفا ، ويلطِّف ما يلقاه من الكيموس اللزج الغليظ فى البدن .

وهذا الجنس من الأطعمة أربعة أصناف : صنف منها حلو لطيف لما فيه من قوة الجلاء ، مثل : ماء الشعير ، والبطيخ ، والتين اليابس ، والجوز ، والعسل ٢٠
والفستق وما يعمل منه من الناطف .

وهذا الجنس فى منفعته من جنس الأول من الأطعمة اللطيفة ، إلا أنه

أبلغ فى تلطيف البدن .

والصنف الثانى حار : حرّيف ، كالحُرف ، والثوم ، والكراث ، والكرفس والكرنب ، والصّعتر ، والنعنع ، والرازيانج ، والشراب الأصفر اللطيف العتيق الحار .

٥ وهذا كله نافع لمن احتاج إلى فتح السدد التى فى الكبد ، والطحال ، والصدر والدماغ ، وتقطيع البلغم وترقيقه .

ولا ينبغى لأحد أن يكثر استعماله ، لأنه يرقق الدم أولا ويصيره مائيا ، فيقل لذلك غذاء البدن ويضعف ، ثم إنه يُسخن البدن سخونة مفرطة ، فيصير أكثره مرة صفراء ، ثم إنه بعد ذلك إذا تمادى مستعمِله فى استعماله حلل لطيف ١٠ الدم وترك غليظه ، فصار أكثره مرة سوداء ، وربما تولد من ذلك حجارة فى الكلى ؛ ومضرة هذا الصنف أشد ما تكون على من كانت المرة الصفراء غالبة عليه .

والصنف الثالث : يذهب ويلطف بملوحته ، كالمُرى وما لان لحمه وقل شحمه من السمك إذا ملح ، والسلق ، وماء الجبن ، وكلّ ما جعل فيه من الأطعمة الملح ، ١٥ والمرى ، البورق .

ومنافع هذا الصنف ومضاره قريبة من منافع الأشياء الحريفة ومضارها ، إلا أن هذا الصنف فى تنقية المعدة والأمعاء وتليين الطبيعة أبلغ .

والصنف الرابع : يقطع ويلطف بحموضته ، كالخل ، والسكنجبين ، وحُماض الأترجّ ، وماء الرمان الحامض ، وكل ما يتخذ بها من الأطعمة .

٢٠ وهذا الصنف نافع لمن كانت معدته وسائر بدنه حاراً إذا تولد فيه بلغم من غلظ مايتناول من الأغذية ومن كثرتها .

الاطعمة الغليظة فى نفسها الملطفة لغيرها

منها : البصل ، والجزر ، والفجل ، والسلجم ، وما أشبه ذلك .

فهذه الأطعمة فى نفسها غليظة وتلطّف ما تلق من الشىء الغليظ بما فيها من الحدّة والحرافة ؛ وهى تولد كيموساً غليظا ، ومتى ماطبخ شىء منها أو شوى ذهب عنه قوة الحرافة والتقطيع ، وبقى جرمه غليظا رديئا ؛ وقد يُتناول للمنفعة بتقطيع ٥
هذه الأطعمة وتلطيفها ، ويسلم من غلظ جرمها ، على إحدى ثلاث جهات :
إما أن تطبخ فتلطف ، كالذى يفعل بالبصل ؛ وإما أن تعصر أو تطبخ ثم يستعمل ماؤها ؛ وإما أن تؤكل نيئة فتقطع البلغم ، كالذى يفعل بهما جميعا .

الاطعمة الغليظة

الغالب على الأطعمة الغليظة كلها اليبس واللزوجة ؛ فمنها شىء يكون اليبس ١٠
واللزوجة من طبعه ، ومنها ما يَكتسب اليبسَ من غيره .

فالذى يكون اليبس من طبعه : العدس ، ولحم الأرانب ، والبلوط ، والشاه بلوط ، والكمأة ، والباقلى المقلوّ ؛ هذه كلها غليظة ، لأن اليبس فى طبائعها .

وأما الذى يكتسب اليبس من غيره ، فالكبود ، والبيض المسلوق ، والمشوى وما قلى ، واللبن المطبوخ طبخا كثيراً ، والضروع ، وعصير العنب المطبوخ ، ١٥
لاسيما إن كان العصير غليظا ؛ فهذه كلها غليظة ، لأن الحرارة بالطبخ أحدثت لها يبسا وانعقادا .

وأما لحوم الإبل ، ولحوم التيوس ، ولحوم البقر ، والكروش ، والأمعاء ، فإنها غليظة بصلابتها ؛ وكذلك الترمس ، وثمر الصنوبر ، والسلجم ، واللوبيا ،
وما خُبز على الفرن ؛ فإن ظاهره غليظ ، لما أحدثت به النار من اليبس ؛ وباطنه ٢٠
غليظ ، لما فيه من اللزوجة ؛ وكذلك كل مالم يُجَد عجْنُه أو خبزه أو إنضاجه من خبز التنور ، وكل ما خبز على الطابق بدهن أو غيره ، والفطير ، والشهد ، واللبن ،

والأدمغة ؛ فإنها كلها غليظة ، لِلُزُوجة فيها طبيعية .

وأما الفالوذج فإنه غليظ لِلُزُوجته والانعقادِ الحادث له من الطبخ .

وأما الباذنجان فإنه غليظ لليبس واللُّزُوجة فى طبعه .

وأما الخبز فإنه غليظ لاجتماع الحالات الثلاث فيه .

٥ فأما السمكُ الصلب اللزج فإنه غليظ لاجتماع الصلابة واللزوجة فيه .

وأما الآذان والشِّفاه وأطراف العضو ، فإنها تولد كيموسا لزجا ليس بالغليظ وقد تَوَلّد ما يعرض من الأغذية الباردة عن هضمها وتلطيفها ، كالذى يعرض من أكل الفاكهة قبل نضجها ، ومن أكل الخيار والقثاء ، وشحم الأترج واللبن الحامض .

١٠ فهذه الأطعمة الغليظة كلها إن صادفت بدنا حاراً كثيرَ التعب قليلَ الطعام كثير النوم بعيد الطعام انهضمت وغذت البدن غِذاء كثيرا نافعا ، وقوّته تقوية كثيرة .

وأَحْمَدُ ماتستعمل هذه الأغذية فى الشتاء ، لاجتماع الحرارة فى باطن البدن وطولِ النوم ؛ ومتى أحس أحد فى نومه نقصانا بيِّنا وأكلها من يجد الحرارة فى ١٥ بدنه قليلة ولاسيما فى معدته ، ومَن تعبه قليل ونومه بعد الطعام قليل - لم يستحكم انهضامها ، وتولد منها فى البدن كيموس غليظ حار يابس ، يتولد منه سدة فى الكبد والطحال ؛ فلذلك ينبغى لمن أكل طعاما غليظا من غير حاجة إليه لِعلة أو شهوة أن يُقِلّ منه ولا يُعَوّده ، ولا يدمنه .

وما كان من الأطعمة الغليظة له مع غلظه لُزُوجة ، فهو أغذاها للبدن ؛ فإن لم ٢٠ ينهضم فهو أكثرها توليداً للسدد .

الأطعمة المتوسطة بين اللطيفة والغليظة

تصلح لمن كان بدنه معتدلا صحيحا ، ولم يكن تعبه كثيرا ؛ وأجود الأغذية له المتوسطة ، لأنها لا تنهكه ولا تضعفه كاللطيفة ، ولا تولد خاما ولا سُددا كالغليظة

وهى كل ما أُحكم صنعه من الخبز ، ولحوم البقر ، والدجاج ، والجداء ، والحولية من المعز .

وأما لحوم الخرفان والضأن كلها فرطْبة لزجة .

وأما لحم فراخ الحمام والقطا فهو يولد دما سخنا وأغلظ من الدم المعتدل .

وأما فراخ الوراشين فإنها مثل فراخ الحمام والقطا والإوز ، فأجنحتها معتدلة ٥ وسائر البدن كثير الفضول .

وكل ما كثرَت حركته من الطير وكان مرعاه فى موضع جيد الغذاء صافى الهواء ، كان أجودَ غِذاء وألطف ؛ وكل ما كان على خلاف ذلك فهو أردأ غذاء وأوسخ .

١٠ وكل مالم يستحكم نضجه من البيض ، وخاصة ما أُلقى على الماء الحار وأُخذ من قبل أن يشتد ، فهو معتدل .

وكل ما كان من لحم السمك ليس بصلب ولا كثير اللزوجة والزهومة ، وما كان مرعاه نقيا من الأوساخ والحمأة ، فهو معتدل جيِّد الغذاء .

ومن الفواكه التين والعنب إذا استحكم نضجهما على الشجر وأسرعت الانحدار ١٥ إلى الجوف ، كان ما يتولد منها معتدلا ، فإن لم تسرع الانحدار فلا خير فيها .

ومن البقول الهندبا ، والخس ، والهليون .

ومن الأشربة كلها ما كان لونه ياقوتيا صافيا ولم يكن عتيقا جدا .

الأطعمة الحارّة

يحتاج إليها من كان الغالب عليه البرودة ، فى الأوقات والبلاد الباردَين ؛ ٢٠ وينبغى أن يتجنبها من كان حارّ البدن ، وفى الأوقات الحارّة والبلاد الحارة .

منها : الحنطة المطبوخة ، والخبز المتخذ من الحنطة ، والحمص ، والحلبة ، والسمسم ، والشهدانج ، والعنب الحلو ، والكرفس ، والجرجير ، والفجل ،

والسلجم ، والخردل ، والثوم ، والبصل ، والكراث ، والخمر العتيق .

وأسخن الأشربة الحارّة العتيق الأصفر .

الأطعمة الباردة

ينبغى أن يستعملها من كان حارّ البدن ، وفى الأوقات الحارّة والبلد الحارّ .

٥ وهى : الشعير وما يتخذ منه ، والجاوَرس ، والدُّخْن ، والقرع ، والبطيخ ، والخيار ، والقثاء ، والإجاص ، والخوخ ، والجمّار ، وما بين الحموضة والعفوصة ، من العنب ، والزبيب ، والطلع ، والبلح ، والخس ، والهندبا ، والبقلة الحمقاء ، والخشخاش ، والتفاح ، والكمثرى ، والرمان .

فما كان من الرمان عفصا فهو بارد غليظ ، وما كان حامضاً فهو

١٠ بارد لطيف .

فأما الخل فهو بارد لطيف ، وهو ضارّ بالعصب .

وما كان أيضاً من الشراب عفصا فهو أقل حرارة ، وما كان من ذلك حديثاً غليظا فهو بارد .

الأطعمة اليابسة

١٥ يحتاج إلى الأطعمة اليابسة من كان الغالب على بدنه الرطوبة ، وفى الأوقات الرطبة والبلد الرطب .

منها العدس ، والكرنب ، والسويق ، وكل ما يشوى ويطبخ ويقلى ، وكل ما أكثر فيه السّذاب والمُرْى والخل والإبزار والخردل ، ولحم المُسنّ من جميع الحيوان .

الأطعمة الرطبة

يحتاج إلى الأطعمة الرطبة من أفرط عليه اليبس ، وفى الأوقات اليابسة والبلاد اليابسة .

وهى : الشعير ، والقرع ، والبطيخ ، والقثاء ، والخيار ، والجوز الرطب ، والعنب ، والنبق ، والإجاص ، والتوت ، والجمار ، والخس ، والبقلة اليمانية ، والقِطف ، والباقلى الرطب ، والحمص الرطب ، واللوبيا الرطبة وكل ما يطبخ بالماء ويسلق به وتقل فيه الإبزار والخل والمرى والسذاب ، وجميع لحوم صغار الحيوان .

الأطعمة القليلة الفضول

أجنحة الطيور ، وأكارع المواشى ورقابها ، ما يربى فى البرّ من الحيوان فى المواضع الجافة .

الأطعمة الكثيرة الفضول

منها لحم الأوز خلا الأجنحة ، والأكباد كلها من جميع الحيوان ، والنخاع ، والدماغ ، والطيور التى فى الفيافى والآجام ، والحمص الطرى ، والباقلّى الطرى ، ولحم الضأن ، ولحم المراضع من كل الحيوان ، ولحم كل ساكن غير سريع النهوض ، وما كان من السمك على ما ذكرْنا صَلْباً لزِجا .

الأطعمة التى غذاؤها كثير

كل ما غلظ من الأطعمة إذا انهضم غذى غذاء كثيرا ، وكل ما كان له فضول كان غذاؤه كثيرا .

وقد يحتاج إلى الأطعمة الكثيرة الغذاء من احتاج إلى أن يأخذ طعاما قليلا

يغذّى غذاء كثيرا ، كالناقه والمسافر ، وكالذى يثقل معدته الكثير من الطعام وبدنه يحتاج إلى غذاء كثير .

فمن ذلك لحم البقر ، والأدمغة ، والأفئدة ، وحواصل الطير كلها ، والسمك الغليظ اللوح ، والسميذ ، والباقلى ، والحمص ، واللوبيا ، والترمس ، والعدس ، والتمر ، والبلّوط ، والشاه بلّوط ، والسّلْجم ، تغذو غذاء كثيرا لغلظها ـ واللبن الحليب ، والشراب الأحمر . وغذاء اللبن كله أغلظه وأرقه ، أقلّ غذاء .

وأغلظ اللبن لبن البقر ولبن النعاج ، وأرقه لبن الأُتن وألبان اللّقاح ، وألبان الماعز متوسطة بين ذلك .

وأغذى الأشربة النبيذ الأحمر الغليظ الحلو ، ثم الغليظ الأسود الحلو ، ثم الغليظ الأبيض الحلو ، ثم من بعد هذه الأشربة العفصة الغليظة الحلوة وكل ما مال إلى الحمرة والحلاوة كان أغذى ، والأبيض أقلها غذاء .

الأطعمة التى غذاؤها قليل

كل ما كان من الأطعمة لطيفاً كان غذاؤه قليلا ، وكل ما أفرط فيه اليبس أو الرطوبة ، أو كثرة الفضل ، قل غذاؤه ، كالأكارع ، والكروش ، والمصارين ، والشحم ، والآذان ، والرئة ، ولحم الطير كله ، وما ملح من الحيوان ـ قليل الغذاء لليبس الذى فيه ـ وكذلك الزيتون ، والفستق ، والجوز ، واللوز ، والبندق ، والغُبيرا ، والزّعرور ، والخرّوب ، والبُطم ، والكمّثرى العَفِص ، والزبيب العفِص ؛ فإنما قلّ غذاؤهما للعفوصة .

وأما السمك ، والقرع ، والرمان ، والتوت ، والإجاص ، والمشمش ، فإنما قل لكثرة رطوبتها ؛ وغذاؤها غير باق سريع التحلل .

وأما خبز الشعير ، والخُشْكار ، والباقلى الرطب ؛ وجميع البقول ، مثل الكرنب ، والسلق ، والحماض ، والبقلة الحمقاء ، والفجل ، والخردل ، والحُرْف ،

والجزر - فقليل الغذاء ، لكثرة الفضل فيها .

وأما البصل ، والثوم ، والكراث ؛ فإنها إذا أكلت نيئة لم تغذ ، وإذا طُبخت غذَّت غذاء يسيرا .

وأما التين ، والعنب ، فإنهما بين ما قل غذاؤه وما كثر غذاؤه .

الاطعمة التى تولد كيموسا جيدا ٥

كل ما كان معتدلا من الأطعمة لم تفرط فيه قوة ولا تجاوز القدر فيه ، ولَّد دما خالصا نقيا صحيحا ، وكل ما كان كذلك فهو موافق لجميع الأبدان وفى جميع الأوقات ، وهو لجميع الأَبدان المعتدلة في جميع الأَوقات ، وفى الأُوقات المعتدلة أوفق ؛ لأن ما تجاوز الاعتدال من الأَبدان يحتاج من الأَطعمة إلى ما فيه قوة تجاوز الاعتدال ، وكذلك الأَبدان المعتدلة فى الأُوقات التى ليست بمعتدلة . ١٠

وفى الأَطعمة ما هو غليظ وما هو لطيف وما هو بين ذلك ، وأجودُها لجميع الناس ما كان معتدلا منها ، بين الغليظ واللطيف ، وما هو بين ذلك .

وقد وصفنا الأَطعمة الغليظة واللطيفة والمتوسطة . ومتى يصلح كل صنف منها ؛ فبقى علينا أن نخبر بجملة الأَطعمة المولدة الكَيموس الجيِّد ، وقسمتها على ما قسمناها . ١٥

فمن ذلك خبز الحنطة النقى المحكم الصنعة إن كان من يومه ، ولحم الدجاج ، والجداء ، وحولية الماعز ، وما كان من السمك ليس بصلب ولا كثير اللزوجة ، ومالم يكن له زهومة ولم يكن له سمن كثير ، وما كان مرعاه فيما ليس فيه أوساخ ولا حمأة ولم يكن سريع العفونة ، وكل ما اشتد واستحكم نضجه من البيض ، وكل شراب طيب الريح ياقوتى اللون ليست فيه حلاوة - كل ذلك يولد كيموساً معتدلا بين اللطيف والغليظ . ٢٠

وأما الدراج ، والفراريج ، وأجنحة جميع الطير ، وما صغر من السمك

وكان مرعاه على ما وصفنا ، وما ألقى عليه من السمك الملحُ فصار رخصا وذهبت لزوجته ، وماء كشك الشعير ، والشراب الطيب الرائحة الأحمر ـ فكل ذلك جيدِ الكيموس لطيف .

وأما اللبن الحليب فإنه جيد الكيموس ، إلا أن فيه غلظا ؛ ولذلك ربما تجبن في المعدة ؛ فلهذه العلة يخلط به العسل والملح ، ويرق بالماء . ٥

وأجود اللبن وأعدله لبن الماعز ؛ لأنه ألطف من لبن الضأن والبقر ، وأغلظ من لبن الآتن واللِّقاح .

وينبغى للبن أن يؤخذ من حيوان صحيح شابّ جيد الغذاء .

ولا يحتلب فى وقت ما يضع الحيوان ، ولا بعد ذلك بزمان طويل لأن اللبن من الحيوان فى وقت ما يضع غليظ ، ثم يرق بعد ذلك قليلا قليلا حتى يصير مائيا ، فلذلك كان أوّله وآخره رديئا . ١٠

وأجود ما يؤخذ اللبن ساعة يحلب ، قبل أن يغيره الهواء ؛ لأنه سريع الاستحالة .

وأما الخشكار من الخبز الرطب ، وكل ما لم تحكم صنعته من الخبز السميذ ، وخبز الفرن ، ولحم العجل ؛ ومن أجزاء الغنم الضرع والكبد والفؤاد ؛ ومن الحبوب الباقلى ؛ ومن الشراب ما كان طيب الرائحة حلوا ـ فكل ذلك يولد كيموساً غليظا جدا . ١٥

الأطعمة التى تولد كيموسا رديئا

كل ما لم يكن معتدلا من الأغذية لم يولّد دما خالصا صافيا .

والأطعمة الرديئة الكيموس ثلاثة أصناف : منها ما يزيد فى البلغم ، ومنها ما يزيد فى الصفراء ، ومنها ما يزيد فى السوداء . ٢٠

وينبغى لجميع الناس أن يجتنبوا الإكثار منها وإدمان استعمالها وإن

كانوا لها مستمرئين ؛ لأنها وإن لم يتبين لهـا ضرر فى عاجل الأمر ، يجتمع منها فى بدنٍ مدمن استعمالها مع طول الزمان كيموسٌ ردىء ، وكذا أمراض رديئة . وأولى الناس بتَجَنُّب كل صنف من أصنافها مَن كان الغالبُ على بدنه ما يزيد فيه ذلك الصنف .

فأقول : إن كل ما يتخذ من الخبز من دقيق كثير النخالة ، أو ما عتق من الحنطة ـ ردىء الكيموس يزيد فى السوداء .

ولحم الضأن كله يزيد فى البلغم ، ولحم الماعز المسن كله يزيد فى السوداء ، وأردؤه لحم التيوس . ولحم البقر والجزور والأرانب والظباء والأيايل ـ كل هذا يزيد فى السوداء ؛ وشرٌّ هـذه اللحوم لحم الجزور ، وبعده لحم التيوس ، لاسيما ما لم يُخصَ منها ، وبعده لحم المسن من الضأن ، وبعده لحم البقر ؛ وكل ما خُصى من هذه كان أجودَ غذاء .

وأما لحوم الأرانب والظباء والأيايل ، فهو دون جميع ما ذكرنا فى الرداءة .

ومن أعضاء الحيوان : الكلى ، رديئة الكيموس ، لزهومتها وما استفادت من رداءة البول .

والدماغ يزيد فى البلغم ، وكل البطون يزيد فى البلغم ، لكثرة الزلال فيها .

والبيض المطجَّن يولد غذاء غليظاً فاسداً ، وكذلك الجبن ، ولاسيما ما عتق منها .

والعدس يزيد فى السوداء .

والدخن والجاورس يولدان دما غليظاً .

وما صلب لحمه من السمك وغلبت عليه اللزوجة يولد البلغم ، فإن ملح وعتق يولد السوداء .

والتين اليابس إن أكثر أكله ولد فضلا عفنا يكثر منه القمل .

والكمثرى والتفاح إن أكلا غير نضيجين ولدا كيموساً رديئاً ، وكذلك القثاء والخيار ؛ فأما البطيخ والقرع فربما انهضما ولم يحدثا فى البدن حدثاً رديئاً ،

وربما فسدا فى المعدة فولّدا كيموساً رديئاً ، ولا سيما إن صادفا فى المعدة فضلا رديئاً ؛ فلذلك تَعرض الهيضةُ كثيراً من أكل البطيخ .

والبقول كلها رديئة الكيموس ، لكثرة الفضل فيها وقلة الغذاء .

وأما البصل والثوم والكراث والفجل والجوز والسلجم ، فرديئة لما فيها من الحرارة والحرافة ، وربما زادت فى الصفراء ، وربما زادت فى السوداء أيضاً كما ذكرت آنفاً ، إلا أنها إن طبخت وصب ماؤها وطبخت بماء ثان ، ذهبت الحرافة والرداءة عنها .

والباذَروج يسخِّن الدم ويجففه تجفيفا شديداً .

والكرنب يولد السوداء ، وكذلك جميع البقول الرديئة .

الأطعمه المتوسطة الكيموس

وهى بين ما يولد الكيموس الجيد وما يولد الكيموس الردىء . فمنها خبز الخشكار ، ولحم الخصيان من المعز والضأن .

ومن الأعضاء : اللسان والأمعاء والذنب .

ومن الفاكهة : العنب والبطيخ — والمعلق من العنب أجود — والتين ، واليابس من الجوز ، والشاه بلوط .

ومن البقول الخس ، وبعده الهندبا ، وبعده الخبازى ، وبعده القطف والبقلة الحمقاء اليمانية ، والحامض ، ومالم يكن فيه حذة كثيرة من الأصول .

الأطعمة السريعة الانهضام

إنما يسرع الانهضام لأحد وجهين : فالوجه الأول منها إذا كانت الأطعمة غير يابسة كالعدس ، ولا صلبة كالترمس ، ولا لزجة كالحنطة ، ولا خشنة كالسمسم ، ولا كريهة كالسذاب ، ولا كثيرة الفضول كالأرز ، ولا يغلب عليها برد شديد كاللبن الحامض ، ولا حرٌّ شديد كالعسل .

والوجه الثانى لطبيعة البطن المستمرئ لها ، وذلك لأحد وجهين : الأول موافقة الأغذية ، ومشاكلة الأبدان الطبيعية ، كالأطعمة التى يشتهيها ويلذها الإنسان ؛ فقد تجد الناس يختلفون فى شهواتهم ، ويستمرئ كل واحد منهم ما شهْوته إليه أمْيَل ، وإن كان الذى لا يشتهيه أحد من الذى يشتهيه . والوجه الثانى : لمزاجٍ عارض يصادف من الأطعمة مضاده ، كالذى ترى أن من غلب عليه الحر لعلة من العلل ، كان للأطعمة الباردة أشد استمراء ، لما يطفئ من حرارة البدن ، ويعدل البدن ؛ ومن غلب عليه البرد استمرأ الحارّ ولم يستمرئ البارد ؛ ومن رَطُبَ بدنه كله أو معدته استمرأ الأطعمة الجافة ولم يستمرئ الرطبة ؛ ومن عرض له اليبس خلاف ذلك .

فقد بان بما ذكرناه أن الأطعمة اللطيفة والمتوسطة فى نفسها سريعة الانهضام وقد يجوز أن تكون الأطعمة الغليظة أسرعَ انهضاما فى بعض الأبدان أيضا ؛ فقشر الخبز المحكم ، ولحم الدجاج ، والفراريج ، والدراج ، والحجل ، وكبود الأوز وأجنحتها ـ سريعة الهضم .

وفى الجملة الجناحُ من كل طائر أسرع انهضاماً من سائره ، وليس فى الطير كلها أسرع انهضاما من المواشى ؛ وكل ما كان من الحيوان يابسا فصغيرُه أسرعُ انهضاما ؛ وكذلك لحم العجاجيل أسرع من لحم البقر ، ولحم الجدى الحولى أسرع انهضاما من لحم المسن من الماعز ؛ وكل ما كان من الحيوان أرطب فكبيره من قبل أن يسن أسرع انهضاما من صغيره ؛ ألا ترى أن الحولى من الضأن أسرع انهضاما من الخروف ؟ وكل ما كان مرعاه فى المواضع اليابسة كان أسرع انهضاما مما مرعاه فى المواضع الرطبة ؛ وكل ما كان جرمه متخلخلا فهو أسرع انهضاما مما كان جرمه متلزِّزاً ؛ ولذلك كان الجوز أسرعَ انهضاما من البندق ، والبيض الحارّ أمْرَأ من البيض البارد ، والشراب الحلو أمرأ من العَفِص .

الاطعمة البطيئة الانهضام

إنما يعسر الانهضام من الطبيعة فى الطعام إذا كان يابسا ، أو صلبا ، أو لزجا ، أو متلزّزاً ، أو كثير الدسم ، أو كثير الفضول ، أو كريه الطعم ، أو الحرافةُ فيه مفرطة ، أو البردُ ، أو الحر ، أو مخالفا للمزاج الطبيعى إذا لم يُشتَهَ .

٥ فلحم البقر ، ولحم الإبل ، والكروش ، والأمعاء ، والأوز ، والآذان من جميع الحيوان ، والجبن ، والبيض البارد ـ عسرة الانهضام ، ليبسها وصلابتها .

وكذلك من الطير : الوراشين ، والفواخت ، والطواويس ، والقوانص من جميع الطير ـ عسرة الانهضام .

ومن الحبوب : الأرز ، والتُّرمس ، والعدس ، والدُّخن ، والجاوَرْس ، ١٠ والبلّوط ، والشاه بلّوط .

وأما لحم التيوس وأكارع البقر ، فعَسِرَة الانهضام لزهومتها وكراهتها .

وأما لحم الضأن ، والكبود من جميع الحيوان ، والأوز ـ فلكثرة الفضول فيها .

وأما الجبن الحامض فلبردِه .

١٥ وأما الحنطة المصلوقة فللزوجتها وتلززها .

وأما الباقلاء واللوبياء فلكثرة النفخ فيها .

وأما السمسم فلكثرة دهنه .

وأما العنب والتين وسائر الفواكه إذا لم يستحكم نضجها ، والأترج والباذَروج ، والسلجم ، والجوز ، والشراب الحديث الغليظ ـ فلكثرة الفضول فيها .

٢٠ الاطعمة الضارة للمعدة

السِّلق ردىء للمعدة ، للذعه إياها ولما فيه من الحدة البورقية .

والباذروج والسلجم ما لم يُستقص طبخهما ، للذع فيهما .
والبقلة اليمانية والقطف ، للزوجتهما . فلذلك ينبغى أن يؤكلا بالخل ، والمُرْى .
والحلبة رديئة للمعدة للذعها إياها .
والسمسم ردىء للمعدة ، للزوجته وكثرة دهنه .
واللبن لسرعة استحالته فى المعدة . ٥
والعسل ما أكثر منه لذع المعدة وغثاها .
والبطيخ أيضاً يُغثى ، إذا لم ينضج فى المعدة ولد كيموسا رديئا ، فينبغى بعد أكل البطيخ أن يأكل طعاما كثيرا جيد الكيموس .
والأدمغة أيضاً كلها رديئة للمعدة ، فلذلك ينبغى أن تؤكل بالصعتر والفودنج البرّى والخردل والملح ، وكذلك المخاخ . ١٠
والنبيذ الحديث الغليظ الأسود العفص يسرع الحوضة فى المعدة ويُغثى .

الاطعمة التى تفسد فى المعدة

المشمش ، والسمسم ، والتوت ، والبطيخ — إذا لم يسرع انحدارها عن المعدة وصادفت كيموساً رديئاً أسرع إليها الفساد ؛ فيجب أن تؤكل قبل الطعام والمعدة نقية ليسرع انحدارها عنها ويسهل الطريق لما يؤكل بعدها من الطعام ، فإن ١٥ أكلت بعد الطعام فسدت لبقائها فى المعدة ، وأفسدت سائر الطعام بفسادها ، وربما بلغ الفساد بها إلى أن تصير بمنزلة السم القاتل .

الاطعمة التى لا يسرع إليها الفساد فى المعدة

من كان يفسد طعامه فى معدته ، فأجود الأطعمة له ماكان غليظا بطىء الانحدار مثل لحم البقر وأكارعها ، وما أشبه ذلك مما ذكرناه فى الأطعمة الغليظة . ٢٠

الاطعمة الملينة المسهلة للبطن

كل ما كان من الأطعمة فيه حلاوة أو حدّة أو ملوحة أو لزوجة ؛ فمن ذلك

ماء العدس وماء الكرنب ، يُلينان الطبع ، وجرمهما يمسك البطن ؛ وكذلك مرقة الهرمة ، وخبز الخشكار مع العسل ، وزيتون الماء إذا كان قبل الطعام مع مرى ـ ليّن البطن ؛ فإذا كان أيضا مع الطعام بلا مرى ، فإنه يقوى المعدة على دفع الطعام لعفوصته . وكذلك ماعمل بالخل منه ـ وكل طعام عفص فإنه دابغ للمعدة مقوٍ لها ـ

٥ فأما اللبن وماء الجبن فيلينان البطن ، ولا سيما إذا خلط بهما الملح .

ولحم الصغير من الحيوان ، والسلق ، والقطف ، والبقلة اليمانية ، والقرع ، والبطيخ ، والتين ، والزبيب الحلو ؛ والتوت الحلو ، والجوز الرطب ، والإجاص الرطب والسَّكَنْجَبِين ، والنبيذ الحلو ـ ملين للبطن .

الأطعمة التى تحبس البطن

١٠ إذا كان الطعام ينحدر عن المعدة قبل انهضامه احتجنا إلى الأطعمة الممسكة الحابسة للبطن.

وكل ما غلب عليه من الأطعمة اليبس أو العفوصة أو الغلظ ، كالسفرجل ، والكمثرى ، وحب الآس ، وثمر العوسج ، وجرم العدس ، والبلّوط ، والشاه بلّوط والنبيذ العفص ـ يمسك البطن ، لعفوصته وقبضه .

١٥ والجاورس ، والدخن ، وسويق الشعير ـ تمسك البطن بيبوستها .

ولحم الأرانب ، والكرنب المطبوخ بعد صب مائه الأول عنه ثم يطبخ بماء ثان ـ فإنه يمسك البطن ليبسه .

واللبن المطبوخ ، والجبن ـ كلاهما يمسك البطن لغلظه ؛ وذلك أن يطبخ اللبن حتى تفنى مائيّته ، ويبقى جرمه ، وربما ولد سدداً فى الكبد وحجارة

٢٠ فى الكلى .

وأما الأشياء الحامضة ، كالتفاح الحامض ، والرمان الحامض ـ فإن صادفت فى المعدة كيموسا غليظا قطعته وحدرته ولينت البطن ، وإن صادفت المعدة نقية أمسكت البطن .

الأطعمة التى تولد السدد

اللبن الغليظ ، والجبن — ربما أحدثا سدداً فى الكبد وحجارة فى الكلى لمن أكثر استعمالها وكانت كلاه وكبده مستعدة لقبول الآفات .

وجميع الأطعمة الحلوة رديئة للكبد والطحال ، فإذا أكل معها الفودنج الجبلى والصعتر ، والفلفل — فتح سدد الكبد ، والطحال . ٥

والرطب ، والتمر ، وجميع ما يتخذ من الحنطة سوى الخبز الجيد المضغة ، والأشربة الحلوة أيضا — تولّد سددا فى الكبد ، وحجارة فى الكلى ، وتغلظ الطحال .

الأطعمة التى تجلو المعدة وتفتح السدد

ماء الكشك ، كشك الشعير ، يجلو المعدة ويفتح السدد . ١٠

والحلبة ، والبطيخ ، والزبيب الحلو ، والباقلاء ، والحمص الأسود — ينقى الكلى ويفتت الحجارة المتولدة فيها .

والكَبَرْ بالخل ، والعسل إذا أكل قبل الطعام — فإنه يجلو وينقى المعدة والأمعاء ، ويفتح السدد .

والسلق أيضا يجلو ويفتح السدد فى الكبد ، لاسيما إذا أكل بخردل . ١٥

والبصل ، والثوم ، والكراث ، والفجل — يقطع ويلطف الكيموس الغليظ .

والتين ، رطبه ويابسه ، يجلو وينقى الكلى .

واللوز كله ! ولا سيما المر منه — فإنه يجلو ويلطف ويفتح سدد الكبد والطحال ، ويعين على نفث الرطوبة من الصدر والرئة .

والفستق يقوى الكبد ، ويفتح سدد الكبد ، وينقى الصدر والرئة . ٢٠

والنبيذ اللطيف إذا كانت له حدة وحرافة — يصفى اللون ، وينقى العروق من الكيموس الغليظ ، وينتفع به من كان يجد فى بدنه كيموسا غليظا باردا .

وأما النبيذ الرقيق فإنه يعين على نفث الرطوبة من الرئة ، بتقويته الأعضاء وتلطيف ما فيها من الفضل الغليظة ، وقد يفعل ذلك النبيذ الحلو .

الأطعمة التى تنفخ

الحمص ، والباقلاء ، ولا سيما إن طبخ بقشره ، فإن طبخ مقشراً أو مسحوقاً كان أقل نفخا ، وإن قلى أيضا كان أقل نفخا ؛ وبعد هذه اللوبياء ، والماش ، والعدس ، والشعير ، إذا لم ينعم طبخها .

والنّعناع ، والأنُجذان ، والحِلْتيت ؛ والتين الرطب يولّد نفخا إلا أنه ينحل سريعاً لسرعة انحداره .

وما استحكم نضجه من التين والعنب كان أقل نفخا ، ويابس التين أقل نفخا من رطبه .

واللبن يولّد رياحا فى المعدة .

والعسل إذا طبخ ونزعت رغوته قل نفخه .

والنبيذ الحلو العفص يولد نفخا .

مايذهب النفخ من الأطعمة

كل طعام نافخ إذا أُحكِمَتْ صنعته وأجيد طبخه وإنضاجه قل نفخه ، وكل ما قلى منه قل نفخه ، وكل ما خلط به الأبازير المحللة للرياح ، كالكمون ، والسذاب والأنيسون ، والكاشم — يقل نفخه ؛ والخل الممزوج بالعسل يلطف الرياح .

كتاب إسحاق بن عمران إلى بعض إخوانه

كتب إسحاق بن عمران المعروف بسمّ ساعة إلى رجل من إخوانه :

أعلمك — رحمك الله — أن الخام والبلغم يظهران على الدم والمِرة بعد الاربعين سنة فيأكلانهما ، وهما عدوا الجسد وهادماه ، ولا ينبغى لمن خلف الاربعين سنة أن يحرك طبيعة من طبائعه غير الخام والبلغم ، ويقوّى الدم

جاهدا ، غير أنه ينبغى له فى كل سبع سنين أن يفجر من دمه شيئا ، ومن المرة مثل ذلك ، لقلة صبره على الطعام اللذيذ والمشروب الروىّ ؛ فتعاهد أصلحك الله ذلك من نفسك ، واعلم أن الصحة خير من المال والأهل والولد ، ولا شىء بعد تقوى الله سبحانه وتعالى خير من العافية . ومما تأخذ به نفسك وتحفظ به صحتك ، أن تلزم ما أكتب به إليك : ٥

فى شهر ينير : لا تأكل السلق ، واشرب شرابا شديدا كل غداة .

وفى شهر فبرير : لا تأكل السلق .

وفى مارس : لا تأكل الحلواء كلها وتشرب الأفسنتين فى الحلاوة .

وفى أبريل : لا تأكل شيئا من الأصول التى تنبت فى الأرض ، ولا الفجل .

وفى مايه : لا تأكل رأس شىء من الحيوان . ١٠

وفى يونيه : تشرب الماء البارد بعد ما تطبخه وتبرده على الريق .

وفى يوليه : تجنب الوطء .

وفى أغشت : لا تأكل الحيتان .

وفى سبتمبر تشرب اللبن البقرى .

وفى أكتوبر : لا تأكل الكراث نيئا ولا مطبوخا . ١٥

وفى نبنبر : لا تدخل الحمام .

وفى دجنبر : لا تأكل الأرانب .

زعم علماء الطب أن فى الجسد من الطبائع الأربع اثنى عشر رطلا فللدم منها ستة أرطال ، وللمرّة والسوداء والبلغم ستة أرطال ؛ فإن غلب الدم والطبائع تغير منه الوجه وورم ، وخرج ذلك إلى الجذام ؛ وإن غلبت تلك الطبائع الدم أنبتت المرّة. ٢٠

قال : فإذا خاف الإنسان غلبة هذه الطبائع بعضها بعضا ، فليعدل جسده بالاقتصاد وينقيه بالمشى . فإنه إن لم يفعل اعتراه ما وصفنا ، إما جذام وإما مِرة ، نسأل الله العافية .

ولا بأس بعلاج الجسد فى جميع الأزمان إلا أيام السَّمُوم ، إلا أن ينزل فيها مرض شديد لا بدّ من مداواته ، أو يظهر فيها مُومٌ ، أو ذاتُ الجنب ، فإنه ينبغى للطبيب أن يعانيه بفصاد أو شىء خفيف ، فإنها أيام ثقيلة ، وهى [من] خمسة عشر يوما من تموز إلى النصف من آب ، فذلك ثلاثون يوما لا يصلح فيها ٥ علاج ـ وكان بقراطيس يجعلها تسعة وأربعين يوما ـ ويقطع الغَرر والخطر فى أيام القيظ ، فإذا مضى لأيلول ثلاثة أيام طاب التداوى كله .

وأمر جالينوس فى الربيع بالحجامة ؛ والنورة ، وأكل الحلاوة وشربها ؛ ونهى عن القطانىّ ، واللبن الرائب ، وعتيق الجبن ، والمالح ، والفاكهة اليابسة إلا ما كان مصلوقا ...

١٠ وفى القيظ ـ وهو زمان المرة الحمراء ـ يأكل البارد الرطب على قدر قوة الرجل فى طبعه وسنه ، وترك الجماع ، وأكل الحوت الطرى ، والفاكهة الرطبة ، والبقول ؛ ولحم البقر والمعز ؛ ومن القطانى العدس ، ومن الأشربة المربب بالورد والسُّكُرْكة من الشعير ، والسكر بالماء المطبوخ ، وأكل الكزبرة الخضراء فى الأطعمة ، وأكل الخيار والبطيخ ، ولزوم دهن الورد وماء الورد ، ورش الماء ١٥ وبسط البيت بورق الشجر ، ومن الدواء السكر بالمصْطَكا ، يسحقهما مثلا بمثل ويأخذهما على الريق قدر الدرهم أو أكثر قليلا ...

وفى زمان الخريف ـ وهو زمان السوداء ، وهو أثقل الأزمنة على أهل تلك الطبيعة ـ من الطعام والشراب بالحار الرطب ، مثل الأحساء بالحلاوة ، وأكل العسل وشربه ؛ ونَهى فيه عن الجماع ، وأكل لحم المعز والبقر ، وأمر بأكل ٢٠ صنوف حيوان البر والبحر ، وحسو البيض ، والدهن قبل الحمام ، وإتيانِ النساء على غير شبع فى آخر الليل وفى أول النهار ، والتماس الولد على الريق من الرجل والمرأة فإن أولاد ذلك الزمان أشد وأقوى تركيبا ، من غيرهم ، كما قالت الحكماء .

الخمر المحرمة فى الكتاب

أجمع الناس على أن الخمر المحرمة فى الكتاب خمرُ العنب ، وهى ماغلى وقَذف الزبَدَ من عصير العنب ، من غير أن تمسه نار ، ولا يزال خمرا حتى يصير خلا ، وذلك إذا غلبت عليه الحموضة وفارقتها النشوة ؛ لأن الخمر ليست محرَّمة العين كما حُرمت عين الخنزير ، وإنما حرمت لعرَض دخَل لها ، فإذا زايلها ذلك العرَض عادت حلالا كما كانت قبل الغليان حلالا ، وعينها فى كل ذلك واحدة ، وإنما انتقلت أعراضها من حلاوة إلى مرارة ، ومن مرارة إلى حموضة ،كما ينتقل طعم الثمرة إذا أينعت من حموضة إلى حلاوة والعين قائمة ، وكما ينتقل طعم الماء بطول المكث فيتغير طعمه وريحه والعين قائمة .

ونظير الخمر فيما يحل ويحرم بعرَض : المسك الذى هو دم عبيط حرام ، ثم يجف ويجدد رائحة فيصير حلالا طيبا ؛ فهذه الخمر بعينها المجمَع على تحريمها ؛ وأصحاب النبيذ إنما يدورون حولها ويتعللون أنهم يشربون مادون المسكر ، ولا لذة لهم دون موافقة المسكر كما قال الشاعر :

يدُورُونَ حولَ الشَّيْخ يلتمِسونهُ * بأَشْرِبة شَتَّى هى الخمرُ تطلَبُ

وقول القائل :

* إياكِ أعْنى فاسمعى يا جارَهْ *

الأحنف بن قيس — قيل للأحنف بن قيس : أى الشراب أطيب؟ فقال : الخمر . قيل له : وكيف علمتَ ذلك وأنت لم تشربها ؟ قال : إنى رأيت من أُحلت له لا يتعدّاها ، ومن حرمت عليه إنما يدور حولها !

لابن شبرمة — وقال ابن شُبرمة :

ونبيذُ الزَّبيبِ ، ما اشتَدَّ منه * فهو للخَمرِ والطِّلاءِ نسيبُ

لابن القعقاع

وقال عبد الله بن القعقاع :

أتانا بها صفراء يزعُمُ أنّها * زبيبٌ،فصدّقناهُوهوَ كذوبُ
فهل هى إلا ساعةٌ غابَ نحْسُها * أُصَلّى لرَبّى بعْدَها وأتوبُ

الفرزدق

وقال ابن شبرمة : أتانا الفرزدق ، فقال : اسقونى . فقلنا : وماتريد أن نسقيَك ؟
٥ قال : أقربه إلى الثمانين . يعنى حدّ الخمر .

أنواع الشراب

وقال قيصر لقس بن ساعدة : أى الأشربة أفضلُ عاقبةً فى البدن ؟ قال : ما صفا فى العين ، واشتد على اللسان ، وطابت رائحتُه فى الأنف من شراب الكرم . قيل له : فما تقول فى مطبوخه ؟ فقال : مرعًى ولا كالسعدان . قيل له : فما تقول فى نبيذ التمر ؟ قال : ميت أحيا فيه بعض المنعة ، ولا يكاد يحيا من مات
١٠ مرة . قيل له : فما تقول فى العسل ؟ قال : نِعم شرابُ الشيخ ذى الأبرِدة والمعدة الفاسدة .

الوليد وابن شراعة

على بن عياش قال : إنى عند الوليد بن يزيد فى خلافته ، إذ أُتىَ بابن شراعة من الكوفة ؛ فوالله ما سأله عن نفسه ولا سفره حتى قال له : يا ابن شرّاعة ، إنى والله ما بعثت إليك لأسألك عن كتاب الله ولا سنة رسوله . قال : فوالله لو سألتنى
١٥ عنهما لألفيتنى فيهما حمارا ! قال : وإنما أرسلتُ إليك لأسألك عن القهوة ، قال دِهقانها الخبير ، وطبيبها العليم ! قال : فأخبرنى عن الطعام ؟ قال : ليس لصاحب الشراب على الطعام حكم ، غير أنّ أنفعه وأشهاه أمرَؤُه . قال : فما تقول فى الشراب ؟ قال : ليسألْ أمير المؤمنين عما بدا له . قال : فما تقول فى الماء ؟ قال : لا بد لى منه ! والحمار شريكى فيه . قال : فما تقول فى السَّويق ؟ قال : شراب
٢٠ الحزين والمستعجل والمريض . قال : فما تقول فى اللبن ؟ قال : ما رأيته قط إلا استحييت من أُمى ! من طول ما أرضعتنى به قال : فنبيذ التمر ؟ قال : سريع الامتلاء سريع الانفشاش . قال : فنبيذ الزبيب ؟ قال : حاموا به على الشراب . قال : ما تقول فى الخمر ؟ قال : أوّه ! تلك صديقة روحى ! قال : وأنت والله صديق روحى . [ثم] قال : وأىّ المجالس أحسن ؟ قال : ما شرب الناس على

وجه قط أحسنَ من السماء [١] !

الرشيد والأصمعى

قال الأصمعى : دخلت على الرشيد وهو فى الفرش منغمس كما ولدته أمه ؛ فقال لى : يا أصمعى ، من أين طَرفت اليوم ؟ قال : قلت : احتجمت . قال : وأى شىء أكلت عليها ؟ قلت : سكباجة وطباهجة . قال : رميتَها بِحَجرها . [ثم] قال : هل تشرب ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين .

آسْقِنِى حتى تَرانى مائِلا * وتَرىعُمرَانَ دِينِى قد خرِبْ

قال : يا مسروق ، أى شىء معك ؟ قال : ألف دينار . قال : ادفعها إليه !

آفات الخمر وخبائثها [٢]

أول ذلك أنها تُذهِبُ العقل ، وأفضل ما فى الإنسان عقله ، وتحسن القبيح وتُقبح الحسن .

لأبى نواس

قال أبو نواس :

آسقنى حتى ترانى * حسن عندِى القَبيح

وقال أيضا :

آسقنى صِرفا حُمَيّا * تترُك الشيْخَ صَبيا
وتُريهِ الغَىَّ رُشداً * وتريه الرُّشدَ غيا !

وقال أيضا :

عُتِّقتْ فى الدّنِّ حولا * فهىَ فى رقّـةِ دِينى

للناطق بالحق

وقال الناطق بالحق :

تَركتُ النَّبيذَ وأصحابَهُ * وصِرْتُ خديناً لمنْ عابَهُ
شرابٌ يُضِلُّ سبيلَ الرشادِ * ويفتَح للشَّرِّ أبوابه

(١) فى بعض الأصول : « من النساء » .
(٢) فى بعض الأصول : « وجناياتها » .

النديم — وإنما قيل لمشارب الرجل : نديم ، من الندامة ؛ لأن معاقر الكأس إذا سكر تكلم بمـا يندم عليه ؛ فقيل لمن شاربه : نادمه ؛ لأنه فعل مثل ما فعله ، فهو نديم له ؛ كما يقال : جالسه فهو جليس له ؛ والمعاقر : المدمن ؛ كأنه لزم عُقر الشيء ، أى فِناءه .

٥ لأبى الأسود — وقال أبو الأسود الدؤلى :

دع الخمر يشربْها الغُواةُ فإننى * رأيتُ أخاها مُغْنياً بمكانِهـا

فإن لا تَكُنْها أو تكنْهُ فإنّه * أخوها غَـذَتْهُ أمُّهُ بلِبانِها

أصحاب الشراب — وقد شُهر أصحابُ الشراب بسوء العهد ، وقلة الحِفَاظ ، وأنهم صديقك ما استغنيتَ حتى تفتقر ، وما عوفيتَ حتى تُنكب ، وما غلب دنانُك حتى تُنزَف ،

١٠ وما رأوك بعيونهم حتى يفقدوك ؛ قال الشاعر :

أرَى كلّ قوْمٍ يحفظون حريمَهُمْ * وليس لأصحابِ النَّبيذِ حريمُ

إخاؤُهمُ ما دارتِ الكأسُ بينهم * وكلُّهُمُ رَثُّ الحِبالِ سَئومُ

إذا جِئْتَهُمْ حَيَّوْكَ ألفاً ورحَّبوا * وإن غِبْتَ عنهم ساعةً فذَميمُ

فهـذا بيانى لم أَقُلْ بجهالة * ولكنّنى بالفاسـقين عليم

١٥ لقصى بن كلاب — وقال قصىّ بن كلاب لبنيه : اجتنبوا الخمر ، فإنها تصلح الأبدان ، وتُفسد الأذهان .

لعدى — وقيل لعدى بن حاتم : مالك لا تشرب الخمر ؟ قال : لا أشرب ما يَشرب عقلى !

وقيل له : مالك لا تشرب النبيذ ؟ قال : معاذ الله أن أُصبح حليم قومى وأمسى سفيههم !

٢٠ ليزيد بن الوليد — وقال يزيد بن الوليد : النشوة تحلُّ الحَبْوة .

لعثمان بن عفان — وقيل لعثمان بن عفان رضى الله عنه : ما منعك من شرب الخمر فى الجاهلية ولا حرج عليك فيها ؟ قال : إنى رأيتُها تُذهب العقل جملة ، وما رأيت شيئا يَذهبُ جملة ويعود جملة .

وقال أيضا : ما تغنّيت ، ولا تفتّيت ، ولا شربت خمراً ، ولا مسست فرجى بيدى ، بعد أن خططتُ بها المفصّل .

عبد العزيز بن مروان ونصيب

وقال عبد العزيز بن مروان لنُصيب بن رباح : هل لك فيما يُثمر المحادثة ؟ يريد المنادمة . قال : أصلح الله الأمير ، الشعر مفلفل ، واللون مرمّد ، ولم أقعد إليك بكرم عنصر ، ولا بحسن منظر ، وإنما هو عقلى ولسانى ، فإن رأيتَ أن ٥
لا تفرّق بينهما فافعل !

وربما ذهبت الكأسُ بالبيان ، وغيرت الخلقة ، فيعظم أنف الرجل ويحمرّ ويترهّل .

لجرير فى الأخطل

وقال جرير فى الأخطل :

وشربتَ بعد أبى ظهير وابنِه ٭ سكرَ الدّنانِ كأنّ أنفَك دُمّلُ ١٠

شُبه بالدمل فى ورمه وحمرته .

لبعضهم فى حماد

وقال آخر فى حماد الراوية :

نِعْمَ الفتى لو كان يَعرفُ وجهَه ٭ ويُقيمُ وقتَ صـلاته حَمّادُ
هَدَلتْ مَشافرَهُ الدِّنانَ ، فأنفُه ٭ مثـلُ القَدومِ يَسنُّها الحدّاد
وأبيضّ من شربِ المدامةِ وجهُه ٭ فبياضُه يومَ الحسابِ سَـواد ١٥

فى أمية بن عبد الله وعبد الملك

ودخل أمية بن عبد الله [بن خالد] بن أسيد على عبد الملك بن مروان وبوجهه أثر ، فقال : ما هذا ؟ فقال : قمتُ بالليل فأصاب البابُ وجهى ! فقال عبد الملك :

رأتنى صريعَ الخمرِ يوماً بسوئها ٭ وللشّاربيها المدمنيها مَصارِعُ

[قال] فقلت : لا آخذَ اللهُ أميرَ المؤمنين بسوء ظنّه ! فقال : بل آخذك اللهُ بسوء مصرعك ! ٢٠

لحسان

وقال حسان بن ثابت :

تقولُ شعثاء : لو صَحوتَ عنِ الـ ٭ كأسِ لأصبحتَ مُثْرِىَ العددِ
أُنسِى حديثُ النَّدْمانِ فى فَلَق الصُّبْـ ٭ ـحِ وصـوتُ المُسامرِ الغَرِد

لاأحدِسُ الحَدْسَ بالجليسِ ولا * يَخشى نَديمى إذا آنتَشَيْتُ يدى

لابن الموصلى

وقال ابن الموصلى :

سلامٌ على سيْرِ القلاصِ مع الرَّكْبِ * ووصلِ الغَوانِى والمُدامةِ والشَّرْبِ

سلامَ آمرِئٍ لم تَبـقَ منه بقيّـةٌ * سِوى نظرِ العينيْنِ أو شهوةِ القلب

٥ لَعَمرى لئن نُكِّبْتُ عن مَنهلِ الصِّبا * لقـد كنتُ ورّاداً لِمنهلِه العذب

ليـالِىَ أمشى بين بُرْدَىَّ لاهِياً * أميسُ كغصنِ البانةِ الناعمِ الرَّطب

الحسن بن زيد وإبراهيم بن هرمة

ويروى أن الحسن بن زيد لما ولى المدينة قال لإبراهيم بن هَرْمة : لا تحسبنى كمن باع لك دينه رجاء مدحِك وخوفَ ذمِّك ، فقـد رزقنى الله بولادةِ نبيّه المَمادح وجنّبنى القبائح ، وإن من حقه علىّ أن لا أُغضِى على تقصير فى حقّه ؛

١٠ وإنى أقسم لئن أُتيتُ بك سكران لأضربنّك حدين : حدَّ الخمر ، وحدَّ السكر ؛ ولأزيدنك لموضع حرمتك بى ؛ فليكن تركك لها لله تُعَنْ عليه ، ولا تجعله للناس فتُوكَل إليهم ، فنهض ابن هرمة وقال :

نَهانِى آبنُ الرسولِ عنِ المُدامِ * وأدّبَـنى بآدابِ الكِرامِ

وقال لِىَ آصطبِرْ عنها ودعْها * لِخوْفِ اللهِ لا خوْفِ الأنامِ

١٥ وكيف تصَبُّرى عنها وحُبّى * لهـا حُبٌّ تمكّن فى عِظامى

أرَى طيبَ الحلالِ علىّ خُبثاً * وطيبَ النفسِ فى خُبْثِ الحرام

زياد وحارثة ابن بدر

وذكروا أن حارثة بن بدر الغُدَانى كان فارسَ بنى تميم ، وكان قد غلب على زياد ، وكان الشراب قد غلب عليه ؛ فقيل لزياد : إن هذا قد غلب عليك ، وهو رجل مستهتر بالشراب ! فقال لهم : كيف اطّراحى لرجل ماراكبنى قط فمست

٢٠ ركبتى ركبته ، ولا تقدمنى فنظرت إلى قفاه ، ولا تأخر عنى فلويت إليه عنق ، ولا سألته عن شىء قط إلا وجدتُ عِلْمَه عنده !

فلما مات زياد جفاه ولده عبيد الله بن زياد ؛ فقال له حارثة : أيها الأمير ، ماهذا الجفاء مع معرفتك بحالى عند أبى المغيرة ؟ فقال له عبيد الله : إن أبا المغيرة

قد برع بروعاً لا يلحقه معه عيب ؛ وأنا حدث ، وإنما أُنسب إلى من تغلب علىّ ، وأنت نُديم الشراب ، فدع النبيذ وكن أول داخلٍ وآخر خارج . فقال حارثة : أنا لم أدعه لله ، أفأدَعُه لك ؟ قال : فاختر من عملي ما شئت . قال : ولنى رامَهُرْمُز ؛ فإنها أرض عَذِيَة ، أو سُرَّق ؛ فإن بها شراباً وُصف لى عنها . فولاه إياها ، فلما خرج شيعه الناس ، وكتب إليه أنس بن أبى أنيس : ٥

أحارِ بن بدرٍ قد وليت ولايةً * فكن جُرَذاً فيها تخون وتَسرِقُ

ولا تَحقِرَنْ ياحارِ شيئاً تخونه * فحظك من مُلْكِ العراقين سُرَّقُ

وبارِ تميما بالغنَى إنّ للغنى * لساناً به المرء الهَيُوبَةُ يَنطق

فإنّ جميع الناس إمّا مُكذِّبٌ * يقول بما يهوَى وإمّا مُصدّق

يقولون أقوالا ولا يعْلمونها * ولو قيل يوماً حقّقوا لم يُحقّقوا ١٠

فوقّع حارثة فى أسفل كتابه : لا يَعُد عنك الرشد .

حارثة بن بدر فى حرب الأزارقة

ولما خرجت الأزارقة على أهل البصرة ، لاقاهم حارثة بن بدر وتولى حربَهم فى أصحابه من فرسان بنى يربوع ، حتى أصيب فى تلك الحروب . وقال فيه الشاعر :

فلولا ابن بدرٍ للعراقين لم يقم * لما قام فيه للعراقين إنسانُ ١٥

إذا قيل مَن حامى الحقيقة أومأتْ * إليه مَعَدٌّ بالأكفّ وقحطان

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

شربنا من الدَّاذِىّ حتى كأننا * ملوكٌ لهم فى كلّ ناحيةٍ وفْرُ

فلما آعتلَت شمسُ النهار رأيْتنا * تَخلّى الغنَى عنا وعاودَنا الفقر

أبو الهندى

وكان أبو الهندى من ولد شَبَث بن ربعىّ الرياحى من بنى يربوع وكان قد ٢٠ غلب عليه الشراب على كريم منصبه ، حتى كاد يبطله ، وكان قد ضاف على راع يسمى سالماً ، فسقاه قدحا من لبن ، فكرهه وقال :

سيغْنِى أبا الهندىّ عن وطْب سالمٍ * أباريقُ كالغزْلان بيضٌ نُحورُها

مُقدِمةً قَوًّا كأن رقابَهـا ٭ رقابُ كراكٍ أفزعتْها صُقورها

فما ذرّ قرنُ الشمس حتى كأنما ٭ أرى قريةً حولى تَزلزل دورها

وكان عجيبا بالجواب ، فجلس إليه رجل كان صُلب أبوه فى جناية ، فجعل يعرِّض له بالشراب ، فقال أبو الهندى : أحدهم يبصر القذى فى عين أخيه ٥ ولا يبصر الجِذع المعترض فى آست أبيه .

ولقيه نصر بن سيار والى خراسان وهو يميد سكراً ، فقال له : أفسدْت مروءتك وشرفك ! قال لو لم أُفسدْ مُروءتى لم تكن أنت والى خراسان !

ومرض أبو الهندى ، فلما وجد فقْد الشراب جعل يبكى ويقول :

رضيع المَدام فارقَ الراحُ رُوحَه ٭ فظلَّ عليها مستهلَّ المَدامع

١٠ أديرا علىّ الكأس إنى فقدتُها ٭ كما فقد المفطومُ دَرّ المراضع

وكان يشرب مع قيس بن أبى الوليد الكنانى ، وكان أبو الوليد ناسكا ؛ فاستعدى عليه وعلى ابنه ، فهرب منه ، وقال فيه أبو الهندى :

قل للسَّرىّ آبن هند ظَلْت تُوعدُنا ٭ ودارنا أصبحتْ من داركم صددَا

أبا الوليد أما والله لو عملَتْ ٭ فيك الشَّمولُ لمَا فارقْتَها أبدا

١٥ ولا نسيت حُمَيّاها ولذّتها ٭ ولا عدَلت بها مالاً ولا ولدا

وشرب أبو الهندى فى غرفة مع نديم له ، فاطّلع منها فإذا بميّت يُزفّ به على على شَرجع ، فالتفت إلى صاحبه فقال :

اصبُبْ على قلبك من بَرْدِها ٭ إنى أرى النـاس يموتونا

فكان هذا القول منه [أمارة] على [عدم] اتّعاظه بالموت .

٢٠ وقال عبد الرحمن بن أم الحكم : لابن أم الحكم

وكأس ترَىَ بين الأثافِى وبينها ٭ قَذى العين ، قد نازعْتُ أُمّ أبانِ

ترى شارِبِيها حين يَعبَق ريحُها ٭ يميلان أحياناً ويعتدلان

فما ظنُّ ذا الواشِى بأروعَ ماجدٍ ٭ وعذراء خَود حين يلتقيان . . .

دعتْنى أخاها أمُّ عمرو ولم أكن * أخاها ولم أرضعْ لها بِلبانِ

دعتْنى أخاها بعد ماكان بيننا * من الأمر ما لا يفعل الأخوانِ

وقال(١) :

لاهنيئاً بما شربت مريئاً * ثم قم صاغراً وغيرَ كريمِ

لا أحبُّ النَّديم يومِضُ بالعيـــن إذا ما انثنى لعُرسِ النديم ٥

المأمون وابن مسعدة

وقال أبو العباس المبرد : دخل عمرو بن مسعدة على المأمون ، وبين يديه جام زجاج فيه سكر طبرزذ وملح جريش ؛ قال : فسلمت عليه ، فردّ وعرض علىّ الأكل ، فقلت : ما أريد شيئا هناك الله يا أمير المؤمنين ، فلقد باكرت الغداء قال : بتُّ جائعاً ؟ ثم أطرق ورفع رأسه وهو يقول :

أعرض طعامَك وآبذُله لمن دخلا * واعزم على من أبَى واشكر لمن أكلا ١٠

ولا تكن سابِرِىَّ العِرْضِ مُحتشِما * من القليل فلستَ الدهرَ محتفلا

ودعا برطل ، ودخل شيخ من جِلة الفقهاء فمدّ يده إليه ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ماشربتُها ناشئا ، فلاتسقنيها شيخا . فردّ يده إلى عمرو بن مسعدة ؛ فأخذها منه وقال : يا أمير المؤمنين ، [اللهَ ! الله !] فإنى عاهدت الله فى الكعبة أن لا أشربها أبدا ! ففكر طويلا والكأس فى يد عمرو بن مسعدة . فقال : ١٥

رُدّا علىّ الكأس إنكما * لاتعْلمان الكأس ما تُجدِى

لوذقتما ماذقتُ ما آمتزجتْ * إلا بدمعِكما من الوجدِ

خوّفتمانى اللهَ ربَّكما * وكخيفتيه رجاؤه عندى

إنْ كنتما لاتشربان معى * خوْفَ العقاب شَرِبتُها وحدى

المأمون وابن أكثم وابن طاهر

شرب المأمون ويحيى بن أكثم وعبد الله بن طاهر ، فتغامز المأمون ٢٠ وعبد الله على سكر يحيى ، فغمز الساقى ، فأسكره ، وكان بين أيديهم رِزم من وردٍ ورياحين ، فأمر المأمون فشُق له لحدٌ فى الورد والرياحين ، وصيروه فيه ،

(١) ينسب هذان البيتان لأبى عطاء السندى .

وعمل بيتين فى شعر ودعا قينة ، فجلست عند رأسه وحرّكت العود وغنت :

نادَيتُه وهْو حيٌّ لا حَراكَ به * مكفَّنٌ فى ثيابٍ من رياحين

فقلت قم ، قال رِجْلى لا تطاوِعنى * فقلت خذ ، قال كفى لا تواتينى

فانتبه يحيى لرنة العود ، وقال مجيباً لها :

٥ ياسيِّدى وأمير الناس كلِّهم * قد جار فى حُكمه من كان يَسقينى

إنى غفلْتُ عن الساقى فصيرَنى * كما ترانى سليبَ العقْل والدِّين

لا أستطيع نهوضاً قد وهَى جسَدى * ولا أُجيبُ المنادى حين يدعونى

فاختَر لبغْدادَ قاضٍ إننى رجلٌ * الراحُ يقتُلنى والعودُ يُحيينى !

وعود السكارى حدثنا أبو جعفر البغدادى قال : كان بالجزيرة رجل يبيع نبيذاً فى ناجودٍ له[1]

١٠ وكان بيته من قصب ، وكان يأتيه قوم يشربون عنده ، فإذا عمل فيهم الشراب قال بعضهم لبعض : أما ترون بيت هذا النبَّاذ من قصب ! فيقول بعضهم : علىَّ الآجر ! ويقول الآخر : علىَّ الجصّ ! ويقول الآخر : علىّ أجرة العامل ! فإذا أصبحوا لم يعملوا شيئا . فلما طال ذلك على النبَّاذ قال :

لنا بيتٌ يُهـدم كلّ يومٍ * ويُصبح حين يُصبح جِذْمَ خُصّ

١٥ إذا مادارت الأقداحُ قالوا * غـداً نبْنى بآجُرٍ وجِصٍّ

وكيف يُشيِّدُ البُنيانَ قومٌ * يمرّون الشِّتاءَ بغير قُمص !

حارثة بن بدر وزياد ودخل حارثة بن بدر على زياد وبوجهه أثر فقال له : ماهذا ؟ قال : ركبت فرسى الأشقر فصرعى . قال : أما إنك لو ركبت الأشهب ماصرعك .

أراد حارثة بالأشقر : النبيذ ! وأراد زياد بالأشهب : اللبن .

٢٠ قيس بن عاصم وكان قيس بن عاصم يأتيه فى جاهليته تاجر خمر ، فيبتاع منه ، ولا يزال الخمار فى جواره حتى ينفد ما عنده ؛ فشرب قيس ذات يوم فسكر سكرا قبيحا ، فجذب ابنته وتناول ثوبها ، ورأى القمر فتكلم بشىء ، ثم انتهب مال الخمار ،

(١) فى بعض الأصول : « ماخور له » .

وأنشأ يقول :

منْ تاجرٍ فاجرٍ جاء الإلهُ به ٭ كأن لِحيتَهُ أذنابُ أجمـــالِ
جاء الخبيثُ ببِيْسانيةٍ تركتْ ٭ صَحْبي وأهلي بلا عَقلٍ ولا مالِ

فلما صحا أخبر بمـا صنع وما قال ، فآلى أن لا يذوق خمرة أبداً .

للمأمون — وربمـا بلغت جناية الكأس إلى عقب الرجل ونجله ؛ قال المأمون : يا نُطف الخمار ، وترائع الظُّئور ، وأشباه الخئولة . ٥

لبعض الشعراء — وقال الشاعر :

لمـا رأيتُ الحظَّ حَظَّ الجاهل ٭ ولم أرَ المغبُونَ غيرَ العاقِل
رحلْتُ عِيسا من كرومِ بابِلِ ٭ فبتُّ من عَقْلي على مراحِل !

وقال آخر يصف السكر : ١٠

أقبلْتُ من عِنْدِ زيادٍ كالخرِفْ ٭ أجُرُّ رِجلَيَّ بخطٍّ مُختلِفْ
٭ كأنمـا يُكتِّبان لامَ ألفْ ٭

وقال آخر يصف السكر :

شرِبْنا شَرْبةً من ذاتِ عِرْقٍ ٭ بأطرافِ الزُّجاجِ من العصيرِ
وأُخرى بالمرَوَّح ، ثم رُحنا ٭ نرى العُصفورَ أعظمَ من بعيرِ ١٥
كأن الدِّيكَ دِيكَ بني تميمٍ ٭ أميرُ المؤمنـــينَ على السريرِ
كأنَّ دجاجَهُم في الدَّارِ رُقطا ٭ بناتُ الرُّومِ في قُمصِ الحريرِ
فبِتُّ أرى الكواكبَ دانياتٍ ٭ ينَلْنَ أناملَ الرَّجُلِ القصيرِ
أدافعُهُنَّ بالكفَّيْنِ عنِّي ٭ وألثمُ لَبَّـــةَ القمَرِ المنيرِ

وقال الشاعر : ٢٠

دَعِ النَّبيذَ تكُنْ عدْلا ، وإن كثرتْ ٭ فيكَ العُيوبُ ، وقل ما شِئتَ يُحتَملُ
هو المشيدُ بأخبارِ الرجالِ ؛ فمـا ٭ يخفى على النَّاسِ ماقالوا وما فعلوا

كم زلّةٍ من كريم ظلّ يشهرُها * من دُونِها تستر الأبوابُ والكِلَلُ
أضحتْ كنارٍ على علياء موقدَة * مايستسنُّ لهـا سهلٌ ولا جَبل
والعقلُ عقلٌ مصُونٌ لو يباعُ لقد * ألفيْت بياعَهُ أضعافَ ما سألوا
فاْعجبْ لقومٍ مُناهُم فى عقولِهمُ * أنْ يُذهِبوها بِعَلٍّ بعـدَهُ نَهل
٥ قد عُقدَتْ بخمارِ الكأسِ ألسُنُهمْ * عنِ الصواب ولم يُصبحْ بها عِلَل
وزُرِّرتْ بِسناتِ النوْمِ أعينُهُم * كأنّ أحداقَها حُولٌ وما حَولوا
تخـالُ رائحَهم من بعْدِ غَدْوتِهم * حُبْلَى أضرَّ بهـا فى مشيها الحبَل
فإن تكلَّمَ لم يقْصِد لحـاجتِهِ * وإن مَشى قلتَ مجنونٌ بهِ خَبلُ

وقال :

١٠ أخو الشَّراب ضائعُ الصَّلاةِ * وضائعُ الحرمةِ والحـاجاتِ
وحالُهُ من أقبَحِ الحـالاتِ * فى نفْسِه والعِرْسِ والبناتِ
أفّ له ، أفّ إلى أفّاتِ * خمســة آلاف مُؤلفاتِ

من حدّ من الأشراف فى الخمر وشهر بها

يزيد بن معاوية — منهم يزيد بن معاوية ، وكان يقال له : يزيد الخمور .

يزيد ومسور — ١٥ وبلغه أن مِسْور ابن مخرمة يرميه بشرب الخمر ، فكتب إلى عامله بالمدينة أن يجلد مسوراً حدّ الخمر ، ففعل ؛ فقال مِسْور :

أيشربُها صرفا بِطينِ دِنانها * أبو خالدٍ ويُضرَبَ الحدَّ مِسْوَرُ؟

الوليد بن عقبة — ومِمن حُدَّ فى الشراب : الوليد بنُ عقبة بن أبى مُعَيط ، أخو عثمان بن عفان لأمه ؛ شهد أهل الكوفة عليه أنه صلى بهم الصبح ثلاث ركعات وهو سكران ٢٠ ثم التفت إليهم فقال : إن شئتم زدتُكم ! فجلده علىٌّ بن أبى طالب بين يدى عثمان وفيه يقول الحطيئة ـ وكان نديمه أبو زيد الطائى :

شَهدَ الحُطيئةُ يومَ يَلقى ربَّهُ * أنّ الوليدَ أحقُّ بالعذْرِ

نادَى وقد تمّتْ صـــلاتُهمُ * ليزيدَهم خـــيراً ولا يَدرى

ليزيدهم خـيراً ، ولو قَبِلوا * لجَمَعْتَ بين الشَّفْعِ والوتر

كَبَحُوا عِنانَك إذ جَرَيْتَ ولو * تركوا عِنانكَ لم تَزلْ تجرى !

عبد الله بن عمر — ومنهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، شرب بمصر ، لحده هناك عمرو بن العاص سرًّا ؛ فلما قدم على عمر جلده حدًا آخر علانية ! ٥

العباس بن على — ومنهم العباس [بن على] بن عبد الله بن عباس ، كان ممن شهر بالشراب ومنادمة الأخطل ، وفيه يقول الأخطل :

ولقد غَدَوْت على التِّجَارِ بمنبِجٍ * هَرَّت عواذِلهُ هَريرَ الأكلُبِ

لبّاس أرْدِيةِ الملوكِ يَروقُه * من كلِّ مُرْتقَبٍ عيونُ الرَّبْرَبِ

قدامة بن مظعون — ومنهم قدامة بن مظعون ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جلده عمر بن الخطاب بشهادة علقمة الخصى وغيره فى الشراب . ١٠

عبد الرحمن بن عمر — ومنهم عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب المعروف بأبى شحمة ، حدّه أبوه فى الشراب وفى أمر أنكره عليه ؛ [فمات تحت حدّه] !

عبد الله بن عروة — ومنهم عبد الله بن عروة بن الزبير ، حدّه هشام بن إسماعيل المخزومى فى الشراب . ١٥

عاصم بن عمر — ومنهم عاصم بن عمر بن الخطاب ، حدّه بعض ولاة المدينة فى الشراب .

عبد العزيز ابن مروان — ومنهم عبد العزيز بن مروان ، حده عمرو [بن سعيد] الأشدق .

ومن فضح بالشراب بلال بن أبى بردة الأشعرى ، وفيه يقول يحيى بن نوفل الحميرى :

وأمّا بِلالٌ فذاك الذى * يميلُ الشرابُ بهِ حيثُ مالا ٢٠

يَبيتُ يُمُصُّ عتيقَ الشرابِ * كمصِّ الوليدِ يخافُ الفِصالا

ويُصبحُ مُضْطرباً ناعساً * تخالُ مِنَ السُّكرِ فيه آحْولالا

ويَمشى ضعيفا كمشْيِ النزيفِ * تخالُ به حين يَمشى شِكالا

عبد الرحمن الثقفى

ومن شهر بالشراب عبد الرحمن بن عبد الله الثقفى القاضى بالكوفة ، وفضح بمنادمة سعد بن هبّار ، وفيه يقول حارثة بن بدر :

نهارُهُ فى قضايا غيرِ عادلةٍ * وليلُه فى هوى سعدِ بن هبّارِ

٥ مايسمَعُ الناسُ أصواتًالهم عَرَضت * إلا دَوِيًّا ، دَوِى النحلِ فى الغار

يدينُ أصحـــابَه فيما يدينُهُم * كأساً بكأسٍ وتكراراً بتَكْرار

فأصبح الناسُ أطلاحاً أضَرَّ بِهم * حث المطِىِّ وما كانوا بسُفّار

أبو محجن الثقفى

ومنهم أبو مِحْجن الثقفى ، وكان مغرما بالشراب ، وقد حده سعد بن أبى وقاص فى الخمر مراراً ، وشهد القادسية مع سعد ، وأبلى فيها بلاء حسنا ؛

١٠ وهو القائل :

إذا مِت فادْفنّى إلى ظلِّ كرمةٍ * تُروِّى عظامِى بعد موتى عُرُوقها

ولا تدفنـنى فى الفلاةِ ، فإننى * أخافُ إذا ما مت أن لا أذُوقها

ثم حلف بالقادسية ألا يشرب خمراً أبداً ، وأنشأ يقول :

إن كانتِ الخمرُ قد عزّت وقد مُنِعت * وحالَ من دونِها الإسلامُ والحرجُ

١٥ فقد أباكرُها صَهْباء صافيةً * طوْراً ، وأشْرَبُها صِرفاً وأمْتزج

وقد تقومُ على رأسِى مُغنّيـــةٌ * فيهـا إذا رفعت من صوتِها غنجُ

فتخفِضُ الصوْتَ أحيانا وتَرْفعه * كما يطِنُّ ذُبابُ الرّوضةِ الهزِج

عبد الملك بن مروان

ومنهم عبد الملك بن مروان ، وكان يسمى حمامة المسجد ، لاجتهاده فى العبادة قبل الخلافة ؛ فلما أفضت إليه الخلافة شرب الطِّلا .

٢٠ وقال له سعيد بن المسيب : بلغنى يا أمير المؤمنين أنك شربت بعدى الطلا ؟ فقال : إى والله ، والدماء ، وقتلت النفس !

ومنهم الوليد بن يزيد ، ذهب به الشراب كل مذهب حتى خُلع وقتل ؛

وهو القائل :

خُذوا مُلكَكم لا ثبَّت اللهُ مُلْكَكم * ثباتا يُساوى ما حَييتُ عِقالا

دَعوا لى سُلَيمى والنَّبيذَ وقيْنَةً * وكأسا ، ألا حسبى بذلك مالا

أبالمُلكِ أرجو أن أُخَلَّدَ فيكم ؟ * ألا رُبَّ مُلكٍ قد أُزيلَ فزالا

حين تسكر المرأة

وسقى قومٌ أعرابيةً مسكرا ، فقالت : أيشرب نساؤكم مثلَ هذا ؟ قالوا : نعم. قالت : فما يدرى أحدكم مَن أبوه ! ٥

إبراهيم بن هرمة

ومنهم إبراهيم بن هرمة ، وكان مغرما بالشراب ، وحدّه عليه جماعة من عمال المدينة ، فلما ألحوا عليه وضاق ذرعُهُ بهم ، دخل إلى المهدى بشعره الذى يقول فيه :

له لحظاتٌ عن حِفافَىْ سريرةٍ * إذا كرّها فيها عقابٌ ونائلُ ١٠

لهم تُرْبةٌ بيضاءُ من آلِ هاشمٍ * إذا اسودَّ من لؤْمِ التراب القبائل

إذا ما أتى شيئا مَضى كالذى أتى * وإن قال: إنى فاعلٌ ، فهو فاعِل

فأعجب المهدى بشعره ، وقال : سل حاجتك . قال : تأمر لى بكتاب إلى عامل المدينة أن لا يحدّنى على شراب ! فقال له : ويلك ! كيف نأمر بذلك ؟ لو سألتنى عزل عامل المدينة وتوليتَك مكانه لفعلت . قال : يا أمير المؤمنين لو عزلت ١٥ عامل المدينة ووليتنى مكانه ، أما كنت تعزلنى أيضا وتولى غيرى ؟ قال : بلى قال: فكنت أرجع إلى سيرتى الأولى [فأُحدّ]. فقال المهدى لوزرائه : ما تقولون فى حاجة ابن هرمة ، وما عندكم [فيها] من التلطف ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين ، إنه يطلب ما لا سبيل إليه : إسقاط حدّ من حدود الله ، قال المهدى : إن عندى له حيلة ، إذ أعيتكم حيلته ؛ اكتبوا إلى عامل المدينة : من أتاك بابن هرمة سكرانَ ٢٠ فاضرب ابن هرمة ثمانين واضرب الذى يأتيك به مائة ! فكان ابن هرمة إذا مشى فى أزقة المدينة ، يقول : من يشترى مائة بثمانين ... ؟

وكان بأَبَح رجل يقال له حميد ، وكان مفتونا بالخمر ، فهجاه ابن عم له ،

حُمَيـــدُ الذى أَمَجٌ دارُه * أخو الخمر ذو الشَّيْبةِ الأصلعُ
عَلاه المشيبُ على شُربِها * وكان كريما ـ فما يَنزِع

ودخل حميد يوما على عمر بن عبد العزيز ، فقال له : من أنت ؟ قال :
٥ أنا حميد . قال : حميد الذى ... ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما شربت مُسكراً
منذ عشرين سنة ، فصدّقه بعض جلسائه ، فقال له : إنما داعبناك .

الفرق بين الخمر والنبيذ

الخمر والنبيذ

أول ذلك أن تحريم الخمر مجمعٌ عليه لا اختلاف فيه بين اثنين من الأئمة
والعلماء ، وتحريم النبيذ مختلَف فيه بين الأكابر من أصحاب النبى صلى الله عليه
١٠ وسلم والتابعين ، حتى لقد اضطر محمد بن سيرين مع علمه وورعه أن يسأل عَبيدة
السَّلمانى عن النبيذ ، فقال له عبيدة : اختلف علينا فى النبيذ . وعَبيدة ممن أدرك
أبا بكر وعمر ؛ فما ظنك بشىء اختلف فيه الناس وأصحاب النبى عليه الصلاة
والسلام متوافرون ، فمن بين مُطلِق له ومحظر عليه ، وكل واحد منهم مقيم الحجج
لمذهبه والشواهد على قوله ؟

١٥ والنبيذ كل ما ينبذ فى الدُّبّاء والمزفَّت فاشتد حتى يسكر كثيره ، وما لم يشتد
فلا يسمى نبيذا ، كما أنه ما لم يعمل من عصير العنب حتى يشتد لا يسمى خمرا ،
كما قال الشاعر :

نبيذٌ إذا مَرَّ الذُّبابُ بِدَنِّهِ * تقطَّرَ أو خرّ الذبابُ وقِيذَا

سفيان الثورى

وقيل لسفيان الثورى وقد دعا بنبيذ فشرب منه ووضعه بين يديه :
٢٠ يا أبا عبد الله ، أتخشى الذباب أن يقع فى النبيذ ؟ قال : قبحه الله إن لم يذبّ
عن نفسه !

للأعمش

وقال حفص بن غياث : كنت عند الأعمش وبين يديه نبيذ ، فاستأذن عليه
قوم من طلبة الحديث ، فسترتُه ؛ فقال لى : لمَ سترتَه ؟ فكرهت أن أقول :

لئلا يراه من يدخل ، فقلت : كرهت أن يقع فيه الذباب . فقال لى : هيهات إنه أمنع من ذلك جانبا !

ولو كان النبيذ هو الخمر التى حرمها الله فى كتابه ، ما اختلف فى تحريمه اثنان من الأمة .

لسحنون ٥ حدث محمد بن وضّاح قال : سألت سُحْنونا ، فقلت : ما تقول فيمن حلف بطلاق زوجته أن المطبوخ من عصير العنب هو الخمر التى حرمها الله فى كتابه ؟ قال : بانت زوجتُه منه .

لابن قتيبة وذكر ابن قتيبة فى كتاب الأشربة أن الله تعالى حرّم علينا الخمر بالكتاب ، والمُسْكرَ بالسنة ، فكان فيه فسحة ؛ فما كان محرّما بالكتاب فلا يحل منه ١٠ لا قليلٌ ولا كثير ، وما كان محرّما بالسُّنة فإن فيه فسحة أو بعضِه ، كالقليل من الديباج والحرير يكون فى الثوب ، والحرير محرّم بالسنة ؛ وكالتفريط فى صلاة الوتر وركعتى الفجر ، وهما سنة ؛ فلا نقول إن تاركهما كتارك الفرائض من الظهر والعصر .

وقد استأذن عبد الرحمن بن عوف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى لباس ١٥ الحرير لبليّة كانت به .

وأذن لعرفجة بن سعد — وكان أُصيب أنفه يوم الكلاب — باتخاذ أنف من الذهب .

وقد جعل الله فيما أحلّ عِوضاً مما حرّم ؛ فحرّم الربا وأحل البيع ، وحرم السفاح وأحل النكاح ، وحرم الديباج وأحل الوشْى ، وحرم الخمر وأحل النبيذ ٢٠ غيرَ المسكر ؛ والمسكر منه ما أسكرك .

مناقضة ابن قتيبة فى قوله فى الأشربة

قال فى كتابه : فإن قال قائل : إن المنكَر هى الشّربة المسكِرة ، أكذبه النظر ؛ لأن القدح الأخير إنما أسكَر بالأول ، وكذلك اللقمة الأخيرة إنما أشبعتْ

بالأولى . ومن قال السكر حرام ، قال : فإنما ذلك مجاز من القول ، وإنما يريد : ما يكون منه السكرُ حرامٌ ، وكذلك التخمة حرام .

وهذا الشاهد الذى استشهد به فى تحريمه قليلَ ما أسكر كثيرُه ، وتشبيهه ذلك بالتخمة ـ شاهدٌ عليه لا شاهد له ؛ لأن الناس مجمعون على أن قليل الطعام الذى
٥ تكون منه التخمة ، حلال ؛ وأن التخمة حرام ؛ وكذلك ينبغى أن يكون قليل النبيذ الذى يُسكر كثيره حلالا ، وكثيرُه حراما ، وأن الشربة الأخيرة المسكرة هى المحرمة .

ومثل الأربعة أقداح التى يُسكر منها القدحُ الرابع ، مثل أربعة رجال اجتمعوا على رجل ، فشجّه أحدهم مُوضِحة ، ثم شجه الثانى منقلة ، ثم شجه الثالث مأمومة ،
١٠ ثم أقبل الرابع فأجهز عليه ؛ فلا نقول إن الأول ، هو قاتله ، ولا الثانى ، ولا الثالث ، وإنما قتله الرابع الذى أجهز عليه وعليه القَوَد .

وذكر ابن قتيبة فى كتابه ، بعد أن ذَكر اختلاف الناس فى النبيذ وما أدلى به كل قوم من الحجة ، فقال : وأعدلُ القول عندى أن تحريم الخمر بالكتاب ، وتحريم النبيذ بالسنة ، وكراهية ما تغيّر وخدّر من الأشربة تأديب ...

١٥ ثم زعم فى هذا الكتاب بعينه أن الخمر نوعان : فنوع منهما أُجمِع على تحريمه : وهو خمرُ العنب من غير أن تمسه نار ، لا يحل منه لا قليل ولا كثير ؛ ونوع آخر مختلَف فيه ، وهو نبيذ الزبيب إذا اشتد ، ونبيذ التمر إذا صلب ، ولا يسمى سَكَراً إلا نبيذ التمر خاصة .

وقال بعض الناس : نبيذ التمر حل وليس بخمر . واحتجوا بقول عمر : فما
٢٠ انتزع بالماء فهو حلال ، وما انتزع بغير الماء فهو حرام .

قال ابن قتيبة : وقال آخرون : هو خمر حرام كله . وهذا هو القول عندى ؛ لأن تحريم الخمر نزل وجمهور الناس مختلفة ، وكلها يقع عليها هذا الاسم فى ذلك الوقت .

خمور البلاد

وذَكر أن أبا موسى قال : خمر المدينة من البسر والتمر ، وخمر أهل فارس من العنب ، وخمر أهل اليمن من البِتْع ، وهو نبيذ العسل ؛ وخمر الحبشة السكركة وهى من الذرة ؛ وخمر التمز يقال له : البتع ، والفضيخ .

مم يصنع الخمر

وذكر أن عمر قال : الخمر من خمسة أشياء : من البر ، والشعير ، والتمر ، والزبيب . والعسل . والخمر ما خامر العقل . ولأهل اليمن أيضاً شراب من الشعير ٥ يقال له المِزْر . ويزعم ههنا ابن قتيبة أن هذه الأشربة كلها خمر ، وقال : هذا هو القول عندى . وقد تقدم له فى صدر الكتاب أن النبيذ لا يسمى نبيذا حتى يشتدّ ويُسكر كثيره ، كما أن عصير العنب لا يسمى خمرا حتى يشتد . وأن صدر هذه الأمة والأئمة فى الدين لم يختلفوا فى شىء كاختلافهم فى النبيذ وكيفيته ...

ثم قال فيما حَكم بين الفريقين : أما الذين ذهبوا إلى تحريمه كلّه ولم يفرقوا ١٠ بين الخمر وبين نبيذ التمر ، وبين ما طبخ وبين ما أُنقع ، فإنهم غلوا فى القول جدا ، ونحلوا قوما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم البَدريّين ، وقوما من خيار التابعين ، وأئمةً من السلف المتقدمين ، شُرب الخمر ، وزيّنوا ذلك بأن قالوا : شربوها على التأويل وغلطوا فى ذلك . فاتهموا نظرهم ونحلوهم الخطأ ، وبرءوا أنفسهم منه . ١٥

فعجبت منه كيف يعيب هذا المذهب ، ثم يتقلده ، ويطعن على قائله ثم يقول به ! إلا أنى نظرت إلى كتابه ، فرأيته قد طال جدا . فأحسبه أُنسىَ فى آخره ماذهب إليه فى أوله ؛ والقول الأول من قوله هو المذهب الصحيح الذى تأنس إليه القلوب وتقبله العقول ، لا قوله الآخر الذى غلط فيه !

احتجاج المحرمين لقليل النبيذ وكثيره ٢٠

ذهبوا أجمعون إلى أن ما أسكر كثيره من الشراب فقليله حرام كتحريم الخمر وقال بعضهم : بل هو الخمر بعينها ، ولم يفرقوا بين ما طبخ وبين ما أُنقع ، وقضوا عليه كله أنه حرام ؛ وذهبوا من الأثر إلى حديث رواه عبد الله بن قتيبة عن محمد

ابن خالد بن خداش عن أبيه عن حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «كل مسكر حرام ، وكل مسكر خمر» .

وحديث رواه ابن قتيبة عن إسحاق بن راهويه عن المعتمر بن سليمان عن ميمون ابن مهدى عن أبى عثمان الأنصارى عن القاسم عن عائشة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «كل مسكر حرام ، وما أسكر منه الفَرق فالحسْوة منه حرام» . ٥

مكاييل العرب

والفرق ستة عشر رطلا . وللعرب أربعة مكاييل مشهورة : أصغرها المُدّ وهو رطل وثلث فى قول الحجازيين ، ورطلان فى قول العراقيين . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ بالمد .

والصاع : وهو أربعة أمداد ، خمسة أرطال وثلث فى قول الحجازيين ، وثمانية أرطال فى قول العراقيين . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع . ١٠

والقِسْط : وهو رطلان وثلثان فى قول الناس جميعاً .

والفَرق : وهو ستة عشر رطلا ، ستة أقساط فى قول الناس أجمعين .

... وذهبوا إلى حديث رواه ابن قتيبة عن محمد بن عبيد عن ابن عيينة عن الزهرى عن أبى سلمة عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «كل شراب أسكر فهو حرام» . مع أشياء كهذا من الحديث ، يطول الكتاب باستقصائها إلا أن هذه أغلظها فى التحريم وأبعدها من حيلة المتأول . ١٥

قالوا : والشاهد على ذلك من النظر ، أن الخمر إنما حرِّمت لإسكارها وجناياتها على شاربها ، ولأنها رجس كما قال الله .

ثم ذكروا من جنايات الخمر ما قد ذكرناه فى صدر كتابنا هذا من آفات الخمر وجناياتها ، ثم قالوا : والعلة التى لها حُرمت الخمر من الإسكار والصداع والصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، قائمة بعينها فى النبيذ كلِّه المسكر ، فسبيله سبيل الخمر ، لا فرق بينهما فى الدليل الواضح والقياس الصحيح ؛ كما أن حديث النبي صلى الله عليه وسلم فى الفأرة إذا وقعت فى السمن : أنه إن كان جامداً أُلقيت وأُلقى ٢٠

ما حولها ، وإن كان جارياً أريق السمن ؛ فحملت العلماء الزيت ونحوه محمل السمن بالدليل الصحيح .

وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد إلى السمن خاصة بنجس الفأرة ، وإنما سئل عن الفأرة تقع فى السمن فأفتى فيه ، فقاس العلماء الزيت وغيره بالسمن . . .

... وكما أمر بالاستنجاء بثلاثة أحجار للتنقية من الأذى ، فأجازوا كل ماأنقى من الخزف والخرق وغير ذلك ، وحملوه محمل الأحجار الثلاثة ، ولما حرّمت الخمر بعلّة هى قائمة فى النبيذ المسكر ، حُمل النبيذ محمل الخمر فى التحريم .

قالوا : ووجدناهم يقولون لمن غلب عليه غَثَتُ النفس وصداع الرأس من الخمر : مخمور ، وبه خُمَار ، ويقال مثل ذلك فى شارب النبيذ ، ولا يقولون : منبوذ ولا به نُباذ . والخمار مأخوذ من الخمر ، كما يقال الكُبَاد فى وجع الكبد ، والصدار فى وجع الصدر .

... وذهبوا فى تحريم النبيذ إلى حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه نهى أن ينبذ فى الدبّاء والمزفّت .

... وقالوا : لمن أجاز قليل ما أسكر كثيره : إنه ليس بين شارب المسكر وموافقة السكر حدٌ يُنتهى إليه ولا يوقَف عنده ، ولا يعلم شارب المسكر متى يسكر ، كما لا يعلم الناس متى يرقد ؛ وقد يشرب الرجل من الشراب المسكر قدحين وثلاثة أقداح ولا يسكر ، ويشرب منه غيره قدحاً واحداً فيسكر ؛ لأنه قد يختلف طبع الرجل فى نفسه ، فيسكر مرة من القدحين ، ويشرب مرة أخرى ثلاثة أقداح فلا يسكر .

رسالة عمر بن عبد العزيز إلى أهل الأمصار

فى الأنبذة

« أما بعد فإن الناس كان منهم فى هذا الشراب المحرم أمر ساءت فيه رِعَة

كثير منهم ، [وجمعوا مما يغشون به مما حرم الله حراما كثيراً نهوا عنه] عند
سَفَه أحلامِهم ، وذهاب عقولهم ، فاستُحلّ به الدم الحرام ، والفرْجُ الحرام ؛
وأن رجالا منهم ممن يصيب ذلك الشراب يقولون : شربنا طِلاء ، فلا بأس
علينا فى شربه ! ولعمرى فيما قرّب مما حرّم الله بأساً ، وإن فى الأشربة التى
٥ أحل الله ، ومن العسل والسويق ، والنبيذ والتمر ، لمندوحة عن الأشربة الحرام ،
غير أن كل ما كان من نبيذ العسل والتمر والزبيب فلا ينبذ إلا فى أسقية الأدم
التى لازفت فيها ، ولا يشرب منها ما يُسكر ! فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم نهى عن شرب ما جُعل فى الجرار والدُّباء والظروف المزفتة ، وقال :
«كل مسكر حرام» . فاستغنوا بما أحلّ لكم عما حرّم عليكم ؛ وقد أردت
١٠ بالذى نَهيت عنه من شرب الخمر وما ضارع الخمر من الطلاء ، وما جعل فى
الدباء والجرار والظروف المزفتة ، وكل مسكر — اتخاذ الحجة عليكم ؛ فمن
يُطع منكم فهو خير له ، ومن يخالف إلى ما نهى عنه نعاقبه على العلانية ، ويكفينا
الله ما أسرّ ، فإنه على كل شىء رقيب ؛ ومن استخفّ بذلك عنا فإن الله أشد بأساً
وأشد تنكيلا ! » .

١٥ احتجاج المحلين للنبيذ كله

قال المحلّون لكل ما أسكر كثيره من النبيذ : إنما حُرّمت الخمر بعينها ، خمر
العنب خاصة ، بالكتاب ، وهى معقولة مفهومة ، لا يمترى فيها أحد من المسلمين ،
وإنما حرمها الله تعبُّدا ، لا لعلة الإسكار كما ذكرتم ، ولا لأنها رجس كما زعمتم ؛
ولو كان ذلك كذلك لما أحلها الله للأنبياء المتقدمين ، والأمم السالفين ، ولا
٢٠ شربها نوح بعد خروجه من السفينة ، ولا عيسى ليلة رفع ، ولا شربها أصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم فى صدر الإسلام .

وأما قولكم إنها رجس ، فقد صدقتم فى اللفظ وغلطتم فى المعنى ؛ إذا كنتم
أردتم أنها منتنة ؛ فإن الخمر ليست منتنة ، ولا قذرة ولا وصَفَها أحد بنتن ولا قذر
وإنما جعلها الله رجسا بالتحريم ، كما جعل الزنا فاحشة ومقتا ، أى معصية وإنما

بالتحريم ؛ وإنما هو جماع كجماع النكاح ، وهو عن تراض وبذل ، كما أن النكاح عن تراض وبذل ؛ وقد يبذل فى السفاح ما لا يبذل فى النكاح ؛ ولذلك سمى الله تبارك وتعالى المحرمات كلها خبائث فقال تعالى : ﴿ ويُحرّمُ عليهم الخبائث ﴾ ؛ وسمى المحللات كلها طيبات ، فقال : ﴿ يسألونكَ ماذا أُحلّ لهم قل أُحلّ لكم الطّيّبات ﴾ ؛ وسمى كل ما جاوز أمره أو قصر عنه سَرَفا ، وإن اقتصد فيه . ٥

وقد ذكر الخمر فيما امتنّ به على عباده قبل تحريمها . فقال تعالى : ﴿ ومن ثمرَاتِ النّخيلِ والأعْنابِ تتّخذون منه سَكَرًا ورزقًا حسنا ﴾ . ولو أنها رجس على ما تأولتم ما جعلها الله فى جنته وسماها لذة للشاربين . وإن قلتم إن خمر الجنة ليست كخمر الدنيا ، لأن الله نفى عنها عيوب خمر الدنيا فقال تعالى : ﴿ لا يُصَدّعون عنها ولا يُنزَفون ﴾ ، فكذلك قوله فى فاكهة الجنة : ﴿ لا مقطوعةٍ ولا ممنوعة ﴾ . ١٠ فنفى عنها عيوب فواكه الدنيا ، لأنها تأتى فى وقت وتنقطع فى وقت ، ولأنها ممنوعة إلا بالثمن ، ولها آفات كثيرة ، وليس فى فواكه الجنة آفة .

وما سمعنا أحدا وصف الخمر إلا بضد ما ذكرتم ، من طيب النسيم ، وذكاء الرائحة .

وقال الأخطل :

كأنها المسكُ نُهْبَى بين أرحُلِنا * وقد تَضوّع من ناجُودِها الجارِى ١٥

وقال آخر :

فتنفّسَت فى البيت إذ مُزِجت * كتنفُّس الرّيحان فى الآنف

وقال أبو نواس :

نحن نُخفيها فيأبى * طِيبُ ريحٍ فتفوحُ

... وإنما قوله فيها : رِجْسٌ ، كقوله تعالى : ﴿ وأمّا الذين فى قلوبهم مرضٌ فزادَتْهم رِجْسًا إلى رجسِهِم ﴾ أى كفرًا إلى كفرهم . ٢٠

وأما منافعها التى ذكرها الله تعالى فى قوله : ﴿ يسألونكَ عن الخمْرِ والميْسِرِ قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافعُ للناس وإثمُهما أكبَرُ من نفعِهما ﴾ فإنها كثيرة

لا تحصى : فمنها أنها تدرّ الدم ، وتقوّى المعدة ، وتصفى اللون ، وتبعث النشاط ، وتفتق اللسان ، ما أُخذ منها بقدر الحاجة ولم يجاوز المقدار ، فإذا جاوز ذلك عاد نفعها ضررا .

وقال ابن قُتيبة فى كتاب الأشربة : كانت بنو وائل تقول : الخمر حبيبة الروح ، ولذلك اشتق لها اسم من الروح ، فسميت راحا ، وربما سميت روحا . ٥

وقال إبراهيم النظام :

مازلتُ آخُذ رُوحَ الدَّنِّ فى لَطَفٍ * وأستبيحُ دمًا من غير مذبوحِ
حتى انثنيتُ ولى رُوحانِ فى جَسدى * والدَّنُّ مُطَّرَحٌ ، جسمٌ بلا روحِ

وقد تسمى دما ، لأنها تزيد فى الدم ؛ قال مسلم بن الوليد الأنصارى :

١٠ مَزَجْنا دمًا من كَرْمةٍ بدمائنا * فأظهرَ فى الألوان منّا الدمَ الدمُ

لابن قتيبة

قال ابن قتيبة : وحدثنى الرياشى أن عبيدا راوية الأعشى قال : سألت الأعشى عن قوله :

وسُلافةٍ ممّا تعتّق بابلٌ * كدم الذبيح سلبْتها جِرْيالَها

فقال : شربتها حمراء ، وبُلتها بيضاء . يريد أن حمرتها صارت دما .

١٥ ومن منافع الخمر أنها تزيد فى القوّة ، وتولد الحرارة [1] ، وتهيج الأنفة ، وتسخّى البخيل ، وتشجع الجبان .

لحسان

قال حسان بن ثابت :

ونشرَبُها فتتْركنا مُلوكا * وأُسْدًا ما يُنهْنِهُنا اللقاءُ

لطرفة

وقال طرفة :

٢٠ وإذا ما شربُوها وانتشَوْا * وهَبوا كلَّ أَمُونٍ وطِمِرّْ
ثم راحُوا عَبِقَ المِسْكِ بهم * يلحفون الأرضَ هُدّابَ الأُزُرْ

(١) فى بعض الأصول : « تزيد فى الهمة ، وتولد الجرأة » .

لمسلم وقال مسلم بن الوليد :

تصدّ بنفس الخمر عما يغمّه * وتُنطق بالمعروف ألسنة البخلِ

لابن هانئ وقال الحسن بن هانئ :

إذا ما أتتْ دون اللّهاة من الفتى * دعا همّه من صدره برحيلِ

لبعض المحدثين ومن تسخيتها للبخيل المجبول قول بعض المحدثين : ٥

كسانى قميصاً مرّتين إذا انتشى * وينزعُه عنى إذا كان صاحيا

فلى فرحةٌ فى سُكره بقميصه * وفى الصحْو روْعات تُشيب النواصيا

فياليت حظّى من سرورى وترْحتى * ومن جُوده ألّا علىّ ولا ليا

قالوا : ولولا أن الله تعالى حرّم الخمر فى كتابه لكانت سيدة الأشربة ؛ وما ظنك بشرابٍ الشربة الثانية منه أطيب من الأولى ، والثالثة أطيب من الثانية ، ١٠ حتى يؤدّيك إلى أرفق الأشياء وهو النوم ؛ وكل شراب سواها فالشربة الأولى أطيب من الثانية ، والثانية أطيب من الثالثة ، حتى تملّه وتكرهه !

لأعرابى وسقى قوم أعرابيا كئوسا ، ثم قالوا : كيف تجدُك ؟ قال : أجدنى أُسَرّ ، وأجدكم تُحبّبون إلىّ .

وقالوا : ما حرّم الله شيئاً إلا عوّضنا ما هو خيرٌ منه أو مثله ، وقد جعل الله ١٥ النبيذ عوضاً من الخمر ، نأخذ منه ما يطيب النفس ، ويُصفى اللون ، ويهضم الطعام ، ولا نبلغ منه إلى ما يُذهب العقل ، ويصدع الرأس ، ويُغثى النفس ، ويشرك الخمر فى آفاتها وعظيم خبائثها .

قالوا : وأما قولكم إن الخمر كلّ ما خمر ، والنبيذ كله يخمّر فهو خمر ، فإن الأسماء قد تتشاكل فى بعض المعانى ، فنسمى ببعضها لعلة فيها وهى فى آخر ، ٢٠ ولا يُطلَق ذلك الاسم على الآخر ؛ ألا ترى أن اللبن قد يخمرونه بروبة تُلقى فيه ، ولا يسمى خمرا ؟ وأن العجين قد يخمر فيسمى خميراً ولا يسمى خمرا ؟ وأن نقيع التمر يسمى سكراً لإسكاره ، ولا يسمى غيره من النبيذ سكرا وإن كان

مسكرا ؟ وهذا أكثر فى كلام العرب من أن يُحاط به ؛ وقد رأيت اللبن يسكر إسكارا كسكر النبيذ ، ويقال : قوم ملبونون وقوم رَوْبَى ، إذا شربوا الرائب فسكروا منه ؛ وقال بشر بن أبى حازم :

فأما تميمٌ تميمُ بن مُرّ * فألفاهُمُ القومُ رَوْبَى نياما

٥ وأما قولكم : الرجل مخمور ، وبه خمار ، إذا أصابه صداع من الخمر ؛ وقد يقال مثل ذلك لمن أصابه صداع من النبيذ ، فيقال : به خمار ، ولا يقال به نُباذ ؛ فإن حجتنا فى ذلك أن الخمار إنما يكون مما أسكر من النبيذ ، وذلك حرام ، لا فرق بينه وبين الخمر عندنا ، فيقال فيه : ما يقال فى الخمر ، وإنما كان شَرَبَة النبيذ من أسلافنا يشربون منه اليسير على الغداء والعشاء ، ومما لا يعرض منه خمار .

١٠ وقد فرقت الشعراء بين النبيذ والخمر ، فقال الأقيشر ، وكان مغرما بالشراب : للأقيشر

وصهباءَ جُرجانية لم يَطف بها * حنيفٌ ، ولم تنْغَر بها ساعةً قِدْرُ

أتانى بها يَحْيى وقد نِمتُ نومة * وقد غارتِ الشِّعرى وقد خَفقَ النَّسر

فقلتُ اصطبِحْها أولغيرى فأهْدِها * فما أنا بعدَ الشَّيْبِ ويلَكَ والخمر !

إذا المرْءُ وافى الأربَعينَ ولم يكن * له دُون ما يأتى حياءٌ ولا سِتر

١٥ فدَعْهُ ولا تنْكِر عليه الذى أتى * وإن جَرَّ أرسانَ الحياةِ له الدهْرُ

فأعلمك أن الخمر هى التى لم تغلِ بها القدور .

وأما قول بعض الشعراء فى شاربى النبيذ وما عابوهم به من قلة الوفاء ونقض العهد ، فقد قالوا أقبح من ذلك فى تارك النبيذ ، قال حيص بيص [1] : أدعياء النسك

ألا لا يَغرّنْكَ ذو سجدَةٍ * يَظَلُّ بها دائما يَخْدَعُ

---

٢٠ (١) فى بعض الروايات أن قائل هذا الشعر هو حمزة بن بيض . وسببه ، أن رجلا من أصحابه استودع ناسكا ثلاثين ألف درهم ، واستودع مثلها رجلا من أصحاب النبيذ ؛ فأما الناسك فبنى بها داره وتزوج وأنفقها وجحدها ، وأما أخو الكأس فأدى إليه الأمانة ، فقال ابن بيض فيهما هذا الشعر .

[كأن بجبهته حلبة * يسبّح طوراً ويسترجعُ]
وما للتُّقى لَزِمَتْ وجْههُ * ولكنْ ليأتِىَ مُستوْدِعُ
ثلاثون ألفاحَواهاالسُّجودُ * فليست إلى ربِّها ترجع
وردَّ أخو الكأسِ ماعندَه * وما كنتُ فى ردِّهِ أطمَع

وقال آخر : ٥

أمّا النّبيذ فلا يذعَرْك شاربُه * واحفظْ ثيابكَ ممن يشرب الماء
قومٌ يورُّونَ عمـا فى نفوسهمُ * حتى إذا استمكنوا كانوا همُ الدّاء
مُشمِّرين إلى أنصافِ سُوقهِمُ * هُمُ الذِّئابُ وقد يُدْعونَ قرّاء

وقال أعرابىّ :

صلَّى فأزعجَنى وصامَ فراعَنى * نحِّ القَلوصَ عن المُصلِّى الصائم ١٠

وقال :

شمِّر ثيابَكَ واستَعِدَّ لقائلٍ * واحْكُكْ جبينَكَ للقضاء بِثومِ
وامْشِ الدبيبَ إذا مشَيتَ لحاجةٍ * حتى تُصيبَ وديعــةَ لِيتيم

وقال بعض الظرفاء :

أظهرُوا والله سَمْتاً * وعلى المنقوش داروا ١٥
وله صلَّوْا وصاموا * وله حجُّوا وزاروا
لو يُرى فوقَ الثُّرَيّا * ولهم ريشٌ لطاروا !

فهؤلاء المراءون بأعمالهم ، العاملون للناس والتاركون للناس ، هم شرار الخلق وأراذل البرية .

وقد فضل شَرَبَةُ النبيذ عليهم بإرسال الأنفس على السجية ، وإظهار المروءة ٢٠ ولست أصف بهذا منهم إلا ديِّنا ، فليس فى الناس صنف إلا ولهم حشو .

ومن احتجاج المحلين للنبيذ

ما رواه مالك بن أنس فى موطئه من حديث أبى سعيد الخدرى : أنه قدم من سفر فقدّم إليه لحم من لحوم الأضاحى ، فقال : ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاكم عن هذا بعد ثلاثة أيام ؟ فقالوا : قد كان بعدك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أمر . فخرج إلى الناس فسألهم ، فأخبروه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحى بعد ثلاثة أيام ، فكلوا وادّخروا وتصدقوا ؛ وكنت نهيتكم عن الانتباذ فى الدباء والمزفّت ، فانتبذوا وكل مسكر حرام ؛ وكنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها ولا تقولوا هُجرا» . والحديثان صحيحان ، رواهما مالك بن أنس وأثبتهما فى موطئه . وإنما هو ناسخ ومنسوخ ؛ وإنما كان نهيه أن يُنتبذ فى الدباء والمزفت ، نهيا عن النبيذ الشديد ؛ لأن الأشربة فيهما تشتد ؛ ولا معنى للدباء والمزفت غير هذا . وقوله بعد هذا : «كنت نهيتكم عن الانتباذ فانتبذوا ، وكل مسكر حرام» - إباحة لما كان حظر عليهم من النبيذ الشديد . وقوله صلى الله عليه وسلم : «كل مسكر حرام» ، ينهاكم بذلك أن تشربوا حتى تسكروا ، وإنما المسكر ما أسكرك ، ولا يُسمى القليل الذى لا يُسكر مُسكرا ، ولو كان ما يسكر كثيره يسمى قليله مسكرا ، ما أباح لنا منه شيئا ؛ والدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب من سقاية العباس ، فوجده شديدا ، فقطب بين حاجبيه ، ثم دعا بذَنوب من ماء زمزم فصب عليه ، ثم قال : إذا اغتلمت أشربتكم فاكسروها بالماء . ولو كان حراما لأراقه ، ولما صب عليه ماء ثم شربه .

وقالوا فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كل مسكر خمر» : هو ما أسكر الفرقُ منه فملء الكف حرام ؛ فإن هذا كله منسوخ ، نسخه شربه للصُّلب يوم حجة الوداع .

قالوا : ومن الدليل على ذلك أنه كان ينهى وفد عبد القيس عن شرب المسكر

فوفدوا إليه بعد ، فرآهم مصفرةً ألوانهم ، سيئة حالهم ؛ فسألهم عن قصتهم ، فأعلموه أنه كان لهم شراب فيه قوام أبدانهم فمنعهم من ذلك ؛ فأذن لهم فى شربه .

... وأن ابن مسعود قال : شهدنا التحريم وشهدتم ، وشهدنا التحليل وغبتم . وأنه كان يشرب الصُّلب من النبيذ التمر [١] ، حتى كثرت الروايات به عنه وشُهرت وأذيعت ، واتبعه عامة التابعين من الكوفيين وجعلوه أعظم حُجَجِهم ، وقال فى ذلك شاعرهم :

مَن ذا يُحرِّمُ ماءَ المُزْنِ خالطَهُ ٭ فى جوفِ خابيةٍ ماءُ العناقيدِ ؟

إنى لأكرهُ تشديدَ الرواةِ لنا ٭ فيه ، ويُعجبنى قولُ ابنِ مسعودِ

وإنما أراد أنهم كانوا يعمدون إلى الرُّب الذى ذهب ثلثاه وبقى ثلثه ، فيزيدون عليه من الماء قدرَ ما ذهب منه ، ثم يتركونه حتى يغلى ويسكن جأشه ، ثم يشربونه .

وكان عمر يشرب على طعامه الصلب ، ويقول : يقطع هذا اللحمَ فى بطوننا .

واحتجوا بحديث زيد بن أخزم عن أبى داود عن شعبة عن مسعر بن كدام عن ابن عون الثقفى عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس أنه قال : حُرمت الخمر بعينها والسكر من كلِّ شراب .

وبحديث رواه عبد الرحمن بن سليمان عن يزيد بن أبى زياد عن عكرمة عن ابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وسلم طاف وهو شاكٍ على بعير ومعه محجن ، فلما مر بالحجر استلمه بالمحجن ، حتى إذا انقضى طوافه نزل فصلى ركعتين ثم أتى السقاية فقال : اسقونى من هذا . فقال له العباس : ألا نسقيك مما يصنع فى البيوت ؟ قال : لا ، ولكن اسقونى مما يشرب الناس . فأُتى بقدح من نبيذ سقاية ، فقطب ، وقال : هلمُّوا فصبُّوا فيه الماء . ثم قال : زد فيه ، مرة أو مرتين أو ثلاثا . ثم قال : إذا صنع أحد بكم هذا فاصنعوا به هكذا .

---

(١) فى بعض الأصول : « نبيذ الجر » .

والحديث رواه يحي بن اليمان عن الثورى عن منصور بن خالد عن سعيد عن ابن مسعود الأنصارى : أنّ النبي صلى الله عليه وسلم عطش وهو يطوف بالبيت ، فأُتى بنبيذ من السقاية ، فشمّه ، فقطب ، ثم دعا بذنوب من ماء زمزم ، فصُبّ عليه ثم شربه ، فقال له رجل : أحرام هذا يارسول الله ؟ فقال : لا .

٥ وقال الشعبي : شرب أعرابى من إداوة عمر ، فانتشى ، فحدّه عمر ؛ وإنما حدّه للسكر لا للشراب .

ودخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه على قوم يشربون ويوقدون فى الأخصاص ؛ فقال : نهيتكم عن معاقرة الشراب فعاقرتم ، وعن الإيقاد فى الأخصاص فأوقدتم .

١٠ وهمّ بتأديبهم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، نهاك الله عن التجسس فتجسست ، ونهاك عن الدخول بغير إذن فدخلت !

فقال : هاتان بهاتين .

وانصرف وهو يقول : كل الناس أفقَهُ منك يا عمر !

وإنما نهاهم عن المعاقرة وعن إدمان الشراب حتى يسكروا ، ولم ينههم ١٥ عن الشراب ـ وأصل المعاقرة من عُقْر الحوض ، وهو مقام الشاربة ـ ولو كان عنده ما شربوا خمراً لحدّهم .

وبلغه عن عامل له بميسان أنه قال[1] :

ألا أبلِغ الحسناء أن حليلَها ٭ بمِيْسان يُسقَى فى زجاجٍ وحَنْتَمِ
إذا شئتُ غنتنى دهاقينُ قــريةٍ ٭ وصنّاجةٌ تشدو على كلّ منسم
٢٠ فإن كنتَ ندمانى فبالأكبر اسقِنى ٭ ولا تَسْقِنى بالأصـــغر المُتثلِّم
لعـــلّ أميرَ المؤمنين يسوءه ٭ تنادمُنـــا فى الجوْسق المتهدّم

فقال : إى والله ، إنه ليسوءنى ذلك !

(١) هو النعمان بن نضلة .

فعزله وقال : والله لا عَمِلَ لى عملا أبدا ! وإنما أنكر عليه المدام ، وشُربَه بالكبير ، والصنج ، والرقص ، وشُغلَه باللهو عما فوض إليه من أمور الرعية ، ولو كان ما شَرب عنده خمراً لحدّه .

مالك بن دينار والنبيذ

محمد بن وضاح عن سعيد بن نصر عن يسار عن جعفر قال : سمعت مالك ابن دينار ، وسُئل عن النبيذ : أحرام هو ؟ فقال : انظرْ ثمنَ التمر من أين هو ، ٥ ولا تسأل عن النبيذ أحلال هو أم حرام !

سعيد بن زيد

وعوتب سعيد بن زيد فى النبيذ ، فقال : أما أنا فلا أدعه حتى يكون شرٌّ عملى .

محمد بن واسع

وقيل لمحمد بن واسع : أتشرب النبيذ ؟

فقال : نعم . ١٠

فقيل : وكيف تشربه ؟

فقال : عند غدائى وعشائى ، وعند ظمَئى .

قيل : فما تركتَ منه ؟

قال : التّكأة ومحادثة الإخوان .

المأمون

وقال المأمون : اشرب النبيذ ما استبشعته ، فإذا سهل عليك فدعْه . ١٥

وإنما أراد أنه يَسهل على شاربه إذا أخذ فى الإسكار .

سعيد بن أسلم

وقيل لسعيد بن أسلم : أتشرب النبيذ ؟

فقال : لا .

قيل : ولم ؟

قال : تركت كثيره لله ، وقليله للناس ! ٢٠

سفيان الثورى

وكان سفيان الثورى يشرب النبيذ الصلب الذى تحمرّ منه وجنتاه .

واحتجوا من جهة النظر ، أن الأشياء كلها حلال إلا ما حرّم الله ؛ قالوا : فلا نزيل نفس الحلال بالاختلاف ولو كان المحلّلون فرقة من الناس ، فكيف

وهم أكثر الفرق ؟

وأهل الكوفة أجمعون على التحليل ، لا يختلفون فيه ، وتلوا قول الله عز وجل ﴿ قلْ أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزقٍ فجعلتم منه حراما وحلالا ، قلْ آللهُ أذن لكم أم على اللهِ تفترونَ ؟ ﴾ .

قول وكيع

٥ حدث إسحاق بن راهويه قال : سمعت وكيعاً يقول : النبيذ أحلُّ من الماء ! وعابه بعض الناس فى ذلك وقالوا : كيف يكون أحلّ من الماء ، وهو وإن كان حلالا فهو بمنزلة الماء ؟

وليس على وكيع فى هذا الموضع عيب ولا يرجع عليه فيه كذب ! لأن كلمته خرجت مخرج كلام العرب فى مبالغتهم ، كما يقولون ، هو
١٠ أشهر من الصبح ، وأسرع من البرق ، وأبعد من النجم ، وأحلى من العسل ، وأحرّ من النار .

ابن إدريس الكوفى

ولم يكن أحد من الكوفيين يحرّم النبيذ غير عبد الله بن إدريس ، وكان بذلك مَعيبا .

وقيل لابن إدريس : مَن خيار أهل الكوفة ؟

١٥ فقال : هؤلاء الذين يشربون النبيذ !

قيل : وكيف وهم يشربون ما يَحرُم عندك ؟

قال : ذلك مبلغهم من العلم .

ابن المبارك البصرى

وكان ابن المبارك يكره شرب النبيذ ويخالف فيه رأىَ المشايخ وأهل البصرة . قال أبو بكر بن عياش : [قلت له] : من أين جئت بهذا القول فى كراهيتك
٢٠ النبيذَ ومخالفتِك أهلَ بلدك ؟

قال : هو شىء اخترتُه لنفسى .

قلت : فتعيب مَن شربه ؟

قال : لا .

قلت : أنت وما اخترت .

عبدالله بن داود

وكان عبد الله بن داود يقول : ما هو عندى وماء الفرات إلا سواء .

وكان يقول : أكره إدارة القدح ، وأكره نقيع الزبيب ، وأكره المعتّق .

قال : ومن أدار القدحَ لم تجُزْ شهادته .

سوار القاضى

وشهد رجل عند سوّار القاضى ، فردّ شهادته لأنه كان يشرب النبيذ ؛ فقال : ٥

أمّا الشرابُ فإنى غير تاركِهِ * ولا شهادةَ لى ما عاش سوّارُ

زيد بن على

حدث شبابة قال : حدثنى غسان بن أبى صباح الكوفى عن أبى سلمة يحيى ابن دينار عن أبى المظهر الورّاق قال : بينما زيد بن علىّ فى بعض أزقة الكوفة : إذ مرّ به رجل من الشيعة ، فدعاه إلى منزله ، وأحضر طعاما ؛ فتسامعت به الشيعة ، فدخلوا عليه حتى غَص المجلس بهم ، فأكلوا معه ، ثم استسقى ، فقيل له : ١٠ أىّ الشراب تَسْقيك يا ابنَ رسول الله ؟

قال : أصلبَه وأشدّه .

فأتوه بعُسّ من نبيذ ، فشرب وأدار العس عليهم فشربوا ؛ ثم قالوا : يا ابن رسول الله ، لو حدثتنا فى هذا النبيذ بحديث رويته عن أبيك عن جدّك ؛ فإن العلماء يختلفون فيه ! ١٥

قال : نعم ، حدثنى أبى عن جدى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : لتركَبُنّ طبقة بنى إسرائيل حَذْوَ القُذّة بالقُذّة والنعل بالنعل . ألا وإنّ الله ابتلى بنى إسرائيل بنهر طالوت ، أحل منه الغُرفة والغرفتين وحرّم منه الرىّ ؛ وقد ابتلاكم بهذا النبيذ ، أحلّ منه القليل وحرّم منه الكثير .

نهر طالوت

وكان أهل الكوفة يسمون النبيذ : نهر طالوت ؛ وقال فيه شاعرهم : ٢٠

أشربْ على طرَبٍ من نهر طالوتِ * حمراء صافيةً فى لونِ ياقوتِ

من كفّ ساحرة العينين شاطرةٍ * تُرْبِى على سحر هاروتٍ وماروت

لها تَماويتُ ألحاظٍ إذا نظرتْ * فنارُ قلبك من تلك التّماويت

حديث الحارث بن كلدة طبيب العرب
مع كسرى أنوشروان الفارسي

روى أن الحارث بن كلدة الثقفي وفد على كسرى أنوشروان ، فأذن له بالدخول ، فانتصب بين يديه ، فقال له كسرى : من أنت ؟ قال : أنا الحارث ٥ ابن كلدة . قال : أعربيّ ؟ قال : نعم ، من صميمها . قال : فما صناعتك ؟ قال : طبيب . قال : وما تصنع العرب بالطبيب مع جهلها ، وضعف عقولها ، وقلة قبولها ، وسوء غذائها ؟ فقال : ذلك أجدر أيها الملك ، إذا كانت بهذه الصفة ، أن تحتاج إلى ما يُصْلح جهلَها ، ويقيم عِوَجَها ، ويَسُوس أبدانها ، ويعدل أمشاجها ؛ [فإن العاقل يعرف ذلك من نفسه] . قال الملك : وكيف لها بأن ١٠ تعرف ما تُوردِه عليها ، ولو عرفت الحق لم تنسب إلى الجهل . قال : الحارث : أيها الملك ، إن الله جل اسمه قسم العقول بين العباد كما قسم الأرزاق ، وأخذ القوم نصيبهم ؛ ففيهم ما فى الناس من جاهل وعالم ، وعاجز وحازم . قال الملك : فما الذى يُحمد من أخلاقهم ، ويُحفظ من مذاهبهم ؟ قال الحارث : لهم أنفسٌ سخية ، وقلوب جريّة ، وعقول صحيحة مرضيّة ، وأحساب نقية ، يمرق الكلام من ١٥ أفواههم مُروقَ السهم العائر ، ألين من الماء ، وأعذب من الهواء ؛ يطعِمون الطعام ، ويضربون الهام ، وعزُّهم لا يرام ، وجارهم لا يضام ، ولا يُروَّع إذا نام ؛ لا يُقِرُّون بفضل أحد من الأقوام ، ما خلا الملك الهمام ، الذى لا يقاس به أحد من الأنام ! قال : فاستوى كسرى جالسا . ثم التفت إلى من حوله فقال : أطرى قومه ، فلولا أن تداركه عقله لذمّ قومه ، غير أنى أراه ذا عَمًى . ثم أذن ٢٠ له بالجلوس . فقال : كيف بصَرُك بالطب ؟ قال : ناهيك ! قال : فما أصل الطب ؟ قال : ضبط الشفتين ، والرفق باليدين . قال : أصبت ، فما الداء الدوىّ ؟ قال : إدخال الطعام على الطعام ، هو الذى أفنى البرية ، وقتل السباع فى البريّة . قال : أصبت . فما الجمرة التى تلهّب منها الأدواء ؟ قال : هى التخمة ، إن بقيت فى الجوف قتلتْ ، وإن تحللت أسقمتْ . قال : فما تقول فى إخراج الدم ؟ قال :

فى نقصان الهلال ، فى يوم صحوٍ لا غيم فيه ، والنفس طيبة ، والسرور حاضر .
قال : فما تقول فى الحمّام ؟ قال : لا تدخل الحمام شبعان ، ولا تغش أهلك
سكران ، ولا تنم بالليل عُريانا ، وارفق بجسمك يكن أرجى لنسلك . قال : فما
تقول فى شرب الدواء ؟ قال : اجتنب الدواء ما لزمتْك الصحة ، فإذا أحسست
بحركة الداء فاحسمه بما يردعه ؛ فإن البدن بمنزلة الأرض ، إن أصلحتها عمرت ، ٥
وإن فسدتها خربت . قال : فما تقول فى الشراب ؟ قال : أطيبه أهناه ، وأرقّه
أمراه ؛ ولا تشرب صِرفا يورثك صداعا ، ويثير عليك من الداء أنواعا . قال :
فأى اللّحمان أحمد ؟ قال : الضأن الفتىّ ، أسمنه وأبذله ، واجتنب أكل القديد
والمالح ، والمعز والبقر . قال : فما تقول فى الفاكهة . قال : كلها فى إقبال دولتها
واتركها إذا أدبرت وولت وانقضى زمانها ؛ وأفضل الفاكهة الرمان والأترجّ ، ١٠
وأفضل البقول الهندبا والخس ، وأفضل الرياحين الورد والبنفسج . قال : فما تقول
فى شرب الماء ؟ قال : هو حياة البدن ، وبه قوته ، وينفع ما شُرب منه بقدَر ،
وشربه بعد النوم ضرر . وأفضل المياه مياه الأنهار العظام ، أبرده وأصفاه . قال :
فما طعمه ؟ قال : شىء لا يوصف و[هو] مشتق من الحياة . قال : فما لونه ؟
قال : اشتبه على الأبصار لونه ، يحكى لون كل شىء يكون فيه . قال : فأخبِرْنى عن ١٥
أصل الإنسان ما هو ؟ قال : أصله من حيث يشرب الماء . يعنى رأسه . قال :
فما هذا النور تُبصَر به الأشياء ؟ قال : العين مركبة من [ثلاثة] أشياء ، فالبياض
شحمة ، والسواد ماء ، [والناظر ريح] . قال : فعلى كم طُبع هذا البدن ؟ قال :
أربع طبائع : على المرة السوداء ، وهى باردة يابسة ؛ والمرة الصفراء ، وهى حارة
يابسة ؛ والدم ، وهو حار رطب ؛ والبلغم ، وهو بارد رطب قال : فلم لم يكن من ٢٠
طبع واحد ؟ قال : لو خلق من شىء واحد لم ينحل ولم يمرض ولم يمت . قال :
فمن طبعين ما حال الاقتصار عليهما ؟ قال : لم يجز ، لأنهما ضدان يقتتلان ؛ ولذلك
لم يجز من ثلاثة : موافقين ومخالف . قال : فأجمل لى الحار والبارد فى أحرفٍ
جامعة . قال : كل حلو حار وكل حامض بارد ، وكل حرّيف حار ، وكل مر
معتدل ، وفى المز حار وبارد . قال : فما أفضل ما عولج به المرة السوداء . قال : ٢٥

بكل حار لين . قال : فالمرة الصفراء ؟ قال : كل بارد ليّن . قال : فالبلغم ؟ قال : كل حار يابس . قال : فالدم ؟ قال : إخراجه إذا زاد ، وتطفئته إذا سخن بالأشياء الباردة . قال : فالرياح ؟ قال : بالحقن اللينة والأدهان الحارّة اللينة . قال : أفتأمر بالحقن ؟ قال : نعم ، قرأت فى بعض الكتب أن الحقنة تنقى الجوف وتكسح الأدواء عنه ؛ وعجبت لمن احتقن كيف يهرم أو يعدم الولد ! وإن الجاهل كل الجاهل من أكل ماقد عرف مضرته ، فيؤثر شهوته على راحة بدنه . قال : فما الحِمية ؟ قال : الاقتصاد فى كل شىء ، فإنه إذا أكل فوق المقدار ضيّق على الروح ساحته . قال : فما تقول فى إتيان النساء ؟ قال : كثرة غشيانهن ردىء ، [وإياك] وإتيان المرأة المولية ، فإنها كالشن البالى ، تُسقم بدنك وتجذِب قوتك ؛ ماؤها سم قاتل ، ونفسها موت عاجل ، تأخذ منك ولا تعطيك ؛ وعليك بإتيان الشباب ، فإن الشابة ماؤها عذبٌ زلال ، ومعانقتها غنج ودلال ، فُوها بارد ، [وريقها عذب] ، وريحها طيب ، ورحمها حرِج ، تزيدك قوة [إلى قوتك] ونشاطا [إلى نشاطك] . قال : فأى النساء القلب لها أبسَط ، والعين برؤيتها آنس ؟ قال : إن أصبتها مديدة القامة عظيمة الهامة ، واسعة الجبين ، عريضة الصدر ، مليحة النحر ، ناهدة الثديين ، لطيفة الخصر والقدمين ، بيضاء فرعاء ، جعدة غضة ، تخالها فى الظلمة بدراً زاهرا تبسم عن أقحوان باهر ، وإن تكشف تكشف عن بيضة مكنونة ، وإن تعانق تعانق ما هو ألين من الزبد ، وأحلى من الشهد ، وأبرد من القند ، وأعظم من الفردوس والخلد ، وأذكى ريحا من الياسمين والورد . قال : فاستضحك كسرى حتى اختلجت كتفاه . قال : فأى الأوقات [إتيانهن] أفضل ؟ قال : عند إدبار الليل يكون الجوف أخلى ، والنفس أشهى والرحمُ أدفى . قال : فأى الأوقات ألذ وأطرب ؟ قال : نهارا ، يزيدك النظر انتشارا ! قال كسرى لله درك من عربىّ ، لقد أُعطيت علما ، وخُصِصْت به من بين الحمق ، وفطنة وفهما ! ثم أمر بإعطائه وصلته ، وقضى حوائجه .

ابن أبى الحوارى وصالح العباسى

وحضر ابن أبى الحُوارى بالشام — وكان معروفا بالرقائق والزهد — مائدة صالح العباسى مع فقهاء البلد ، فحدثنى البحترى عن عبادة ، وكان ممن حضر المجلس

أنه بُعث إليه بقدح نبيذ فشربه ، ثم بعث إليه بثان فامتنع من شربه ؛ فأخذه الناس بألسنتهم ، وقالوا : شربت المسكر على أخونة هؤلاء وصرت لهم حجة ! قال : حسبكم ! أردتم أن أكون ممن قال الله تعالى : فيهم ﴿ يستَخْفون من النّاسِ ولا يستَخْفون من اللّهِ وهُوَ معهم ﴾ ! فكيف أدعه لكم وأشربه بعين الله !

قاض وشارب نبيذ

وقال بعض القضاة لرجل كان يعذله : بلغني أنك تشرب المسكر ! فقال : ما أشرب المسكر ولكني أشرب النبيذ الصلب .

ألوان من التزهد

فأين هؤلاء فى ترك الرياء والتصنع ، من رجل سُرقت نعله فلم يشتر نعلا حتى مات ، وعوتب فى ذلك فقال : أخشى أن أشترى نعلا فيسرقها أحدٌ فيأثم !

وآخر لما نظر أهل عرفات قال : ماأظن الله إلا قد غفر لهم لولا أنى كنت فيهم !

وآخر أمر له عمر بن الخطاب بكيس ، فقال : آخذ الكيس والخيط ؟ فقال عمر : دع الكيس !

ورجل سأل ابن المبارك فقال إنى قاسمت إخوتى ، وبيننا مُبْرَزٌ غير مقسوم وفىّ بطر أفترى لى أن أدخله أكثر مما يدخله شركائى ؟

وآخر قال : أفطرت البارحة على رغيف وزيتونة ونصف ، أو زيتونة وثلث أو زيتونة وربع ، أو ما علم الله من زيتونة أخرى ! فقال له بعض من حضر : اجلس يا فتى ، إنه بلغنا أن من الورع ما يبغضه الله ، وأظنه ورعك هذا !

الأعمش قال : أتانى عبد الله بن سعيد بن أبى بكر فقال لى : ألا تعجب ؟ جاءنى رجل فقال : دلنى على شىء إذا أكلته أمرضنى . فقد استبطأت العلة وأحببت أن أعتل فأوجَر ! فقلت له : سل الله العافية ، واستدم النعمة ، فإن من شكر على النعمة كمن صبر على البلية . فألح علىّ ، فقلت له : كل السمك ، واشرب نبيذ الزبيب ، ونم فى الشمس ، واستمرض اللهَ يمرضك إن شاء الله !

هارون بن داود قال شرب رجل عند خمار نصرانى ، فأصبح ميتا ؛ فاجتمع عليه الناس وقالوا للخمار : أنت قتلته ! قال : لا والله ، ولكن قتله استعمالهُ قوله :

* وأُخرى تداويْتُ منها بها *

كتاب اللؤلؤة الثانية
فى الفكاهات والملح

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ، تغمده الله برحمته : قد مضى قولنا فى الطعام والشراب وما يتولد منهما ، وينسب إليهما .

٥ ونحن قائلون بما ألّفناه فى كتابنا هذا من الفكاهات والمُلح التى هى نزهة النفس ، وربيع القلب ، ومرتع السمع ، ومجلب الراحة ، ومعدن السرور .

النبى صلى الله عليه وسلم — قال النبى صلى الله عليه وسلم : « رَوِّحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلوب إذا كَلَّتْ عَمِيَتْ »

لعلى بن أبى طالب — وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه : أَجِمُّوا هذه القلوب ، والتمسوا ١٠ لها طُرف الحكمة ، فإنها تمل كما تمل الأبدان ، والنفس مؤثرة للهوى ، آخذة بالهوينى ، جانحة إلى اللهو ، أمارة بالسوء ، مستوطنة للعجز ، طالبة للراحة ، نافرة عن العمل ، فإن أكرهتها أنضيتها ، وإنْ أهملتها أرديْتها .

لعبد الملك — ودخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على أبيه وهو ينام نومة الضحى فقال : يا أبت ؛ أتنام وأصحاب الحوائج واقفون ببابك ؟ قال : يا بنىّ ، إن نفسى ١٥ مطيتى ، فإن أنضيتها قطعتها ، ومن قطع المطىّ لم يبلغ الغاية !

أخبار فى الضحك — وكان النبى صلى الله عليه وسلم يضحك حتى تبدو نواجذه .

وكان محمد بن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا خير فيمن لا يَطرَب »

وقال : « كل كريم طروب »

هشام بن عبد الملك — ٢٠ وقال هشام بن عبد الملك : قد أكلت الحلو والحامض حتى ما أجد لواحد منها طعما ، وشممت الطِّيب حتى ما أجد له رائحة ، وأتيت النساء حتى ما أبالى امرأةً

أتيتُ أم حائطا؛ فما وجدت شيئا ألذ من جليس تسقط بينى وبينه مئونة التحفظ.

عمرو بن العاص

وقيل لعمرو بن العاص: ما ألذُّ الأشياء؟ قال: ليخرجْ مَن هاهنا من الأحداث. فخرجوا، فقال: ألذ الأشياء إسقاطُ المُروءة!

مسلمة بن عبد الملك

وقيل لمسلمة بن عبد الملك: ما ألذ الأشياء؟ فقال: هتكُ الحيا، واتّباع الهوى.

٥ وهذه المنزلة من أعمال النفس وهتكِ الحياء قبيحة، كما أن المنزلة الأخرى من الغلو فى الدِّين والتعسف فى الهيبة قبيحة أيضا؛ وإنما المحمود منها التوسط، وأن يكون لهذا موضعه ولهذا موضعه.

وقال مطرف بن عبد الله لولده: يا بنىّ، إن الحسنة بين السيئتين - يريد بين المجاوزة والتقصير - وخيرُ الأمور أوساطُها، وشرُّ السير الحقحقة.

١٠ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن هذا الدينَ متين فأوغل فيه برفق، فإن المنبَتّ لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى».

خبر بعض الحواريين

وفى بعض الكتب المترجمة: أن يوحنا وشمعون كانا من الحواريّين، وكان يوحنا لا يجلس مجلسا إلا ضحك وأضحك مَن حوله، وكان شمعون لا يجلس مجلسا إلا بكى وأبكى من حوله؛ فقال شمعون ليوحنا: ما أكثر ضحكك! كأنك قد فرَغت

١٥ من عملك! فقال له يوحنا: ما أكثرَ بُكاءك! كأنك قد يئستَ من ربك! فأوحى الله إلى المسيح: إن أحبَّ السيرتين إلىّ سيرةُ يوحنا.

المسيح ويحيى بن زكريا

وفى بعض الكتب أيضا: أن عيسى ابن مريم لقى يحيى بن زكريا عليهم الصلاة والسلام، فتبسم إليه يحيى، فقال له عيسى: إنك لتبسم تبسم آمِن! فقال له يحيى: إنك لتعبس عبوس قانط! فأوحى الله إلى عيسى: إن الذى يفعل يحيى أحبُّ إلىّ.

نعيمان

٢٠ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: يدخل نُعيمان الجنة ضاحكا، لأنه كان يضحكنى. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليه وهو أرمد فوجده يأكل تمرا، فقال له: أتأكل تمرا وأنت أرمد؟ فقال: إنما آكلُ من الجانب الآخر! فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه.

وكانت سويداء لبعض الأنصار تختلف إلى عائشة فتلعب بين يديها وتضحكها،

وربما دخل النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة فيجدها عندها فيضحكان جميعا ؛ ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم فقدها ، فقال : ياعائشة ، ما فعلت السويداء ؟ قالت له : إنها مريضة ! فجاءها النبي صلى الله عليه وسلم يعودُها ، فوجدها فى الموت ؛ فقال لأهلها : إذا توفيتْ فآذنونى . فلما توفيت آذنوه ، فشهدها وصلى

٥ عليها وقال : اللهم إنها كانت حريصة على أن تُضحكنى ، فأضحِكْها فرَحا .

الأصمعى وأبو عبيدة

وقيل لأبى نُواس : قد بعثوا إلى أبى عبيدة والأصمعى ليجمعوا بينهما . فقال : أما أبو عبيدة فإن خلوه وسفْرَه قرأ عليهم أساطير الأولين والآخرين ، وأما الأصمعى فبلبل فى قفص يُطْرِبُهُمْ بصفيره .

من أقوال العرب

قال ابن إسحق : وقد طرب الصالحون وضحكوا ومزحوا . وإن مدحت

١٠ العربُ رجلا قالوا : هو ضَحُوك السن ، بَسَّام الثنيات ، هش إلى الضيف فإذا ذمَّتْه قالوا : هو عبوس الوجه ، جَهم المحَيّا ، كريه المنظر ، حامض الدجنة ، كأنما وجهه بالخل منضوح ، كأنما أُسعط خيشومه بالخردل .

من يحيى بن خالد لولده

وكتب يحيى بن خالد إلى الفضل ابنه وهو بخراسان : يا بنىّ ، لا تُغفِل نصيبَك من الكسل !

١٥ وهذا جزء جامع لكل ما قصدنا إليه من هذا المعنى ، لأن بالكسل تكون الراحة ، وبالراحة يكون مَثابُ النشاط ، وبالنشاط يصفو الذهن ، ويصدق الحس ، ويكثر الصواب . قال الشاعر :

إنما لِلنَّاسِ مِنَّا * حُسنُ خُلْق ومزاح

ولنا ما كان فِينا * منْ فسادٍ وصَلاح

ملح هشام ابن عروة

٢٠ الهيثم بن عدىّ قال : رأيت هشام بن عروة قد اجتمع إليه أصحاب الحديث يسألونه ، فقال لهم : يا قوم ، أما ما كان عندى من الحلال والحرام والسنّة فإنى لا أستحلّ أن أمنعكموه ، وأما مُلَحى فلا أعطيكموها ولا كرامة .

باب من المفاكهات

حديث عباس بن الأحنف

حدث أبو العباس محمد بن يزيد المبرد قال : حدثنا محمد بن عامر الحنفى ، وكان من سادات بكر بن وائل ، وأدركتُه شيخا كبيرا مملقا ، وكان إذا أفاد على إملاقه شيئا جاد به ، وقد كان قديما ولى شرطة البصرة ، فحدثنى هذا الحديث الذى أذكره ، ووقع إلىّ من غير ناحيته ، ولا أذكر ما بينهما من الزيادة والنقصان ، إلا أن معانى الحديث مجموعة فيما أذكر لك :

ذَكر أن فتيانا كانوا مجتمعين فى نظام واحد ، كلهم ابن نعمة ، وكلهم قد شَرَدَ عن أهله وقنع بأصحابه ، فذكر ذاكرٌ منهم قال :

كنا قد اكترينا داراً شارعة على أحد طرق بغداد المعمورة بالناس ، وكنا نُفْلِس أحيانا ونُوسر أحيانا ، على مقدار ما يمكن الواحدَ من أهله ؛ وكنا لا ننكر أن تقع مئونتُنا على واحد منا إذا أمكنه ، ويبقى الواحد منا لا يقدر على شىء ، فيقوم به أصحابُه الدهرَ الأطول ، وكنا إذا أيسرنا أكلنا من الطعام أليَنَه ، ودعونا المُلْهِينَ والملهيات ، وكان جلوسنا فى أسفل الدار ، فإذا عدمنا الطربَ جلسنا فى غرفة لنا نتمتع منها بالنظر إلى الناس ؛ وكنا لا نُخلّ بالنبيذ فى عسر ولا يسر ؛ فإنا لَكذلك يوما إذا بفتى يستأذن علينا ، فقلنا له : اصعد . فإذا رجل نظيف ، حلو الوجه ، سرىّ الهيئة ، ينبئ روَاؤه على أنه من أبناء النعم ؛ فأقبل علينا فقال : إنى سمعت بمجتمَعكم ، وحُسْنَ منادمتكم ؛ وصحة ألفتكم ، حتى كأنكم أدرجتم جميعا فى قالب واحد ؛ فأحببت أن أكون واحداً منكم فلا تحتشموا .

قال : وصادف ذلك منا إقتارا من القوت ؛ وكثرةً من النبيذ ، وقد كان قال لغلام له : أول ما يأذنون لى أن أكون كأحدهم ، هات ما عندك . فغاب الغلام عنا غير كثير ، ثم أتانا بسلة خيزران ، فيها طعام المطبخ ، من جدي ، ودجاج ،

وفراخ ، ورقاق ، وأشنان ، ومحلب ، وأخلة ؛ فأصبنا من ذلك ، ثم أفضْنا في شرابنا .

وانبسط الرجل ، فإذا هو أحلى خلق الله إذا حدّث ، وأحسنهم استماعا إذا حُدِّث ، وأمسكهُم عن ملاحاةٍ إذا خولف ؛ ثم أفضينا منه إلى أكرمِ
٥ مخالقة ، وأجمل مساعدة ؛ وكنا ربما امتحناه بأن ندعوه إلى الشيء الذي نعلم أنه يكرهه ، فيُظهر لنا أنه لا يحب غيره ، ويُرى ذلك في إشراق وجهه ؛ فكنا نَغنى به عن حسن الغناء ، ونتدارس أخباره وآدابه ؛ فشغلنا ذلك عن تعرُّف اسمه ونسبه ، فلم يكن منا إلا تعرّف الكنية ، فإنا سألناه عنها فقال : أبو الفضل .

١٠ فقال لنا يوماً بعد اتصال الأنس : ألا أخبركم بِمَ عرفتكم ؟ قلنا : إنا لنحب ذلك . قال : أحببت جارية في جواركم ، وكانت سيدتها ذات حبائب ؛ فكنت أجلس لها في الطريق ألتمس اجتيازها ، فأراها ؛ حتى أخلقَني الجلوس على الطريق ورأيت غرفتكم هذه ، فسألت عن خبرها ، فخُبرت عن ائتلافكم وتماثلكم ، ومساعدة بعضكم بعضا ؛ فكان الدخول فيما أنتم فيه أسرّ عندي من الجارية .
١٥ فسألناه عنها فخبرنا ، فقلنا له : نحن نختدعها حتى نظفِرَك بها ! فقال : يا إخواني ، إني والله على ما تَرْونَ مني من شدة الشغف والكلف بها ، ما قدرت فيها حراما قط ولا تقديري إلا مطاولتها ومصابرتها إلى أن يَمُنَّ الله بثروة فأشتريها !

فأقام معنا شهرين ، ونحن على غاية الاغتباط بقربه ، والسرور بصحبته ، إلى أن اختُلس منا ، فنالنا بفراقه ثكلٌ مُمضّ ، ولوعة مؤلمة ، ولم نعرف له منزلا
٢٠ نلتمسه فيه ؛ فكدر علينا من العيش ما كان طاب لنا به ، وقبُح عندنا ما كان حسُنَ بقربه ، وجعلنا لا نرى سروراً ولا غمًّا إلا ذكرناه ، لاتصال السرور بصحبته وحضوره ، والغمّ بمفارقته ؛ فكنا فيه كما قال الشاعر :

يُذكِّرُنيهم كلُّ خيرٍ رأيتُهُ ° وشرٍّ، فما أنفكُّ منهم على ذكر

فغاب عنا زهاء عشرين يوما ، فبينما نحن مجتازون يوما من الرصافة ، إذا به قد طلع فى موكب نبيل ، وزىّ جليل ؛ فلما بصُر بنا انحط عن دابته وانحط غلمانه ، ثم قال : يا إخوانى ، والله ما هَنَأنى عيش بعدكم ، ولست أُماطلُكم بخبرى حتى آتى المنزل ، ولكن ميلوا بنا إلى المسجد . فملنا معه ، فقال : أعرّفكم أولا بنفسى ، أنا العباس بن الأحنف ؛ وكان من خبرى بعدكم أنى خرجت إلى منزلى من عندكم ؛ فإذا المسوّدة محيطة بى ، فمُضِىَ بى إلى دار أمير المؤمنين ، فصرت إلى يحيى بن خالد ، فقال لى : ويحك يا عباس ! إنما اخترتك من ظرفاء الشعراء ، لقرب مأخذك ، وحُسن تأتّيك ؛ وإن الذى ندبتك له من شأنك ؛ وقد عرفت خطرات الخلفاء ، وإنى أخبرك أنّ ماردة هى الغالبة على أمير المؤمنين اليوم ، وأنه جرى بينهما عتب ؛ فهى بدالة المعشوق تأبى أن تعتذر ، وهو بعز الخلافة وشرفِ الملك يأبى ذلك ؛ وقد رُمت الأمر من قِبلها فأعيانى ، وهو أحرى أن تستعزّه الصبابة ؛ فقل شعراً يسهّل عليه هذه السبيل . فقضى كلامه .

ثم دعانى إلى أمير المؤمنين ، فصرت إليه وأُعطيت قرطاسا ودواة ، فاعترانى الزَّمَع وأذهب عنى ما أريد الاستحثاثُ ؛ فتعذرت علىّ كلُّ عَروض ، ونفرَتْ عنى كل قافية ؛ ثم انفتح لى شىء ، والرسل تعنتنى ؛ فجاءتنى أربعة أبيات رضيتُها ، وقعتْ صحيحةَ المعنى ، سهلة الألفاظ ، ملائمة لما طُلب منى ؛ فقلت لأحد الرسل : أبلغ الوزير أنى قلت أربعة أبيات ، فإن كان بها مَقنع وجهتُ بها . فرجع إلىّ الرسول بأن هاتِها ، فنى أقل منها مقنع . وفى ذهاب الرسـول ورجوعه قلت بيتين من غير ذلك الروىّ ، فكتبت الأبيات الأربعة فى صدر الرقعة ، وعقّبت بالبيتين ، فقلت :

العاشِقانِ كلاهما مُتغضّبُ * وكلاهما مُتوجِّدٌ مُتعتّبُ

صدّتْ مُغاضبةً وصدّ مُغاضباً * وكلاهما مما يعالج مُتْعبُ

راجع أحِبّتك الذين هجرْتَهُم * إن المُتيّمَ قلما يتجنّبُ

إنّ التجنُّبَ إن تطاول مِنكما * دَبّ السُّلوُّ لهُ فعزّ المطلبُ

ثم كتبت تحت ذلك :

لا بُدّ للعاشِقِ من وقفةٍ * تكونُ بين الهَجرِ والصرمِ

حتى إذا الهجرُ تمادى به * راجعَ من يهوى على رغمِ

٥ ثم وجهت بالكتاب إلى يحيى بن خالد ، فدفعه إلى الرشيد ، فقال : والله ما رأيت شعراً أشبهَ بما نحن فيه من هذا ، والله لكأنى قصِدْتُ به ! فقال له يحيى : وأنت والله يا أمير المؤمنين المقصود به ؛ هذا يقوله العباس [ابن الأحنف] فى هذه القصة . فلما قرأ البيتين وأفضى إلى قوله :

* راجَعَ مَن يَهوى على رغمِ *

١٠ استغرب ضاحكا حتى سمعت ضحِكه ، ثم قال : إى والله ، أراجع على رغم ! يا غلام ، هات نعلى . فنهض ، وأذهله السرور عن أن يأمر لى بشىء ؛ فدعانى يحيى وقال : إن شعرك قد وقع بغاية الموافقة ، وأذهل أمير المؤمنين السرور عن أن يأمر لك بشىء . قلت : لكن هذا الخبر ما وقع منى بغاية الموافقة !

ثم جاء غلام فساره ، فنهض وثبتُّ مكانى ثم نهضت بنهوضه ؛ فقال لى :

١٥ يا عباس ، أمسيت أنبل الناس ؛ أتدرى ما سارّنى به هذا الرسول ؟ قلت لا . قال : ذَكر لى أن ماردة تلقّت أمير المؤمنين لما علمت بمجيئه ، ثم قالت : يا أمير المؤمنين ، كيف كان هذا ؟ فناولها الشعر ، وقال : هذا أتى بى إليك ! قالت : فمن يقوله ؟ قال : عباس بن الأحنف . قالت : فبِمَ كوفئ ؟ قال : ما فعلت شيئا بعدُ . قالت : إذاً والله لا أجلس حتى يكافأ ! قال : فأمير المؤمنين قائم لقيامها

٢٠ وأنا قائم لقيام أمير المؤمنين ، وهما يتناظران فى صلتك ، فهذا كله لك . قلت : مالى من هذا إلا الصلة ! فقال : هذا أحسنُ من شعرك .

قال : فأمر لى أمير المؤمنين بمال كثير ، وأمرت لى ماردة بمال دونه ،

وأمر لى الوزير بمال دون ما أمرت به؛ وحُملتُ على ماترون من الظَّهر ؛ ثم قال الوزير : من تمام اليدِ عندك أن لا تخرج من الدار حتى يؤهّل لك هذا المال ضياعاً . فاشتريتُ لى ضياعٌ بعشرين ألف درهم ، ودُفع إلىّ بقية المال .

فهذا الخبر الذى عاقنى عنكم ، فهلموا حتى أقاسمكم الضّياع ، وأفرق فيكم المال قلنا له : هنأك الله ، فكل منا يرجع إلى نعمةٍ من أبيه . فأقسم وأقسمنا فقال : [فتكونون] أسوتى فيه . فقلنا : أما هذه فنعَم . قال : فامضوا بنا إلى الجارية حتى نشتريها . فمشينا إلى صاحبها ، وكانت جارية جميلة حلوة ، لا تحسن شيئا ، أكثر مافيها ظرف اللسان وتأدية الرسائل ، وكانت تساوى على وجهها خمسين ومائة دينار ؛ فلما رأى مَولاها ميل المشترى، استام بها خمسمائة ، فأجبناه بالعجب لحط مائة ، ثم قال العباس : يافتيان ، إنى والله أحتشم أن أقول بعد ما قلتم ، ولكنها حاجة فى نفسى ، بها يتم سرورى ، فإن ساعدتم فعلت . قلنا له : قل قال هذه الجارية أنا أعاينها منذ دهر ، وأريد إيثارَ نفسى بها ؛ فأكره أن تنظر إلىّ بعين مَن قد ماكس فى ثمنها ! دعونى أعطيه بها خمسمائة دينار كما سأل ! قلنا له : وإنه قد حط مائتين . قال : وإن فعل . قال : فصادفت من مولاها رجلا حرًّا ، فأخذ ثلثمائة وجهزها بالمائتين !

فما زال إلينا محسنا حتى فرق الموت بيننا .

حديث المجرّد

قال إسحاق بن إبراهيم : قال لى ابن وهب الشاعر : والله لأحدثنك حديثا ماسمعه منى أحدٌ قط ، وهو بأمانةٍ أن يسمعه أحد منك مادمت حيا . قلت : ﴿إنا عرضْنَا الأمانةَ على السموات والأرض والجبالِ فأبيْنَ أن يحملْنَها﴾ ! قال : يا أبامحمد إنه حديث ماطَنَّ فى أذنك أعجب منه ! قلت : كم هذا التعقيد بالأمانة ؟ آخذه على ما أحببت !

قال : بينا أنا بسوق الكيل بمكة بعد أيام الموسم ، إذ أنا بامرأة من نساء مكة ، معها صبى يبكى ، وهى تسكته فيأبى أن يسكت ، فسفرتْ ، فأخرجت من فيها كسرة درهم فدفعتها إلى الصبىّ فسكت ؛ فإذا وجه رقيق كأنه كوكب درّى ، وإذا شكلٌ رطْب ولسانٌ فصيح ؛ فلما رأتنى أُحِدُّ النظر إليها ، قالت : اتبعنى ! فقلت : إن شريطتى الحلال ! قالت : ارجع فى حِر أمك ! ومن يريدك على حرام ؟ فخجلت ، وغلبتنى نفسى على رأيى ، فتبعتُها ، فدخلت زقاق العطارين فصعدتْ درجة وقالت : اصعد ! فصعدتُ ، فقالت : أنا مشغولة وزوجى رجل من بنى مخزوم ، وأنا امرأة من زهرة ؛ ولكن عندى حِر ضيّق ، عليه وجه أحسن من العافية ، فى مثل خلق ابن سريج ، وترنم معبد ، وتيه ابنِ عائشة ؛ أجمع لك هذا كله فى بدنٍ واحد بأشقر سليم . قلت : وما أشقر سليم ؟ قالت : بدينار واحد يومَك وليلتك ، فإذا قمتَ جعلت الدينار وظيفة وتزويجا صحيحا . قلت : فذلك لك إن اجتمع لى ما ذكرتِ . قال : فصفقت بيدها إلى جاريتها ، فاستجابت لها ، قالت : قولى لفلانة : البسى عليك ثيابك وعجّلى ، وبالله لا تمسّى غمرا ولا طيبا ، فحسبُك بدلالك وعطرك .

قال : فإذا جاريةٌ أقبلت ما أحسب أن الشمس وقعت عليها ، كأنها دُمية ، فسلمت وقعدت كالخجِلة

فقالت لها الأولى : إن هذا الذى ذكرته لك ، وهو فى هذه الهيئة التى ترين . قالت : حيّاه الله وقرّب داره . قالت : وقد بذل لك من الصداق دينارا . فقالت : أى أمّ ، أخبرتيه بشريطتى ؟ قالت : لا والله يا بنية ، لقد نسيتها . ثم نظرت إلىّ فغمزتنى وقالت : أتدرى ما شريطتها ؟ قلت : لا . قالت : أقول لك بحضورها ما إخالها تكرهه ، هى والله أفتك من عمرو بن معديكرب ، وأشجع من ربيعة بن مكدم ، ولستَ بواصل إليها حتى تَسكر وتَغلب على عقلها ، فإذا بلغتْ تلك الحال ففيها مطمع . قلت : ما أهونَ هذا وأسهله !

قالت الجارية : وتركتِ شيئا آخر ! قالت : نعم والله ، اعلم أنك لن تصل إليها حتى تتجرد لها ، وتراك مجرّدا مُقبلا ومدبرا . قلت : وهذا أيضا أفعله ! قالت : هلمّ دينارَك !

فأخرجتُ ديناراً فنبذته إليها ؛ فصفقت صفقة أخرى ، فأجابتها امرأة ؛ قالت : قولى لأبى الحسن وأبى الحسين : هلمّا الساعة ! فقلت فى نفسى : أبو الحسن وأبو الحسين ، هو علىّ بن أبى طالب !

قال : فإذا شيخان خاضبان نبيلان قد أقبلا ، فصعدا ، فقصت المرأة عليهما القصة ، فخطب أحدهما وأجاب الآخر ، وأقررْت بالتزويج وأقرت المرأة ؛ ٥ فدعَوَا بالبركة ثم نهضا ، فاستحييت أن أحمّل المرأة شيئاً من المئونة ، فأخرجت ديناراً آخر فدفعتُه إليها ، وقلت : اجعلى هذا لطيبك . قالت : يا أخى ، لست ممن يمسّ طيباً لرجل ، إنما أتطيَّب لنفسى إذا خلوت . قلت : فاجعلى هذا لغدائنا اليوم . قالت : أما هذا فنعَم .

١٠ فنهضت الجارية ، وأمرتْ بإصلاح ما يُحتاج إليه ، ثم عادت ، وتغدّينا ، وجاءت بأداةٍ وقضيب ، وقعدت تجاهى ؛ ودعت بنبيذ فأعدّته ، واندفعت تغنى بصوت لم أسمع مثله قط ، فإنى ألِفت القَينات نحواً من ثلاثين سنة ، ما سمعت مثل ترنّمها قط ؛ فكدت أجَنّ سروراً وطربا ، فجعلتُ أريغ أن تدنو منى فتأبى ، إلى أن غنّت بشعر لم أعرفه ، وهو :

١٥ راحُوا يصيدون الظّباء ، وإننى * لأرى تصيّدها علىّ حراما !

أعْزِزْ علىّ بأنْ أروّعَ شِبهها * أو أنْ تَذوق على يدىّ حِماما !

فقلت : جُعلت فِداكِ ! من يغنّى هذا ؟ قالت : اشترك فيه جماعة ، هو لمعبد ، وتغنى به ابن سريج وابن عائشة ...

فلما نُعِىَ إلينا النهار وجاءت المغرب ، تغنّت بصوت لم أفهمه ، للشقاء الذى ٢٠ كُتب علىّ ، فقالت :

كأنى بالمجـــرّد قد علتْه * نِعالُ القوم أو خشَبُ السوارِى

قلت : جُعلتُ فداك ! ما أفهم هذا البيت ولا أحسبه ممـا يُتغنى به . قالت : أنا أوّل من تغنى به . قلت : فإنمـا وهو بيتٌ عابر لا صاحبَ له ؟ قالت : معه

آخر ليس هذا وقتَه ، هو آخِر ما أتغنى به !

قال : وجعلت لا أنازعها فى شىء إجلالا لها ، فلما أمسينا وصَلّينا المغرب وجاءت العشاء الأخيرة ، وضعَت القضيب ، فقمت فصليت العشاء وما أدرى كم صليت ، عجلةً وشوقا ؛ فلما صليتُ قلت : تأذنين جُعلت فداك فى الدنوّ منك ؟ قالت : تجرّد ! وأشارت إلى ثيابها كأنها تريد أن تتجرّد ؛ فكدت أن أشق ثيابى عجلةً للخروج منها ؛ فتجرّدت وقمت بين يديها مكفّراً لها ؛ قالت : امض إلى زاوية البيت وأقبلْ وأدبرْ ، حتى أراك مقبلا ومدبرا !

قال : وإذا حصير فى الغرفة ، عليه طريق إلى زاوية البيت ؛ فخطرتُ عليه ، وإذا تحته خرْق إلى السوق ، فإذا أنا فى السوق قائما مجرّداً مُنعِظا ! وإذا الشيخان الشاهدان قد أعدا لى نعالهما ، وكمنا لى فى ناحية ، فلما هبطت عليهما بادرا إلىّ فقطعا نعالهما على قفاى ، واستعانا بأهل السوق ؛ فضُربت والله يا أبا محمد حتى نسيتُ اسمى ؛ فبينا أنا أُضرب بنعال مخصوفة وأيد شديدة ، إذا صوت يغنّى به من فوق البيت ، وهو :

ولو علِم المجرّد ما أردْنا * لحاربَنا المجرّد بالصحارِى

فقلت فى نفسى : هذا والله وقت هذا البيت ! فنجوت إلى رحلى ومافىّ عظم صحيح ؛ فسألت عنها فقيل لى : إنها امرأة من آل أبى لهب ! فقلت : لعنها الله ولعن الذى هى منه !

يوم دارة جلجل

قال الفرزدق : أصابنا بالبصرة ليلا مطرٌ جَود ، فلما أصبحت ركبت بغلتى وسرت إلى المِربد ، فإذا أنا بآثار دواب وقد خرجتْ إلى ناحية البرية ، فظننت أنهم قوم خرجوا للنزهة ، وهم خُلَقاء أن يكون معهم سُفرة ، فاتبعتُ آثارهم حتى انتهيت إلى بغال عليها رحائل موقوفة على غدير ، فأسرعت إلى الغدير ،

فإذا فيه نسوة مستنقعات فى المـاء ، فقلت : لم أرَ كاليوم قط ، ولا يوم دارة جلجل . وانصرفت مستحييا .

فناديْنَنى : يا صاحب البغلة ، ارجعْ نسألْك عن شىء .

فرجعتُ إليهن ، فقعدن فى المـاء إلى حلوقهن ، ثم قلن : بالله إلا ما أخبرتَنا ما كان من حديث دارة جلجل . ٥

قلت : حدثنى جدّى ـ أنا يومئذ غلامٌ حافظ ـ أن امرأ القيس كان عاشقا لابنة عمه ، ويقال لها عنيزة ؛ وأنه طلبها زمانا فلم يصل إليها ، حتى كان يوم الغدير ، وهو يوم دارة جلجل ؛ وذلك أنّ الحىّ تحمّلوا ، فتقدم الرجال ، وتخلف النساء والخدم والثقل ؛ فلما رأى ذلك امرؤ القيس ، تخلف بعد ما سار مع رجال قومه غَلوة ، فكمن فى غيابه من الأرض ، حتى مرّ به النساء وفيهنّ عُنيزة ، فلمـا وردن الغدير قلن : لو نزلنا واغتسلنا فى هذا الغدير فذهب عنا بعض الكلال . فنزلن فى الغدير ، ونحّين العبيد ، ثم تجرّدن فوقعن فيه ، فأتاهنّ امرؤ القيس فأخذ ثيابهنّ ، فجمعها وقعد عليها ، وقال : والله لا أعطى جارية منكنّ ثوبها ولو قعدتْ فى الغدير يومَها ، حتى تخرج متجرّدة فتأخذ ثوبها ! فأبينَ ذلك عليه ، حتى تعالى النهار وخشين أن يقصرن عن المنزل الذى يُردنه ، فخرجن جميعاً غير عنيزة ؛ فناشدتْه اللهَ أن يطرح ثوبها ، فأبى ، فخرجت ؛ فنظر إليها مقبلة ومدبرة . ١٠ ١٥

وأقبلن عليه فقلن له : إنك عذبتنا وحبستنا وأجعْتنا ! قال : فإن نحرتُ لكنّ ناقتى أتأكلن معى ؟ قلن : نعم . فجرّد سيفه فعرقبها ونحرها ، ثم كشطها ، وجمع الخدمُ حطباً كثيراً ، فأجّجْنَ ناراً عظيمة ، فجعل يقطع أطايبها ويلقى على الجمر ، ويأكلن ويأكل معهنّ ، ويشرب من فضلة كانت معه ويسقيهنّ ، وينبذ إلى العبيد من الكباب . ٢٠

فلما أرادوا الرحيل قالت إحداهنّ : أنا أحمل طنفسته . وقالت الأخرى :

أنا أحمل رحْله وأنساعه . فتقسّمْن متاعه وزاده ؛ وبقيت عنيزة لم تحمل له شيئا ؛ فقال لها : يا بنت الكرام ، لا بد أن تحمليني معك ؛ فإني لا أطيق المشي ، فحملته على غارب بعيرها ، فكان يجنح إليها فيُدخل رأسه في خدرها فيقبّلها ، فإذا امتنعت مال حِدْجها ، فتقول : عقرتَ بعيري فانزل ! ففي ذلك يقول :

٥ [ألا رُبَّ يومٍ لي من البيض صالحٍ * ولا سيّما يوم بدارة جُلْجُلِ]

ويوم عقرتُ للعذارى مطيّتي * فيا عجبا من رحْلها المُتحمَّل

فظلّ العذارى يَرْتمين بلحمها * وشحمٍ كهُدّاب الدِّمقس المُفتَّل

ويوم دخلتُ الخِدْرَ خدْرَ عُنيزةٍ * فقالت لك الويْلات إنك مُرجلي

تقول وقد مال الغَبيط بنا معاً * عَقرتَ بعيري يا امرأ القيس فانزلِ

١٠ فقلت لها سِيري وأرْخي زمامه * ولا تُبعديني من جَناك المُعلَّل

وكان الفرزدق أروى الناس لأخبار امرئ القيس وأشعاره ، وذلك أنّ امرأ القيس رأى من أبيه جفوة ، فلحق بعمه شرحبيل بن الحارث ، وكان مسترضعا في بني دارم فأقام فيهم ، وهم رهط الفرزدق .

خبر دعبل وصريع الغواني

١٥ حدثنا أبو سويد بن أبي عتاهية عن دعبل بن علي الشاعر قال : بينا أنا ذات يوم بباب الكرخ وأنا سائر ، وقد احتوى الفكر على قلبي في أبيات شعر قد نطق بها اللسان من غير اعتقاد جنان ، فقلت :

دموعُ عيني لها انبساطُ * ونومُ عيني به انقباضُ

فإذا أنا بجارية فائقة الجمال ، حوراء الطرف ، يقصر عن نعتها الوصف ؛ لها

٢٠ وجه زاهر ، ونور باهر ، فهي كما قال الشاعر :

كأنما أفرغت في قشر لؤلؤةٍ * في كل جارحةٍ منها لها قمرُ

وهى تسمعنى ، فقالت :

هـذا قليلٌ لمنْ دهته * بلحظها الأعيُن المِراضُ

فأجبتها :

فهل لمولاىَ عطفُ قلبٍ * أو لِلّذى فى الحشا انقراضُ ؟

فأجابتنى فقالت : ٥

إنْ كنتَ تَبغى الودادَ منّا * فالوُدّ فى ديننا قِراضُ

قال دعبل : فلم أعلَمْنى [قبلها] خاطبتُ جارية تقطع الأنفاس بعذوبة ألفاظها وتختلس الأرواح ببراعة منطقها ، وتُذهل الألباب برخيم نغمتها ، مع تلاعة جيد ، ورشاقة قد ، وكمال عقل ، وبراعة شكل ، واعتدال خَلق ؛ لحار والله البصر ، وذهب اللُّب ، وجل الخطب ، وتلجلج اللسان ، وتغللت ١٠ الرِّجلان ؛ وما ظنك بالحلفاء إذا دنت من النار ؟ ثم ثاب إلىّ عقلى ، وراجعنى حلمى ، فذكرتُ قول بشار :

لا يَمنعنّك من مُخدرةٍ * قولٌ تغلّظه وإن جرَحا

عُسْرُ النساء إلى مُياسرةٍ * والصّعْبُ يمكن بعد ما جَمَحا

هذا لمن حاول ما دون الطمع فيه اليأس منه ، فكيف بمن وعد قبل ١٥ المسألة ، وبذل قبل الطلبة ؟ فقلت مسمِعاً لها :

أترى الزمانَ يسُرّنا بتلاقٍ * ويضُم مُشتاقا إلى مُشتاقِ ؟

فقالت مجيبة لى فى أسرع من نفَس :

ما للزّمان يُقال فيه وإنما * أنت الزمان فسُرّنا بتلاقِ !

قال دعبل : فلحظتها ومضيت وتبعتْنى ، وذلك فى أيام إملاقى ، فقلت : ما لى ٢٠ إلا منزل مسلمٍ صريع الغوانى ، فسرتُ إلى بابه ، فاستوقفتُها وناديته ، فخرج ؛ فقلت له : أكمِل الخير ، معى وجه صبيح ، يعدل الدنيا بما فيها ، وقد حصل على ضيقة وعسر ! فقال : قد شكوتَ ما كدت أباديك بشكواه ! ائت بها .

فلما دخلت قال : والله لا أملك غير هذا المنديل ! فقلت : هو البُغية فناولنيه .
فقال : خذه لا بارك الله لك فيه ! فأخذته ، فبعته بدينار وكسر ، فاشتريت لحماً
وخبزاً ونبيذاً ، وصرت إليه ؛ فإذا هما يتساقطان حديثاً كأنه قطع الروض الممطور ؛
قال : ما صنعت ؟ فأخبرته ؛ قال : كيف يصلح طعام وشراب وجلوس مع وجه
٥ نظيف بلا نقل ولا ريحان ولا طيب ؟ اذهب فالطُف لتمام ما كنتَ أوّلَه .

قال : فخرجت فاضطربت فى ذلك حتى أتيت به ، فألفيت باب الدار مفتوحا ،
فدخلت ؛ فإذا لا يُرَى لهما ولا لشىء مما أتيت به أثرٌ ، فسُقِطَ فى يدى ، وقلت :
أرى صاحب الربع أخذهما ! فبقيت متلهفاً حائراً ، أرجُمُ الظنون وأجِيلُ الفكر
سائر يومى ؛ فلما أمسيتُ قلت فى نفسى : أفلا أدور فى البيت لعل الطلب يوقفنى
١٠ على أثر ؟ ففعلت ، فوقفت على باب سرداب له ، وإذا هما قد هبطا فيه ، وأنزلا
معهما جميع ما يحتاجان إليه ، فأكلا وشربا وتنعّما ؛ فلما أحسستُهما دليتُ رأسى
ثم ناديتُ : مسلم ! ويلك ! فلم يجبنى ، حتى ناديت ثلاثاً ؛ فكان من إجابته لى أن
غرّد بصوت يقول فيه :

بِتُّ فى دِرْعِها وبات رفيقى * جُنُبَ القلبِ طاهِرَ الأطرافِ

١٥ ثم قال : دعبل ، ويلك ! من يقول هذا ؟ قلت :

مَن له فى حِرٍ أمِّه ألفُ قَرْنٍ * قد أنافتْ على عُلوٍّ مَنافِ

قال : فضحك ، ثم سكتا ، واستجلبت كلامهما فلم يجيبانى ، وأخذا فى
لذتهما ، وبتُّ بليلة يقصر عمرُ الدهر عن ساعة منها طولا وغما ! حتى إذا أصبحت
ولم أكد ، خرج إلىّ مسلم ، فجعلت أؤنبه ، فقال لى : يا صفيق الوجه ! منزلى ،
٢٠ ومنديلى ، وطعامى ، وشرابى ؛ فما شأنك فى الوسط ؟ قلت له : حقُّ القيادة
والفضولُ والله لا غير ! وولى وجهه إليها وقال : بحياتى إلا أعطيتيه حق قيادته
وفضوله ! قالت : أما حق قيادته فعرك أذنِه ، وأما حق فضوله فصفع قفاه !
فاستقبلنى مسلم فعرك أذنى وصفعنى ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : جرى الحكم عليك
بما جرى لك من العذل والاستحقاق !

الخدم والقيان

الحسين بن الضحاك وشفيع خادم المتوكل

حدثنا عيسى بن أحمد الكاتب قال : قال الحسين بن الضحاك : دخلت على جعفر المتوكل ، وشفيع الخادم ينضد وردا بين يديه - ولم يُعرف فى ذلك الزمان خادمٌ كان أحسن منه ولا أجمل - وعليه ثياب مُوَرَّدَة ، فأمره أن يسقينى ويغمز كفى ؛ ثم قال لى : ياحسين ، قل فى شفيع . وقد كان حيًّا المتوكل بوردة ، فجعل المتوكلُ يشربُ ويشمُّ الوردة ؛ فقلت :

وكالدُّرَّةِ الحمْراء حيَّـا بأحمرٍ * منَ الورْدِ يَمشى فى قراطِقَ كالوردِ
ويَغْمزُ كفّى عنـــد كلّ تحيّةٍ * بكفّيه تَستدعى الشجِىّ إلى الورد[1]
سقانى بكفّيْـــهِ وعينيه شَربة * فأذكرَنى ما قد نسيتُ من العهد
سقَى اللهُ دهْراً لم أبِتْ فيه ليلة * من الدّهرِ إلا من حبيب على وعْدِ

فأمر المتوكل شفيعاً أن يسقينى ، وبعث معه إلى بتحايا فى عبير وشمّامات .

وروى أن محمد بن عبد الملك الزيات وزير المتوكل كان يتعشق خادما للمتوكل يقال له شفيع ، وكان الحسن بن وهب كاتبُه كلِفا بذلك الخادم : فلقيه الحسن ابن وهب يوما ، فسأله عن خبره ، فأخبره أنه يريد أن يحتجم ؛ فلم يبق بالعراق غريبة إلا بعث بهـا إليه ، ولا ظريفٌ من الأشربة إلا أدخله عليه ، وكتب إليه بهذه الأبيات :

ليت شِعرى ياأملحَ الناسِ عندى * هل تعالَجْتَ بالحِجامةِ بعدى ؟
قد كتمتُ الهوى بمبلغ جُهْدى * ففشا منه بعضُ ما كنتُ أبدى
وخلعتُ العِـــذارَ فليَعْلمِ النـا * سُ بأنى إليـــكَ أصْبو بوُدّى
مَن عذيرى من مُقْلتيْك ومن إشْ * راقِ وجه من حوْلِ حُمْرَةِ خَدّ

فصادف رسوله رسولا لمحمد بن عبد الملك الزيات الوزير ، فرأى رقعة الحسن ، فاحتال لها حتى أخذها ، وأوصلها إلى محمد بن عبد الملك ، فلما قرأها

(١) رواية الأغانى : له عبثات عند كل تحيـــة * بعينيه تستدعى الحليم إلى الوجد

كتب إلى كاتبه الحسن بن وهب :

ليت شعرى عن ليت شِعرِك هذا * أبهزْلٍ تقولُه أمْ بجِدِّ ؟
فلئِنْ كان ما تقولُ بجِدٍّ * يا ٱبن وهبٍ لقد تفتَّيْتَ بعدى
وتشبَّهْتَ بى وكنتُ أرى * أنّى أنا الهائمُ المتيَّمُ وحْدى
٥ لا أرى القصدَ فى الأمورِ، ولولا * غَمراتُ الصبا لأبصرْتَ قصدى
سيِّدى سيدى، ومولاىَ مَن أل * بسنى ذِلَّةً وأخلفَ وعدى
لا أُحِبُّ الذى يلومُ وإنْ كا * ن حريصاً على صلاحى ورُشْدى
وأحبُّ ٱلأخَ المُشارِكَ فى الحبِّ * وإنْ لم يكن به مثلُ وجدى
كصديقى أبى علىٍّ وحاشا * لِصديقى مِن مثلِ شِقْوةِ جَدِّى
١٠ إنّ مولاىَ عبد عبدى ولولا * شُؤْمُ جَدِّى لَكان مولاى عبدى

فلما التقى ابن الزيات الوزير وكاتبه الحسن بن وهب فى بيت الديوان ، تداعبا فى ذلك ، وسأله ابن الزيات أن يتجافى له عنه ، فقال له الحسن : طاعتك واجبة فى المحبوب والمكروه ، ولكن الرئيس أدام الله عزه كان أولى بالفضل ! فقال له ابن الزيات : هيهات ، هذه علة نفسانية تؤدى إلى التلف ، فتنحَّ عن نصيبك
١٥ منى ! فقال الحسن : إن كان هذا هكذا سمعنا وأطعنا ، وأنشد :

شهيدى على مافى فؤادى منَ الهوى * دُموعٌ تُبارِى المستهلَّ منَ القَطْرِ
فأسلَمَنى مَنْ كان بالأمسِ مُسعِدى * وصار الهوى عُوناً علىّ مع الدّهر

المتوكل وعلى بن الجهم

قال علىّ بن الجهم : دخلت يوما على المتوكل ، فقال : يا على ! قلت : لبيك أمير المؤمنين . قال : دخلت الساعة إلى قبيحةَ ، وقد كتبت على خدّها بالمسك
٢٠ اسمى ، فوالله مارأيت سوادا فى بياض أحسنَ منه فى ذلك الخد ؛ فقل فيه شعرا . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أمظلومةٌ معى ؟ قال : نعم . ومظلومة خلف الستارة ، فدعت بدواة وبدرتْ بالقول ، فقالت :

وكاتبةٍ بالمسكِ فى الخدّ « جعفراً » * بنفسى مَخطُّ المسكِ من حيثُ أثّرَا

لئن أَوْدعتْ سطراً من المسكِ خدّها * لقد أَودعتْ قلبي من الحبِّ أَسْطُرا
فيامنْ لمملوك تَملّك مالكا * مُطيعاً له فيما أَسَرّ وأظهرا
ويامنْ مُناها فى السرائر جعفر * سَقَى اللّه من صوْب الغمامةِ جعفرا

قال : وأُفحِمْتُ فلم أنطق ، وتغلبت على خواطرى فما قدرت على حرف أقوله ، فضحك أمير المؤمنين . ٥

الأصمعى والرشيد

الأصمعى قال : دخلت على هارون أمير المؤمنين ، وبين يديه جارية حسناء عليها لِمّة جعدة ، وذؤابة تضرب الحِقو منها ، وهلال بين عينيها مكتوب عليه بالذهب : هذا ما عمل فى طراز الله ! فقال : يا أصمعى ، صفها . فأنشأت أقول :

كِنانيّةُ الأطراف سعْديّة الحشا * هلاليّةُ العيْنيْن طائيّة الفَمِ
لها حكم لقمان ، وصورةُ يوسفٍ * ونغْمةُ داودٍ ، وعِفّة مريم ١٠

فقال : أحسنت والله يا أصمعى ؛ فهل عرفت اسمها ؟ قلت : لا يا أمير المؤمنين فقال اسمها دنيا . فأطرقت ساعة ثم قلت .

إنّ دُنيا هى التى * تَملِك القلبَ قاهرَهْ
ظلموها شطر آسمِها * فهْى دُنيا وآخرهْ

قال الأصمعى : فأمر لى بعشرة آلاف درهم . ١٥

الرشيد وإسحاق الموصلى

إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال : دخلت على الرشيد ، وعنده جارية ، قد أهديت له ، ماجنةٌ شاعرة أديبة ، وبين يديه طبق فيه ورد ، فقال لى : أما ترى حُسن هذا الورد ونضرة لونه ؟ قلت : بلى والله حُسْنَ ذلك يا أمير المؤمنين . قال : قل فيه بيتاً يشبهه . فأطرقت ساعة ، ثم قلت :

كأنه خدُّ مَوْمُوق يُقبِّلُه * فمُ الحبيب وقد أبدى به خَجَلا ٢٠

فاعترضتنى الجارية فقالت :

كأنه لونُ خدّى حين تدفعُنى * كفُّ الرشيد لأمر يوجب الغُسلا

فقال الرشيد : قم يا إسحاق ، فقد حرّكتنى هذه الفاسقة !

وحدثنا أيضاً قال : كان هارون الرشيد جالسا بين جاريتين من جواريه ، فقال لهما : من يبيت عندى هذه الليلة منكما ؟ فقالت إحداهما : أنا ! فقالت الأخرى : لا ، بل أنا ! فقال للأولى : ما حجتك فيما ادعيت ؟ قالت : قول الله : ﴿ والسّابقونَ السّابقونَ أُولئك المقرّبونَ ﴾ ثم قال للثانية : وما حجتك أنت ؟
٥ قالت : قول الله : ﴿ وللآخرةُ خيرٌ لك من الأُولى ﴾ ! فقال : لتقل كل واحدة منكما شعراً فى الغزل ، فمن كانت أرقّ شعراً باتت عندى . فقالت الأولى :

أنا التى أمشى كما يمشى الوَجِى * يكاد أن يَصْرَعَنى تَغَنُّجى

من جنةِ الفردوْس كان مخْرجى

وقالت الأخرى :

١٠ أنا التى لم يَر مثــلى بشَرُ * كلامىَ اللُّؤلؤ حين يُنثَر

أسْحَر من شئتُ ولست أُسحَر * إن سمع الناس كلامى كفروا

فقال لهما : قد أحسنتما وأجدتمـا ، وما لواحدة منكما فضيلة على صاحبتها ، ولكن أبيت بينكما !

الرشيد بين جاريتين

أخبرنا أبو الطيب الكاتب أن أمير المؤمنين هارون الرشيد كان ليلة بين
١٥ جاريتين : مدنية ، وكوفية ؛ فجعلت الكوفية تغمز يديه ، والمدنية تغمز رجليه ، فجعلت المدنية ترتفع إلى فخذيه ، حتى ضربت بيدها إلى متاعه ، وحرّكته حتى أنعظ . فقالت الكوفية : نحن شركاءك فى البضاعة ، وأراك قد انفردت دوننا برأس المال وحدك ، فأنيلى منه ! فقالت المدنية : حدثنى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه قال : « من أحيا أرضاً مواتاً فهى له ولعقبه » ! قال : فاستغفلتها الكوفية ودفعتها ، ثم
٢٠ أخذته بيديها جميعاً وقالت : حدثنا الأعمش عن خيثمة عن ابن مسعود أنه قال : « الصيد لمن صاده لا لمن أثاره » !

المتوكل وجارية

أخبرنا الأنطاكى : أن المتوكل طلب من محمود الوراق جارية مغنية ، وأعطاه بها عشرة آلاف درهم ، فأبى فلما مات محمود اشتراها من ميراثه بخمسة آلاف ،

وقال لها : كنا أعطينا مولاك بك عشرة آلاف ، وقد اشتريناك من ميراثه بخمسة آلاف ! قالت : ياأمير المؤمنين ، إذا كانت الخلفاء تتربّص بلذاتها المواريث فسنُشتَرى بأرخص مما اشتريت !

الرشيد يقامر جاريته

أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال : لاعب هارون الرشيد جارية من جواريه على إمرة مطاعة ، فقمرتْه . فقال لها : تمنّى ! قالت : تقوم فتقطع ٥ فردا . فقام فقضى فيها وطره ، ثم لاعبها فقمرته ، فقال لها : تمنّى ! فقالت : تقوم فتقطع فردا . فقام فقضى فيها وطره ، ثم لاعبها فقمرته ، فقال لها : تمنى ! فقالت : المعاودة ، فغشيها ، ثم لاعبته فقمرته . فقالت : قم لميعادك ! فقال : لا أقدر على ذلك ! قالت : فاكتب لى به عليك كتابا آخذ به متى شئت ! قال : ذلك لك . فدعت بدواة وقرطاس ، ثم كتبت : « هذا كتاب فلانة على مولاها ١٠ أمير المؤمنين : إن لى عليك قرضاً آخذك به متى شئت وأنى شئت من ليل أو نهار ... وكان على رأسها وصيفة ، فقالت : تزيّدى فى الكتاب ، فإنك لا تأمنين الحدثان ؛ ومن قام بهذا الذكر حق قيامه فهو ولىُّ ما فيه ! فضحك الرشيد حتى استلقى على فراشه ، واستظرفها ، وأمر بأن تنزل مقصورة وأن يُجرى عليها رزقٌ سنىّ ، وشغف بها ، ويقال : إنها مراجل أم المأمون . ١٥

بين الأمين وجلسائه

تنفس محمد بن هارون الأمين يوما فى مجلسه أيام الحصار ، فالتفت إلى جليس له — وهو محمد بن سلّام صاحب المظالم — فقال له : ويحك يا محمد ! أتراني ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ذكرت قول الشاعر :

ذكَر الهوى فتنفّس المُشتاق * وبدا عليه الذُّلُّ والإطراقُ
يامن يُصيِّرُنى لأصبر بعده * الصبر ليس يُطيقُه العشاق ٢٠

فقال : لا والله مانكأتها . ثم التفت إلى جليس له آخر . فقال : ويحك ! أتراني ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ذكرت قول ابن الأحنف :

تذكرتُ بالريْحان منك شمائلا * بالراح عذباً من مُقبَّلك العذب

فقال : لا والله ما نكأتها . ثم التفت إلى كوثر الخادم ، فقال : ويحك ، أتراني ؟
فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، ذكرت قول ابن نفيلة الغساني :

إن كان دهرُ بنى ساسان فرّقهم * فإنما الدهرُ أطوارٌ دهاريرُ
وربما أصبحوا يوماً بمنزلةٍ * تهاب صولتَها الأُسْدُ المهاصير

٥ قال : صدقت !

على بن الجهم وجارية

وكتبت جارية علىّ بن الجهم له رقعة ، فأجاب فيها :

ما رُقعةٌ جاءتْك مختومة * كأنها خدٌّ على خد
تبدو سَوَاداً فى بياضٍ كما * ذُرّ فتيتُ المسكِ فى الوردِ
ساهمةُ الأسطر مصروفة * عن جهةِ الهزل إلى الجدّ
١٠ يا كاتباً أسلَمنى عَتْبُه * إليه حسْبى منك ما عندى

وكتبت أيضا :

قلبٌ يُملُّ على لسانٍ ناطق * ويدٌ تخُطُّ رسالةً من عاشقِ
مُزج المدادُ بعبرة شهِدتْ له * من كلّ جارحةٍ بقلبٍ صادقِ
فيمينُه تحكى الوسادَ ، لخدّه * ويسارُه فوق الفؤاد الخافق

المهدى وجارية

١٥ أهدتْ جاريةٌ من جوارى المهدى تفاحة إلى المهدى مطيّبة وكتبت فيها :

هديّةٌ منى إلى المهدِى * تفّاحةٌ تُقطف من خدّى
مُحَمّرةٌ مُصفَرةٌ طيّبت * كأنها من جنةِ الخلد

فأجابها المهدى :

تُفاحةٌ من عند تُفاحةٍ * جاءت ، فماذا صَنعتْ بالفؤادْ
٢٠ واللهِ ما أدرى أأبصرْتُها * يقظانَ ، أم أبصرتها فى الرُّقادْ

مدام جارية المازنى

وكتب بعض الكتّاب إلى مُدام ـ جارية المازنى ـ وبعث إليها بقنينة من مُدام :

قل لمن يملك الفؤا * دَ وإن كان قد مُلِكْ

قد شربناك مُدَّةً * وبعثنا إليك بِك

وقال على بن الجهم : دخلت على أبى عثمان المازنى ، وعنده جارية كأنها شقّة قمر ، وبيدها تفاحة معضوضة ؛ فقالت : عرفتَ ما أراد الشاعر بقوله :

خـبّرينى من الرسول إليكِ * وآجعليه مَن لا ينمّ عليكِ

قلت : ما أعرفه . قالت : هو هذه . ورمَتْ إلى بالتفاحة ؛ فوالله ما وجدت لها جوابا من نظير كلامها . ٥

الحسن بن وهب

وقال شيخ من أهل البصرة : لقيت الحسن بن وهب ؛ فأردت أن أمتحن سلامة طبعه — ومعى تفاحة — فأريته إياها وسألته أن يصفها ؛ فقال لى : نحن على طريق ، ولكن ملْ بنا إلى المسجد . فملنا إليه ، فأخذها وقلبها بيده ، وقال : ١٠

يارُبَّ تفاحةٍ خلَوْتُ بها * تُشعِلُ نارَالهوى على كبدى

قد بِتُّ فى ليلتى أُقلّبُها * أشكو إليها تطاوُلَ الكمدِ

لو أنّ تفاحة بكتْ لبكت * من رحمةٍ هذِه التى بيدى!

عتب جارية على المأمون

وعد المأمونَ جارية أن يبيت عندها وأخلفها الوعد ، فكتبت إليه :

أرقتْ عينى ونامت * عينُ مَن هُنْتُ عليهِ ١٥

إنّ نفسِى فآعذِرَنْها * أصبَحتْ فى راحتيْه

رحِمَ الله رحيما * دلّ عينىّ عليـــه

فلما قرأ رقعتها ضحك ولم يبت ليلتَه إلا عندها .

عتب المأمون على جارية

عتب المأمون على جارية من جواريه وكان كَلِفا بها - فأعرض عنها وأعرضت عنه ، ثم أسلمه الهوى وأقلقه الشوق ، حتى أرسل يطلب مراجعتها ، وأبطأ عليه ٢٠ الرسول ؛ فلما رجع أنشأ يقول :

بعثتُكَ مرتادا ففُزتَ بنظرةٍ * وأغفلتَنى حتى أسأتُ بك الظنّا

وناجيتَ مَن أهوى وكنتُ مقرَّبا * فياليت شعرى عن دُنُوّكَ ما أغنى

وَنَزّهتَ طرفا فى محاسِنِ وجهِها * ومتّعْتَ باستظرافِ نغْمتها أذْنا
أرى أثراً منها بعينيْكَ لم يكن * لقدسَرقتْ عيناكَمن وجهِهاحُسنا!
فيا ليتنى كنتُ الرسولَ وكنتَنى * وكنتَالذى يُقصىوكنتُأناالمدْنى

ثم إن المأمون أقبل مسترضيا لها ، فسلم عليها فلم تردّ عليه السلام ، وكلمها
٥ فلم تجبْهُ ، فأنشأ يقول :

تكلَّمْ ، ليس يُوجِعُكَ الكلامُ * ولا يُؤْذى محاسنَكَ السلامُ
أنا المأمونُ والمَلكُ الهُمام * ولكنى بحبِّـــكَ مستَهام
يَحقُّ عليـــكِ أن لا تَقْتلينى * فيبقَى النّاسُ ليس لهم إمام !

امرأة عمر بن عبد العزيز

كتبت امرأةُ عمر بن عبد العزيز إلى عمر لمـا اشتغل عنها بالعبادة :

١٠ ألا يا أيهـا الملِكُ الذى قد * سَبَى عقلى وهامَ به فؤادى
أراكَ وسِعْتَ كل الناسِ عدلا * وجُرْتَ على من بينِ العبادِ
وأعطيتَ الرعيّة كلّ فضلٍ * وما أعطيتَنى غـيرَ السُّهاد !

فصرف وجهَه إليها .

الرشيد وزبيدة وجارية

قعد الرشيد يوما عند زبيدة . وعندها جواريها ، فنظر إلى جارية واقفة
١٥ عند رأسها ، فأشار إليهـا أن تقبِّله ، فاعتلّت بشفتيها ، فدعا بدواة وقرطاس
فوقع فيه :

قبّلْتُهُ من بعيدٍ * فاعتلّ من شفتَيْهِ

ثم ناولها القرطاس ، فوقعت فيه:

فـا بَرَحتُ مكانى * حتى وثبتُ عليه!

٢٠ فلما قرأ ما كتبت استوهبها من زبيدة ، فوهبتها له ، فمضى بها وأقام معها أسبوعا
لا يُدرى مكانُهما ، فكتبت إليه زُبيدة :

وعاشـقٍ صبّ بمعشوقِه * كأنمـا قلباهما قلبُ
روحاهما روحٌ ونفساهما * نفسٌ ،كذا فليكن الحبُّ

الأمين ووعد جارية

حدث أبو جعفر قال : بينا محمد بن زبيدة الأمين يطوف فى قصره ، إذ مر بجارية له سَكْرى ، وعليها كساء خزّ تسحب أذياله ، فراودها عن نفسها ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أنا على ماترى ، ولكن إذا كان فى غدٍ إن شاء الله !

فلما كان من الغد مضى إليها فقال لها : الوعد ! فقالت يا أمير المؤمنين ، أما علمت أن كلام الليل يمحوه النهار ؟ فضحك وخرج إلى مجلسه فقال : من بالباب من شعراء الكوفة ؟ فقيل له : مصعب ، والرقاشى ، وأبو نواس . فأُمر بهم فأدخلوا عليه . فلما جلسوا بين يديه قال : ليقل كل واحدٍ منكم شعراً يكون آخره

* كلام الليل يمحوه النهار *

فأنشأ الرقاشى يقول :

متى تَصْحو وقلبُك مُستطارُ * وقد مُنعَ القرارُ فلا قرارُ
وقد تَركْتَــكَ صَبًا مستهاماً * فتاةٌ لاتزورُ ولا تُزار
إذا آستنجزْتَ منها الوعدَ قالت * كلامُ اللــيل يمحوه النهار

وقال مصعب :

أتعذلُنى وقلبُـكَ مستطارُ * كئيبٌ لايقِرُّ له قرارُ
بحبِّ مليحةٍ صادت فؤادى * بألحاظ يُخالطها آحورار
ولمـا أن مَدَدْتُ يدى إليها * لألمِسها بدا منهـا نِفار
فقلتُ لها عِدينى منكِ وعداً * فقالت : فى غد منك المزار
فلما جئتُ مُقتضِيا أجابت : * كلام اللـيل يمحوه النهار

وقال أبو نواس :

وخوْدٍ أقبلتْ فى القصرِ سَكْرى * ولـكن زيّنَ السُّكر الوقارُ
وهزَّ المشىُ أردافا ثِقـــالا * وغُصنا فيـــه رُمانٌ صغار
وقد سقَط الرِّدا عن منكبيْها * من التخميشِ وآنحلَّ الإزار

فقلتُ الوعدَ سيِّدتى ، فقالت : * كلامُ الليـــل يمحوه النهار

فقال له : أخزاك الله ! أكنتَ معنا ومطلعا علينا ؟ فقال يا أمير المؤمنين عرفت ما فى نفسك ، فأعربتُ عمـا فى ضميرك . فأمر له بأربعة آلاف درهم ، ولصاحبيه بمثلها.

القصاص فى القبلة

٥ وقال بعض الورّاقين :

غضِبْتِ من قبلة بالـكرْهِ جُدت بها * فها أنا جئت فاقتصِّيه أضعافا

لم يأمُرِ الله إلا بالقصـــاص فلا * تستجْورِى ما رآه الله إنصافا !

بين الرشيد ومارِدة

عتبت ماردة على هارون الرشيد ، فكانت تظهر له الكراهة وتضمر المحبة ، فقال فيها :

١٠ تبدى صُدوداً وتخفى تحته صلةً * فالنفسُ راضيةٌ والطَّرْفُ غضبانُ

يامَن وضعتُ له خدِّى فذَلَّلهُ * وليس فوقى سوى الرحْمٰنِ سُلطانُ

حديث الحسن بن هانئ مع الأسود

أبو بكر الورّاق قال : قال الحسن بن هانئ : حججتُ مع الفضل بن الربيع ، حتى إذا كنا ببلاد فزارة ـ وذلك إبّان الربيع ـ نزلنا منزلا بإزاء ماء لبنى تميم ،

١٥ ذا روض أرِيض ، ونبتٍ غريض ، تخضع لبهجته الزرابى المبثوثة ، والنمـارق المصفوفة ، فقرّت بنضرتها العيون ، وارتاحت إلى حسنها القلوب ، وانفرجت لبهائها الصدور ، فلم نلبث أن أقبلت السماء فانشق غمامها ، وتدانى من الأرض رُكامُها ، حتى إذا كانت كما قال أوس بن حجر حيث يقول : [1]

دانٍ مُسفٌّ فويقَ الأرض هَيدبُهُ * يَكاد يَدفعه مَن قام بالراح

٢٠ همت برِذاذ ، ثم بِطش ، ثم برش ، ثم بوابل ، ثم أقلعت وقد غادرت الغدران مترعة تتدفق ، والقيعان تتألق ، رياض مونقة ، ونوافح من ريحها عبقة فسرّحتُ طرفى راتعا منها فى أحسن منظر ، ونشقت من رباها أطيب من المسك الأذفر .

(١) ينسب هذا البيت لعبيد بن الأبرص

قال : فلما انتهينا إلى أوائلها ، إذا نحن بخباء على بابه جارية مشرقة ، ترنو بطرف مريض الجفون ، وسْنان النظر ، أشعرتْ حماليقه فترةً وملئت سحرا ، فقلت لزميلى : استنطقها . قال : وكيف السبيل إلى ذلك ؟ قلت : استسقها . فاستسقاها ، فقالت : نعمْ ونُعْمَى عيْن ، وإن نزلتم ففى الرحب والسعة !

ثم مضت تتهادى كأنها خوط بان ، أو قضيب خيزران ، فراعنى ما رأيت منها ؛ ثم أتت بالماء فشربت منه ، وصببت باقيَه على يدى .

ثم قلت : وصاحبى أيضاً عطشان ! فأخذتِ الإناء فذهبت ، فقلت لصاحبى : من الذى يقول :

إذا بارك اللهُ فى ملْبس * فلا بارك اللهُ فى البُرقع

يُريك عيونَ الدُّمَى غِرّةً * ويكشفُ عن منظرٍ أشنع

قال : وسمعتْ كلامى ، فأتت وقد نزعت البرقع ولبست خماراً أسود ، وهى تقول :

ألا حَىِّ ربعىْ معشرٍ قد أراهما * أقاما ، فما أن يعرفا مُبْتغاهما

هما آستَسقَيا ماءً على غير ظمأةٍ * ليسْتمتعا باللّحظ ممن سقاهما

فشبّهت كلامها بعقد درّ وَهَى فانتثر ، بنغمة عذبة رقيقة رخيمة ، لو خوطب بها صمّ الصلاب لانبجست ، مع وجه يُظلم من نوره ضياء العقول ، وتَتلف من روعته مُهج النفوس ، وتخف فى محاسنه رزانة الحليم ، ويَحار فى بهائه طرْف البصير ؛ فرقت وجلت ، واستبطرت وأكملت ، فلو جُنّ إنسان من الُحسن جُننت ؛ فلم أتمالك أن خررتُ ساجداً فأطلتُ من غير تسبيح .

فقالت : ارفع رأسك غير مأجور ؛ لا تذمّ بعدها برقعا ، فلربما انكشف عما يصرف الكرى ، ويحلّ القُوى ، ويُطيل الجوى ، من غير بلوغ إرادة ، ولا دَرك طَلِبة ، ولا قضاء وطَر ؛ ليس إلا للحَين المجلوب ، والقدَر المكتوب ، والأمل المكذوب !

فبقيت والله معقولَ اللسان عن الجواب ، حيران لا أهتدى لطريق ، فالتفتَ إلىّ صاحبي فقال : ماهذا الجهد بوجه برقتْ لك منه بارقة لا تدرى ما تحته ؟ أما سمعت قول ذى الرمّة :

على وجه ميّ مسْحة من ملاحةٍ * وتحت الثياب العارُ لو كان باديا !

٥ فقالت : أمّا ما ذهبتَ إليه فلا أبالك ، والله لأنا بقول الشاعر :

مُنعّمة حوْراء يجرى وِشاحُها * على كشْحٍ مُرتجّ الروادف أهضَمِ

لهـا أثرٌ صافٍ وعين مريضــة * وأحسن إيمـاءٍ وأحسن مِعصم

خزاعيّة الأطراف سعديّة الحَشا * فزاريّة العينيْن طائيّـــة الفم

... أشبه من قولك الآخر ، ثم رفعت ثيابها حتى بلغتْ بها نحرها .

١٠ وجاوزت منْكبيها ، فإذا قضيب فضة قد أُشرب ماء الذهب ، يهتز مثل كثيب نقا ، وصدر كالوذيلة عليه كالرمانتين ، وخصر لو رُمت عقده لانعقد ، منطوى الاندماج ، على كفل رجراج ، وسرّة مستديرة ، يقصر فهمى عن بلوغ نعتها ، من تحتها أرنب جاثم ، جبهته أسد خادر ، وفخذان مدملجان ، وساقان خَدَلَّجان يخرسان الخلاخيل ، وقدمان كأنهما لسانان .

١٥ ثم قالت : أعاراً ترى لا أبالك ؟

قلت : لا والله ، ولكن سبب القدَر المُتاح ، ومقرّبى من الموت الذباح ، يضيق على الضريح ، ويتركنى جسداً بغير روح !

فخرجتْ عجوز من الخباء فقالت له : آمض لشأنك ، فإن قتيلها مطلول لا يودَى ، وأسير مكبول لا يُفدى !

٢٠ فقالت لها : دعيه ، فإنّ له مثل قول غيلان :

وإن لم يكن إلا تعلّل ساعةٍ * قليلا فإنى نافعٌ لى قليلها

فولّت العجوز وهى تقول :

وما نلتَ منها غيرَ أنك ناكحٌ * بعينيك عينيها وأيْرُك خائبُ

فنحن كذلك حتى ضرب الطبل للرحيل ، فانصرفتُ بكمد قاتل ، وكرب خابل ، وأنا أقول :

يا حسْرتا مما يُجِن فؤادى * أزِفَ الرحيل بِعَبْرتى وبعادى

فلما قضينا حجنا وانصرفنا راجعين ، مررنا بذلك المنزل وقد تضاعف حُسنه ، وتمتْ بهجته ؛ فقلت لصاحبى : آمض بنا إلى صاحبتنا ! ٥

فلما أشرفنا على الخيام ، وصعدْنا ربوة ونزلنا وهدة ، إذا هى تتهادى بين خمس ما تصلح أن تكون خادما لأدناهن ، وهنّ يجنين من نَوْر ذلك الزهر .

فلما رأيننا وقفنا وقلنا : السلام عليكنّ . فقالت من بينهنّ : وعليك السلام ، ألست صاحبى ؟ قلت : بلى ! قلن : وتعرفينه ؟ قالت : نعم ! وقصت عليهنّ القصة ما خرمت حرفا . ١٠

قلن لها : ويحك ! مازودتيه شيئا يتعلل به ! قالت : بلى زودته لحداً ضامرا ، وموتا حاضرا !

فانبرت لها أنضرهنّ خدا ، وأرشقهن قدا ، وأسحرهنّ طرفا ، وأبرعهنّ شكلا ؛ فقالت : والله ما أحسنت بدءا ، ولا أجملت عودا ، ولقد أسأت فى الردّ ، ولم تكافئيه على الودّ ؛ فما عليك لو أسعفتيه بطلبته ، وأنصفتيه فى مودّته ، وإنّ المكان لخال ، وإن معك من لا ينم عليك ؟ ١٥

فقالت : أما والله لا أفعل من ذلك شيئاً أو تشركينى فى حلوه ومره !

قالت لها : تلك إذاً قسمة ضِيزى . تعشقين أنت وأُناك أنا !

قالت أخرى منهنّ : قد أطلتن الخطاب فى غير أدب ، فسَلن الرجل عن نيته ، وقصده وبغيته ، فلعله لغير ما أنتن فيه قصَد . ٢٠

فقلن : حيّاك الله وأنعم بك عينا ! ممن تكون ؟ وممن أنت ؟ وما تعانى ؟ وإلام قصدت ؟

فقلت : أمّا الاسم فالحسن بن هانئ ، من اليمن ، ثم من سعد العشيرة ؛

وخير شعراء السلطان الأعظم ، ومن يُدنّى مجلسه ؛ ويُتّقى لسانه ، ويُرهب جانبه ؛ وأمّا قصدى فتبريد غلة ، وإطفاء لوعة قد أحرقت الكبد وأذابتها !

قالت : لقد أضفتَ إلى حُسن المنظر كرم المخبر ، وأرجو أن يُبلغك الله أمنيتك ، وتنال بغيتك !

٥ ثم أقبلت عليهنّ فقالت : ما واحدة منكنّ غير ملتمسة مرغّبة ؛ فتعالين نشترك فيه ونتقارع عليه ، فمن واقعتها القرعة منا كانت هى البادئة ! فاقترعن فوقعت القرعة على المليحة التى قامت بأمرى ...

فعلّق إزارٌ على باب الغار ، وأُدخلتُ فيه وأبطأتْ علىّ ؛ وجعلت أتشوّف لدخول إحداهنّ علىّ ، إذ دخل علىّ أسود كأنه سارية ، وبيده شىء كالهراوة

١٠ قد أنعظ بمثل رأس الجنيذ ! قلت : ما تريد ؟ قال : أنيكك ! ثم صحت بصاحبى وكان متأنّياً مع الجوارى ؛ فوالله ما تخلصت منه حتى خرجنا من الغار ، وإذا هنّ يتضاحكن ويتهادين إلى الخيمات !

فقلت لصاحبى : من أين أقبل الأسود ؟ قال : كان يرعى غنما إلى جانب الغار ، فدعونه فوسوسن إليه شيئاً فدخل عليك . فقلت : أتراه كان يفعل بى

١٥ شيئا ؟ فقال : أتراك خلصت منه ! فانصرفت وأنا أخزى الناس .

قال إسماعيل : فقلت : ناكك والله الأسود ! فقال : مالك أبعدك الله ! فوالله لقد كتمت هذا الحديث مخافة هذا التأويل ، حتى ضاق به صدرى فرأيتك موضعاً له ؛ فبحق عليك إن أذعته ! قال إسماعيل : فما فهت به حتى مات .

خبر ذى الرمة

٢٠ قال أبو صالح الفزارى : ذكرنا ذا الرُّمّة ، فقال عصمة بن عبد الملك ـ شيخ منا قد بلغ عشرين ومائة سنة ـ : إياى فاسألوا عنه ؛ كان من أظرف الناس ، آدم ، خفيف العارضين ، حسن الضحك ، حلو المنطق ، وإذا أنشد

جَشّ صوته ، وإذا راجعك لم تسأم حديثه وكلامه .

وكان له إخوة يقولون الشعر ، منهم مسعود ، وهشام ، وأوفى [1] ، وكانوا يقولون القصيدة فيزيد عليها الأبيات فتذهب له .

فجمعني وإياه مُرْتَبَع ، فأتاني يوما ، فقال لي : هيا : [يا عصمة] ؛ إنّ مية مِنقرية ، وبنو منقر أخبث حيّ ، وأقفى للأثر ، فهل عندك ناقة نزدار عليها مية ؟ قلت : والله إنّ عندي الجؤذر . قال : عليّ بها .

فركبنا جميعاً وخرجنا حتى أشرفنا على بيوت الحيّ ، وإذا ببيت مية ناحية ، والقوم خُلوف ، والنساء في الرحال ، فعرفن ذا الرمّة فتقوّض النساء إلى مية ؛ وجئنا ثم أنخنا ، ثم دنونا ، فسلمنا وقعدنا نتحدث ؛ فإذا هي جارية أملود ، واردة الشعر ، بيضاء تغمرها صفرة ، وعليها ثوب أصفر ، وطاق أخضر ؛ فقلن : أنشدنا يا ذا الرمّة ؛ فقال : أنشدهنّ يا عصمة . فأنشدتهنّ :

نظرتُ إلى أظعان ميّ كأنها * ذُرا النخل أو أثلٌ تَميل ذوائبُهْ

فأَعربتِ العينان والصدر كاتم * بمُغرورِقٍ نمّت عليه سواكبُهْ

بُكا وامقٍ خاف الفراق ولم تُجِلْ * جَوائلها أسراره ومَغايبه

فقالت ظريفة منهنّ : لكن الآن فلتجُل . قال : فنظرت إليها مية متكرهة ، ثم مضيت في القصيدة ، حتى انتهيت إلى قوله :

إذا سرحتْ من حُبّ ميّ سوارحٌ * على القلب آبته جميعاً عوازبُه

فقالت [لها] الظريفة : قتلته قاتلك الله ! قالت مية : ما أصحه وهنيئا له ! فتنفس ذو الرمّة تنفساً ظننت معه أنّ فؤاده قد انصدع ؛ ومضيت فيها حتى انتهيت إلى قوله :

وقد حلفتْ بالله ميّة ما الذي * أقول لهـا إلا الذي أنا كاذبُهْ

إذاً فرماني الله من حيث لا أرى * ولا زالَ في أرضي عدوٌّ أحاربُه

(١) الذي في الأغاني أن إخوته : مسعود ، وجرفاس ، وهشام ، وأن أوفى ابن عمه .

فالتفتت إليه [مَيَّةُ] فقالت : خَفْ عواقبَ الله ! ومضيتُ فى القصيدة حتى انتهيت إلى قوله :

إذا راجعتْكَ القولَ مَيَّةُ أو بَدَا * لك الوجهُ منها أو نَضا الثَّوْبَ سالبُهْ

فيالك من خــدٍ أسِيلٍ ومَنطِقٍ * رَخيم ومِن خَلق تَعَلَّلَ جادِبُهْ

٥ فقالت الظريفة : أما هذه فقد راجعتْك ، وقد بدا لك الوجهُ منها ، فمن لك بأن ينضو الدرعَ سالبُه ؟ فالتفتت ميةُ إليها فقالت : قاتلك الله ، ما أنكرَ ما تجيئين به !

فتحدثْنَ ساعة ، ثم قالت الظريفة للنساء : إن لهذين لشأنا ، فقمن بنا [عنهما . فقامت ، وقُمن معها] وقمتُ معهن ؛ فجلست فى بيت أراهما منه ، فما رأيته برح من مقعده ولا قعدته ؛ فسمعتها قالت له : كذبتَ والله ! ولا أدرى ما قال لها .

١٠ فلبثت قليلا ثم جاءنى ومعه قارورة فيها دهن ومعه قلائد ، فقال : هذا دهن طيب أُتحفنا به ، وهذه قلائد للجوذر ؛ ولا والله ما أقلدهن بعيرا أبدا ! وشد بهن ذوائب سيفه ، وانصرفنا ؛ فكنا نختلف إليها حتى انقضى الربيع ودعا الناسَ المصيف ؛ فأتانى فقال : هَيَا عصمة ، رحلتْ ولم يبق إلا الآثار والرسوم من الديار ! وأنشدنى :

١٥ ألا يا آسْلَمِى يا دارَمَىَّ على البِلى * ولا زال مُنْهَلًّا بجرعائِك القَطْرُ

المأمون ويحيى ابن أكثم

خرج المأمون فى يوم عيد وقد ركب الجند أمامه ، ومعه يحيى بن أكثم يضاحكه ويحادثه ، إذ نظر إلى غلام من الجند فى غاية الفراهة ، عليه ثوب حرير أخضر ، وثوب موشّى مزرّر بالذهب ، فالتفت إلى يحيى بن أكثم فقال له : يا يحيى ، ما تقول فى هذه البضاعة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا لقبيحٌ من إمام مثلك

٢٠ مع فقيه مثلى ! قال : فمن الذى يقول :

قاضٍ يرى الحدَّ فى الزّناء ولا * يَرى على من يلوط من باسِ

فقال : دعبل الذى يقول :

ولا أرى الجَور ينقضى وعلى الـ * أمـة والٍ لآل عبـــاس

قال : يُنفى إلى السند ، وإنما داعبناك . ثم أنشأ المأمون يقول :

أيها الراكبُ ثَوبا ه حريرٌ وحديدُ

جئت للعبد وفى وجـ * ـهك للأعين عيد

أنت جندىٌّ ولكنْ ه فيك للحسن جنود

الفضل والأمين

الفضل بن الربيع قال : قعد المخلوع للناس يوما وعليه طيلسان أزرق ، ٥ وتحته لبد أبيض ، فوقّع فى ثمانمائة قصة ، فوالله لقد أصاب فما أخطأ ، وأسرع فما أبطأ ؛ ثم قال لى : يا فضل ، أترانى لا أُحْسِن التدبير والسياسة ، ولكنى وجدتُ شمّ الآس ، وشرْب الكاس ، واستلقاء من غير نُعاس ، أشهى إلىّ من ذلك !

أبو عيسى وأبو نواس

قال ابن قتيبة : خرج أبو عيسى جبريل بن أبى عيسى إلى متنزه له بالقفْص ، ١٠ ومعه الحسن بن هانئ ، فى آخر شعبان ؛ فلما كان اليوم الذى أوفى به الشهر ثلاثين يوما ، قيل له : إن هذا يوم شك ، وبعض أهل العلم يصومه . فقال : لا عليك ، ليس الشك حجة على اليقين ، حدثنا أبو جعفر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته . ثم قال لابن أبى عيسى :

لو شئتَ لم نبرحْ منْ القُفْص ه نشربُها حمراء كالحُصّ ١٥

نسرِق هذا اليومَ من شهرنا ه واللهُ قد يعفو عن اللّصّ !

أبو نواس فى مجلس شراب

وذكروا أن أبا عيسى خرج إلى القفص متنزها ومعه الحسن بن هانئ ، فحمله وخلع عليه ، فأقام فيها أسبوعا ، ثم قال له : بحياتى صف مجلسنا والأيام كلها . فقال فى ذلك :

يا طِيبنا بقصورِ القُفْصِ مُشْرِفةً ه بها آلدَّساكِرُ والأنهارُ تَطَّرِدُ ٢٠

لَما أخذنا بها الصَّهْباء صافيةً ه كأنّها النارُ وسْطَ الكأسِ تتقِدُ

جاءتْكَ من بيتِ خَمّارٍ بطِينتِها ه صَفراءَ مثلَ شُعاعِ الشمسِ تَرْتعِدُ

وقام كالبدْرِ مشدوداً قَراطِقُهُ ه ظبىٌ يكادُ من التَّهْييفِ يَنعقد

فصبّها من فمِ الإبريقِ ، فانبعثتْ * مثلَ اللّسانِ جرى واَستَمسَكَ الجسد
فلم نزلْ فى صباحِ السبتِ نأخذُها * والليلُ يأخذها حتى بَدَا الأحد
واستشرقتْ غُرَّةُ الإثنيْن واضحةً * والجَدْىُ معترِض والطّالِع الأسد
وفى الثلاثاء أعمَلْنا المَطِىَّ بها * صَهْباء ما قَرعَتْها بالمِــزاجِ يد
٥ والأربعاء صفا فيـه النَّعيمُ لنا * والكأسُ تضحكُ فى حافاتِها الزّبَد
ثمّ الخميسُ وَصَلْناه بليْلتِه * وتمّ فيـه لنا بالجمعةِ العدد
يا حُسْنَنا وبِحارُ القَصْف تَغْمُرُنا * فى لجّةِ الليلِ والأوْتارُ تَجتلِدُ
فى مجلسٍ حوْلَهُ الأشجارُ مُحْدِقةٌ * وفى جوانبِـه الأطيارُ تَغترِد
لا نَستخِف بساقِينا لِعــزّتِه * ولا يرُدُّ عليـه حُكمَه أحد
١٠ عند الهُمامِ أبِى عيسى الذى كمُلتْ * أخلاقه ، فهْى كالأوراقِ تُنتقَد

أبو عيشونة الخياط

أبو جعفر البغدادى قال : حدثنا أبو محمد الدمشقى قال : مررت ذات ليلة أيام فتنة المستعين ، والقمر يزهر بباب الشام ، فإذا أنا بشيخ غليظ أصلع نشوان ، قد توشح فى إزار أحمر ، ومال على شقه الأيمن ، وفى يده خوصة يشمها ويقول :

١٥ عشرون ألفَ فتًى ما منهمُ أحدٌ * إلّا كألفِ فتًى مِقدامةٍ بَطَلِ
أضحتْ مَزاودُهمْ مملوءةً نَشَباً * ففرّغوها وأوكَوْها على الأمل

فقلت له : أحسنت ، لله أنت ! فقال : أتحب رقيقة ؟ فقلت : ما أحوجنى إليها . فقال :

إنما هَيّجَ البـلا * يومَ عَضّ السّفرْجَلا
٢٠ وعلا الوردُ وجْنَتَيْـ * ـهِ فأبدى التّخجُّلا
يَفضَحُ البدرَ فى الكما * لِ إذا البدرُ أكملا
ولقد قام لَحْظُ عيْـ * ـنِي على القلبِ بالقِلى

قلت له : أبو مَن أعزك الله ؟ قال : أبو عيشونة الخياط ، شهدت حروب

ابن زبيدة كلها ، وجاريت الفتيان فى غاية كل مَيْدان ، واعترفَ لى كلُّ فاتك ، وأذعن لى كل شاطر ، ونزلتُ تلك الدارَ عشرين سنة ـ وأومأ إلى سجن بغداد ـ ثم تنفس الصعداء ، وقال : أنا الذى أقول :

لى فؤادٌ مُسْتهامُ ＊ وجُفونٌ لا تنـامُ
ودُموعٌ آخِرَالدّهْـ ＊ ـرِ لعيْنَىّ سِجـامُ ٥
وحبيبٌ كلّما خا ＊ طبْتُهُ قال سلامُ
فإذا ما قلتُ زرْنِى ＊ قال لى: ذاكَ حرامُ !

ثم بكى ، فلمـا أفاق قلت : ما يُبـكيك ؟ قال : وكيف لا أبكى ولى حبيب بالبصرة عَلِقْتُهُ وهو ابن سبع عشرة سنة ، ثم غبتُ عنه ثلاثاً وثلاثين سنة ، فلما عيل صبرى خرجتُ إلى البصرة فطفت فى شوارعها حتى رأيتُه ، فـا رأيت ١٠ وجهاً أحسنَ منظراً ولا أزهى منه . ثم أنشأ يقول :

مُرَدَّدٌ فى كَمَـدِه ＊ مُعذّبٌ فى سُهدِهْ
خلا به السُّقْمُ ، فما ＊ أسرعَهُ فى جسدِه
يرحمُـه لِمـا بدَا ＊ من ضُرِّهِ ذوحسدِه

ثم ودعنى ومضيت . ١٥

جارية فى الطواف

وحدث أبو الفضل قال : إنى بالطواف أمام الحجر ، إذ سمعت حنيناً يخرج من بين الأستار ، وإذا بقائل يقول :

عفا الله عمّنْ يَحفظُ الوُدّ جُهدَهُ ＊ ولا كان عفوُ اللهِ للنّاقضِ العهدِ
وضعْتُ على الأستارِ خدِّى ذَليلةً ＊ ليجمعَنى مع منْ وضعتُ له خدِّى

قال : فرفعتُ الأستار ، فإذا جارية منفردة ، كأنهـا شمسٌ تجلت عنها ٢٠ غمامة ؛ فقلت : ياهذه ، لو سألتِ اللهَ الجنة مع هـذا التضرع والبكاء ما حرَمَكِ إياها ! قال : فسترَتْ وجهَها وقالت : سبحان من خلق فسوى ، ولم يهتك العلانيةَ والنجوى ؛ أما والله إنى لفقيرة إلى رحمـةِ ربى ، وقد سألته أكبر

الأمرين عندى ، رجاء فضله ، واتكالا على عفوه ! ثم ولت عنى ، فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم .

مسلم بن عبد الله وزبان

حدث مسلم بن عبد الله بن مسلم بن جندب قال : خرجت أنا وزبّان السواق إلى العقيق ، فلقينا نسوة نازلات من العقيق ، لهن جمال وشارة ، وفيهن جارية حُسّانة العينين ، فلما رآها زبان قال لى : يابن الكرام ، دَمُ أبيك والله فى ثيابها ٥ فلا تطلب أثراً بعد عين ! وأنشد قول [أبيه] أبى مسلم بن جندب :

ألا يا عبادَ اللهِ ، هـذا أخوكم * قتيلٌ ، فهل منكم له اليومَ ثائر ؟

خذوا بدمِى إن متُّ كلَّ مليحةٍ * مريضةِ جَفنِ العيْن والطرْفُ ساحرُ

قال : فقالت لى الجارية : أنت ابن جُندب ؟ قلت : نعم . قالت : فاغتنم ١٠ نفسك واحتسب أباك ؛ فإن قتيلنا لا يُودَى وأسيرنا لا يُفدَى .

عبد الله بن مسلم

الزبير بن بكار عن عبد الله بن مسلم بن جندب قال : قلت :

تعالوْا أعينونى على الليْل إنه * على كل عيْنٍ لا تنام طويل

قال : فطرقنى عيسى بن طلحة ؛ قال : إنى سمعت قولك فجئت أعينُك ! فقلت : يرحمك الله ، أغفلت الإجابة حتى أتى الله بالفرج .

مى صاحبة ذى الرمة

١٥ أبو المهلهل الخزاعى قال : ارتحلت إلى الدهناء ، فسألت عن مىّ صاحبة ذى الرمّة ، فدفعتُ إلى خيمة فيها عجوز هيفاء ، فسلمت عليها وقلت : أين منزل مىّ ؟ فقالت : ها أنا مىّ . فقلت : عجباً من ذى الرمّة وكثرة قوله فيك ! قالت : لا تعجب ، فإنى سأقوم بعذره . ثم قالت : فلانة . فخرجت من الخيمة جارية ناهد عليها برقع ؛ فقالت لها : أسفِرى . فلما أسفرت تحيرت لما رأيت من حسنها وجمالها . فقالت : علقنى ذو الرمّة وأنا فى سنّ هذه ، وكلُّ جديدٍ إلى بِلى . قلت : ٢٠ عذرتَه والله ! واستنشدتُها من شعره ، فأنشدتْنى .

ما يكتب على العصائب وغيرها

أبو الحسن قال : دخلت على هارون الرشيد وعلى رأسه جوار كالتماثيل ، فرأيت عصابة منظمة بالدر والياقوت مكتوباً عليها بصفائح الذهب :

ظلمْتَنى فى الحبِّ ياظالم * واللهُ فيما بيننا حاكم

قال : ورأيت فى عصابة أخرى : ٥

مالى رميْتُ فلم تُصبْك سِهامى * ورميْتَنى فأصبتنى يارامى ؟

قال : ورأيت على أخرى :

* وضْعُ الخدِّ للهوى عزٌّ *

قال : ورأيت فى صدر أخرى هلالا مكتوباً عليه :

أفلتُ من حُور الجِنانِ * وخُلِقتُ فتنةَ من يَرانى ١٠

قال إسحاق بن إبراهيم : دخلت على الأمين محمد ابن زبيدة ، وعلى رأسه وصائف فى قراطق مفروجة ، بِيد وصيفةٍ منهن مِروحةٌ مكتوب عليها :

بىَ طاب العيشُ فى الصيْـــف ، وبى طاب السُّرورُ

مسكِى يَنفى أذى الحـــرِّ إذا اشتد الحَرور

النَّدى والجودُ فى وجـــه أمين الله نور ١٥

مـــلكٌ أســـلَمه الشَّبْـــهُ وأخـــلاه النَّظـــير

وفى عصابة :

ألاَ باللهِ قولوا يا رجال * أشَمْسٌ فى العصابة أم هلالُ

وفى أخرى :

أتَهْوَوْنَ الحياةَ بلا جُنون * فكفُّوا عن مُلاحظة العيونِ ٢٠

وكتبت وردُ جارية الماهانى على عصابتها ، وكانت تجيد الغناء مع فصاحتها وبراعتها :

تمتْ وتم الحُسْن فى وجهها * فكلُّ شىءٍ ما سواها مُحالْ

الناس فى الشهر هلالٌ ولى * فى وجهها فى كلِّ يو م هلالْ

وكتبت فى عصابتها بيتين من شعر الحسن بن هانئ ، وهما :

يارامياً ليس يدرى ما الذى فعلا * عليك عقلى ، فإنّ السهمَ قد قتَلا

أجرَيْتَه فى مجارى الرُّوح من بدنى * فالنفْسُ فى تعَب والقلب قد شُغلا

٥ قال على بن الجهم : خرجت علينا عالج جارية خالصة ، كأنها خوط بان وهى تميس فى رقة ، وعلى طرَّتها مكتوب بالغالية ، وكانت من مُجّان أهل بغداد مع علمها بالغناء :

ياهلالا من القصور تجلَّى * صام طرْفى لمُقلتيْك وصلَّى

لست أدرى أطال ليلى أم لا * كيف يدرى بذاك من يتقلّى

١٠ لو تفرَّغت لاستِطالة ليلى * ولِرَعْى النجوم كنت مُخِلا

قال : وخرجت إلينا مَنال وعليها درع خام ، على جانبه الأيمن مكتوب :

كتب الطرْفُ فى فؤادى كتابا * هو بالشوْقِ والهوى مختوم

وعلى الأيسر مكتوب :

كان طرْفى على فؤادى بلاءً * إنّ طرْفى على فؤادى مَشُومُ

١٥ قال : وكان على عصابة ظبي ، جارية سعيد الفارسى ، مكتوب بالذهب :

العيْنُ قارئةٌ لما كتبت * فى وجْنتىَّ أناملُ الشجَنِ

قال : وحدثنى الحسن بن وهب قال : كتبت شعب على قلنسوة جاريتها شكل :

لم ألق ذا شجن يبوحُ بحبِّه * إلا حسِبْتُك ذلك المحبوبا

حَذراً عليك،وإننى بك واثقٌ * ألّا ينالَ سوايَ منك نصيبا

٢٠ وكتب شفيع ، خادم المتوكل ، على عاتق قبائه الأيمن :

بدرٌ على غُصن نضير * شَرِقٌ الترائبِ بالعبير

وعلى عاتقه الأيسر :

خطّتْ صحيفةُ وجهِه * فى صفحة القمر المنير

وكتبت وصيف ، جارية الطائى ، على عصابتها :

فما زال يشكو الحبَّ حتى حسِبْتُه * تنفّس فى أحشائه وتكلما

فأبكى لديه رحمةً لبُكائه * إذا ما بكى دمعاً بكَيْتُ له دمَا

وكان على عصابة مزاج ، وهى من مواجن أهل بغداد وفُتّاكها :

قالوا عليك دُروعُ الصبر قلت لهم * هيهات إنْ سبيل الصبرِ قد ضاقا ٥

ما يرجع الطرْفُ عنها حين يُبصرها * حتى يعود إليها الطرف مُشتاقا

وكتبت عنان جارية الناطفى على عصابتها :

الكفرُ والسِّحر فى عينى إذا نظرتْ * فاغْرُب بعينَيْك يا مغرور عن عينى

فإنّ لى سيف لحظٍ لست أغمدُه * من صنعةِ الله لا من صنعة القَيْنِ

وكتبت حدائق فى كفها بالحناء : ١٠

ليس حُسْنُ الخِضابِ زيّن كفّى * حُسْن كفّى زيْنٌ لكلِّ خِضابِ

قال : وخرجت علينا جارية حمدان ، وقد تقلدت سيفاً محلى ، وعلى رأسها قلنسوة مكتوب عليها :

تأمّل حُسْنَ جاريةٍ * يَحارُ بوَصفِها البصَر

مُذكَّرة مؤنثةٍ * فهى أنثى وهى ذكر ١٥

وعلى حمائل سيفها مكتوب بالذهب :

لم يكْفِه سيفٌ بعينَيه * يقتُل من شاء بخديه

حتى تردّى مُرْهَفاً صارما * فكيف أبقى بين سيفَيْه

فلو تراه لابساً درعَه * يخطرُ فيها بين صَفّيْه

علِمتُ أنّ السيف من طرْفه * أقتَلُ من سيفٍ بكفيْه ٢٠

وكتبت واجد على منطقة جاريتها منصف الكوفية :

تشكّى من غمزةِ العيْن إذا ما مِشْتُ تنحَلّ

وفؤادى رَقّ حتى * كاد من صدرىَ ينسلّ
بعضُ مابى يَصْدع القلـــبَ . فما ظنُّك بالكل

ومن قولى فيما كتبت على كأس مذهبة :

اشرب على منظرٍ أنيقٍ * وامزُج بريقِ الحبيبِ ريقى
واحلل وشاح الكعابِ رفقاً * واحذرْ على خصْرِها الدقيقِ ٥
وقل لمن لامَ فى التّصابى * إليك خلِّ عن الطريق

صريع الغوانى — وقف صريع الغوانى بباب محمد بن منصور فاستسقى ، فأمر وصيفاً له فأخرج إليه خمراً فى كأس مذهبة ، فلما نظر إليها فى راحته قال :

ذهبٌ فى ذهبٍ را * حَ بها غصنُ لُجَيْنِ
فأتت قُرَّةَ عيْنى * مِن يدىْ قُرةِ عيْنِ ١٠
قمر يحمل شمساً * مرحباً بالقمريْن
لا جَرَى بينى ولا بيـــنَهُما طائرُ بيْن
وبقِينـا ما بقِينـا * أبداً مُتفِقــيْن
فى غَبوقٍ وصَبوحٍ * لم نَبِعْ نقداً بديْن

١٥ محمد بن إسحاق قال : حدثنى أحمد بن عبد الله قال : رأيت على مروحة مكتوباً :

الحمد لله وحـدَهْ * وللخليفةِ بعـدَهْ
وللمحبِّ إذا ما * حبيبُه بات عنده

وقال : ورأيت فى مجلس سريراً مكتوباً عليه بالذهب :

أشهى وأعذبُ مِن راحٍ ومن وَرْد * إلفانِ قد وَضعا خداًّ على خدّ
٢٠ وضمّ أحدهما أحشاء صاحبِه * حتى كأنهما للقربِ فى عِقْد
هذا يبوح بما يلقاه من حَزَنٍ * وذاك يُظهِر مايخفى من الوجْد

وفى عصابة أخرى :

وإن يَحجُبوها بالنهار فمَنْ لهم * بأن يَحجُبوا بالليل عنى خيالهـا

قال أبو عبيدة : ورأيت [جارية] على جبينها مكتوبا :

كَتَبتْ فى جبينهـــا * بعبـــير على قَمَرْ

فى سُطور ثلاثةٍ : * لعنَ اللهُ مَن غَدَرْ

وتناولتُ كفَّها * ثم قلت اسمعى الخبَر

كلُّ شىء سوى الخيا * نةِ فى الحبِّ يُغتفر

قال الأصمعى : رأيت على باب الرشيد وصائفَ على عصابة واحدة منهن مكتوبا :

نحنُ حورٌ نَواعِمٌ * من أراضٍ مقدسهْ

أحسنَ الله رزقَنا * ليس فينا مُنحسه

فاتق الله يافـــتى * لا تَدَعْنى مُوسوَسه

الكرمانى والمأمون

وقال أبو جعفر الكرمانى يوما للمأمون : أتأذن لى فى دعابة ؟ قال : هاتها ويحك ، فما العيش إلا فيها ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إنك ظلمتنى وظلمت غسان ابن عباد . قال : وكيف ذلك ويلك ؟ قال : رفعت غسان فوق قدره ، ووضعْتنى دون قدرى ، إلا أنك لغسان أشدُّ ظلما . قال : وكيف ؟ قال : لأنك أقمته مقام هر ، وأقمتنى مقام رَخَمه . فاستظرف ذلك منه ورفع درجته . ٥

بين عطاء وعبد الملك

أبو زيد قال : كان عطاء بن أبى رباح مع ابن الزبير ، وكان أملح الناس جوابا فلما قتل ابن الزبير أمّنه عبد الملك بن مروان ، فقدم عليه فسأل الإذن ، فقال عبد الملك : لا أريده يُضحكنى ، قد أمّنته فلينصرف .

قال أصحابه : فنحن نتقدم إليه ألا يفعل . فأذن له عبد الملك ، فدخل وسلم عليه وبايعه ، ثم ولّى ، فلم يصبر عبد الملك أن صاح به : يا عطاء ، أما وجدت أمك اسما إلا عطاء ؟ قال : قد والله استنكرتُ من ذلك ما استنكرتَه يا أمير المؤمنين لو كانت سمتنى باسم المباركة صلوات الله عليها مريم ! فضحك عبد الملك ، وقال : اخرج . ٢٠

هارون ولاعب شطرنج

لعب رجل بين يدى هارون بالشطرنج ، فلما رآه قد استجاد لعبَه وفاوضه

أيرُ ذا يُنعِظ للنَّيـ * ـكِ وذا رخْوُ العنان
لو بهـذا عفَّ هذا * لاستراح الثَّقَلان

لبشار على لسان حمار

محمد بن الحجاج البزّاز ـ وكان راوية بشار ـ قال : قال بشار ذات يوم ، وهو يعبث ، وكان مات له حمار قبل ذلك ، قال : رأيت حمارى البارحةَ فى النوم ، فقلت له : ويلك ! مالك مُتَّ ؟ قال : إنك ركبتنى يوم كذا وكذا ، فمررنا على باب الأصبهانى ، فرأيت أتانا عند بابه ، فعشقتها فمت ! وأنشد :

سيِّدى خُذْ لى أمانًا * من أتانِ الأصبهانِى
إنّ بالبـابِ أتانًا * فضَلتْ كلَّ أتانِ
تيَّمتْنى يومَ رُحْنا * بثَناياهـا الحِسان
وبغُنْـجٍ ودَلالٍ * سلَّ جسمى وبَرانى
ولهـا خـدٌّ أسيلٌ * مثلُ خدِّ الشّيْقُران
فبِها متُّ ولو عِشـ * ـتُ إذاً طال هَوانى !

١٠

فقال له رجل من القوم : يا أبا معاذ ، ما الشيقران ؟ قال : هو شىء يتحدّث به الحمير . فإذا لقيت حماراً فاسأله .

لأعرابى

١٥ وقيل لأعرابى وهو واقف على ركيّة مالحة : كيف هذا الماء ؟ قال : يخطئ القلب ، ويصيب الاست .

نادرة شارب

وأُخذ رجلٌ شرب ، فأتى به الوالى فقال : استنكهوه . فقالوا : إن نكهته لا تُبين عنه . قال : فقيِّئوه . فقال الشارب : فإن لم أقئْ شراباً فمن يضمن لى عَشائى ؟

بين أعرابيين

رافق أعرابى أعرابيا فى سفر فقال : أنا والله أشتهى كَشْكِيَّة . ومدّ بها صوته فضرط ، فقال له صاحبه : ما نَفَخَتْك يا بن عمّ ! ٢٠

الأحدب الآدر

أبو الخطاب قال : كان عندنا رجل أحدب فسقط فى بئر فذهبت حدبتُه وصار آدَر ، فدخلوا ليهنئوه ، فقال : الذى جاء شرٌّ من الذى ذهب .

قيل لأشعب : لو أنك حفظت الحديث حِفظَك هذه النوادر لكان أولى بك .
قال : قد فعلت : قالوا له : فما حفظت من الحديث ؟ قال : حدثنى نافع عن ابن
عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من كان فيه خصلتان كُتب عند الله
خالصا مخلصا » . قالوا إن هذا حديث حسن ؛ فما هاتان الخصلتان ؟ قال : نسى
نافع واحدة ؛ ونسيت أنا الأخرى ! ٥

وقال أشعب : رأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل . قالوا كيف ذلك ؟
قال : رأيتنى أحمل بدرة ، فمن شدة ثقلها علىّ كنت أسلح فى ثيابى ؛ ثم انتبهت ،
فإذا أنا بالسلح ولا بدرة !

ساوم أشعب رجلا بقوس ، فقال : أقلُّ ثمنها دينار . قال أشعب : والله
لو أنك إذا رميت بها طائرا فى السماء وقع مشويا بين رغيفين ، ما اشتريتها منك ١٠
بدينارٍ أبدا !

وقيل لأشعب : خففت صلاتك . قال : لأنها صلاة لا يخالطها رياء !

وضرب الحجاج أعرابيا سبعمائة سوط ، وهو يقول عند كل سوط : شكرا
لك يارب ! فلقيه أشعب فقال : أتدرى لم ضربك الحجاج سبعمائة سوط ؟
قال : ما أدرى . قال : لكثرة شكرك ؛ الله تعالى يقول ﴿ لئن شكرْتم ١٥
لأزيدنَّكمْ ﴾ فقال :

يارَبِّ لا شكرَ فلا تزدنى * أسأتُ فى شكرك فاعفُ عنى
باعِد ثوابَ الشاكرينَ منى

وسأل رجلٌ أشعبَ أن يُسلفه ويؤخّره ، فقال هاتان حاجتان ، فإذا قضيت
لك إحداهما فقد أنصفتُ . قال الرجل : رضيت . قال : فأنا أؤخرك ما شئت ٢٠
ولا أُسلفك !

أبو حاتم عن الأصمعى عن أبى القعقاع قال : رأيت أشعب فى السوق يبيع
قطيفة ويقول للمشترى : أريد أن أبرأ إليك من عيب . قال : وما ذاك ؟ قال :

يحترق تحتها من دفن فيها .

قال أشعب : من بال ولم يضرط كتب من الكاظمين الغيظ .

وقيل لأشعب : هل تُخلق خلقٌ أطمعُ منك ؟ قال : نعم ، أمّى ، فإنى كنت إذا جئتها بفائدة قد أُعطيتها قالت : ماجئت به ؟ فأتهجى لها الشيء حرفا حرفا ! ولقد أُهدى لنا مرة غلام ، فقالت : ما أُهدى لنا ؟ قلت : « غَين » ؛ قالت : ثم ماذا ؟ قلت : « لام » ، قالت : ثم ماذا ؟ قلت : « ألف » ، قالت : ثم ماذا ؟ قلت : « ميم » ؛ فأغمى عليها وجعلت تضرط ، ولو أجملت لها الحروف لماتت فرحا !

وقيل له : ما بلغ من طمعك ؟ قال : لم أنظر إلى اثنين يتسارّان إلا حسبت أنهما يأمران لى بشىء !

ونظر أشعب إلى شيخ قبيح الوجه ، فقال : ألم ينهكم سليمان بن داود عن أن تخرجوا بالنهار !

ومر أشعب على رجل نجار يعمل طبقا ، فقال له : زد فيه طوقا واحدا تتفضل به علىّ ! قال : وما يدخل عليك ؟ قال : لعل يوماً يُهدى إلىّ فيه شىء !

قال الأصمعى ، أخبرنى هارون بن زكريا عن أشعب قال : أدركت الناس يقولون قتل عثمان .

قال الأصمعى : وعاش أشعب إلى زمان المهدى ورأيته .

نوادر أبى محمد الأعمش

دخل رجل على الأعمش يسأله عن مسألة ، فردّ عليه فلم يسمع ؛ فقال له : زدنى فى السماع . قال : ماذلك لك ولا كرامة . قال : فبينى وبينك رجل من المسلمين قال : فخرجا إلى الطريق ، فر بهما شريك القاضى ؛ فقال [الأعمش] : إنى حدثت هذا بحديث فلم يسمع ، فسألنى أن أزيده فى السماع لأنه ثقيل السمع ، وزعم أن ذلك واجب له ، فأبيت . قال له شريك : عليك أن تزيده ، لأنك تقدر أن تزيد فى صوتك ؛ ولا يقدر أن يزيد فى سمعه !

أتت ليلة الشك من رمضان ، فكثر الناس عند الأعمش يسألونه عن الصوم فضجر ، ثم بعث إلى بيته فجىء إليه برمانة ، فشقها ووضعها بين يديه ، فكان إذا نظر إلى رجل قد أقبل يريد أن يسأله ، تناول حبة فأكلها ، فيكفى الرجلَ السؤال ونفسَه الرد !

قال رقبة بن مصقلة : سَفِهَ علينا الأعمش يوما ، فقالت امرأته من وراء ستر : احملوا عنه ، فوالله ما يمنعه من الحج منذ ثلاثين سنة إلا مخافة أن يلطم كريَّهُ أو يشتِم رفيقه . ٥

طلبت بنت الأعمش من الأعمش حاجة ، فجبها بالرد ، فقالت : والله ما أعجب منك ، ولكنى أعجب من قوم زوجوك !

ودخل رقبة بن مصقلة على الأعمش ، فقال : والله إنا لنأتيك فما تنفعنا ، ونتخلف عنك فما تضُرنا ، وإن الوقوف إليك لذلّ ، وإن تركك لحسرة ؛ تُسأل الحكمة فكأنما تُسعَط الخردل . وما أشبهك إلا بالصماخيقون ، فإنه كريه الشربة نافع للمعدة ! فرفع الأعمش رأسه وقال : من هذا المتكلم ؟ فقيل له : رقبة بن مصقلة فنكس رأسه . ١٠

وقال رجل من تلاميذ الأعمش : صنعت للأعمش طعاما ثم دعوته ، فمضى معى وأنا أقوده ، حتى سقطت رجله فى حفرة يعملها الصبيان للكرة ، فقال : ماهذا ؟ قلت حفرة يعملها الصبيان للكرة . قال : لا . ولكنك حفرتها لتقع رجلى فيها ! والله لا أكلتُ عندك يومى هذا طعاما ! قال : فحملت الطعام إليه ، ثم صنعت له بعد ذلك طعاماً ودعوته إليه ، فقال : ادخل بنا الحمام قبل ذلك . فأدخلته الحمام ، فلما جئت لأصُبّ الماء الحارّ على رأسه ، قال : مادعاك إلى هذا أردت أن تسلخ قفاى ! والله لا أكلتُ عندك يومى هذا طعاماً ! قال : فحملت الطعام إليه ! ١٥ ٢٠

وكثر الشعرُ على الأعمش ، فقلت له : لم لا تأخذ من شَعرِك ؟ قال : لا أجد

حجّاما يسكت حتى يفرغ . قلنا له : فإنا نأتيك بحجام ونتقدم إليه أن يسكت حتى يفرغ . قال : فافعلوا .

قال : فأتيناه بحجام وأعذرنا إليه ألا يتكلم حتى ينقضى أمره فبدأ الحجام بحلقه ، فلما أمعن فى حلقه سأله عن مسألة ، فنفض ثيابه وقام بنصف رأسه محلوقا حتى دخل بيته ، ثم جئناه بغيره ، فقال : لا والله لا أخرج إليه حتى تُحلفوه ! فحلّفناه ألّا يسأله عن شىء ؛ فخرج إليه .

نوادر محمد بن مطروح الأعرج

ولمحمد بن مطروح الأعرج من التبرم والملح والضجر والترفُّع ما هو أحسن من هذا وأوقع .

قال له رجل يوما : ما تقول يرحمك الله فى رجل مات يوم الجمعة ، أيعذب عذاب القبر ؟ قال : يعذَّب يوم السبت !

وقال له آخر : أنجد فى بعض الحديث أنّ جهنم تَخرب ؟ قال : ما أشقاك إن اتكلت على خرابها !

واستسقى بالناس يوما فأسرع بالصلاة قبل أن يتوافى الناس ؛ فلما انصرف تلقاه بعض الوزراء فقال له : أسرعت أبا عبد الله . قال : ليس علينا أن ننتظر حتى تشربوا وتأكلوا !

وكانت لقومس الكاتب منه منزلة وجِوار ، وكان يتحفه ويتفقده بما أمكنه من الهدايا ، وكانت صلاته معه فى الجامع ، والأعرج صاحب الصلاة ، فإذا حضرت الصلاة ولم يحضر قومس ، قال لبعض القَوَمة : أنت يا شيطان ، كلّم هؤلاء الكلاب لا يقيمون الصلاة حتى يأتى ذلك الخنزير .

فكان برُّه فى حبس الصلاة عليه برًّا العقوق خير منه .

وكان يجلس إليه خصى لزرياب ، قد حج وتنسك ولزم الجامع ، فيتحدث

فى مجلسه بأخبار زرياب ، ويقول : كان أبو الحسن رحمه الله يقول كذا وكذا . فقال له الأعرج : من أبو الحسن هذا ؟ قال : زرياب . قال : بلغنى أنه كان أخرق الناس لاستِ خَصِىّ !

وسأله مرة وقال له : ما تقول فى الكبش الأعرج ، أيجوز فى الأضحية ؟ قال : نعم ، والخصىُّ أيضاً مثلك ! ٥

نوادر شتى

وسمع أبو يعقوب الخريمىُّ منصورَ بن عمار صاحب المجالس ، يقول فى دعائه : اللهم اغفر لأعظمنا ذنبا ، وأقسانا قلبا ، وأقربنا بالخطيئة عهدا ، وأشدّنا على الدنيا حرصا ! فقال له : امرأتى طالق إن كنت دعوت إلا لإبليس !

١٠ الأصمعى قال : حدّثنا بعض شيوخنا عن ابن طاوس قال : أقبلت إلى عبد الله بن الحسن ، فأدخلنى بيتاً قد نُجِّد بالرهاوى والميسانى ، وكل فِرْشة شريفة ؛ قال : فبسطت نطعاً وجلست عليه ، وابناه محمد وإبراهيم صبيّان يلعبان ، فلما نظرا إلىّ قال أحدهما لصاحبه : «ميم» . فقال الآخر : «جيم» . فقلت أنا : «نون ، واو ، نون» فاستغربا ضحكا ، وخرجا إلى أبيهما .

١٥ أبو زيد قال : سكر حائك من الزُّطّ ، فحلف بالطلاق ليغنّيه أبو على الأشرس ، فمضى معه جماعة إلى أبى على ، فأخبروه ، وقالوا : سكر فابتُلى ، وحلف بالطلاق لتغنّينّه ، فأقبل على الحائك فقال : «يا مُرد سَبز ، يا مُرْد خُش ، يا مُرْد تَرْ ، إياك أن تعود !» .

قال أبو زيد : تفسيره : يا سمينٌ أخضر ، يا سمين طيب ، يا سمين رطب .

٢٠ وكان شيخ من البخلاء يأتى ابن المقفع ، فألح عليه يسأله الغداء عنده ، وفى كل ذلك يقول له : أترى أنك ترانى أتكلف لك شيئا ؟ لا والله ، لا أقدم لك إلا ما عندى ! فأجابه يوما ، فلما أتاه إذا ليس عنده ولا فى منزله إلا كسرة يابسة

وملح جريش ؛ ووقف سائل بالباب ، فقال له : بورك فيك ! فألحّ عليه بالسؤال ، فقال له : لئن خرجتُ إليك لأدُقّنّ ساقيك ! فقال ابن المقفع للسائل : أنت والله لو علمتَ من صدق وعيده ما علمتُ من صدق موعوده ، لم تراده كلمة ولا وقفت طرفةَ عين !

٥ مرّ برقبة بن مصقلة رجل زاهد غليظ الرقبة ، فقال : هذا رجل زاهد والعلامات فيه بخلاف ذلك . فقال له رجل : أكلّمه بذلك أصلحك الله ! لئلا يكون غيبة ؟ قال : كلّمه حتى يكون نميمة !

قال شريك بن عبد الله القاضي : سبعٌ من العجائب : عمياء منتقبة ، وسوداء مختضبة ، وخصيّ له امرأة ، ومخنث يؤمّ قوما ، وشيعيّ أشعريّ ، ونخعيّ ١٠ مُرْجِى ، وعربيّ أشقر . ثم قال شريك : من المحال عربيٌّ أشقر .

قالوا : كانت فى أبى عمرو وضرار بن عمرو ثلاثة من المحال : كان كوفيا معتزلا ، وكان من بنى عبد الله بن غطفان ويرى رأى الشعوبية ، ومحال أن يكون عربى شعوبيا ، ومات وهو ابن سبعين سنة . . .

وقيل لشريح القاضى : أيهما أطيب : اللوزينق أو الجوزينق ؟ فقال : ١٥ لا أحكم على غائب !

وسأل رجل عمر بن قيس عن الحصاة من حصى المسجد يجدها الإنسان فى ثوبه أو خفه أو جبهته ؛ فقال له : آرم بها . فقال الرجل : زعموا أنها تصيح حتى تُرَدّ إلى المسجد . قال : دعها تصيح حتى ينشقّ حلقها ! قال الرجل : أوَلها حلق ؟ قال : فمن أين تصيح ؟

٢٠ وسئل عامر الشعبي عن المسجد الخراب أيُجامَع فيه ؟ قال : نعم ويُخرأ فيه ؟

الأصمعى قال : وَلِىَ رجل قضاء الأهواز ، فأبطأت عليه أرزاقه وليس عنده ما يُضحّى به ولا ما يُنفق ؛ فشكا ذلك إلى امرأته ، وأخبرها ما هو فيه من الضيق ، وأنه لا يقدر على أضحية ؛ فقالت له : لا تغتم ، فإنّ عندى ديكا عظيما

قد سمّنْتُه ، فإذا كان يوم الأضحى ذبحناه . فبلغ جيرانَه الخبر ، فأهدوْا له ثلاثين كبشاً وهو فى المصلى لا يعلم ؛ فلما صار إلى منزله ورأى ما فيه من الأضاحى ، قال لامرأته : من أين هذا ؟ قالت : أهدى لنا فلان ، وفلان ، وفلان . . . حتى سمتْ له جماعة . فقال لها : يا هذه ، تحفَّظى بديكنا هذا ، فلهو أكرم على الله من إسحاق بن إبراهيم ؛ إنه فدى ذلك بكبش واحد ، وفدى ديكنا هذا بثلاثين كبشا !

نوادر أبى دلامة

خرج أبو دلامة مع المهدى فى مَصادٍ لهم ، فعنّ لهم ظبى ، فرماه المهدى فأصابه ، ورمى علىُّ بن سليمان فأخطأ وأصاب الكلبَ ؛ فضحك المهدى وقال لأبى دلامة : قل . فقال :

قد رَمى المهدىُّ ظبْياً ٭ شكّ بالسهم فؤادَهْ
وعلىُّ بن سليما ٭ ن رَمى كلْباً فصاده
فهنيئاً لهما كـ ٭ ـلّ امرئٍ يأكل زاده !

وكتب أبو دلامة إلى عيسى بن موسى ، وهو والى الكوفة رقعة فيها هذه الأبيات :

إذا جئت الأميرَ فقلْ سلام ٭ عليك ورحمة الله الرحيم
وأمّا بعد ذاك فلى غريمٌ ٭ من الأعراب قُبّحَ من غريم
لزومٌ ما علِمت بباب دارى ٭ لزومَ الكلب أصحابَ الرقيم
له مائةٌ علىّ ونصفُ أخرى ٭ ونصفُ النصف فى صكّ قديم
دراهمُ ما انتفعتُ بها ولكنْ ٭ حبوْتُ بها شيوخَ بنى تميم

ودخل أبو دلامة على المهدى وعنده محمدُ بن الجهم وزيره ، وكان المهدىّ يستثقله ؛ فقال لأبى دلامة : والله لا تبرح مكانك حتى تهجو أحد الثلاثة !

فهمّ أبو دلامة بهجاء ابن الجهم ، ثم خاف شرّه ، فرأى أن هجاء نفسه أقل ضرراً عليه ، فقال :

ألا أبلِـغْ لديك أبا دُلامَهْ * فليس من الكِرامِ ولا كرامهْ
إذا لبس العِمامةَ كان قِرْداً * وخنزيراً إذا وضع العِمامه
٥ وإن لبِس العمامةَ كان فيهـا * كثَوْرٍ لا تفـارِقُه الـكِمامه[1]

وعرض أبو دلامة ليزيد بن مزيد ، وهو قادم من الريّ ، فأخذ بعنان فرسه وأنشد :

إنّى نَذَرْتُ لئِنْ رأيتُك سالِمـا * بقُرى العِراقِ وأنت ذو وفْرِ
لَتُصَلِّيَنّ على النبيِّ مُحمّــدٍ * ولَتَمْلأنّ دَراهِمـا حِجرى !

١٠ فقال له : أما الصلاة على محمد فصلى الله على محمد ، وأما الدراهم فإلى أن أرجع إن شاء الله . فقال له : لا تفرِّق بينهما ، لا فرّق الله بينك وبين محمد فى الجنة ! فاقترضها من أصحابه وصبّها فى حجره حتى أثقلته .

ودخل أبو دلامة على المهدى فأسمعه مديحاً ، فأعجبه وقال له : سل حاجتك ! قال : كلب صيد أصطاد به . قال : قد أمرنا لك بكلب تصطاد به . قال : وغلام ١٥ يقود الكلب . قال : قد أمرنا لك بغلام . قال : وخادم تطبخ لنا الصيد . قال : وأمرنا لك بخادم . قال : ودار تأوِى إليها . قال : وأمرنا لك بدار . قال : بقى الآن المعاش . قال : قد أقطعناك ألف جريب عامرة وألف جريب غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال : التى لا تعمَر . قال : فأنا أقطع أمير المؤمنين خمسين ألفاً من فيافى بنى أسد ! قال : فإنّا نجعلها عامرة كلها . قال : فيأذن أمير المؤمنين

٢٠ (١) لم يرد هـذا البيت فيما روى صاحبا الأغانى ونهاية الأرب ؛ وزادا على البيتين الأولين :

جمعت دَمامة وجمعت لؤما * كذاك اللؤمُ تتبعه الدّمامه
فإن تكُ قد أصبت نعيمَ دنيا * فلا تفرح فقد دنت القيامه !

فى تقبيل يده . قال : أما هـذه فدعها ، قال : ما منعتنى شيئاً أيسر على أمّ عيالى فقداً منه !

المضحكات

خاطب يزكيه وسيط

أبو الحسن المدائنى قال : خطب رجلٌ من بنى كلاب امرأةً ، فقالت أمها : دعنى حتى أسألَ عنك . فانصرف الرجلُ فسأل عن أكرم الحىّ عليها ؛ فدُلّ على شيخ منهم كان يُحسنُ التوسط فى الأمر ، فأتاه يسأله أن يُحسن عليه الثناء ، وانتسب له فعرفه ؛ ثم إن العجوزَ غدت عليه فسألته عن الرجل ، فقال : أنا أعرف الناس به . قالت : فكيف لسانُه ؟ قال : مِدْرَهُ قومه وخطيبهم ! قالت : فكيف شجاعتُه ؟ قال : منيع الجار حامى الذمار ! قالت : فكيف سماحتُه ؟ قال : ثِمال قومه وربيعهم ! وأقبل الفتى ، فقال الشيخ : ما أحسن والله ما أقبل ! ما انثنى ولا انحنى . ودنا الفتى فسلّم ، فقال : ما أحسن والله ما سلّم ! ما جَار ولا خار[1] . ثم جلس ، فقال : ما أحسن والله ما جلس ! ما دنا ولا نأى . وذهب الفتى ليتحرّك فضرط ، فقال الشيخ : ما أحسن والله ما ضرط ! ما أطنّها ولا أغنّها ، ولا بَرْبَرها ولا قرْقَرها . ونهض الفتى خجلا ، فقال : ما أحسن والله ما نهض ! [ما انفتل ولا انخزل . وأسرع الفتى ، فقال : ما أحسن والله ما خطا] ! ما ازورّ ولا اقطوطى فقالت العجوز : حسبك ياهذا ! وجّه إليه من يردُّه ، فوالله لو سلح فى ثيابه لزوّجناه !

خاطب من أهل المجون

وخطب رجل امرأة ، فجعل يخطبها ويُنعظ ، فضرب رأس ذَكره بيده وقال : مَهْ ! إليك يساق الحديث !

لأبى تمام فى غلام وحمار

أبو سويد قال : كان لحبيب بن أوس حمارٌ حصان ، وغلام مؤنّث ، فإذا نزل أخذ الحمار ينهق والغلام يَمْجُن فى كلامه ؛ فقلنا له : إنما أنت فضيحة ، فهل قلت فيهما شيئا ؟ قال :

لى حمارٌ وغلامٌ ، وهما مختلفان

---

(١) فى بعض الأصول : « مافار ولا ثار » .

الكلام قال : ولّنى نهربوق . قال : بل أوليك نصفه ؛ اكتبوا عهده على بوق . قال : فولّنى على أرمينية . قال : أخشى أن يبطئ علىّ خبرك . قال : فغيّرها . قال : لا أريد أن أبعدك عن نفسى .

سعد بن الراية وزياد

اختصم إلى زياد بنو راسب وبنو طفاوة فى غلام آدعوْه ، وأقاموا جميعا البينة عند زياد ؛ فأشكل على زياد أمره ، فقال سعد الراية من بنى عمرو بن يربوع أصلح الله الأمير ، قد تبين لى فى هذا الغلام القضاء ؛ ولقد شهدَت البينة لبنى راسب والطفاوة ، فولنى الحكم بينهما . قال : وما عندك فى ذلك ؟ قال : أرى أن يُلقَى فى النهر ، فإن رسب فهو لبنى راسب ، وإن طفا فهو لبنى الطفاوة ، فأخذ زياد نعليه وقام وقد غلبه الضحك ، ثم أرسل إليه : إنى أنهاك عن المزاح فى مجلسى . قال : أصلح الله الأمير ، حضرنى أمرٌ خِفْت أن أنساه . فضحك زياد وقال : لا تعودنّ .

أفصح أهل البصرة وأجلهم

أبو زيد قال : لم يكن بالبصرة أفصح لسانا ولا أظهرُ جمالا من الحسن ابن أبى الحسن البصرى ، وزرعةَ بن أبى حمزة الهلالى .

المتوكل وعبادة المخنث

قال : وأخبرنى الوليد بن عبيد البحترى الشاعر قال : كنا عند المتوكل يوما وبين يديه عُبادة المخنث ، فأمر به فأُلقى فى بعض البرك فى الشتاء ، فابتل وكاد يموت بردا ؛ قال : ثم أخرج من البركة وكسى ، وجُعل فى ناحية من المجلس ، فقال له : يا عبادة ، كيف أنت ؟ وما حالك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، جئت من الآخرة ! فقال له : كيف تركت أخى الواثق ؟ قال : لم أجُزْ بجهنم ! فضحك المتوكل وأمر له بصلة .

نوادر أشعب

قال أشعب : فىّ وفى أبى الزناد عَجب ؛ كنت أنا وهو فى كفالة عائشة بنت عثمان ، فما زال يعلو وأسفل حتى بلغنا غايتَنا هذه !

أعور عمى

أبو حاتم قال : رُمى رجل أعور بنشابة ، فأصابت عينه الصحيحة ، فقال : أمسينا وأمسى الملك لله .

الجماز

وقال رجل للجماز : ولدت امرأتى لستة أشهر . فقال : لقد كان إناؤها ضاريا .

سفط كسرى

قالوا : أُتى الحجاج بسفَط قد أُصيب فى بعض خزائن كسرى ، مقفل ؛ فأمر بالقفل فكسر ، فإذا فيه سفط آخر مقفل ؛ فقال الحجاج : من يشترى منى هذا السفط بما فيه ؟ فتزايد فيه أصحابه ، حتى بلغ خمسة آلاف دينار ، فأخذه الحجاج ونظر فيه فقال : ماعسى أن يكون فيه إلا حماقة من حماقات العَجَم ! ثم أنفذ البيع وعزم على المشترى أن يفتحه ويريه مافيه ؛ ففتحه بين يديه ، فإذا فيه رقعة مكتوب فيها : من أراد أن تطول لحيته فليمشطها من أسفل .

شبهة أعمى

الزبير بن بكار قال : جاءت امرأة إلى ابن الزبير تستعدى على زوجها وتزعم أنه يصيب جاريتها ؛ فأمر به فأُحضر ، فسأله عما ادعت ، فقال : هى سوداء وجاريتها سوداء ، وفى بصرى ضعف ، ويضرب الليل برواقه ، فأنا آخذ مَن دنا منى .

لأعرابى

قال : وخطب رجل خطبة نكاح وأعرابى حاضر ، فقال : الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . حى على الصلاة ، حى على الفلاح . فقال الأعرابى : لا تُقم الصلاة ، فإنى على غير وضوء .

أعميان فى الحمام

وقال : سمعت أبا موسى عيسى الضّمرىّ يقول : دخلت الحمام فإذا بأعمى قد ركب أعمى ؛ فقال له : ما هذا ؟ قال : ظلمات بعضها فوق بعض .

لعيسى بن موسى

قال العوام بن حوشب : قال لى عيسى بن موسى : من أرضعتْك ؟ قلت : ما أرضعنى إلا أمى . قال : قد علمت أن ذلك الوجه القبيح لا يصبر عليه سوى أمّك .

ناسك مبغض

وكان رجل مَقيت قد تنسّك وتشبه بالحسن البصرى ، فشهد جنازة ، فوقف

على القبر وإلى جانبه رجل مليح ، فضحك ، فقال له الناسك : ما أعددت لهذه الحفرة يا فلان ؟ قال : قذفك فيها الساعة .

ضراط فصيح

ودخل أعرابي الحمام فضرط ، فقال نبطيٌّ كان في الحمام : سُبحان الله . فقال له الأعرابي : يابن اللخناء ، ضرطتي أفصح من تسبيحك .

٥ وقيل لأعرابي : مالك لا تجاهد ؟ قال : والله إني أبغض الموت على فراشي ، فكيف أسعى إليه ركضاً .

شهادة أعرابي

واستُشهد أعرابيٌّ على رجل وامرأة زَنيا ، فقيل له : أرأيته داخلا وخارجا كالمِرْود في المكحلة ؟ فقال : والله لو كنت جلدة استها ما رأيت هذا .

على رأس لقيط

وُجد منبوذ بضفّة العراق وعند رأسه مائة دينار ، ورقعة مكتوب فيها : ١٠ أنا ابن الشقي وابن الشقية ، وابن القدح والرطليّة ، وابن البغي والبغيّة ، من كفَلني فله هذه المئة .

السندي بن شاهك والحجام

السندي بن شاهك قال : بعث إليَّ المأمون بريدا وأنا بخراسان ، فطويت المراحل حتى أتيتِ باب أمير المؤمنين وقد هاج بي الدم ، فوجدته نائما ، فأعلمت الحاجب بقصتي وقدمت إليه عذري وما هاج بي من الدم ، وانصرفت إلى منزلي ١٥ فقلت : أحضروا إلى الحجّام . قالوا : هو محموم . قلت : فهاتوا حجاما غيره ولا يكون فضوليا . فأتوني به ، فما هو إلا أن دارت يده على وجهي حتى قال : جُعلت فداك ! هذا وجه لا أعرفه ، فمن أنت ؟ قلت : السندي بن شاهك . قال : ومن أين قدمت ، فإني أرى أثر السفر عليك ؟ قلت : من خراسان . قال : وأيُّ شيء أقدمك ؟ قلت : وجه إليّ أمير المؤمنين بريدا ... ولكن إذا فرغت ٢٠ فسأخبرك بالقصة على وجهها . قال : وتعرّفني بالمنازل والسكك التي جئت عليها ؟ قلت : نعم .

قال : فما هو إلا أن فرغ حتى دخل رسول أمير المؤمنين ومعه كركي ، فقال : إن أمير المؤمنين يقرئك السلام وهو يعذرك فيما هاج بك من الدم ، وقد أمرك بالتخلف في منزلك إلى أن تغدو عليه إن شاء الله ، ويقول : ما أُهديَ

إلينا اليوم غير هـذا الكركى ، فشأنك به . قال : فالتفت السندى إلى جلسائه
فقال : ما يصنع بهذا الكركى ؟ فقال الحجام : يُطبخ سكباجا . قال السندى :
يُصنع كما قال . وحلف على الحجام الّا يبرح ؛ لحضر الغذاء فتغذينا وهو ينظر ،
ثم قُدّم الشراب ، فلما دارت الأقداح قلت : يعلّق الحجام من العقبين ! ثم قلت :
جُعلت فداك ! سألتنى عن المنازل والسكك التى قدمت عليها وأنا مشغول فى ذلك ٥
الوقت ؛ وأنا أقصها عليك [الآن] فاستمع : خرجت من خراسان وقت كذا ،
فنزلت كذا ... ياغلام ، اضرب ! فضربه عشرة أسواط ؛ ثم قلت : وخرجت
منه إلى مكان كذا ... ياغلام ، أوجع ! فضربه عشرة أسواط أخرى ؛ ولم يزل
يضربه لكل سكة عشرة ، حتى انتهى إلى سبعين سوطا فالتفت إلىّ الحجام وقال :
ياسيدى ، سألتك بالله ، إلى أين تريد أنْ تبلغ ؟ قلت : إلى بغداد . قال : لست ١٠
تبلغ حتى تقتلنى . قلت : فأتركك على ألاّ تعود ؟ قال : والله لا أعود أبدا . قال :
فتركته ، وأمرت له بسبعين درهما : فلما دخلت على المأمون أخبرته الخبر ؛ قال :
وددت أنك بلغت به إلى أن تأتى على نفسه .

فتوى أبى ضمضم — أتت جَارِيةٌ أبا ضمضم فقالت : إن هذا قبّلنى . فقال قبّليه ، فإنّ الله يقول :
﴿ والجُروحَ قِصاصٌ ﴾ . ١٥

وارتفع رجلان إلى أبى ضمضم ، فقال أحدهما : أبقاك الله ، إن هذا قتل
ابنى . قال : هل لابنك أم ؟ قال : نعم . قال : ادفعها إليه حتى يولدها لك ولدا
مثل ولدك ، ويربّيه حتى يبلغ مثل ولدك ، ويبرأ به إليك .

حيطة أعمى — وكان بالمدينة أعمى يكنى أبا عبد الله ، أتى يوما يغتسل من عين ، فدخل
بثيابه ؛ فقيل له : بللت ثيابك . قال : تبتلّ علىّ أحبُ إلىّ من أن تجف ٢٠
على غيرى .

طمع الناسك — وفى كتاب الهند أن ناسكا كان له سمنٌ فى جرّة معلقة على سريره ، ففكر
يوما وهو مضطجع على سريره وبيده عكاز ؛ فقال : أبيع الجرة بعشرة دراهم ،
فأشترى بها خمس أعنز ، فأدهن فى كل سنة مرتين ، حتى تبلغ ثمانين وأبيعهن ،

فأبتاع بكل عشر بقرة ، ثم ينمي المال بيدى ، فأبتاع العبيد والإماء ، ويولد لى ولد فآخذ به فى الأدب ، فإن عصانى ضربته بهذه العصا . وأشار بالعصا فأصاب الجرة ، فانكسرت وانصبّ السمن على وجهه ورأسه .

شهادة الحمير

الزبير قال : حدثنا بكار بن رباح قال : كان بمكة رجل يجمع بين الرجال ٥ والنساء ويحمل لهم الشراب ، فشُكِيَ إلى عامل مكة ، فنفاه إلى عرفات ، فبنى بها منزلا وأرسل إلى إخوانه فقال : ما منعكم أن تعاودوا ما كنتم فيه ؟ قالوا : وأين بك وأنت فى عرفات ؟ قال : حمارٌ بدرهم وقد صرتم على الأمن والنزهة . ففعلوا فكانوا يركبون إليه حتى فسدت أحداث مكة ؛ فأعادوا شكايته إلى والى مكة . فأرسل إليه فأُتى به ، فقال : ياعدو الله ! طردتك فصرت تفسد فى المشعر الحرام ١٠ قال : يكذبون علىّ أصلح الله الأمير . فقالوا : أصلحك الله ، الدليل على صحة ما نقول أن تأمر بجمع حمير مكة فترسل بها أمناء إلى عرفات فيرسلوها ، فإن تهتدِ إلى منزله دون المنازل كعادتها فنحن غير مبطلين . فقال الوالى : إن فى هذا لدليلا وشاهدا عدلا . فأمر بحمير من حُمُر مكة التى للكراء فأرسلت ، فصارت إلى منزله كما هى بغير دليل ، فأعلمه بذلك أمناؤه ، فقال : ما بعد هذا شىء ؛ ١٥ جردوه ! فلما نظر إلى السياط قال : لا بد أصلحك الله من ضربى ؟ قال : نعم يا عدو الله . قال : والله ما فى ذلك شىء هو أشد علىّ من أن يشمت بنا أهل العراق ويضحكون منا ويقولون : أهل مكة يجيزون شهادة الحمير ! قال : فضحك الوالى وخلّى سبيله .

هنّأ رجلٌ رجلا فى أعرابية . فقال : باليمن والبركة ، وشدة الحركة ، والظفر ٢٠ فى المعركة .

وصف حمار

الهيثم بن عدى قال : بينا أنا بكُناسة الكوفة . إذا برجل مكفوف البصر قد وقف على نخاس يسوق الدواب ، فقال له : أبغنى حمارا لا بالصغير المحتقر ، ولا بالكبير المشتهر ، إذا خلا له الطريق تدفق ، وإذا كثر الزحام ترفّق ، وإن أقللت علفه صبر ، وإن أكثرته شكر ، وإذا ركبته هام ، وإن ركبه غيرى نام .

قال له النخاس : يا عبد الله اصبر ، فإذا مَسخ الله القاضى حمارا أصبتَ حاجتك إن شاء الله !

وصف فرس

قال : ودخل رجل السوق فى شراء فرس ، فقال له النخاس : صفه لى . فقال : أُريدُه حسنَ القميص ، جيّد الفصوص ، وثيق العصب ، نقى القصب ، يشير بأُذنيه ويتشوف برأسه ، ويخطر بيده ، ويَدحُو برجليه ، كأنه موج فى لجة ، أو سيل فى حَدور ، أو منحطٌ من جبل ! فقال له النخاس : نعم ، كذلك كان صلوات الله عليه ! قال : إنما أصف لك فرسا . قال : ما حسبتُك إلا فى وصف نبىٍّ منذ اليوم !

هجاء أبى نخيلة اليمن

قال ودخل ابن نخيلة اليمن ، فلم ير بها أحداً حسنا ، ورأى نفسه — وكان قبيحا — أحسن من بها فقال :

لم أر غـيرى حسناً * مُنْذُ دخلتُ اليمنـا

فنى حـــر آمّ بلدةٍ * أحسنُ ما فيها أنا !

كناس الكوفة

محمد بن إسحاق قال : قال سفيان بن عيينة : دخلت الكوفة فى يوم فيـه رذاذ من مطر ، فإذا أنا بكنّاس فتح كنيفا ووقف على رأس البئر وهو يقول :

بَلد طيّبٌ ويومٌ مطيرُ * هذه روضة وهذا غَدير

ثم قال لصاحبه : انزل فيها . فأبى عليه ؛ فنزل وهو يقول :

لم يُطيقوا أن يَنزلوا ونزلنا * وأخو الحرب من أطاق النّزولا

كناس آخر

الأصمعى قال : بينا أنا سائر بالفيفاء ، إذ سمعت صوتا يقول :

جنّبُونِى ديارَ هِند وسُعدى * ليس مثلى يحُلُّ دار الهوانِ

قال : فالتفتّ يَمْنة وشِمالا ، فإذا الصوت خارج من حشّ ؛ فأقبلت حتى وقفت عليه ، فإذا بكناس وبيده فأس ؛ فقلت : يا سبحان الله ! أنت تكنس عذرة وتقول :

* ليس مثلى يحل دار الهوان *

فأنّى ذلك ؟ وأىّ هوان أكثر مما أنت فيه ؟ قال : فرفع رأسه إلىّ وقال :

لا تلُمْنى فإننى نشوانُ * أنا فى الملكِ ماسقَتْنى الدِّنانُ

فقلت : ما هو إلا كقول الآخر :

٥ * من قرَّ عينا بعيْشِه نفعَهْ *

لعلى بن الجهم

ولعلى بن الجهم :

أعظمُ ذَنْبِى عنــدكم وُدِّى * فليْت هــذا ذَنْبُكم عِندى

يا حسْرَتا أُهلِكُ وجْدا بمن * لا يَعرِفُ الشكوى من الوَجْدِ

خبر الجعدين

حماد الراوية قال : أتيت مكة ، فجلست فى حلقة ٍ منها فيها عمر بن أبى ربيعة

١٠ القرشى ، وإذا هم يتذاكرون العُذريين وعشقهم وصبابتهم ، فقال عمر بن أبى ربيعة ، أحدِّثكم عن بعض ذلك :

كان لى خليلٌ من عُذرة ، [يقال له الجعد بن مهجع ؛ و] يكنى أبا مسهر وكان مشتهرا بأحاديث النساء ، يُشبِّب بهن وينشد فيهن ، على أنه كان لا عاهر الخلوة ، ولا حديث السلوة ؛ وكان يوافى الموسم فى كل سنة ، فإذا أبطأ ترجمت له

١٥ الأخبار ، واستَوْقفتْ له السُّفّارة .

وإنه غاب عنى ذات سنةٍ خبره ، حتى قدم وفد عذرة ، فأتيت القوم أنشدُ صاحبى ، فإذا رجلٌ يتنفس الصعداء ؛ فقال : عن أبى مسهر تسأل ؟ قلت : نعم . قال : هيهات هيهات ! أصبح والله أبو مسهر لا حيًّا يُرجى ، ولا ميتا ينسى ، ولكنه كما قال الشاعر :

٢٠ لعمرُكَ ما هذا الغرامُ بتاركى * صحيحا ولا أقضِى به فأموتُ

فقلت : وما الذى به ؟ قال : مثلِ الذىَ بك من آنهما كُكما فى الضلال ، وجرّكما أذيال الخسران ، كأنكما لم تسمعا بجنة ولا نار ! قلت : ما أنت منه يابن أخى ؟ قال : أخوه . قلت : والله [ما يمنعك أن تسلك مَسلكه الذى سلك إلا] أنك

وأخاك كالوشى والبجاد ، لا يرقعك ولا ترقعه ! ثم انطلقت وأنا أقول :

أرائحةٌ حُجّاجُ عُذْرةَ رَوْحَة * ولما يَرُح فى القومِ جعدُ بن مِهجع
خليلان نَشكو ما نُلاقى من الهوى * ومهما يقُل أسمَعْ وإن قلت يسمَع
ألا ليت شعرى أىّ خَطْب أصابهُ * فلى زفراتٌ هِجْنَ ما بين أضلُع
فلا يُبعِدَنك الله خِلا فإننى * سألقى كما لاقيتَ فى الحبِّ مصرعى ٥

قال : فلما حججت ووقفت بعرفات ، إذا به قد أقبل ، وقد تغير لونه وساءت هيئته ، وما عرفته إلا بناقته ؛ فأقبل [فأدنى ناقته من ناقتى] حتى خالف بين أعناقهما ، ثم اعتنقنى وجعل يبكى ، فقلت له : ما الذى دهاك ؟ قال : بَرِح الخفاء وكشف الغِطاء ثم أنشد يقول :

لئن كانت عُديلةُ ذات مَطْل * لقد علمت بأنّ الحبّ داء ١٠
[ألم تنظر إلى تغيير جسمى * وأنّى لا يفارقنى البُكاء]
وإنكَ لو تكلفت الذى بى * لزالَ السِّتْرُ وانكشف الغِطاء
وإن معاشرى ورجالَ قومى * حُتوفهم الصّبابة واللقاء
إذا العُذْرِىُّ مات بحتْفِ أنف * فذاكَ العبدُ تحكيه الرِّشاء

فقلت : يا أبا مسهر ، إنها ساعة عظيمة ، تَضرب فيها أكبادُ الإبل من شرق الأرض وغربها ، فلو دعوتَ الله كنت قِمنا أن تظفَرَ بحاجتك ، وتنصَرَ على عدوك فجعل يدعو ، حتى إذا مالت الشمس للغروب ، وهم الناس أن يُفيضوا سمعتُه يُهيْنِم بشىء ، فأصغيت مستمعا ، فجعل يقول : ١٥

يارَبِّ كلِّ غدْوةٍ وروحَهْ * من مُحْرِم يشكو الضُّبا ونَوحَه
أنت حسيبُ الخلقِ يوم الدوحهْ ٢٠

فقلت له وما يوم الدوحة ؟ قال : سأخبرك إن شاء الله ، ولو لم تَسلْنى . فبينما نحو المزدلفة ، فأقبل علىّ وقال : إنى رجل ذو مال كثير ، من نَعم وشاء ، وإنى خشيت على مالى عامَ أول التلف ، فأتيت أخوالى كلبا ، فأوسعوا لى عن صدر

المجلس وسقَونى جمة البئر ، وكنت منهم فى خير أخوال ؛ ثم إنى عزمت على مواقعة إبلى بماء لهم يقال له الحوادث [1] ؛ فركبت يوما فرسى ، وعلقت معى شرابا أهداه إلى بعض الكلبيين ، فانطلقت ؛ حتى إذا كنت بين الحى ومرعى النعم ، رفعت لى دوحةٌ عظيمة ، فقلت : لو نزلت تحت هذه الشجرة ثم ترّوحت ٥ مبرداً ! ففعلت ، فشددت فرسى ببعض أغصانها ، ثم جلست تحتها ، فإذا بغبار [قد] سطع من ناحية الحى ، ثم تبينت ، فبدت لى شخوص ثلاثة ، فإذا فارس يطرد مسحلا وأتانا ، فلما قرُب منى إذا عليه درع أصفر وعمامة خز سوداء ؛ فما لبث أن لحق المسحل نطعنه فصرعه ، ثم ثنى طعنة للأتان ، وأقبل وهو يقول :

١٠ نطعنُهُم سُلْكى ومخلوجةً * كرك لأْمَيْنِ على نابِلِ

فقلت له : إنك قد تعبت وأتعبْت ، فلو نزلت ، فثنى رجله ونزل وشدّ فرسه ببعض أغصان الشجرة ؛ ثم أقبل حتى جلس ، فجعل يحدثنى حديثاً ذكرت به قول الشاعر :

وإنّ حديثا منكِ لو تبذلينَه * جنى النحلِ فى ألبانِ عوذٍ مطافلِ

١٥ فبينا هو كذلك ، إذ نكت بالسوط على ثنيتيه ، فما ملكت نفسى أن قبضت على السوط وقلت : مَه ! فقال : ولم ؟ قلت : إنى خائفٌ أن تكسرها ؛ إنهما رقيقتان عذبتان . قال : فرفع عقيرته وجعل يقول :

إذا قبّل الإنسانُ آخرَ يَشتهى * ثناياهُ لم يأثم وكان له أجرُ

وقال : ما هذا الذى جعلت فى سرجك ؟ قلت : شرابٌ أهداه إلىّ بعضُ ٢٠ أهلك . فهل لك فيه ؟ قال : ما نكرهه إذا كُره . فأتيتُه به ، فوضعتُه بينى وبينه ، فلما شرب منه شيئا نظرت إلى عينيه كأنهما عينا مهاة قد أضلت ولدَها ؛

(١) فى الأصل : عزمت على مرافقة أهل ماء لهم يقال له الحوادث وفى الأمالى : يقال له الحوذان ، وفى مصارع العشاق : يقال له الخرزات

ثم رفع عقيرته يتغنى :

إنّ العيونَ التى فى طَرْفِها مرضٌ * قتَلْننا ثمّ لم يُحْيِين قتــلانا
يَصْرَعْنَ ذا اللُّبّ حتى لاحَراك به * وهُنّ أضعفُ خلقِ اللهِ إنسانا

ثم قمت لِأُصْلِحَ من أمر فرسى ، فرجعت وقد حسر العمامة عن رأسه ؛ وإذا غلامٌ كأنّ وجهَه دينار هرقلى ، فقلت : سبحانك اللهم ! ما أعظمَ قدرتك ! ٥ قال : فكيف ؟ قلت : ذلك مما راعنى من نورك ، وبهرنى من جمالك ! قال : وما الذى يروعك من زرق العيون وحبيس التراب [1] ، ثم لا تدرى أينعَمُ بعدَك أم يَبْأَسُ ؟ قلت : لا يصنع الله بك إلا خيراً .

ثم قام إلى فرسه ، فلما أقبل برقت لى بارقة من تحت الدرع ، فإذا ثدىٌ كأنه حُقُّ عاج ، قلت : نشدتك الله ، آمرأةٌ أنت ؟ قالت : إى والله ، وتكرهُ العُهْر ، ١٠ وتحب الغَزَل ! قلت : وأنا والله كذلك ! فجلست والله تحدثنى ما أُنْكِرُ من أمرها شيئاً ، حتى مالت على الدوحة سَكرى ؛ فاستحسنت والله يا ابن أبى ربيعة الغدر ، وزُيّن فى عينى ؛ ثم إن الله عصمنى ؛ فما لبثتْ أن انتبهت مذعورة ، فلاثت عمامتها برأسها ، وأخذت الرمح ، وجالت فى متن فرسها ؛ فقلت : مصيتِ ولم تزوّدينى منك زاداً ! فأعطتْنى بنانها فشممت والله منها كالنبات الممطور زُهر الثلج ؛ ثم ١٥ قلت : أين الموعد ؟ قالت : إن لى إخوة شُرْساً وأبا غيوراً ، والله لأن أَسُرَّك أحبُّ إلىّ من أن أضرّك ! ثم مضت فكان والله آخرَ العهد بها إلى يومى هذا ، وهى التى بلّغتْنى هذا المبلغ وأحلّتْنى هذا المحل !

قال : فدخلتنى له رِقّة ؛ فلما انقضى الموسم شددتُ على ناقتى وشدّ على ناقته ، وحملت غلاماً لى على بعير ، وحملت عليه قبة حمراء من أَدَم كانت لأبى ربيعة ، ٢٠

(١) فى بعض الأصول : « من رزق الدواب ونبش التراب » . وفى الأغانى « من جيش التراب وأكيل الدواب » . وفى مصارع العشاق : « من زرق الدواب وحبيس التراب » .

وأخذت معى ألف دينار ، ومطْرَفَ خَزّ ؛ ثم خرجنا حتى أتينا بلاد كلب ، فإذا الشيخ فى نادى الحىّ ، فسلمتُ عليه ، فقال : وعليك السلام ، من أنت ؟ فقلت : عمرُ بنُ أبى ربيعة بن المغيرة المخزومى . قال : المعروف غير المنكور ، فما الذى جاء بك ؟ قلت : جئتك خاطباً ، قال : أنت الكفء لا يُرغَب عن وصله ، والرجل الذى لا يُردّ عن حاجته . قال : قلت : إن لم آتك لنفسى وإن كنتَ فى موضع الرغبة ، ولكننى أتيتكم لابن أختكم العُذرى . قال : والله إنه لكفء الحَسب ، كريمُ النسب : غير أن بناتى لم يعرفن هذا الحى من قريش .

قال : فعرف الجزع من ذلك فى وجهى ؛ فقال : أما إنى أصنع فى ذلك ما لم أصنعْه قطُّ لغيرك : أُخيِّرُها فى نفسها ، فهى وما اختارت . فقلت : خيِّرْها . فأرسل إليها : إن من الأمر كذا وكذا ، فالرأىُ رأْيُك .

فقالت : ما كنت لأستبدّ برأيٍ دون رأى القرشى ، خيارى ما اختار . قال : قد ردّتِ الأمرَ إليك . فحمدت الله وصليت على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقلت : قد زوجْتُها العذرىّ [الجعد بن] مهجع . وأصدقْتها عنه الألف دينار ، وجعلت تكرمتَها العبد والبعيرَ والقبّة ، وكسوتُ الشيخ المِطْرَف ، فسُرّ به ، وسألته أن يبنى بها من ليلته ، فأجابنى إلى ذلك ؛ فضربت القبة فى وسط الحىّ ، وأُهديت إليه ليلا ، وبت عند الشيخ فى خير مبيت ، فلما أصبحت غدوت فقمت بباب القبة ، فخرج إلىّ وقد تبين الجذل فيه ، فقلت : كيف كنت بعدى أبا مُسْهر ؟ قال : أبدت لى كثيراً مما كانت تُخفيه يوم رأيتُها . فقلت : أقِمْ عند أهلك بارك الله لك ! ثم انطلقت إلى أهلى وأنا أقول :

كَفيت الفتى العُذْرِىّ ما كان نابَهُ * ومِثلِى لِأثقالِ النَّوائبِ يَحمِلُ
أمَا استحسَنتْ منّى المكارمُ والعُلا * إذا صَرّحتْ أنّى أقول وأفعل

زواج المـأمون ببوران

حدث أبو محمد الشعبي الورّاق — وكان عند باب خراسان عند باب الجسر الأول — عن حماد بن إسحاق عن أبيـه إسحاق بن إبراهيم بن ميمون الموصلى ، قال[1] :

بينا أنا ذات يوم عند المـأمون وقد خلا وجهه وطابت نفسه ، إذ قال لى : يا إسحاق ، هـذا يوم خلوة وطيب . فقلت : طيّب الله عيش أمير المؤمنين ، ودام سرورُه وفرحه ! فقال : يا غلمان ، خذوا علينا البـاب وأحضروا الشراب . قال : ثم أخـذ بيدى وأدخلنى فى مجلس غير المجالس التى كنا فيها ، وإذا قد نَصبت الموائد ، وأُصلح ما كان يَحتاج إليه الحال ، حتى كأنه شىء قد كان تقدّم فيـه ؛ قال : فأكلنا وأخذنا فى الشراب ، فأقبلت السّتيراتُ من كل ناحية بضروب من الغناء وصنوف من اللهو ؛ فلم نزل على ذلك إلى آخر النهار .

فلما غربت الشمس قال لى : يا إسحق ، خير أيام الفتى أيام الطرب ! قلت : هو والله ذاك يا أمير المؤمنين . قال : فإنى فكّرت فى شىء فهل لك فيه ؟ قلت : لا أتأخر عن رأى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ! قال : لعلنا نباكر الصبوح فى غدوتنا هذه ، وقد عزمت على دخلة إلى الحرم . فكن بمكانك ولا تَرِمْ ، فإنى أوافيك عن قريب . قلت : السمع والطاعة . ثم نهض إلى دار السلام ، فما عُرف له خبر إلى أن ذهب من الليل عامّتُه .

قال إسحاق : وكان المـأمون من أشغف خلق الله بالنساء ، وأشدّهم ميلا إليهن واستهتاراً بهن ، وعلمت أن النبيذ قد غلب عليه ، وأنهن قد أنسَينَه أمرى وما كان تقدم إلىّ ووعدنى من رجوعه ، فقلت فى نفسى : هو فى لذته وأنا ههنا

(١) انظر « ألف ليلة وليلة » . الليلة التاسعة والسبعين بعد المـائتين ، إلى الليلة الثانية والثمانين .

فى غير شىء ، وفىّ بقية ، وعندى صبية كنت قد اشتريتها ، ونفسى متطلعة إلى افتضاضها . فقمت مسرعا عند ذكرها ، فقال الخدم : على أىّ شىء عزمت وإلى أين تريد ؟ قلت : أريد الانصراف . قالوا : فإن طلبك أمير المؤمنين ؟ قلت : هو فى سروره قد شغله الطربُ ولذةُ ما هو فيه عن طلبى ، وقد كان بينى وبينه ٥ موعدٌ قد جاز وقته ، ولا وجهَ لجلوسى .

قال : وكنت مقدَّمَ الأمر فى دار المأمون ، مقبولَ القول فيه ، لا أعارَضُ فى شىء ، إذا أومأتُ إليه ؛ فخرجت مبادِرا إلى باب الدار ، فلقينى غلمان الدار وأصحاب النوبة ، فقالوا : إن غلمانك قد انصرفوا ، وكانوا قد جاءوك بدابة ، فلما علموا بمبيتك انصرفوا . فقلت : لا ضير ، أنا أتمشى إلى البيت وحدى . ١٠ قالوا : نحضِرُك دابةً من دواب النوبة ؟ قلت : لا حاجة لى فى ذلك . قالوا : فنمضى بين يديك بمشعل ؟ قلت : لا ، ولا أريد أيضا .

وأقبلت نحو البيت ، حتى إذا صرت ببعض الطريق أحسست بحرقة البول ، فعدلت إلى بعض الأزقة ، لئلا يجوز أحدٌ من العوام فيرانى أبول على الطريق ؛ فبُلت ، حتى إذا قمت إلى المسح ببعض الحيطان ، إذا بشىء معلق من تلك الدار ١٥ إلى الزقاق ، فما تمالكت أن تمسَّحت ، ثم دنوت إلى ذلك الشىء لأعرف ما هو ، فإذا بزنبيل كبير معلق بأربعة مقابض ، مُلبس ديباجا ، وفيه أربعة أحبُل إبرَيسم ، فلما نظرت إليه وتبينته قلت : والله إن لهذا لسببا ، وإن له لأمرا . فأقمت ساعة أتروّى فى أمرى وأفكر فيه ، حتى إذا طال ذلك بى قلت : والله لأتجاسرنّ ولأجلسنّ فيه كائنا ما كان ...

٢٠ ثم لففت رأسى بردائى وجلست فى جوف الزنبيل ، فلما أحس من كان على ظهر الحائط بثقله ، جذبوا الزنبيل إليهم حتى انتهوا إلى رأس الحائط ، فإذا بأربع جوار ، فقلن : انزل بالرحب والسعة ، أصديقٌ أم جديد ؟ فقلت : لا ، بل جديد ! فقلن : يا جارية ، هاتى الشمعة . فابتدرت إحداهن إلى طست فيه شمعة ، وأقبلت بين يدىّ ، حتى نزلت إلى دار نظيفة ، فيها من الحسن والظَّرفْ

ما جِرْت له ، ثم أدخلتني إلى مجالس مفروشة ، ومناصّ مرصوصة ، [فيها من] صُنوف الفرش مالم أر مثله إلا في دار الخليفة .

فجلست في أدنى مجلس من تلك المجالس ، فما شعرت بعد ذلك إلا بضجة وجلبة ، وستور قد رفعت في ناحية من نواحي الدار ، وإذا بوصائف يتسابقن في أيدي بعضهن الشمع ، وبعضهن المجامر يبخرن فيها العود والند ؛ وبينهن جارية كأنها تمثال عاج ، تتهادى بينهن كالبدر الطالع ، بقدٍ يزرى على الغصون ؛ فما تمالكت عند رؤيتها أن نهضت ، فقالت : مرحبا بك من زائرٍ أتى وليست تلك عادته . وجلست ، ورفعت مجلسي عن الموضع الذي كنت فيه ، فقالت . كيف كان ذا والله لي ولك ، ولا علم كان وقع إليّ ؛ فما السبب ؟ قال : قلت : انصرفت من عند بعض إخواني ، وظننت أني على وقت ، فخرجت في وقت ضيق ، وأخذني البول فأخذت إلى هذا الطريق ، فعدلت إلى هذا الزقاق ، فوجدت زنبيلا معلقا ، فحملني النبيذ فجلست فيه ، فإن كان خطأ فالنبيذ أكسبنيه ، وإن كان صوابا فالله ألهمنيه قالت : لاضير إن شاء الله ، وأرجو أن تحمد عواقب أمرك ؛ فما صناعتك ؟ قلت : بزّاز . قالت : وأين مولدك ؟ قلت : بغداد . قالت : ومن أيّ الناس أنت ؟ قلت : من أماثلهم وأوساطهم . قالت : حيّاك الله وقرّب دارك !... قالت : فهل رويت من الأشعار شيئا ؟ قلت : شيئا يسيرا . قالت : فذاكِرْنا بشيء مما حفظت قلت : جعلت فداك . إن للداخل دهشة ، وفيّ انقباض ؛ ولكن تبتدئين بشيء من ذلك ، فالشيء يأتي بالمذاكرة . قالت : لعمري لقد صدقت ، فهل تحفظ لفلان قصيدته التي يقول فيها كذا وكذا ... ؟

ثم أنشدتني لجماعة من الشعراء ، القدماء والمحدثين ، من أحسن أشعارهم ، وأجود أقاويلهم ، وأنا مستمع أنظر من أي أحوالها أعجب ، من ضبطها ، أم من حسن لفظها ، أم من حسن أدبها ، أم من حسن [روايتها و] جودة ضبطها للغريب ، أم من اقتدارها على النحو ومعرفة أوزان الشعر ؟ ثم قالت : أرجو أن يكون ذهب عنك بعض ما كان من الحصر والانقباض والحشمة . فقلت :

إن شاء الله لقد كان ذلك. قالت: فإن رأيت أن تنشدنا من بعض ما تحفظ فافعل.

قال: فاندفعت أنشد لجماعة من الشعراء، فاستحسنت نشيدى وأقبلت تسألنى عن أشياء فى شعرى كالمختبرة لى، وأنا أجيبها بما أعرف فى ذلك، وهى مصغية إلىّ، ومستحسنة لما آتى به؛ حتى أتيت على ما فيه مَقْنع؛ قالت: والله ماقصّرت ولا توهمت فى عوام التجار وأبناء السوقة مثل ما معك؛ فكيف معرفتك بالأخبار وأيام الناس؟ قلت: قد نظرت أيضاً فى شىء من ذلك. فقالت: يا جارية أحضرينا ما عندك. فما غابت عنا حينا حتى قدمت إلينا مائدة لطيفة، قد جمع عليها غرائب الطعام السرى؛ فقالت: إن الممالحة أول الرضاع، فتقدمت، فأقبلت أعذّر بعض التعذير، وهى معى تقطع وتضع بين يدىّ، وأنا أغتنم ما أرى من ظرفها وحسن أدبها، حتى رُفعت المائدة.

وأُحضرت آنية النبيذ، فوضعت بين يدىّ صينية وقنّينة وقدح ومغسل، وبين يديها مثل ذلك، وفى وسط المجلس من صنوف الرياحين وغرائب الفواكه مالم أره اجتمع لأحد إلا لولىّ عهد أو سلطان، وقد عبّئ أحسن تعبئة، وهُيِّئ أحسن تهيئة. قال إسحاق: فتثاقلت عن الشراب لتكون هى المبتدئة، فقالت: مالى أراك متوقفاً عن الشراب؟ قلت: انتظاراً لك، جُعلت فداك! فسكبت قدحا آخر فشربت.

ثم قالت: هذا أوان المذاكرة، فإن المذاكرة بالأخبار وذكر أيام الناس مما يطرب. قلت: لعمرى إن هذا لمن أوقاته. فاندفعت، فقلت: بلغنى أنه كذا وكذا... وكان رجل من الملوك يقال له فلان بن فلان... وكان من قصته كذا وكذا...، حتى مررت بعدة أخبار حِسان من أخبار الملوك، وما لا يُتحدث به إلا عند ملك أو خليفة؛ فسُرّت بذلك سرورا شديدا، ثم قالت: والله لقد حدثتنى بأحاديث حِسان، ولقد كثر تعجبى من أن يكون أحد من التجار يحفظ مثل هذا، وإنما هذا من أحاديث الملوك، وما لا يُتحدث به إلا عند ملك أو خليفة. فقلت: جعلت فداك، كان لى جار ينادم بعض الملوك، وكان حسن المعرفة

كثير الحفظ ؛ فكان ربما تعطل عن نوبته التي كان يذهب فيها إلى دار صاحبه ؛ لشغل يمنعه من ذلك ، أو لأمر يقطع ، فأمضى إليه ، وأعزم عليه ، وأصيّره إلى منزلى ؛ فربما أخبرنى من هذه الأحاديث شيئا ، إلى أن صرت من خاصة أخدانه وممن كان لا يفارقه ؛ فما سمعت منى فمنه أخذته ، وعنه استفدته . فقالت : يجب أن يكون هذا كذا . ولعمرى لقد حفظت فأحسنت الحفظ ، وما هذا إلا لقريحة جيدة وطبع كريم . قال إسحاق : وأخذنا فى الشراب والمذاكرة : أبتدئ الحديث ، فإذا فرغت ابتدأتْ هى فى آخَر ، حتى قطعنا بذلك عامة الليل ، والند وفائق البخور يُجدّد ، وأنا فى حالة لو توهمها المأمون أو تأملها لاستطار سروراً وفرحا .

ثم قالت لى : يا فلان — وكنت قد غيرت عليها اسمى وكنيتى — والله إنى لأراك كاملا ، وإنك فى الرجال لفاضل ، وإنك لوضىء الوجه ، مليح الشكل ، بارع الأدب ؛ ومابقى عليك إلا شيء واحد حتى تكون قد بَرّزت وبَرّعت . فقلت : وماهو ياسيدتى ، دفع الله الأسواء عنك ؟ قالت : لوكنت تحرّك بعض الملاهى ، أو تترنم ببعض الأشعار . فقلت : والله [إنى كنت] قديما أشتهيه ، وطالما كلِفت به وحرَصْت عليه ، فلم أُرزَقه ولا يعاق بى شيء منه ؛ فلما طال عنائى به ، وكلما تقدمت فى طلبه كنت منه أبعد وعنه أذهب ، تركته وأعرضت عنه ، وإن فى قلبى من ذلك لحرقة ، وإنى لمستهتَر به مائل إليه ، وما أكره أن أسمع فى مجلسى هذا من جيِّده شيئا ؛ لتكمل ليلتى ويطيب عيشى ! قالت : كأنك قد عرّضت بنا . قلت : لا والله ماهو تعريض ، وما هو إلا تصريح ؛ وأنت بدأت بالفضل ، وأنت أولى مَن أتمّ ما بدأ به . فقالت : ياجارية ، عود . فأحضرتْ عودا ، فأخذته ، فما هو إلا أن جَسّته حتى ظننت أن الدار قد سارت بى وبمن فيها ، واندفعت تغنى ، مع صحة أداء وجودة صوت . فقلت : والله لقد جمع الله لكِ خِلال الفضل ، وحباكِ بالكمال الرائع ، والعقل الزائد ، والأخلاق المرضية ، والأفعال السَّنية . فقالت : أماتعرف لمن هذا الصوت ومن غنّى به ؟ قلت : لا والله . قالت : الغناء لإسحاق ، والشعر لفلان ، وكان سببه كذا وكذا ... فقلت : هذا والله أحسن من الغناء .

فلم تزل تلك حالها فى كل صوت تغنيه ، ومع ذلك تشرب وأشرب ؛ حتى إذا كان عند انشقاق الفجر ، جاءت عجوز كأنها داية لها ، فقالت : أى بُنية ، إن الوقت قد حضر ، فإذا شئت فانهضى . فلما سمعت مقالها نهضت ؛ فقالت : عزمت ؟ قلت : إى والله . فقالت : مُصاحبا للسلامة ، [عزَمْت] عليك لتسترنّ ماكنا فيه ، فإن المجالس بالأمانة . فقلت جعلت فداك ، أفأحتاج إلى وصية فى ذلك ؟

فودعتها وودعتنى ، وقالت : ياجارية ، بين يديه . فأُتى بى باب فى ناحية الدار ففُتح لى وأُخرجت منه إلى طريق مختصرة ، وبادرت البيت ، فصليت ووضعت رأسى ، فما انتهت إلا ورُسُل الخليفة على الباب ؛ فقمت فركبت فسرت إليه ، فلما مثلت بين يديه قال لى : ياإسحاق ، جفوناك بما كنا ضمنّاه لك ، وتشاغلنا عنك . فقلت : ياسيدى ، ليس شىء آثر عندى وأسرّ إلى قلبى من سرور يدخل على أمير المؤمنين فإذا كمل سروره وطاب عيشه فعيشنا يَطيب وسرورنا يتصل بسروره . ثم قال : ماكانت حالتك ؟ قلت : ياسيدى كنت اشتريت من السوق صبية ، وكنت متعلق القلب بها ، فلما تشاغل أمير المؤمنين عنى ، وقد كانت فىّ بقية طالبتنى نفسى بها ، فمضيت مسرعا وأحضرتها ، وأحضرت نبيذا فسقيتها وشربت معها ، وغلب علىّ السكر فقُطعت عما أردت ، وذهب بى النوم إلى أن أصبحت . فقال لى : ماأكثر مايتهيأ على الناس من هذا . فهل لك فى مثل ما كنا فيه أمس ؟ فقلت : ياأمير المؤمنين وهل أحدٌ يمتنع من ذلك ؟ قال : فإذا شئت [فانهض بنا] فنهض ونهضت ، فصرنا إلى المجلس الذى كنا فيه بالأمس ، على مثل حالنا وأفضل ، حتى إذا كان ذلك الوقت وثب قائما ، ثم قال ياإسحاق ، لاتَرِم ، فإنى أجيئك ، وقد عزمت على الصبحة . فما هو إلا أن فارقنى حتى تصور لى ماكنت فيه ، فإذا هو شىء لا يصبر عنه إلا جاهل فنهضت . فقال لى الغلمان : الله الله . وإنه أنكر علينا تخليتك وطالبنا بك ، وقال : لِمَ تركتموه ؟ ولا نحسبك إلا تحب الإيقاع بنا . فقلت : والله لا نال أحدكم بسببى مكروهٌ أبدا . ولكن أبادر بحاجتى ، والله لا كان لى حبس ولاتريُّث ، وأمير المؤمنين أطال الله بقاءه إذا دخل أبطأ ، وأنا مُوافيكم قبل خروجه إن شاء الله .

قال : فمضيت ، فما شعرت إلا وأنا فى الزقاق ، فوافيت الزنبيل على ما كان عليه فأقعدت فيه وأُصعدْت ، وصرت إلى الموضع [الذى كنت فيه البارحة] ، فلم ألبث إلا هنيهة وإذا بها قد طلعت ، فقالت : ضيفُنا ؟ قلت : إى والله . قالت : أو قد عاودْت ؟ قلت : نعم ، وأظنُّ أنى قد أثقلت . فقالت : مادحُ نفسه يقرئك السلام فقلت : هفوة ، فمُنّى بالصفح ، قالت : قد فعلنا فلا تَعُد ، قلت : إن شاء الله . ٥

ثم جلست ، وأخذنا فيما كنا فيه من المذاكرة والإنشاد والشرب ، ولم نزل على تلك الحال وأفضل ، وقد أنِست وانبسطت بعض الانبساط ، وهى مع ذلك لاتزال تقول : لو كنت على ماأنت عليه أحكمت من تلك الصنعة شيئا ، لقد تناهيت وبرعت . فأقول : والله لقد حرصت على ذلك وجهدت فيه فما رُزِقتُه ولاقدرت عليه . ثم قلت : جعلت فداك ، لاتخلينا مما كان من فضلك البارحة . فأخذت فى الأغانى ، وكلما مر صوت طيب قالت : أتدرى لمن هذا ؟ فأقول : لا ! فتقول : لإسحاق ! فأقول : وإسحاق هكذا فى الحذق ! فتقول . بخٍ إسحاق فى هذا البيت بديع الصوت ، وعميق الغناء . فأقول : سبحان الله ! لقد أعطى إسحاق هـذا مالم يعطه أحد ! فتقول : لو سمعت هذا منه لـكنت أشدّ استحسانا له وكلفا به . ١٠

حتى إذا كان ذلك الوقت وجاءت العجوز ، نهضت وودعتها ، وبادرت جارية ففتحت الباب فخرجت منه . ١٥

وبادرت المنزل فتوضأت للصلاة وصليت الصبح ، ووضعت رأسى فنمت ، فما انتبهت إلا ورُسُلُ أمير المؤمنين يطلبوننى ؛ فركبت إلى الدار فما هو إلا أن مثلت بين يديه فقال لى : ياإسحاق ، أبَيت إلا مكافأة لنا ومعاملة بمثل ما عاملناك . قلت : لا والله ياأمير المؤمنين ، ما إلى ذلك ذهبت ، ولا إليه قصدْت ، ولـكننى ظننت أن أمير المؤمنين تشاغل عنى بلذته وأغفل أمرى ، وجاء الشيطان فأذكرنى أمر الجارية ، فبادرت ، فقال : وكان من أمرك ماذا ؟ قلت : قضيت الحاجة وفرغت [من] الأمر . فقال : قد انقضى ما كان بقلبك منها وواحدة بواحدة والبادى أظلم . فقلت : أنا يا أمير المؤمنين ألْوَم وأظلم ، والمعذرة إليك ٢٠

فقال : لا تثريب عليك ، هل لك فى مثل حالنا الأول ؟ قلت : إى والله ! قال : فانهض بنا . فقمنا حتى صرنا إلى الموضع الذى كنا فيه ، فأخذنا فى لذتنا ؛ حتى إذا كان الوقتُ قال لى : يا إسحق ما عزمت ؟ قلت لا عزم لى يا أمير المؤمنين ! قال : عزمت عليك لتجلسنّ حتى أخرج إليك لتصطبح ؛ فإنى عازم على الصبوح ٥ وقد نغّصْتَ علىّ منذ يومين ! قلت : إن شاء الله !

وقام ، فما هو إلا أن توارى ، حتى قمت وقعدت ، وجالت وساوسى ، وجعلت أفكر فى مجلسى معها وأفكر فيها ، وفى الخروج عن طاعة المأمون ومايخرجنى من سخطه ومَوجدته ؛ فسَهُل [علىّ] كلُّ صعب إذ فكرتُ فى أمرها ؛ فقمت مبادرا ، فاجتمع علىّ جندُ الدار فقالوا : أين تريد ؟ فقلت الله الله ! إن لى قصة ، ١٠ وأنا معلّق القلب ببعض مَن فى منزلى ، وأحتاج إلى مطالعتهم فى بعض الأمر . فقالوا : ليس إلى تركك سبيل ! فلم أزل أرفق بهذا ، وأقبّل رأس هذا ، ووهبت لواحد خاتمى ، ولآخر ردائى ، حتى تركونى ؛ فلما خرجت عن جملتهم لم أرتد عنها حاسرا حتى وافيت الزنبيل وصعدت السطح وصرت إلى الموضع ؛ فلما رأتنى قالت : ضيفنا ؟ قلت : نعم . قالت : جعلتَها دارَ مُقام ! قلت : جعلت فداك ، ١٥ حق الضيافة ثلاثة أيام ، فإن عدت بعدها فأنت فى حِل من دمى ! قالت : والله لقد أتيتَ بحجة .

ثم جلسنا ، وأخذنا فى مثل حالنا الأول من الشرب والإنشاد ، والمذاكرة ، حتى إذا علمت أن الوقت قد قارب ، فكرتُ فى قصتى ، وأن المأمون لا يفارقنى على هـذا وأننى لا أتخلص منه إلا بشرح قصتى وأكشف له عن حالى ، وعلمت ٢٠ أنى إن قلت له ذلك طالبنى بمعرفة الموضع والمسير إليه ، مع ما كان غلب عليه من الميل إلى النساء ؛ فقلت لها : أتأذنين فى ذكر شىء خطر ببالى ؟ قالت : قل ما بدا لك . قلت : جعلت فداك ، إنى أراك ممن يقول بالغناء ، ويعجب به وبالأدب ؛ ولى ابن عم هو أحسن منى وجها ، وأشرف قدرا ، وأكثر أدبا ، وأعز معرفة ؛ وأنا تلميذ من تلاميذه ، وحَسنةٌ من حسناته ؛ وهو أعرف الناس

بغناء إسحق ! قالت : طفيلي ومقترِح ! لم ترض أن سمحنا لك ثلاثةَ أيام ، حتى طلبت أن تأتى معك بآخَر ؟ فقلت لها : جعلت فداك ، ذكرتُه لتكونى أنت المحكِّمة ، فإن أذنت وأردت ذلك وإلا فلا أذكره . فقالت . إن كان ابنُ عمك هذا على ما ذكرتَ فلا نَكرة أن نَعرِفه . فقلت : هو والله أكثرُ مما وصفت ! فقالت : إن شئت فالليلة الآتية ائت به . ٥

ثم حضر الوقت فنهضت حتى وافيت منزلى ، وإذا برسل الخليفة قد هجموا على منزلى وأصحابِ الشرطة ؛ فلما أُبصروا بى سُحبت على مابى بحالتى تلك ، حتى انتهوا بى إلى الدار ؛ فإذا المأمون جالس على كرسى وسط الدار ، مغتاظ حَرِد ؛ فقال : أخروجاً عن الطاعة ؟ قلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، إنه كانت لى قصة أحتاج فيها إلى الخلوة . فأومأ إلى من كان واقفا فتنحَّوا ، فلما خلونا قلت : كان ١٠ من خبرى كذا وكذا ، وفعلت وصنعت . . .

فوالله مافرغت من حديثها حتى قال : يا إسحق ، أتدرى ما تقول ؟ فقلت : إى والله ! إنى لأدرى ! فقال : ويحك ! كيف لى بمشاهدة ما شاهدتَ ؟ قلت : ما إلى ذلك سبيل ! قال : لابد أن تتلطف وتوصِّلنى إليها ؛ فهذا ما بقى لى صبر عنه ! قلت : والله إنى قد تفكرت فى قصتها وفيما قدمت عليه من عصيانك ، وعلمت ١٥ أنه لا ينجينى إلا الصدقُ وكشْف الحال ، وعلمت أنك تطالبنى به أشدَّ مطالبة فقدّمْت لها ذِكرك ، ووعدتْنى فى أمرك بكذا وكذا . قال : أحسنت والله لولا ذلك لنالك منى كلُّ مكروه ! قلت : فالحمد لله الذى سَلَّمَ

ثم نهض ونهضت إلى مجلسنا ، وأخذنا فى لذتنا ، وهو مع ذلك يقول : يا إسحق ، صف لى حالها ، واشرح لى أمرها ! ٢٠

فقطعْنا يومنا فى مذاكرتها إلى أن مضى النهار ، فلما أن مضى من الليل هدْأة جعل يقول : ما جاء الوقت ! وأنا أقول بقى قليل ؛ والقلق غالب عليه ، حتى جاء الوقت ، فنهضنا ، وخرجنا من بعض أبواب القصر ؛ معنا غلام ، وهو على حمار وأنا على حمار . فلما صرنا بالقرب من منزلها نزلنا ، ثم سلمنا الحمارين للغلام ،

وقلنا له : انصرف ، فإذا كان الفجر فكن ههنا بالحمارين وأقبلنا نمشى متنكرَين وأنا أقول : يجب أن تُظهر برِّى بحضرتها وإكرامى . وتطرحَ نخوة الخلافة وتجبُّرَ الملك ، بل كن كأنك تبع لى ! وهو يقول : نعم أو يحتاج أن توصينى ؟ ثم قال : ويحك يا إسحق ! فإن قالت لى غنِّ كيف أصنع ؟ قلت : أنا أكفيك
٥ وأدفعها عنك برفق .

فلما صرنا إلى الزقاق إذا بزنبيلين معلقين بثمان حبال ، فقعد كل منا فى واحد وجذبنا الجوارى ، وإذا نحن فى السطح ؛ وبادرنْ بين أيدينا حتى انتهينا إلى المجلس ، فأقبل المأمون يتأمل الفرش والدار والزِّى ، ويتعجب عجباً شديداً ؛ ثم قعدت فى موضعى الذى كنت أقعد فيه ، وقعد المأمون دونى فى المرتبة ، ثم
١٠ أقبلتْ فسلمتْ ، فما تمالكَ أن بُهت من حسنها ، فقالت حيَّا اللهُ ضيفَنا ! فوالله ما أنصفتَ ابن عمك ، ألا رفعتَ مجلسه ؟ فقلت ذلك إليك ، جعلت فداءك ! فقالت [له] : ارتفع فديتُك فأنت جديد ، وهـذا قد صار من أهل البيت ، ولكل جديد لذة !

فنهض المأمون حتى صار فى صدر المجلس ، ثم أقبلت عليه تذاكره وتناشده
١٥ وتمازحه ، وهو يأخذ معها فى كل فن ، ويفحمها قال ثم التفتت إلى وقالت : وفيت بوعدك وصدقت فى قولك ووجب شكرُك على صنيعك ! قال : ثم أحضر نبيذ وأخذنا فى الشراب ، وهى مع ذلك مقبلة عليه وهو مقبل عليها ، ومسرورة به ومسرور بها ؛ فقالت لى : ابن عمك هذا من أبناء التجار ؟ قلت : نعم ، فديتُك نحن لا نعرف إلا التجارة ! قالت وإنكما فيها لغريبان ! ثم قالت : موعدَك !
٢٠ فقلت : لعمرى إنه لجيب ، ولكن حتى نسمع شيئا . قالت : لك ذاك . فأخذت العود فغنت صوتا ، فشربنا عليه رطلا ؛ ثم غنت بصوت كان المأمون يقترحه علىّ ، فشربنا عليه رطلا .

فلما شرب المأمون ثلاثة أرطال ، داخله الفرح والارتياح وقال : يا إسحق

فوالله لقد رأيته ينظر إلىّ نظر الأسدِ إلى فريسته ، فنهضت وقلت : لبّيك يا أمير المؤمنين ! قال : غنِّنى بهذا الصوت !

فلما رآنى قمت بين يديه وأخذتُ العود ووقفتُ بين يديه أغنيه ، علمت أنه الخليفة وأنى إسحق ؛ فنهضت فقالت : ههنا ! وأومأت إلى كِلّة مضروبة ، فدخلتها ؛ ثم فرغت من ذلك الصوت وشرب رطلا ، وقال لى : ويحك ياإسحق ! ٥ انظر مَن ربُّ هـذه الدار ! فخرجت إلى تلك العجوز فسألتها عن صاحب الدار فقالت : الحسن بن سهل . قلت : ومن هذه ؟ قالت : بوران ابنته فرجعت وأعلمته

قال : ثم انصرفنا ، فقال لى : يا إسحق ، اكتم هذا الأمر ولا تتفوّه به . ومضينا إلى دار الخلافة ؛ فلما كان الصباح وحضر الحسن بن سهل على عادته ، قال له المأمون : ألك بنت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال ما اسمها ؟ قال : ١٠ بوران . قال : فإنى أخطبها إليك قال هى أمَتك يا أمير المؤمنين ، وأمرُها إليك قال فإنى قد تزوجتها على نقد ثلاثين ألف دينار : فإذا قبضت المال فاحملها إلينا .

ثم تزوجها ، وكانت أحظى نسائه عنده ، وآثرهن لديه ؛ وكنت أستر هـذا الحديث إلى أن مات المأمون .

[قال إسحق] : فما اجتمع لأحد ما اجتمع لى فى تلك الأربعة الأيام ، إذ ١٥ كنت أنصرف من مجلس أمير المؤمنين إلى مجلسها ، ووالله ما رأيت من الرجال وملوكهم وخلفائهم أحدا يفى بالمأمون ، ولا شاهدت من النساء امرأة كبُوران فى عقلها ؛ وأما معرفتها وأدبها فما أظن من يتهيّأ له أن يقف من العلوم على ما وقفت عليه ولقد سألت بعض من يتولى خدمتَها من العجائز : ماحَملها على ما أرى ؟ فقالت : إنها تفعل ذلك منذ كذا وكذا سنة ، ولقد عاشرَت الظرفاء ٢٠ والملاح والأدباء أكثر من أن يقع عليه إحصاء ، ولم يكن جرى بينها وبين أحد مكروه ولا خَنًا ولا كلمة قبيحة ؛ ولم يكن مذهبها فى ذلك إلا حب الأدب والمذاكرة ، ومعاشرة الظرفاء وأهل المروءة والأقدار والنُّبل والأخطار ، لا لريبة

تظهر ، ولا الحالة تُنكَر . قال : فوالله لقد تضاعف قدرُها عندى ، وعظم خطرُها في نفسى ، وعلمت شرفَ همتها وفضلَها .

فهذا خبر بوران صحيحاً على الحقيقة ، وسبب تزوُّج المأمون بها .

فتى من بنى حنيفة وجارية

٥ قال هشام بن الكلبي والهيثم بن عدى : إن ناساً من بنى حنيفة خرجوا يتنزهون إلى جبل لهم ، فرأى فتى منهم فى طريقه جارية ، فرمقها وقال لأصحابه : لا أنصرف والله حتى أرسل إليها وأخبرها بحبى لها ! فطلبوا إليه أن يكف فأبى ، وأقبل يراسل الجارية ؛ وتمكن حبها من قلبه ، فانصرف أصحابه وأقام الفتى فى ذلك الجبل ، فمضى إليها ليلة متقلداً سيفاً وهى بين أخوين لها نائمة ، فأيقظها ؛ فقالت : انصرف ١٠ لئلا ينتبه أخواى فيقتلاك ! فقال : الموت أهونُ والله مما أنا فيه ، ولكن أعطينى يدك أضعها على قلبي وأنصرف ! فأعطته يدَها ، فوضعها على قلبه وانصرف ؛ فلما كانت الليلة الثانية ، أتاها وهى على مثل تلك الحال ، فأيقظها ، فقالت له مثل مقالها الأول ، فقال : لك الله إن أمكنتِنى من شفتيك أرشفهما أن أنصرف ! فأمكنته فرشفهما ثم انصرف ؛ فوقع فى قلبها من حبه مثل ١٥ ما كان به ...

وفشا خبرهما فى الحىّ ، فقال أهل الجارية : ما مُقام هذا الفاسق فى هذا الجبل ؟ امضوا بنا إليه الليلة ! فبعثت إليه الجارية : إن القوم سيأتونك الليلة ، فاحذر على نفسك ! فلما أمسى قعد على مرقاة ومعه قوسه وسهمه ، ووقع بالحىّ فى الليل مطر ، فاشتغلوا عنه ؛ فلما كان آخر الليل وانقشع السحاب وطلع القمر ، ٢٠ اشتاقته الجارية فخرجت تريده ومعها صاحبة لها من الحى كانت تثق بها ؛ فنظر الفتى إليهما فظن أنهما يطلبانه ، فرمى فما أخطأ قلب الجارية ، فوقعت ميتة ، وصاحت الأخرى ورجعت ؛ فانحدر الفتى من الجبل فإذا الجارية ميتة ،

فقال :

نَعَبَ الغُرَابُ بمـا كرِهْـ * ـتُ ولا إزالةَ للقدر

تبكى وأنتَ قتلتَهـــا * فاصبر وإلا فانتحِرْ

ثم وجأ بمشاقصه فى أوداجه حتى مات ؛ فجاء أهل المرأة فوجدوهما ميّتين ،
فدفنوهما فى قبر واحد ! ٥

باب اللغز

لثغة أبى عطاء

كانت فى أبى عطاء السندى لثغة قبيحة ، فاجتمع يوما فى مجلس بالكوفة فيه حماد الراوية ، وحماد عجرد ، وحماد بن الزبرقان ، وبكر بن مصعب ؛ فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : ما بقى شىء إلا وقد تهيأ فى مجلسنا هذا ، فلو بعثنا إلى أبى عطاء السندى ! فأرسلوا إليه ، فأقبل يقول : مَرْهَباً مرهبا ! هياكم الله ! وقد ١٠ كان قال أحدهم : من يحتال لأبى عطاء حتى يقول : جرادة ، وزُج ؟ وشيطان ! فقال حماد الراوية : أنا ! فقال : يا أبا عطاء ؛ كيف عِلمك باللغز ؟ قال : هَسَن ، يريد : حسن ، فقال له :

فما صَفْراء تُكنى أمّ عوف * كأنّ سُـــوَيْقَتيْها مِنجَلانِ

قال : زَرارة . فقال : أصبت ، ثم قال : ١٥

أتعرِفُ مَسجداً لبنى تَميم * فُوَيْقَ الميلِ دون بنى أبانِ؟

قال : فى بنى سيْتَان . فقال : أصبت ، ثم قال :

فما اسمُ حَديدة فى الرمحِ ترمى * دُوَيْن الصدْرِ ليست بالسنانِ ؟

فقال : زُزّ . فقال : أصبت .

٢٠ * * *

لغز المأمون فى خاتم

وقال المأمون يصف خاتما :

وأبيض أمّا جِسمُهُ فَمُدَوّرٌ * نقىٌّ وأمّا رأسُـــهُ فمعار

ولمْ يكتَسِبْ إلا ليسكُنَ وَسْطَه * مؤنثةٌ لم تُكْسَ قطُّ خمار

لها أخواتٌ أربعٌ هُنّ مثلُها * ولكنها الصُّغرى وهُن كِبار

وقال آخر فى أرنب : — لغز فى أرنب

لهوْتُ بذاتِ رأس والتِياثِ * كرفع الإصبَعَيْنِ على الثلاثِ

إذا السّبّابةُ ٱرتفعت مع الخِنْ * صَرِاجتَمعَ الثلاثُ بلا انتكاث

٥ لهوْتُ بهــــا تطيرُ بلا جَناح * وتُنسَبُ فى الذُّكورِوفى الإناث

وقال : — لغز فى أمور شتى

ربّ ثوْرٍ رأيتُ فى جُحْرِ نَمل * وقطاةٍ تحمّـــلُ الأثقالا

ونُسورٍ تمشى بغــــيرِ رُءوس * لا ولا ريش تحمِل الأبطالا

وعجوزٍ رأيتُ فى بطنِ كلب * جُعِل الكلبُ للأميرِ جمالا

١٠ وغُــــلامٍ رأيتُهُ صار كلبا * ثم مِن بعدِ ذاكَ صار غزالا

وأتانٍ رأيتُ واردَةَ المـا * ءِ زماناً وما تذوقُ بَلالا

وعُقَابٍ تطير من غيرِ ريش * وعُقابٍ مقيمَة أحوالا

الثور : النمل الذى يخرج التراب من الجحر العظيم بفيه . والقطاة : موضع الردف من الفرس . والنسور : بطون الحوافر . والعجوز : السيف . وبطن ١٥ الكلب : الجلد الذى يعمل منه غمد السيف . وصار كلبا : ضم كلبا ، أخذه من صار يصور ، من قول الله : ﴿ فصُرْهُنّ إليْكَ ﴾ والأتان : الصخرة . والعقاب التى تطير من غير ريش : البكرة . والمقيمة أحوالا : اللواء .

وقال آخر فى البيضة : — لغز فى البيضة

ألا قل لأهل الرأيِ والعلمِ والأدبْ * وكلّ بصيرٍ بالأمورِ أخى أرَبْ

٢٠ ألا خـــبرونى أى شىء رأيتمُ * من الطير فى أرضِ الأعاجم والعرب

قديمٌ حديثٌ قد بَدا وهو حاضرٌ * يُصادُ بلا صيدٍ وإن جدّ فى الطّلَب

ويُؤكل أحيـــانا طبيخاً وتارةً * قلِيًا ومشويًا إذا دُسّ فى اللهَب

وليس له لحمٌ وليس له دمٌ * وليس له عظمٌ وليس له عصبْ

وليس له رجلٌ وليس له يدٌ * وليس له رأسٌ وليس له ذَنبْ
ولا هو حىٌّ لا ولا هُو ميّتٌ * ألا خبرونى إنّ هذا هو العجَبْ

وقال غيره :

إنى رأيتُ عجوزاً بين حاجبها * ونابها حَبَشِىٌّ قائمٌ رجُلُ
له ثلاثونَ عينا بين مرفقِهِ * وبين عاتقِه فى رجْله قزَل ٥
فى ظهرِه حيّةٌ حمراء قانية * فى ظهره رجلٌ فى ظهره رجُل

العجوز : الناقة . والحبشى الذى بين حاجبها ونابها : الأسود الحابس بالخطام . وقوله : له ثلاثون عينا بين عاتقه ومرفقه : مثاقيل كانت مصورة فى عضده . وقوله : فى ظهره حية حمراء قانية : كان عليه برنس فيه تصاوير بعضها داخل فى بعض . ١٠

لغز فى القلم

وقال آخر فى القلم :

فلا هو يمشى لا ولا هو مُقعدٌ * وما إن له رأس ولا كفُّ لامسِ
ولا هو حىٌّ لا ولا هو ميّتٌ * ولكنّه شخصٌ يُرى فى المجالس
يزيدُ على سمّ الأفاعى لعابُه * يدِبُّ دبيبا فى الدُّجى والحنادِس
يفرّقُ أوصالا لصمتٍ يُجنّنهُ * وتُفرى به الأوداجُ تحت القلانِس ١٥
إذا ما رأته العينُ تحقِرُ شأنه * وهيهات يبدو النِّقْسُ عند الكرادِس

لغز آخر

وقال آخر فيه :

ضئيل الرُّواء كبير العناء * من البحر فى المنصب الأخضرِ
عليه كهيئةِ مَرِّ الشجا * ع فى دِعْصِ عنيـــةِ أعفرِ
إذا رأسُهُ صح لم يَنْبعِثْ * وحاد السبيلَ ولم يبصِر ٢٠
وإن مُدْيةٌ صدعتْ رأسه * جرى جرْىَ صائب لم يُقصِر
يقضى لُبانته مُقبـــلا * ويَحْسِمه هيئة المـــدبِر
جرىء بكَفِّ فتى كفُّه * تسوقُ الثراء إلى المقتِر

أبيات من الشعر المحدث

ماء النعيم بوجهه مُتحيّرُ * والصُّدغ منه كمعطف للزائى
وكأنما نهكت قوى أجفانه * بالراح أو قد شيب بالإغفاء
لو باشر الماء القراح بكفِّهِ * لجرت أناملَه بنبع الماء

وقال المؤمِّل :

عجبتُ لمن يُطيِّبنى بمسك * وبى يتطيّب المسكُ الفَتيتُ
خلاخيل النِّساء لها وجيبٌ * ووسْواسِى وخلْخالى صموت
ولو أنّ النِّساء غنينَ يوما * عن المسك الذكيّ كما غنيت
لأصبحَ كل عطّار فقيراً * قليلا ماله مايستبيت

تم الجزء الثامن من العقد الفريد وبه تم الكتاب

فهرس الجزء الثامن من العقد الفريد

تم فهرس الجزء الثامن من كتاب العقد الفريد

فهارس

العِقْدُ الفريدُ

تشمل هذه الفهارس :

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

١ — فهرس الأعلام

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

تم فهرس الأعلام

ويليه فهرس الأمكنة والبلدان والقبائل والجماعات

فهرس

الأمكنة والبلدان والقبائل والجماعات

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حرف الشين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الياء

تم فهرس الأمكنة والبلدان والقبائل والجماعات

ويليه فهرس القوافى

فهرس القوافى

الهمزة

صدر البيت	قافيته	بحره	ج	ص
ولكل	كتبه	كامل	٢	٦٧
			و ٤	٢٥٢
إن	وحبيبها	»	٢	١٨٠
ومن	سلبه	»	٢	٢٠٢
والشيب	الشباب	»	٢	٣٢١
فسلم	يكتب	»	٤	٢٤٥
قرت	أربابها	»	٦	١٠
يا كعب	كعب	»	٦	٧٧
أتا	يجب	»	٦	٢٦٥
ما بال	غضاب	»	٧	٢٥
يا واحد	فتجيب	»	٧	٤٠
العاشقان	متعتب	»	٨	٨٦
قد	خاطبا	»	١	٢٩٣
عيني	الحب	»	٦	١٦٥
من	عتابا	»	٧	٦٩
أبصرت	الصبا	»	٧	٧٣
لم	المحبوبا	»	٨	١١٧
جانيك	الجرب	»	١	٢٢
			و ٥	٢٥٧
غالوا	الحاجب	»	١	٥٣
سيف	القضيب	»	٦	٧٩
نفرت	وهوب	»	١	٨٣
ماضر	كاذب	»	٢	١٦٧
وجفوتني	الخالب	»	١	١٧٣
ولقد	الأسباب	»	٢	١٤٤
				و ١٥٥
ذهب	الأجرب	»	٢	١٦٤
			و ٦	١٠٩
لاتسألن	قلبكا	»	٢	١٨١
البس	ذنوبه	»	٢	٢٣١
زعمت	الغلاب	»	٢	٢٦٣
و ٦ : ١١١ و ١٢٧ و ٨ : ٤				
لارقة	الأعراب	»	٢	٢٩١

صدر البيت	قافيته	بحره	ج	ص
للضيف	بخضاب	كامل	٢	٣٢٦
بكرت	اشبابي	»	٢	٣٢٦
بأبي	شبابه	»	٣	١٨٦
إن	وتخضبي	»	٣	٣١٩
وإذا	تغضبه	»	٤	٢٤٥
لا تجزعن	الكتاب	»	٤	٢٥١
إني	والغيب	»	٥	٧٥
أبلغ	كلاب	»	٦	٨٧
قض	الغيب	»	٦	١٠٨
وتقول	الكتاب	»	٦	١٣١
طلع	وشباب	»	٦	٢٢٩
وتراه	سحاب	»	٧	١٣٣
ولقد	الأكلب	»	٨	٥٦
ولعل	الحساب	»	٢	٢٢١
قول	االبيب	»	٢	٢٨٥
لاه	العواقب	»	٦	١٧٥
أهدى	والذهب	»	٧	٢٨٠
عظيم	مسلوب	هزج	٤	٥
تركت	ريبة	»	٢	١٦٢
له	بالرعب	»	١	١٠٨
أيا من	قلبي	»	٦	٢٦٨
أنام	صلبه	رجز	١	٢٤٠
ذودا	والأحازب	»	٣	٢٦٦
بشر	أبي	»	٣	٢٩٠
لاهم	وخضبوا	»	٤	٦٤
إن كنت	آب	»	٤	٧٦
أوبي	الإياب	»	٥	٩٩
			و ٦	١٢٠
أوقر	المحجبا	»	٥	١٢٢
لما	ركبا	»	٦	٧١
إن	وسرت بي	»	٤	٢٣
قرأت	الأحزاب	»	٤	٧٤
وابأبي	بي	»	٤	٢٤٩

صدر البيت	قافيته	بحره	ج	ص
يا آخذ	الطرب	رجز	٥	٢٤٢
كنت	ثوبي	»	٦	٣٠٤
إني	يرمون بي	»	٦	٣١٠
لايعقب	الصب	»	٧	١٣٣
مقابل	الخطاب	»	٤	٣٥
			و ٥	١٧٥
قد	منسكب	»	٤	٧١
صبحت	المطلب	»	٥	٩٩
أنا	المطلب	»	٦	١١٥
يا أيها	يقترب	»	٦	٢٧٠
قد	أذوب	رمل	٧	٢٤
ليست	الغضب	»	٢	١١٩
لا بك	وأبي	»	٢	٢٥٦
آه	حبي	»	٧	٧٢
اسقني	خرب	»	٦	١٩٣
			و ٨	٤٦
شادن	ولعب	»	٦	٢٧٢
ثالبني	والثالب	سريع	٢	١١٧
إنّ	الراهب	»	٣	١٨١
لمـــا	بابه	»	٤	٣٩
رأيت	أهرب	»	٧	٧٠
وعاشق	قلب	»	٨	١٠٣
ربّ	الغيب	»	٢	١٤٤
فاعتبروا	بالصاحب	»	٢	١٥٦
إن	غائب	»	٢	٢٠٤
ياعجب	شاحب	»	٤	٢١٦
كأنها	يضرب	»	٧	٧٢
أحلت	كتبك	منسرح	٤	٢٣٥
كيف	سببك	»	٤	٢٣٥
جئتك	الأدب	»	١	١٦٤
مالي	عربي	»	٢	١٣٠
			و ٣	٣٢٤
ما وهب	أدبه	»	٢	٢٣٣
وروضة	جوانبها	»	٦	٢٣٠

صدر البيت	قافيته	بحره	ج	ص
بيضاء	ذهب	منسرح	٧	١٠٩
إنّ	العجب	»	٧	١٢٦
هم	العرب	»	٧	١٣٠
ومالبكر	وكاذبها	»	٦	٢٠٥
أيها	حجاب	خفيف	١	٥٥
ليس	الأريب	»	٢	١١٥
ونبيذ	لسيب	»	٨	٤٤
أرض	جانبا	»	٣	١٤٨
وضع	شعوبا	»	٣	٢٤٣
ومتى	وزبيب	»	٢	٢٩١
إنّ	بعذاب	»	٢	٣٢٦
ليس	الرقاب	»	٤	٥٥
ياغريبا	حبيب	»	٦	٢٢٠
كلّ	الذباب	»	٧	١٩٦
ليس	خضاب	»	٨	١١٨
فيارحة	يسكب	متقارب	٢	٣٣٥
وربيت	والنصب	»	٣	١٩٢
تبيت	تعتب	»	٣	٢٥٢
أولئك	يطيبا	»	٤	١٣٩
تركت	عابه	»	٨	٤٦
إذا	بالقصب	»	١	٥٦
بكلّ	اللبب	»	١	١٠٩
عجبت	ذهب	»	٤	٢٨٠
نعي لك	الخطوب	»	٣	١٢٥

حرف التاء

صدر البيت	قافيته	بحره	ج	ص
أرى	أتلفت	طويل	٢	٢٧
أمسعود	الترحات	»	٣	٢١٥
لعمرك	فأموت	»	٨	١٣٧
تميم	ضلت	»	١	١٠٣
	و ٢ : ٢٦٨	و	٦	١٣١
أقول	وصلاته	»	١	١٦١
سأشكر	جلت	»	١	١٩٢

حرف الثاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

صدر البيت	قافيته	بحره	ج	ص
غناؤك	الصقيع	وافر	٧	٧٠
فواكبدى	كالخداع	»	٧	١١٨
أطوف	لكاع	»	٧	١٠٦
قبح	لاتنفع	كامل	٢	١٨٣
				و ٢٩٦
إنى	وتشبعوا	»	٢	٣٠٠
ولى	يرجع	»	٢	٣٢٢
والنفس	تقنع	»	٣	١٤٣
			و ١٨٤ و ٦	١٠٧
لعمى	بديع	كامل	٣	١٤٩
أمن	يجزع	»	٣	١٨٤
والمرء	يجمع	»	٣	٢٢١
زعم	مربع	»	٤	٢٥٨
وإذا	تنفع	»	٥	٢٦٣
				و ٢٩٤
ماكان	الأسلع	»	٦	٣٦
أدعو	وينفع	»	٦	٢١٢
ومقير	أربع	»	٧	١٨
قد	مرقوع	»	٧	١٩١
الصبر	الصنيعة	»	٢	١٤١
لاتقنعن	فاقنع	»	٢	٣٠٠
ولقد	يجزع	»	٣	١٨٧
			و ٥	١٦٣
أومت	قناع	»	٦	٣٢٢
فلايمشن	القعقاع	»	٧	١٥٧
هل	نافع	»	٢	٨٤
لئن	منعى	هزج	١	١٩٦
وإنما	وعى	رجز	١	١٥٨
والكبير	والأخدع	»	٢	٣٢٩
صادف	يصدعه	»	٣	٢٤٩
إن	أربع	»	٤	٤٢
والملل	موضع	»	٦	٢٤٣
عجبت	ويرجع	»	٧	١٣٤

صدر البيت	قافيته	بحره	ج	ص
شبيهة	برعا	رجز	٣	٧٠
دعا	الرفيعه	»	٣	٢٧٥
نحن	وأبصعه	»	٣	٣٠٦
خلّ	ربيعه	»	٦	٢٩
ياليتنى	أكتعا	»	٤	٤٤
فإن	فاسمعا	»	٦	٢٤٧
ياساق	كراعى	»	٣	٢٨٣
ياليتنى	واضع	»	١	٩٥
وخارج	وقع	»	١	١٠١
ياليت	الوقع	»	٣	٤٦
			و ٤ : ١٢ و ٧	٢٢٠
ادنوا	كنع	رجز	٦	٣٣
بياض	ارتفع	»	٦	٢٧١
يع	تبيع	رمل	٢	٣٧
كيف	وصلع	»	٤	٢٥٨
			و ٦	٢٩٧
رب	يطع	»	٥	٢٧١
وليلة	مفجوع	سريع	٦	٢٠٩
قلبى	وأوجاعى	»	١	٢٤
			و ٣	٣٥
وحومة	جعجاع	»	١	٨٢
بكل	بالقاع	»	١	١٢٥
ليس	كالراعى	»	٣	٥٠
قد	تهجاع	»	٦	١٦٦
قلبى	وإطماع	»	٦	٢٧٦
الله	وأتبع	منسرح	١	٢٨٥
فصل	قطعة	»	٢	١٤٤
لكل	معه	»	٢	١٤٤
أرض	نفعه	»	٣	١٤٢
أيتها	وقعا	»	٣	١٩٤
ياوحشتا	صنعا	»	٦	٢٢١
			و ٧	٥
ياقاتل	أسرعهم	»	٦	٣١١

صدر البيت	قافيته	بحره	ج	ص
سرية	الفبهتقا	رجز	٦	١٨٣
أبيض	الصديق	»	٢	٢٤٥
يامىّ	حق	»	٢	٢٧٣
وقد	فوقه	»	٣	٦٦
		و	٦	١١٥
كأن	وارق	»	٢	٢٧٥
إنك	خاق	»	٣	٥٨
أشكو	شملقا	»	٤	٥٧
كان	أنق	»	٤	٥٦
		و	٧	١٣٤
قد	ساق	»	٥	١٥٥
وقاتم	الخق	»	٦	٣١٣
ليس	السرقا	رمل	٧	٢٠٩
احذر	الخلق	»	٢	٢٠٠
برزت	المملق	»	٦	١٠٣
يامن	الحلق	سريع	٢	١٣٤
يوشك	يوافقها	»	٣	١٢٢
		و	٦	٣٠٦
بيضاء	قراطقها	منسرح	٦	٢٧٨
طوقته	عنقه	»	٢	١٩
كم	قلقك	»	٢	٢٥٥
كأنما	مخنوق	»	٦	١٨٩
ما زلت	علق	»	٢	١٠
ثم	إبريق	خفيف	٥	١٩٠
ذات	شرق	»	٦	٢٨٠
إنّ	حقيقا	»	٦	١٢٣
زعموا	وأفاقا	»	٦	١٦٦
وجه	بصاق	»	٢	١٣٧
سر	بالتلاقى	»	٤	٢٧٧
أنا والله	العشاق	»	٦	٢١٣
ودعتنى	التلاقى	»	٦	٢٢٣
عجبت	تغرق	متقارب	١	٢١٩
أيا ابن	لايلحق	»	٢	١٣٦

صدر البيت	قافيته	بحره	ج	ص
أيا ربّ	يعشقوا	متقارب	٧	١٦٦
إنى	العراقا	»	٢	٣٢
وعريان	يلمق	»	٤	٢٤٣
ألست	والأحمق	»	٧	٢٢٤

حرف الكاف

صدر البيت	قافيته	بحره	ج	ص
ألم	فتدرك	طويل	٧	١٢٣
كأنك	ورائكا	»	١	٧٨
عطايا	وأولئكا	»	١	١٩٠
إذا	شمالكا	»	١	٢٢١
أبعد	المهالكا	»	٢	٢١٤
لئن	ببالكا	»	٢	١١٨
فإن	مالكا	»	٦	٢٥
أتاك	هالكا	»	٦	١٤٩
أياخالدا	فعالكا	»	٦	٣٠٨
قليل	والمسالك	»	١	٨٥
		و	٣	١٣٧
بكل	الحوارك	»	١	١٠٨
تمارضت	بذلك	»	٢	٢٥٦
وإنى	مالك	»	٢	٣٠١
ومستضحك	بضاحك	»	٣	١٩٣
كنا	لمالك	»	٣	٣٢٨
		و	٧	١٢٩
عزائى	هالك	»	٤	١٨٢
		و	٥	٢٨١
تجنبت	مالك	»	٦	٣٣
ألا أبلغا	ومالك	»	٦	٣٤
يذكرنى	والفتك	»	٦	٢٣١
دعوا	الأوارك	»	٦	٣٠٨
إذا	هنالك	»	٦	٣٠٨
فنى	نوالك	»	٦	٣١٢
أبرّ	بالحوارك	»	٦	٣١٢
إن	سلكوا	بسيط	٣	٢١٠
		و	٥	٤٩

صدر البيت	قافيته	بحره	ج	ص
ثم	ركك	بسيط	٦	١٧٥
بين	مشترك	»	٦	٢٥٩
لاتهتكن	مساويكا	»	٢	١٦٠
اصبر	حاباكا	»	٣	٢٣١
	و ٤ : ١٥١	و ٥		١١٦
قد	الديك	بسيط	٣	٥٧
يامن	مملوك	»	٦	٣٢٠
كم	لسرّكا	كامل	٢	٦٦
وإذا	نُهاكا	»	٢	١٢٥
لا	أنبأكها	»	٢	١٥٩
كم	يجفوكا	»	٢	٢٠١
أين	هلكا	»	٦	١٩٠
رب العباد	بدا لكا	رجز	٢	٨٦
لبيك	إليكا	»	١	٢٢١
				و ٢٨٩
أيا	يراكا	»	٤	١٨
يا أيها	علاكا	»	٥	١٦١
كم	بكوا	رمل	٣	١٢٢
إنّ	دلكا	»	٧	٢٧١
ختمت	التذكى	»	٢	٢٩٨
طاف	فهلك	»	٣	١٢٧
	و ١٩٣	و	٤	١١
أنت	لشتانك	رمل	٤	٢٧
أنت	لك	»	٣	٤٠
		و	٤	٢٢
يا ابن	الحالكا	سريع	٢	٣٣٤
أصبحت	ذلكا	»	٣	١١٠
لو	لنكناكا	»	٤	١٢١
يعرف	والحرك	»	٢	٩٢
أدعوك	أبصرك	»	٧	٣٨
ياهاشم	أملك	منسرح	٧	٣٨
كلّ	الأملاكا	خفيف	٤	٢٣٤
بأبي	قفاك	»	٦	٢٠٨

صدر البيت	قافيته	بحره	ج	ص
كنت	جفاكا	خفيف	٧	٥٣
مجلس	ذكراكا	»	٧	٥٣
لم	سواكا	»	٧	٥٣
كلما	فبكاكا	»	٧	٥٤
قد	تراكا	»	٧	٥٤
خبريني	عليك	»	٨	١٠٢
قل	ملك	»	٦	٣١٢
		و	٨	١٠١
أيا دهر	ماكفاكا	متقارب	٢	١٦٤

حرف اللام

صدر البيت	قافيته	بحره	ج	ص
بنفسي	أنامله	طويل	١	٢٧
		و	٧	٧٤
ما	قتيل	»	١	٧٣
هم	وأجزلوا	»	١	٩٦
وملجمنا	أنامله	»	١	١٠٨
وأحمر	فضول	»	١	١١٠
متى	محجل	»	١	١٢٣
حسام	رسول	»	١	١٢٦
أوصيكم	أول	»	١	١٥٥
		و	٢	٢٣٩
فلو	سائله	»	١	١٦١
إذا	جميل	»	١	١٦٩
وآمرة	سبيل	»	١	١٧٦
تعيرنا	قليل	»	١	١٩٢
وأبيض	نوائله	»	١	٢٠٠
وفيهم	والفضل	»	١	٢٠١
لئن	آمل	»	١	٢١٣
بنو	أشبل	»	١	٢١٤
		و	٦	١٢٣
إلى	المؤمل	»	١	٢١٤
له	ونائل	»	١	٢٧
	و ٢٢٤	و	٨	٥٨

صدر البيت	قافيته	بحره	ج	ص
كأنما	قلم	بسيط	٤	٢٤٦
لولا	وللقلم	»	٤	٢٤٨
رددت	دمي	»	٤	٢٨٤
بنو	تمام	»	٥	١٥٩
فدى	لأقوام	»	٦	٧٤
ظالمي	يصرم	»	٦	٢٦٠
وناطق	قدم	»	٧	٦٩
من	مهوم	»	٧	١٣٥
صدق	قسمه	»	٧	١٨١
يشبهون	واللمم	»	٧	٢١٩
ألا	ودمه	وافر	١	٢٨
			و ٦	١٥٩
أرى	ضرام	»	١	٦٨
				و ٤ : ٢٦١ و ٥ : ٢٠٦
فما	الحكيم	وافر	١	١٧٨
وما أحد	أثام	»	٢	١٠٧
فلا	وخيم	»	٢	١٥٧
فإنك	الأديم	»	٣	٥٦
ألا	النعيم	»	٣	١٩٠
فإني	عصام	»	٣	٢٨٩
وفيّ	كريم	»	٤	٢٧
ودع	نلوم	»	٤	٢٠٧
ألا	يلوم	»	٥	٨٠
هذا	المنام	»	٥	٢٩٩
تعلم	بريم	»	٦	١٩
دعوني	بهيم	»	٦	١٨٩
بنفسي	سهام	»	٦	٣٢١
أتنسى	البشام	»	٧	٢٢
أتذكر	البشام	»	٧	٧٤
وكنت	السلام	»	٧	٦٠
كأني	رمام	»	٧	٧٥
تكلم	السلام	»	٨	١٠٣
رأيت	الفدامه	»	٤	٢٢٦

صدر البيت	قافيته	بحره	ج	ص
وقائلة	المستهاما	وافر	٤	١٣١
غريب	والسقما	»	٦	٢٢٤
غريب	والسدما	»	٧	٥٧
ألا	غماما	»	٧	٢٤
فتى	السلاما	»	٧	٧٥
ألا	كرامه	»	٨	١٢٩
جمعت	الدمامه	»	٨	١٢٩
إذا	اللئيم	»	١	٥٥
شهدن	الحوام	»	١	٧٧
إذا	الرحيم	»	١	١٨٠
			و ٨	١٢٨
وقالوا	كريم	»	١	١٩٣
				و ٢ : ١٧١ و ٧ : ١٨٦
أنا	وخيم	وافر	١	٢٦٥
إذا	حذام	»	٣	١٦
				و ٢٨٠
كأني	شمام	»	٣	٣١٣
ندمت	برغمي	»	٥	٦٦
وساق	الحمام	»	٦	٧٩
ألا إن	كريم	»	٢	١٢١
ومظهرة	والسلام	»	٧	٥٩
لو	لام	»	٧	١٣١
أبو	الطعام	»	٧	١٧٩
نهاني	الكرام	»	٨	٤٩
كأنّ	طلام	»	٧	٢٢٨
وعلى	والإظلام	كامل	١	٢٧
كم	الأدهم	»	١	١١١
غياش	للئيم	»	١	١٦٥
				و ١٩٦
أغفيت	أنامها	»	١	١٨٧
			و ٤	٢٧٣
إني وهبت	علم	»	٢	١٢٤
هنّ	حام	»	٢	١٣٩
			و ٦	٢٢٦

حرف الهاء

(١) قافية هذا البيت اللام ، وقد فاتنا إثباته هنالك سهوا .

حرف الألف اللينة

تم فهرس القوافى ويليه فهرس أنصاف الأبيات

فهرس أنصاف الأبيات

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

